بسم الله الرحمن الرحيم

التوثيق التاريخي في نهج البلاغة

ISBN 978-9922-9468-6-3

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية ببغداد ١١٥٤ لسنة ٢٠٢٣

BP193.1.A2 J33 2023

رحيم، أروى عبد الواحد - مؤلف.

التوثيق التاريخي لنهج البلاغة / اروى عبد الواحد رحيم. - الطبعة الاولى. - كربلاء، العراق: العتبة الحسينية المقدسة، مؤسسة علوم نهج البلاغة، ٢٠٢٣/ ١٤٤٤ للهجرة.

٣٨٤ صفحة ؛ ٢٤ سم. - (العتبة الحسينية المقدسة ؛ ١٢٠٤)، (مؤسسة علوم نهج البلاغة ؛ ٢٢٢)، (سلسلة الرسائل والاطاريح الجامعية، وحدة الدراسات التاريخية ؛ ٥٢.)

يتضمن هوامش، لائحة المصادر (الصفحات ٣٥٩-٣٨٢).

١. الشريف الرضي، محمد بن الحسين، ٣٥٩-٤٠٦ للهجرة — نهج البلاغة ٢. علي بن أبي طالب (عليه السلام) الامام الاول، ٢٣ قبل الهجرة-٤٠ للهجرة — حديث ٣. البلاغة العربية أ. توثيق لـ(عمل) : الشريف الرضي، محمد بن الحسين، ٣٥٩-٤٠٦ للهجرة — نهج البلاغة. ب. رحيم، أروى عبد الواحد — مؤلف. ج. نهج البلاغة.

تمت الفهرسة قبل النشر في شعبة نظم المعلومات التابعة لقسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة.

سلسلة الرسائل والأطاريح الجامعية
(٥٢)
وحدة الدراسات التاريخية

التوثيق التاريخي في نهج البلاغة

تأليف
أروى عبد الواحد رحيم

مراجعة وضبط
اللجنة العلمية في مؤسسة علوم نهج البلاغة

إصدار
مؤسسة علوم نهج البلاغة
العتبة الحسينية المقدسة

جميع الحقوق محفوظة

العتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م

العراق - كربلاء المقدسة -مجاور مقام علي الأكبر عليه السلام

مؤسسة علوم نهج البلاغة

هاتف: ٠٧٧٢٨٢٤٣٦٠٠ - ٠٧٨١٥٠١٦٦٣٣

الموقع الألكتروني: www.inahj.org

الإيميل: info@inahj.org

تنويه:

إن الأفكار والآراء المذكورة في هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظر كاتبها، ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر العتبة الحسينية المقدسة

تخلي العتبة الحسينية المقدسة مسؤوليتها عن أي انتهاك لحقوق الملكية الفكرية

الإهداء

إلى الدماء التي سالت على أرض المقدسات . .

إلى كلّ من أطفأ شمعة عمره من أجل أن يشعل شمعة حياتنا . .

إلى القلوب التي نبضت بحب تراب هذه الأرض الطاهرة . .

إلى الشهداء الذين ضحوا بأرواحهم في طريق علي والحسين . .

أهدي هذا الجهد المتواضع

مقدمة المؤسسة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ما أنعم وله الشكر بما ألهم والثناء بما قدَّم، من عموم نِعَمٍ ابتدأها وسبوغ آلاء أسداها، وتمام مِنَنٍ والاها، والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين محمد وآله الطاهرين.

أما بعد:

فلم يزل كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) منهلاً للعلوم من حيث التأسيس والتبيين، ولم يقتصر الأمر على علوم اللغة العربية أو العلوم الإنسانية فحسب، بل شمل غيرها من العلوم التي تسير بها منظومة الحياة، وإن تعددت المعطيات الفكرية، إلّا أنّ التأصيل مثلما يجري في القرآن الكريم الذي ما فرط الله فيه من شيء، كما جاء في قوله تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، كذلك يجري مجراه في قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس: ١٢]، وغاية ما في الأمر أن أهل الاختصاصات في العلوم كافة حينما يوفقون للنظر في نصوص الثقلين يجدون ما تخصصوا فيه حاضراً وشاهداً فيهما، أي في القرآن الكريم وحديث العترة النبوية (عليهم السلام)، فيسارعون وقد أخذهم الشوق لإرشاد العقول إلى تلك السنن والقوانين والقواعد والمفاهيم والدلالات في القرآن الكريم والعترة النبوية.

من هنا ارتأت مؤسسة علوم نهج البلاغة أن تتناول تلك الدراسات الجامعية المختصة بعلوم نهج البلاغة وبسيرة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وفكره ضمن سلسلة علمية وفكرية موسومة بـ(سلسلة الرسائل الجامعية)

التي يتم عبرها طباعة هذه الرسائل وإصدارها ونشرها في داخل العراق وخارجه، بغية إيصال هذه العلوم الأكاديمية إلى الباحثين والدارسين وإعانتهم على تبين هذا العطاء الفكري والإنتهال من علوم أمير المؤمنين علي (عليه السلام) والسير على هديه وتقديم رؤى علمية جديدة تسهم في إثراء المعرفة وحقولها المتعددة.

وما هذه الدراسة الجامعية التي بين أيدينا لنيل شهادة الماجستير إلا واحدة من تلك الدراسات التي تشرف صاحبها فالغوص في فكر أمير المؤمنين (عليه السلام) وباب مدينة العلم، وقد سعى الباحث فيها أن يبين الأحداث التاريخية التي تضمنها نهج البلاغة، إذ إن التاريخ في فكر الإمام علي (عليه السلام) ليس مجرد أحداث، بل هو منهج وتاريخ فكري للأحداث التي أظهرتها خطبه (عليه السلام).

فجزى الله الباحث خير الجزاء على ما قدمه من جهد في هذه الدراسة

والحمد لله ربّ العالمين

السيد نبيل الحسني الكربلائي

رئيس مؤسسة علوم نهج البلاغة

بسم الله الرحمن الرحيم

وَإِذا سَأَلَكَ عِبادِي عَنّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ
دَعْوَةَ الدّاعِ إِذا دَعانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا
بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ

مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم لك الحمد حمداً يكون أرضى لحمدك، وأحب الحمد إليك، وأفضل الحمد عندك، حمداً يملأ ما خلقت، ويبلغ ما أردت، حمداً لا يحجب عنك ولا يقصر دونك، حمداً لا ينقطع عدده ولا يفني مدده . الحمد لله على ما عرفنا من نفسه وألهمنا من شكره، وفتح لنا من أبواب العلم بربوبيته أحمده على عواطف كرمه وسوابغ نعمه وأومن به أولاً واستهديه قريباً هاديا واستعينه قاهراً قادراً وأتوكل عليه كافياً ناصراً .

نعوذ اللهم بك من الإعجاب في أعمالنا، فإنك من الضعف خلقتنا وعلى الوهن بنيتنا ومن ماء مهين ابتدأتنا فلا حول لنا إلا بقوتك ولا قوة لنا إلا بعزتك فأبدنا بتوفيقك، اللهم وصلِّ على محمد وآله واجعل همسات قلوبنا وحركات أعضائنا ولمحات أعيننا في موجبات ثوابك حتى لا تفوتنا حسنة تستحق بها جزاءك ولا تبقى لنا سيئة تستوجب بها عقابك، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على حبيب آله العالمين نبينا محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وأصحابه المنتجبين .

أن دراسة التاريخ وفلسفته وآثاره تصبح ذات قيمة وفاعلية إذا كان الهدف منها تبني الجانب الفكري والإبتعاد عن الجانب الإنشائي الذي لا يلبث أن يكون مجرد بعثرة كلمات ثم تصبح في طي النسيان على عكس الدراسات الفكرية، وما نجده عند الإمام علي عليه السلام ان التاريخ في فكرة ليس مجرد أحداث وإنما منهج وتاريخ فكري للأحداث أظهرتها الخطب المجموعة في النهج، عكست الواقع التاريخي بموضوعية معتمداً الأساليب العلمية الصحيحة ومنها **التوثيق**.

ومن هنا فإن هذا البحث وهو **(التوثيق التاريخي في نهج البلاغة)** يعني الأفكار المحكمة بالتوثيق في النهج، فإن اللغة عند الإمام عليه السلام ليست ألفاظاً أو أصواتاً أو لغواً وإنما أفكار وهذه (الأفكار) تخرج عن نطاق الحديث غير الممنهج وتدخل في صورة المنهجية فهو عليه السلام يبتعد في لغة الخطاب عن العموميات والكلام غير القائم على أساس دقيق ويؤكد على العلية والبرهان والتوثيق من أجل بناء قاعدة ثقافية توعوية بشأن أطر البحث العلمي وسياقات الإتجاهات الفكرية وإعطاء الأفكار المطروحة مصداقية أولاً و للحيلولة دون الوقوع في الخطأ أو التعريض للنقد ثانياً.

وعلى العموم ولكي تتوضح الصورة أكثر حول الموضوع وهو التوثيق التاريخي في نهج البلاغة فإننا يمكن أن نقول إن هناك فرقاً بين اللغة العادية أو لنقل بين الأصوات وبين اللغة الأخرى التي هي فكر، فخطاب الإمام عليه السلام ليس مجرد كلام وإنما أفكار، وهذه الأفكار لم يتركها دون أسس ومعايير ودون عضد وتأكيد وإحكام وهو المنهج ألتوثيقي الذي يأتي وفق فلسفة وأهداف وأنواع ربما تكون تاريخية أو علمية أو قرآنية أو عقائدية وما إلى ذلك، فدائماً يخاطب عليه السلام الناس بلغة موثقة وليس من المستغرب أن نجد الإمام عليه السلام يؤكد على هذه المسألة ويلح عليها.

إما التوثيق لغة هو الإحكام، وثق الشيء وثاقة قوي وثبت فهو وثيق ثابت محكم وأوثقته جعلته وثيقاً[1] والوثيقة في الأمر إحكامه والأخذ بالثقة ووثق الشيء توثيقاً فهو موثق والموثق المواثقة والمعاهدة واستوثقت من فلان أخذت منه بالوثاقة والموثق من الشجر الذي يعول الناس علية إذ انقطع الكلأ[2] ومن ثم ان التوثيق يعني إحكام المعلومات أو الأفكار إحكاماً وثيقاً بحيث لا تدع مجالاً

(١) المقري، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ٢/ ٦٤٧؛ وينظر قلعجي، معجم الفقهاء، ص٤٩٩.
(٢) ابن منظور، لسان العرب، ١٠/ ٣٧١- ٣٧٢، الزبيدي، تاج العروس، ١٣/ ٤٧٣ .

للشك أو التنازع . فمثلا عندما يطرح الفكرة فيما يخص الأشعث بن قيس كمثال انه حائك ابن حائك وعندما لا يعني بذلك مهنة الحياكة وإنما الغدر والخيانة، فإن لم يكن هناك توثيق لهذه الفكرة أو المعلومة فإنها ستخضع لتفسيرات وتحليلات عديدة من الشارحين والمؤرخين قد تكون بعيدة عن المغزى الذي يحاول الإمام ﷺ الوصول إليه لكنه وثق لها بحادثة تاريخية أثبتت وأحكمت هذه الفكرة فنقلها من مجرد كلمات أو أفكار إلى بيانات مستدل عليها فاستخلص وأوصل بالنهاية ما هو المطلوب والغرض من إطلاق تلك التسمية عليه.

وهنا تكمن أهمية التوثيق، فإن المعلومات مهما كانت قيمتها العلمية إذا لم تخضع للتوثيق فإنها تفقد تلك القيمة ومن ثم فالمعلومات التي طرحها الإمام ﷺ احكمها بالتوثيق لكي لا تفقد قيمتها العلمية.

وهذا الفكر الموثق في نهج البلاغة واسع وشموليّ لا يختص بجانب معين دون آخر بل ان جميع الأفكار في النهج وثق لها الإمام ﷺ وحتى وإن كان الموضوع تاريخياً بحسب اختصاصنا إلا أنه غير منفصل عن بقية الجوانب الأخرى بل نجد أن التاريخ في فكر الإمام ﷺ مرتبط ببقية الجوانب كالعلمية والدينية لذلك نرى أن توثيقه للأفكار وإحكامها وتوثيقها بالموثق به لا يختص بحوادث تاريخية وإنما يشمل هذه الجوانب كون التاريخ كما قلنا مرتبط بها من جانب، ولإيصال الفكرة حسب حقيقتها من جانب آخر لذلك نجد الإرتباط بين هذه الفكرة أو ما اصطلح عليه خلال البحث الموثق وبين الجوانب المتنوعة وهي الموثق به ارتباط وثيق ولا نقصد الإرتباط المادي فقط وإنما الإرتباط والتلاحم المعنوي للفكرة ولذلك نجد مثلاً في الموضوع التاريخي نفسه أفكار سياسية أو تربوية أو تقارير علمية صبت في قالب حادثة تاريخية، وهذا أسلوب فريد وغاية في الروعة.

ومن المناسب القول أن الموضوعات والأفكار التاريخية المطروحة في النهج قد أرخت من العديد من المؤرخين في العديد من الكتب إلا أن هذه الموضوعات في تلك المؤلفات قد جمعت بين الغث والسمين، والدس والتزوير، والزيادة والنقصان، والتضارب بشأن الحدث نفسه أزيل بها الحق من نصابه وزورت كثير من الأحاديث ووضعت كثير من المناقب والكرامات لأسباب معروفة في التاريخ[١] إلا أن التاريخ عند الإمام عليه السلام واستعماله ليس كمؤرخ يؤرخ الأحداث وما يتبع ذلك العمل التاريخي من إيدلوجية وظروف سياسية، كما انه لم يكن يستعمل التاريخ كمادة تاريخية أو وعظية فقط وإنما كان يهدف إلى النقد والتربية والتوجه الحضاري[٢].

ولا نريد أن ننفي بذلك القول جميع من أرخ وألف في التاريخ من القدماء بل على العكس تماماً فلهم يعود الفضل في نقل الأحداث حتى وإن كانت مصداقية نقل الخبر وإثباته لدى هذا المؤرخ أو ذاك متزعزعة ومشككاً بها بل ان هذا التشكيك ومحاولة الوصول إلى الحقيقة هو الذي أفرز لنا الدراسات الفكرية التي لا تتعامل مع التاريخ كتدوين أحداث فقط وإنما تنظر له كفلسفة، كما أنها ليست خاطئة إلا أنها جمعت بين الغث والسمين والحقيقة والتزوير كما قلنا فيما سبق، ونجد الإمام عليه السلام اتبع الأسلوب الفكري والنظرة الفلسفية للتاريخ منذ البداية فكان كل فكره عن الحدث أو الشخصيات التاريخية موثق لها بموضوعية ومن ثم لم يعد هناك مجالاً للقول ان مصداقية هذه الفكرة للحدث أو الشخصية مشكك بها كما في الوقت ذاته يمكن إثباتها من كتب ومؤلفات أولئك المؤرخين، فجميع

(١) ينظر: الغروي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ص٣٨- ٣٩ .

(٢) ينظر: شمس الدين، التاريخ وحركة التقدم البشري، ص١٤ .

تلك الأفكار للأحداث والشخصيات التي وثق لها الإمام ﷺ عامل مشترك مع المصادر التاريخية وينبغي الإلتفات إلى حقيقة وهي ان الإمام ﷺ لم يكن قد درس في مدرسة اعتيادية وإنما في مدرسة النبوة هذا فضلاً عن العلم أللدني للإمام ﷺ لذلك فإن توثيقه للأحداث إنما جاء من العلم الإلهي الذي يعد مصدراً للتوثيق، فالتوثيق بجميع أنواعه للأفكار لم يأتِ اعتباطاً وإنما وفق أسس ومعايير علمية وذا هيكلية تتناسب مع الطرح الإلهي الذي يأتي عن طريق مدرسة النبوة.

ومن هنا فإن هذه الدراسة التي ضمت التوثيق التاريخي وفلسفته كانت ترتكز على الأفكار التي وثق لها الإمام ﷺ في النهج وقد قسمت إلى أربع فصول سبقتها مقدمة وتلتها خاتمة .

تناول الفصل الأول منهجية توثيق المفاهيم السياسية ومعطياتها التطبيقية، لأحداث سياسية حدثت فشمل البعد الواقعي للتوثيق في التعامل مع اتجاهات الخلافة، بتوثيق مسارات الإنقلاب على المفاهيم التي أفرزت الأحداث التي حدثت فيما بعد والمؤهلات الداعمة للتنصيص، إذ يوثق لمجموعة من المؤهلات التي تدعم التنصيص، ومن دون شك ان أبرز إفرازات الخلافة والسقيفة هو الأحداث السياسية العسكرية مثل حرب الجمل وصفين والتحكيم فدرست جميع هذه الأحداث في توثيق الأبعاد التعليلية للأحداث السياسية وانعكاساتها على أرض الواقع من خلال الفكرة الأساسية العلمية وهي التوثيق وعلى الرغم من أن الأحداث التي تلت السقيفة التي وثق لها تعد عسكرية إلا ان التعامل معها كان من جانب سياسي وليس من جانب عسكري.

أما الفصل الثاني، فقد تناول توثيق أبعاد السير الشخصية ومدلولات مفاهيمها فدرس العديد من الشخصيات في إطارين: الأول توثيق البعد الإيجابي

في مفاهيم السيرة، والثاني توثيق البعد السلبي على أن القول بالإيجابية بخصوص تلك الشخصيات إنما جاء نتيجة صفاتها التي أضفت الطابع الإيجابي، وكان هناك أسلوب التدرج من التوثيق من الشخصية الفردية إلى المجموعة ومن ثم البلد الذي يتكون من مجموعة من الشخصيات الفردية، كما ان القول بالسلبية إنما جاء نتيجة صفات وسلوكيات وتصرفات تلك الشخصيات ذات الطابع السلبي ونجد طابع التدرج في التوثيق من الفرد إلى البلد.

في حين تناول الفصل الثالث التوثيق التاريخي المرتبط بالأبعاد الدينية، فضم العديد من الموضوعات والأفكار الموثقة التي كان أغلبها تاريخية ذات ارتباطات دينية، فتناول توثيق أبعاد وانعكاسات البعثة النبوية على المجتمع الجاهلي وعلى المجتمع الذي أصبح إسلامياً فيما بعد، ونقصد هنا المكاسب التي حصل عليها المسلمون فضلاً عن مقاييس ومنطلقات أفضلية الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ليس على البشر العاديين فقط وإنما حتى على الأنبياء كما تناول الجانب التربوي من التاريخ ولاسيما من حياة الأنبياء عموماً وأبعاد حياة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) خصوصاً، فضلاً عن أسباب وأهداف البعثة والفلسفة من اصطفاء الدين الإسلامي على سائر الشرائع، ولم يترك الجانب الذي يطلق عليه المغيبات أو الغيبيات بل شمل هذا الفصل أيضاً ذلك فقد وثق للعديد من الأحداث المستقبلية التاريخية لاسيما الدولة الأموية فضلاً عن التوثيق المستقبلي العقائدي الذي تناول قضايا الغيبة والظهور.

أما الفصل الرابع، فكان التغطية التوثيقية للمفاهيم التاريخية ومعطياتها الفكرية فشمل توثيق المفهوم السياسي وتغطيته الفكرية، وكذلك تضمن المفهوم العسكري وأبعاده الفكرية، فكانت تلك التغطية الفكرية سواء في المجال السياسي أم العسكري مستشفة فقط من النصوص أو الخطب التاريخية التي تتضمن حدثاً

تاريخياً وليس من الرسائل أو الخطب التي وجهها إلى عماله والتي احتوت تغطية شاملة واسعة في هذين المجالين، وهذا الفصل عني فقط بالتغطية السياسية العسكرية والسياسية من النص التاريخي فضلاً عن توثيق منظومة الفكر الإنساني وأبعاده العلمية التي تدور مدارها على التوثيق للحديث النبوي الشريف ولأصناف وأنواع تلك الأحاديث المتداولة وأيها الموثوق منها.

ورجعت هذه الدراسة إلى العديد من المصادر أغنتها بالمعلومات الكافية والمفيدة في جوانبها المختلفة، وكان كتاب نهج البلاغة هو الأساس والمصدر الرئيس وتم اعتماد النسخة التي ضبطها صبحي الصالح كما شملت شروح نهج البلاغة منها شروحات القدماء، وجاء في مقدمتها شرح نهج البلاغة (الكبير) وإختيار مصباح السالكين أو الشرح المتوسط لابن ميثم البحراني (٦٩٩هـ - ١٢٩٩م) وشرح ابن أبي الحديد (٦٥٦هـ - ١٢٥٨م) وشرح حدائق الحقائق لكيذري بيهقي(القرن السادس الهجري - الثاني عشر الميلادي) وكتاب أعلام نهج البلاغة للسرخسي (٤٨٣هـ) فضلاً عن شروحات أخرى.

كما تم الإعتماد على شروح المتأخرين وأهمها، توضيح نهج البلاغة لحسيني شيرازي، وشرح نهج البلاغة للموسوي فقد كانت شروحاتهم مميزة وغنية، وكتاب منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة لحبيب الله الهاشمي الخوئي، وشرح نهج البلاغة لدخيل وكذلك كتاب في ظلال نهج البلاغة لمحمد جواد مغنية ونهج البلاغة لمحمد عبده وشرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار لعلي أنصاريان، و بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة للتستري.

وقد حتم التخصص والمعلومات التاريخية الرجوع إلى المصادر القديمة وجاء في مقدمتها حسب الأهمية كتب الحديث مثل كتاب صحيح مسلم لمسلم(٢٦١هـ

- ٨٧٥م) و مسند أحمد لأحمد بن حنبل(٢٤١هـ - ٨٥٥م) و صحيح البخاري للبخاري(٢٥٦هـ - ٨٧٠م) و كتاب تاريخ المدينة لابن أبي شبة(٢٦٢هـ - ٨٧٦م)، وكتب التاريخ مثل الإمامة والسياسية المنسوب لابن قتيبة(٢٧٦هـ - ٨٨٩م) والكامل في التاريخ لابن الأثير (٦٣٠هـ - ١٢٣٢م) و كتاب تاريخ الرسل والملوك المعروف بتاريخ الطبري للطبري(٣١٠هـ - ٩٢٣م).

وأخيراً كان لكتب اللغة ومنها لسان العرب لابن منظور (٧١١هـ - ١٣١١م) أهمية لا يمكن تجاهلها فقد أفاد هذه الدراسة في معرفة بعض الألفاظ اللغوية الواردة في الخطب.

الفصل الأول

منهجية توثيق المفاهيم السياسية ومعطياتها التطبيقية

إن المعلومات الواردة في نهج البلاغة عن الأحداث السياسية تمثل مفتاحاً لفهم حقيقة تلك الأحداث لأن كلام الإمام ﷺ يرتبط بمفهوم فكري علمي وليس على عناصر وهمية ومعطيات جاءت نتيجة رغبات شخصية أو خاضعة لسلطة معينة وإنما كان قائماً على منهج البحث العلمي فكل معلومة عن تلك الأحداث موثقة وفق فلسفة وأهداف معينة ومن أجل إيصال رسالة مفادها أن هذه الأحداث تتعارض مع المبادئ والأخلاق الإسلامية وغرضها إعادة الجاهلية ومحو الدين الإسلامي، وفي بعض الأحيان يكون التوثيق لنتيجة الحدث، وما هي الأسباب التي أدت إلى هذه النتيجة، ومن دون شك ان هذه الأحداث السياسية كان لها دور كبير في تغيير مسار التاريخ التي لم يكن بعضها وفق حوادث آنية أو مفاجئة بل كانت تسير وفق مخطط مسبق، صحيح أنها كانت مختلفة من إذ المكان والزمان إلا أنها تحمل الهدف نفسه وكانت تستدعي أن يقف الإمام ﷺ عندها وأن يصدر القرار المناسب مُؤْثِراً المصلحة العامة على المصلحة الشخصية من أجل المحافظة على البناء الإجتماعي والنظام الإسلامي.

وتكمن أهمية نتائج الأبعاد السياسية ومعطياتها فيما يأتي:-

١- معايشة الإمام ﷺ الحدث يعطي توثيقاً حياً مثالياً وليس نقلياً أو استنتاجياً.

٢- الإنسجام والتناغم في التوثيق للأبعاد السياسية وتوثيقها توثيقاً واقعياً مما يؤدي إلى زيادة المصداقية.

٣- معالجة الخلل أو المفهوم السلبي السائد لبعض الأحداث.

٤- الأبعاد التثقيفية التي نستشفها من النص قد تكون أبعاداً علمية أو سياسية وما إلى ذلك.

٥- زرع ثقافة معينة وتأصيل فكرة لأكبر وأهم الحوادث السياسية التي غيرت مجرى التاريخ الإسلامي.

المبحث الأول

البعد الواقعي للتوثيق في التعامل مع اتجاهات الخلافة

إنّ من أكثر الأحداث التاريخية التي كانت وما زالت مثار جدل هي قضية الخلافة وهل هي شورى؟ أو نص من قبل شخص لآخر؟ ويمكن القول أنها في الجانب النظري شورى لكن في التطبيق الواقعي نص إذ أن الأسباب الظاهرية دون الباطنية تكشف أنها لم تكن في أي فترة من الفترات الخلافية شورى بل كلها كانت تنطوي على مفهوم النص، ومن دون شك ان هذه النتيجة تحتاج إلى الإثباتات والبراهين التي نجدها حاضرة وبشكل مميز جداً في نهج البلاغة لا تخرج عن نطاق الحديث غير المنهج وإنما تدخل في صورة المنهجية الموثقة.

وبعد ما مر يمكن القول ان ما وثق له الإمام علي (عليه السلام) بهذا الخصوص محكم من جميع جوانبه لا يدع مجالا للشك لأنه قائم على أسس منهج البحث العلمي.

إن قضية الخلافة والشورى والنص ليست مسألة آيدلوجيات وصراع وأهواء وإنما يمكن النظر إليها بمنظار الحق والإيمان وانقلاب على وصايا الرسول وتعاليمه ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾[1] فإن موت أو قتل الرسول (صلى الله عليه وآله) كشف الغطاء

(١) آل عمران / ١٤٤.

عن مدى استيعاب ودرجة وعي الأمة لمفاهيم الرسول (ﷺ) والرسالة الذي كان نتيجته الطبيعية ذلك الإنقلاب.

١- توثيق مسارات الإنقلاب على المفاهيم .

إن الواقع التاريخي هو الذي أدى إلى نشوء مثل هذه النظرية أنها نظرية الإنقلاب القائمة على أساس مخالفة النص ثم إدراك المجتمع ذلك والرجوع إلى نقطة البداية وقد بدأ هذا بمجرد سماع خبر وفاة الرسول (ﷺ) إذ يوثق الإمام (عليه السلام) إلى هذا المنطق بقوله «**حَتَّى إذا قَبَضَ اللهُ رَسُولَهُ صلّى الله عليه و آله، رَجَعَ قَوْمٌ عَلَى الْأَعْقَابِ، وَغَالَتْهُمُ السُّبُلُ، وَاتَّكَلُوا عَلَى الْوَلَائِجِ، وَوَصَلُوا غَيْرَ الرَّحِمِ، وَهَجَرُوا السَّبَبَ الَّذِي أُمِرُوا بِمَوَدَّتِهِ، وَنَقَلُوا الْبِنَاءَ عَنْ رَصِّ أَسَاسِهِ، فَبَنَوْهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ. مَعَادِنُ كُلِّ خَطِيئَةٍ، وَأَبْوَابُ كُلِّ ضَارِبٍ فِي غَمْرَةٍ. قَدْ مَارُوا فِي الْحَيْرَةِ، وَذَهَلُوا فِي السَّكْرَةِ، عَلَى سُنَّةٍ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ: مِنْ مُنْقَطِعٍ إِلَى الدُّنْيَا رَاكِنٍ، أَوْ مُفَارِقٍ لِلدِّينِ مُبَايِنٍ**»[1]، التوثيق هنا يكمن في قول الإمام (عليه السلام) ان المجتمع على سنة من آل فرعون أما منقطع إلى الدنيا راكن أو مفارق للدين مباين أي يوثق الإمام (عليه السلام) ان المجتمع أو مجتمع الرسول (ﷺ) والخلافة ان لم نقل كله بل الأغلبية تدرج تحت هذين العنوانين بعيدين عن تعاليم الرسول (ﷺ) ليس لديهم التفاعل والإندماج في المشروع الإسلامي؛ لأنهم وكما قلنا بنص قول الإمام (عليه السلام) أما منهمكين في لذات الدنيا وتحصيلها أو مفارق للدين ومن ثم لم يكن لهم الإيمان والإدراك والمعرفة لحقيقة النبوة وحقيقية التعاليم النبوية وما هي عواقب مخالفة تلك التعاليم فنظرتهم للرسول (ﷺ) مجرد قائد أو حاكم ما أن تنتهي فترة حكمة تنتهي تعاليمه

(١) نهج البلاغة / ٣٠٥ .

معه[١]، فالإسلام لديهم متمثل بشخص النبي فإن قتل ينتهي كل شيء.

ولم يأتِ كلام الإمام (عليه السلام) ذلك اعتباطاً بل موثق له بحادثة تاريخية وهي بمجرد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله) إنقلب القوم على الأعقاب، الإنقلاب الرجوع مطلقاً[٢] والإنقلاب على الأعقاب الرجوع عما كان من الخير وهو الرجوع القهقرى[٣] أي رجوعهم إلى الحالة السابقة وهي الجاهلية فأهلكتهم الآراء التي لا تستند إلى كتاب أو سنة واعتماد كل واحد منهم في نصرة رأيه على القرابة بدل الدين وقطعوا الأرحام وقطعوا رحم رسول الله (صلى الله عليه وآله) ووصلوا غيرها وهجروا أهل البيت الذين أمر الله بمودتهم «**قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**»[٤]؛ لأنه السبب أي الحبل الذي يوصل به[٥].

وأشار الشارحون[٦] إلى أن الإمام يشير بذلك إلى قول الرسول (صلى الله عليه وآله) «**أني تارك**

(١) فضلًا عن النتيجة التي سنصل إليها بالتوثيق لحقيقتهم تلك ونظرتهم إلى الرسول (صلى الله عليه وآله) بالحادثة التاريخية التي يوثق بها الإمام (عليه السلام) فهناك قول آخر ليس في نهج البلاغة مصداق لتلك النظرة وهو أيضاً كقول الإمام (عليه السلام)، عن أنس يقول لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى المدينة أضاء من المدينة كل شيء فلما مات أظلم كل شيء وما فرغنا من دفنه حتى أنكرنا قلوبنا، أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ٣/ ٢٢١؛ ابن ماجة، سنن بن ماجة، ١/ ٥٢٢؛ الترمذي، سنن الترمذي، ٥/ ٢٤٩ فما نفضت الأيدي عن الرسول (صلى الله عليه وآله) حتى انتهى كل شيء وأنكروا قلوبهم وعادوا إلى حالاتهم.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ١/ ٦٨٦ .

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ٧/ ١٠١ .

(٤) الشورى/ ٢٣.

(٥) ألفراهيدي، العين،٧/ ٢٠٣؛ ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث،٢/ ٣٢٩؛ ابن منظور، لسان العرب، ١/ ٤٥٩.

(٦) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٩/ ١٣٢ - ١٣٣؛ ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة (الكبير)، ٣/ ٢١٩؛الخوئي،منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٩/ ١٤٣؛ ألتستري، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، ٣/ ٥٢٢؛ دخيل، شرح نهج البلاغة، ١٣- ١٤/ ٤٩؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة،٢/ ٤٦٥؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٢/ ٣٥٩ - ٣٦٠ .

فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي وأنهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض»[1] واغتصبوا حق أهل البيت ونقلوا الخلافة إلى غير موضعها مخالفين الكتاب والنصوص الصريحة في حق أهل البيت[2] وما آلت إليه النتيجة من جراء ذلك تأسيس أساس الظلم وتشيد بناءة فتحوا لأتباعهم أبواب الضلال كل من على طريقهم لا يهتدي إلى طريق الحق غابت أفكارهم في سكرة الجهل[3].

وقال بعض الشارحين أن الإمام عليه السلام لم يقصد بذلك الإنقلاب هو إنقلاب مجتمع الخلافة بل من خرج عليه زمن خلافته[4] ويمكن القول أنه لولا حدوث هذا الإنقلاب لما حدثت تلك الأحداث في خلافته وكذلك أن قول الإمام عليه السلام «**حَتَّى إذا قَبَضَ اللهُ رَسُولَهُ، صلّى الله عليه و آله، رَجَعَ قَوْمٌ عَلَى الْأَعْقَابِ**» يعني بمجرد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله) حدث الإنقلاب بسبب عدم حصول الإيمان لمعرفة أبعاد تعاليم الرسول (صلى الله عليه وآله) والإستغراق في الدنيا راكنين إليها كما قلنا فيما سبق، ونستنتج مما تقدم:

١ – من خلال التوثيق نستدل على أن عملية الإنقلاب التي حدثت على تعاليم الرسول (صلى الله عليه وآله) بعد وفاته من الصنف الذي كان بعيداً عن الدين أو راكن إلى الدنيا ولم يدرك أبعاد تعاليم الرسول (صلى الله عليه وآله) بل كان ينظر إلى قيادة النبي وتعاليمه ولاية وطاعة مرحلية.

---

(١) أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ٣/ ١٤ .

(٢) مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٢/ ٣٦٠ .

(٣) الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٢/ ٤٦٦ .

(٤) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٩/ ١٣٣ – ١٣٦؛ ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة (الكبير)، ٣/ ٢١٨ .

٢ - إختلاف مستويات الإيمان عند المسلمين وإختلاف عقيدتهم بالنسبة للنبي (ﷺ) والإنقياد لأوامره على أساس أنها أحكام تكليفيه ومن ثم لا يمكن إضفاء هالة التقديس على جميع صحابة الرسول (ﷺ) ومجتمعة.

٣- يوثق الإمام (عليه السلام) ما حصل بعد النبي بأن النظام السياسي بدأ يسير وفق الإرادة الجاهلية أكثر من الإرادة الإسلامية.

٤- نظر هؤلاء إلى الدين كجزئية من جزئيات الحياة يتعلق بالعبادة فقط فانقلبوا على ما أمر به الرسول (ﷺ) لكن الإسلام جاء بمشروع متكامل لا يشمل البناء العقائدي فقط وإنما كل الجزئيات الأخرى.

٥- أصبح المجتمع القريب والبعيد مجتمعاً مبنياً على ثقافة أهل الإنقلاب(معادن كلّ خطيئة، و أبواب كلّ ضارب في غمرة) لذلك أصبح تغير المجتمع وإرجاعه إلى ثقافة النبي عملية صعبة.

إن الإمام علي (عليه السلام) اتخذ أساليب مختلفة في التوثيق لهذا الحدث في سبيل إثبات فكره الإنقلاب إذ يوثق أن الخلافة لم تكن شورى فالأساس الذي تم على وفقه إنتخاب الخليفة هو ان المبايعة شرط ضروري دون أن يتحقق ذلك فيقول (عليه السلام): **«وَلَعَمْرِي، لَئِنْ كَانَتِ الْإِمَامَةُ لَا تَنْعَقِدُ حَتَّى يَحْضُرَهَا عَامَّةُ النَّاسِ، فَمَا إِلَى ذَلِكَ سَبِيلٌ، وَلَكِنْ أَهْلُهَا يَحْكُمُونَ عَلَى مَنْ غَابَ عَنْهَا، ثُمَّ لَيْسَ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَرْجِعَ، وَلَا لِلْغَائِبِ أَنْ يَخْتَار»**[1] وهذه وثيقة مهمة لا يحتاج إلى تدقيقها وفهمها درسا تحليلا وهي أن خلافة الخلفاء كانت نصا من قبل شخص لآخر وليست شورى كما يدعي جماعة الإنقلاب وهذا هو التوثيق الذي يريد أن يثبته الإمام (عليه السلام) موثقا له وفق قاعدة عامة في قوله ان تحضرها عامة الناس فما من سبيل في ذلك ولكن أهلها

(١) نهج البلاغة / ٣٦٧.

يحكمون على من غاب، فلو كانت شورى لكانت بحضور الجميع ولا يحكم على الغائب أو الشاهد في التراجع عنها، ومن ثم إن توفرت القاعدة الإنتخابية سواء بحضور الناس أو القاعدة بحضور جميع أهل الحل والعقد كما يدعون لأطلق عليها شورى وإن فقدت القاعدة يعني نص، فأستدل عليهم بالطريقة التي كانوا يعتقدونها في ثبوت الإمامة[1].

وأخذ بعض الشارحين كلام الإمام عليه السلام على محمل آخر وهو أن البيعة تعقد بحضور أهل الحل والعقد لتعذر حضور الجميع وهم يحكمون على من غاب من لم يستطيع الحضور وبذلك إلزام لمن خرج على الإمام عليه السلام وكذلك معاوية أن يرد بيعته لأنها عقدت باتفاق أهل الحل والعقد[2] بل استدل ابن أبي الحديد من خلال قول الإمام هذا إبطال لقول الإمامية بالنص[3] ولم يذهبوا إلى أبعد من ذلك. لكن يمكن القول انه صحيح أن هذا تعرض لبعض ظروف الشورى للذين في المدن البعيدة لا يمكنهم الحضور فما إلى ذلك من سبيل لكن خلافة الخلفاء كانت نصاً بدليل أن أهلها أي المهاجرين والأنصار يحكمون حتى على من غاب من المهاجرين والأنصار القريبين من الحدث أو الحاضرين منهم أن يختار أو يرد كما أنهم يحكمون على من غاب من أهل الحل والعقد[4] القريبين أيضا، يعني

(١) كيذري بيهقي، حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة، ٢/ ٧١ .

(٢) ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة (الكبير)، ٣/ ٣٤١؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٣/ ١٢٤؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٣/ ٤٦؛ ألتستري، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، ٤/ ٥٦٤- ٥٦٥.

(٣) شرح نهج البلاغة، ٩/ ٣٢٩ .

(٤) ذكر اليعقوبي الذين تخلفوا عن البيعة وهم كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار ومن المقربين إلى الرسول (صلى الله عليه وآله) يقول (وتخلف عن بيعة أبي بكر قوم من المهاجرين والأنصار، ومالوا مع علي بن أبي طالب، منهم: العباس بن عبد المطلب، والفضل بن العباس، والزبير بن العوام، وخالد

تحقق النص وهي أيضا من باب الإلزام لمعاوية لأنه كان يدعي صحة بيعة الخلفاء الثلاثة وبهذا فإن الإمام ﷺ أراد إيصال فكرة مفادها ان ابا بكر وعمر وعثمان تم اختيارهم من قبل الموجودين ولا يحق لمن لم يكن حاضرا الاعتراض والخارج أو البعيد التراجع فيسقط بذلك معاوية وغيرة من الاعتراض والزبير وطلحة من التراجع. أن هذا الكلام نجد له توثيقاً في موضع آخر من نهج البلاغة إذ قال ﷺ في حكمه في الإحتجاج عليهم «**وَاعَجَبَاهْ! أَتَكُونُ الْخِلَافَةُ بِالصَّحَابَةِ وَالْقَرَابَةِ؟**»[1] قال الرضيّ: وروي له شعر في هذا المعنى:

فَإِنْ كُنْتَ بِالشُّورَى مَلَكْتَ أُمُورَهُمْ ... فَكَيْفَ بِهذَا وَالْمُشِيرُونَ غُيَّبُ؟

وَإِنْ كُنْتَ بِالْقُرْبَى حَجَجْتَ خَصِيمَهُمْ ... فَغَيْرُكَ أَوْلَى بِالنَّبِيِّ وَأَقْرَبُ[2]

والكلام هنا واضح وموثق أن الخلافة لم تكن شورى بل نصاً من عمر لأبي بكر وعضد الإمام ﷺ ذلك الكلام موثقاً له وفق القاعدة إذ تمت البيعة بحضور الجميع ومنهم أهل الحل والعقد أطلق عليها شورى لكن ذلك الشرط لم يتحقق فالشورى فاقده الشرعية لعدم حضور المشيرين[3]. وذهب قسم من الشارحين إلى

بن سعيد، والمقداد بن عمرو، وسلمان ألفارسي، وأبو ذر الغفاري، وعمار بن ياسر، والبراء بن عازب، وأبي بن كعب)، تاريخ اليعقوبي، ٢/ ١٢٤ ومن ثم أن هؤلاء كبار الصحابة من ضمن أهل الحل وبعدم حضورهم ينتفي ذلك القول بأن البيعة عقدت بحضور أهل الحل.

(١) نهج البلاغة، ص٧٦٥ .

(٢) نهج البلاغة، ص٧٦٥- ٧٦٦ .

(٣) كيذري بيهقي، حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة،٢/ ٦٥٧؛ السرخسي، أعلام نهج البلاغة، ص٣٠٣؛ ألقمي، شرح حكم نهج البلاغة، ص ٢٥٧ - ٢٥٨، دخيل، شرح نهج البلاغة، ٣٣ - ٣٤ / ١١٢؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٥/ ٣٥٩؛ عبده، نهج البلاغة، ٣/ ١٩٥ - ١٩٦ .

القول أن الإمام ﷺ عنى بذلك الكلام بيعة عثمان[1] لكن ابن أبي الحديد له إلتفاتة في ذلك وهي أن هذا الشعر نثر موجه إلى عمر[2]؛ لأنه قال لأبي بكر أبسط يدك نبايعك[3]، فلم تتحقق الشورى والعديد من لم يحضر[4].

الشطر الآخر من كلام الإمام ﷺ هو توثيق لدحض القول الآخر الذي ظهر وهو الإحتجاج بالصحابة وقد رفض الإمام ﷺ هذا القول موثق له بدليل أنه وأهل بيته أقرب إلى النبي بالقرابة والصحابة[5] . ونستنتج من ذلك عدة أمور:

١ – يوثق الإمام ﷺ أن الخلافة لم تكن شورى بل كانت نصاً لعدم توفر شرط حضور المشيرين الكبار من الصحابة.

٢ – إن إحتجاج أبي بكر بالصحبة إحتجاج باطل، إذ وثق الإمام ﷺ لذلك بوجود الصحبة والقرابة فيه ﷺ .

٣ – القضاء على الدعاية الإعلامية التي روج لها معاوية وهي صحة خلافة الخلفاء لتحقق شرط الإجماع ولم يحصل ذلك للإمام ﷺ.

٤ – نستفيد أيضا أن الإمام ﷺ يوثق لقضية سياسية وهي مبدأ الديمقراطية في الإنتخابات المدعاة بحضور الجميع.

إن الموقف النظري للخلافة ومؤتمر السقيفة هو (تقمص الخلافة) وهذا ما يؤكده الواقع التاريخي وبتوثيق من الإمام المعصوم وفي الإطار الذي نحن بصدده

---

(١) ابن ميثم البحراني، إختيار مصباح السالكين (المتوسط)، ص٦٢٣؛ ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة (الكبير)، ٥/ ٣٤٢؛ الخوئي، الدرة النجفية، ٣٧٠ .

(٢) شرح نهج البلاغة، ١٨ / ٤١٦ .

(٣) الطبري، تاريخ الطبري، ٢/ ٤٥٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢/ ٣٣٠ .

(٤) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٨ / ٤١٦ .

(٥) مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٤/ ٣٣٣ .

وهو التوثيق لتقمص الخلافة من أبي بكر إذ قال عليه السلام: «**أَمَا وَاللهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فُلَانٌ [ابن أبي قحافه] وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَا. يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ، وَلَا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ**»[1]، والتقمص في اللغة، قمص إستقرار في غير موضعه[2] وذكر الشارحون في أن المقصد هو أنه لبس الخلافة واشتملت عليه كموضع القميص من البدن[3] وهناك التفاتة جميلة من التبريزي؛ إذ قال تقمصها لأنه أخذها أخذاً سريعاً ولبسها على الخفة والسرعة[4] كمن لبس قميصاً ليس له[5].

وقد وثق الإمام عليه السلام لتقمص الخلافة واستقر في غير مكانة مع العلم والقناعة التامة من خلال العلاقة بين الموثق والموثق له موثقة باستخدام أداة وهي قطب الرحى فكما أنها لها مركز وقطب تدور عليه فأبي بكر يعلم مكانة الإمام عليه السلام من الخلافة كقطب الرحى الذي يصحح حركتها ويعيد توازنها لا تستقيم أو تعتدل إلا بوجوده ثم بتوثيق علمي جغرافي مرة أخرى الذي يتمركز حول الفكرة الأساسية وهي التوثيق لتقمص الخلافة، ورفعة منزلته ومكانته كالجبل الذي تتجمع عليه الأمطار والثلوج ثم تنحدر ليحيي جميع الأماكن، فكذلك علومه وفضائله الواصلة إلى العباد ووجه الشبه أحدهما سبب في حياة الجسم والآخر في

(١) نهج البلاغة / ٣٣ .

(٢) ألفراهيدي، العين، ٥/ ٧٠ .

(٣) الراوندي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ١/ ١٢١ - ١٢٢؛ كيذري بيهقي، حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة، ١/ ١٥٩- ١٦٠؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١/ ١٥٢؛ ابن ميثم البحراني، إختيار مصباح السالكين (الوسيط)،ص ٩١؛ السرخسي، أعلام نهج البلاغة، ص٤٥؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ١/ ٥٩؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ١/ ٧٦؛ دخيل، شرح نهج البلاغة، ٢/ ١١.

(٤) منهاج الولاية في شرح نهج البلاغة، ٢/ ٩٧٥.

(٥) الخراساني، مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة، ١٥٨ - ١٥٩ .

حياة الروح[١]، ولعلو تلك المنزلة لا يستطيع الطير الوصول لها فهو عليه السلام في قمة الكمال ما يستهل به الخلافة دون غيره وأن غيره فاقد لها[٢] ونستفيد مما مر في توثيق الإمام عليه السلام لذلك الحدث السياسي:

١- يوثق الإمام عليه السلام أن خلافة أبي بكر كانت تمثل سرقة الموقف لم تستند إلى قانون شرعي مع علمه وقناعته بأن هناك كفئاً لتحمل أعباء الخلافة.

٢- ان مكانة الإمام عليه السلام من الخلافة ثابتة وهي مركز والأساس لا يمكن ان تدار بدونه وأبي بكر يعلم ذلك وسبب تلك المكانة موثقاً لها بإستخدام منظار الطبيعة (ينحدر عنّي السّيل، و لا يرقى إليّ الطّير) فالمؤهلات التي لديه عليه السلام لا تتوفر في شخص آخر تجعله مستحق لها.

٣- ونستفيد من ذلك الكلام أيضا في الجانب الجغرافي عن الأثر الذي يحدثه السيل ودوره في إحياء الحياة على وجه السطح، ونقصد الجانب الإيجابي من السيل.

٤- إن الطيور لا تستطيع أن ترقى إلى ما أعلى من قمم الجبال الشاهقة كالسماء مثلا، لكن مكانة الإمام عليه السلام قد وصلت في علو الرتبة وسمو المنزلة إذ لو فرض مرتفعا جسمانياً لا يمكن للطيور الرقي إليها بالطيران[٣] فقد وصلت إلى أعنان السماء.

نجد ان الصورة تتضح أكثر عن التوثيق الذي يريده الإمام عليه السلام في تولي أبي بكر الخلافة مع علمه بحق الإمام عليه السلام، من خلال القضاء على الدعاية الترويجية السلبية التي ظهرت بأن الإمام يحرص ويطلب الخلافة ومن ثم لا ينبغي أن

(١) حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٣/ ٤٢ .
(٢) شارح من القرن الثامن، شرح نهج البلاغة، ص٨٨، ٩٦ .
(٣) شارح من القرن الثامن، شرح نهج البلاغة، ص٩٦ .

يتولاها[1] قال عليه السلام: «وَقَدْ قَالَ قَائِلٌ: إِنَّكَ عَلَىٰ هَذَا الْأَمْرِ يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ لَحَرِيصٌ؛ فَقُلْتُ: بَلْ أَنْتُمْ وَاللهِ لَأَحْرَصُ وَأَبْعَدُ، وَأَنَا أَخَصُّ وَأَقْرَبُ، وَإِنَّمَا طَلَبْتُ حَقّاً لِي وَأَنْتُمْ تَحُولُونَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، وَتَضْرِبُونَ وَجْهِي دُونَهُ. فَلَمَّا قَرَّعْتُهُ بِالْحُجَّةِ فِي الْمَلَإِ الْحَاضِرِينَ هَبَّ كَأَنَّهُ بُهِتَ [هبّ] لَا يَدْرِي مَا يُجِيبُنِي بِهِ!»[2].

وحينما نطالع هذا القول نجد أن القانون الذي يستند علية الإمام للرد عليه حاضر وبشكل مميز جداً في التوثيق عن أنه لم يكن حريصاً على الخلافة وفق إطار توثيق جلي وخالي من التعقيد موثقاً بأنهم هم الأحرص عليها وهم أعلم بحق الإمام عليه السلام ويمنعونه من الوصول إليه ولم يكن لهم ما يجيبون للرد على ذلك فهو أخص بذلك وأقرب. وقد إختلف الشارحون في القائل ووقت قولة[3]. والخطوط الموثقة نفسها وهي بيان أحقية الإمام عليه السلام والدعايات الإعلامية السلبية التي ظهرت على الرغم من اختلاف الزمن لكن لها النتيجة نفسها توثيق ظلمه عليه السلام في الخلافة وأن غيره غاصبون لها من خلال الكتاب الذي بعثة إلى معاوية جواباً

(١) يعقوب، الخطط السياسية لتوحيد الأمة الإسلامية،ص ٣٣٧ .

(٢) نهج البلاغة / ٣٦٥ .

(٣) ذكر ابن أبي الحديد أن المقصود بذلك سعد بن أبي وقاص في أيام الشورى، ثم يذكر إن الإمامية قالت أن القائل أبو عبيدة بن الجراح يوم السقيفة. وأيده بعض الشارحين في ذلك، شرح نهج البلاغة، ٩/ ٣٠٥؛ وينظر ابن ميثم البحرانيشرح نهج البلاغة (الكبير)، ٣/ ٣٣٠؛ الخوئي، الدرة النجفية، ص١٩٨، علي أنصاريان، شرح نهج البلاغ المقتطف من بحار الأنوار، ٢/ ١٥٨؛ في حين جعله البعض الآخر من الشارحين ذلك في يوم السقيفة والقائل أبو عبيدة، الراوندي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٢/ ١٥٧؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٣/ ١١٦؛ وهناك تحليل للتستري بالقول ان القائل لم يكن أي من الاثنين بل عبد الرحمن بن عوف بدليل ان محمد بن يعقوب الكليني ومحمد بن جرير بن رستم وهما من قدماء الإمامية رويا ذلك يوم السقيفة، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، ٤/ ٤٣٨- ٤٣٩، لكن يمكن القول انه لا يمنع ان يكون كلامه عليه السلام يوم الشورى على بطلان أمر السقيفة الذي هو الإساس في ذلك .

لـه «وَزَعَمْتَ أَنِّي لِكُلِّ الْخُلَفَاءِ حَسَدْتُ، وَعَلَى كُلِّهِمْ بَغَيْتُ، فَإِنْ يَكُنْ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَلَيْسَتِ الْجِنَايَةُ عَلَيْكَ، فَيَكُونَ الْعُذْرُ إِلَيْكَ.

وَتِلْكَ شَكَاةٌ ظَاهِرٌ عَنْكَ عَارُهَا

وَقُلْتَ: إِنِّي كُنْتُ أُقَادُ كَمَا يُقَادُ الْجَمَلُ الْمَخْشُوشُ حَتَّى أُبَايِعَ؛ وَلَعَمْرُ اللهِ لَقَدْ أَرَدْتَ أَنْ تَذُمَّ فَمَدَحْتَ، وَأَنْ تَفْضَحَ فَافْتَضَحْتَ! وَمَا عَلَى الْمُسْلِمِ مِنْ غَضَاضَةٍ فِي أَنْ يَكُونَ مَظْلُوماً مَا لَمْ يَكُنْ شَاكّاً فِي دِينِهِ، وَلَا مُرْتَاباً بِيَقِينِهِ! وَهَذِهِ حُجَّتِي إِلَى غَيْرِكَ قَصْدُهَا، وَلَكِنِّي أَطْلَقْتُ لَكَ مِنْهَا بِقَدْرِ مَا سَنَحَ مِنْ ذِكْرِهَا»[1]، وقبل الخوض يمكن إجمال المنهجية الموثقة في هذا النص .

١- يوثق الإمام عليه السلام لأغتصاب الخلافة .

٢- القاعدة أو المرتكز الذي يستند عليه هذا التوثيق، مصاديق قريبة للحدث كان يقاد إجباراً كما يقاد الجمل المخشوش من أجل أن يبايع و الجمل المخشوش الذي يجعل في عظم أنفه الخشخاش وهو من خشب[2] .

٣- نتيجة التوثيق تصحيح فكره تجاه الحدث التاريخي السياسي وبيان جهة الحق وجهة الباطل.

يريد الإمام عليه السلام هنا أن يوثق من خلال الكتاب الذي بعثة إلى معاوية جواب لكتابه الذي زعم فيه حسد الإمام للخلفاء، أن الخلفاء غاصبون حقه معتدين عليه في أمر الخلافة وهو القائد وغير المقود وهذا الكلام توثقه حادثة تاريخية أشار لها معاوية بأن الإمام كان يغصب على أن يبايع وتأخذ بيعة صاحب

(١) نهج البلاغة ٥٨٤ - ٥٨٥ .

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ٦/ ٢٩٦.

الحق قهراً أو كرهاً[1] كما يقاد الجمل المخشوش الذي يجعل في أنفة عود ليسرع إنقياده[2]، ليس من أجل أن يبين معاوية أحقية الإمام بل أراد أن يذمه بأنه باغٍ على الخلفاء فافتضح بذلك (وفضح زيد عمر) لأن هذا دليل وسند قوي على مظلومية الإمام عليه السلام[3]. وفي ضوء ما تقدم يمكن القول:

١- نستفيد أن الإمام عليه السلام يوثق لأهداف ونوايا معاوية بانطلاقة من عقيدة المجتمع وهو مجتمع الخلفاء وتزيف الحقائق له بأن الإمام باغٍ على الخلفاء من أجل حملة على التبرؤ من الإمام عليه السلام.

٢- كان إختيار التوثيق من باب مخاطبة الناس على قدر عقولهم، فالمقصود غير معاوية لأنه مظنة الإستحقاق أما معاوية فلا يحتج عليه لأنه منقطع عن جرثومة الأمر[4] لكن تم جوابه بقدر ما مر في خاطره ودعت الضرورة.

٣- البرهان على ان معاوية لم يكن حذقاً أو داهية (إنقلاب السحر على الساحر) فقد اظهر الإمام عليه السلام نقصانه في عدم التمييز بين المدح والذم.

٤- بناء قاعدة ثقافية للمجتمع تتلاءم مع الدين الإسلامي بأن عدم عمل الإنسان بشيء شرط أن يكون على يقين وبصيرة في الدين لا يضره ميل الناس عن جادة الحق.

٥- مادة تاريخية قائمة على أسس علمية ممنهجة بعيدة عن التزييف توضح

(١) أبن قتيبة، الإمامة والسياسة (منسوب لابن قتيبة)،١/ ٣٠- ٣١؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢/ ١٢٦؛ الطبري، تاريخ الطبري،٢/ ٤٤٤؛ الجواهري، السقيفة وفدك، ص ٤٠، ٤٦ .

(٢) الطريحي، مجمع البحرين،٤/ ١٣٦ - ١٣٧.

(٣) ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة(الكبير)، ٤/ ٤٤٣؛ الخوئي، الدرة النجفية، ص ٣١٤، الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٤/ ٢٣٧؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٤/ ٣١- ٣٢ .

(٤) عبده، نهج البلاغة، ٣/ ٣٨ .

طرائق الخلفاء في أخذ البيعة من الصحابة ومحاولة بعضهم استغلال الحدث على طول الفترة التاريخية، تنقل المؤرخ من الواقع التاريخي المتخلف إلى أن يملك أدوات تغير الأفكار والرؤى والتوعية من الإنسياق وراء الأفكار الهدامة.

ثم إنتقل الإمام (عليه السلام) إلى توثيق أوضح من سابقه يكشف عن سبب الإستبداد وأخذ الخلافة قال (عليه السلام) لبعض أصحابه: «**وقد سأله: كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام و أنتم أحقّ به؟ فقال ... وَقَدِ اسْتَعْلَمْتَ فَاعْلَمْ: أَمَّا الِاسْتِبْدَادُ عَلَيْنَا بِهَذَا الْمَقَامِ وَنَحْنُ الْأَعْلَوْنَ نَسَباً، وَالْأَشَدُّونَ بِرَّسُولِ الله -صلَّى الله عليْهِ وَالِهِ- نَوْطاً، فَإِنَّهَا كَانَتْ أَثَرَةً شَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ، وَسَخَتْ عَنْهَا نُفُوسُ آخَرِينَ؛ وَالْحُكْمُ اللهُ، وَالْمَعْوَدُ إِلَيْهِ الْقِيَامَةُ.**

وَدَعْ عَنْكَ نَهْباً صِيحَ فِي حَجَرَاتِهِ وَلَكِنْ حَدِيثاً مَا حَدِيثُ الرَّوَاحِلِ»[1].

لعل أهم ما في هذا النص هو التوثيق عن الإستبداد بالخلافة يتخذ أسلوباً مختلفاً في سبيل ترسيخ مبدأ معين أن الإستبداد بالخلافة ودفع أصحاب الحق ليس بسبب علاقة القرابة والصحابة من الرسول (صلى الله عليه وآله) والخوف على المسلمين وهذا الطرح يوثقه قول الإمام (عليه السلام) أنها كانت أثرة شحت عليها نفوس القوم أي أنها اصطدمت بالميول والأهواء والإفراط في حب النفس من دون مشاركة الغير وفي المقابل سخت عنها نفوس أصحاب الحق أهل البيت (عليهم السلام) وتركوها للذين حرصوا وتنافسوا عليها من أجل الحفاظ على وحدة وجماعة المسلمين[2].

بالنتيجة ان الهدف من التوثيق ترسيخ فكرة، ان أخذ الخلافة والإستبداد بها نتيجة الميول والأهواء والرغبات وليس الأهداف الأخرى المعلنة في الظاهر

---

(١) نهج البلاغة، ص ٣٣٨ – ٣٣٩ .

(٢) مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٢/ ٤٤٧ .

وقد يكون التوثيق عن سبب الإستبداد فيه نوع من الحدة لاسيما أنها بنيت عليها عقيدة مجتمع كالعراق مثلاً لفترة من الزمن كانت غائبة عنهم الأحداث أو بالأدق لم يطلعوا إلا على ظاهر الأمور نظراً لبعد المسافة فلم يعرفوا سوى أن فلاناً صاحب رسول الله، لذلك خاطب الإمام ﷺ ذلك السائل على قدر عقله، عالج نفسيته وعاطفته متمثل بقول للشاعر إمرئ ألقيس[1] وغرضه أن الخلفاء الماضين قد نهبوا وغاروا على حقه مع الإحتجاجات والمناشدات منه ومن أتباعه لكنها أصبحت تلك الغارة من حديث الرواحل[2] ترتب عليها أثر فلا يمكن إعادة زمن وإعادة ما استولوا عليه، أيضا أن الكلام يوحي بما يأتي:

١- بما أن الخلفاء إدعوا بالقرب من الرسول (ﷺ) فإن الإمام ﷺ يوثق أنهم مستبدون غاصبون لأنه أشد قرباً من الرسول (ﷺ) مادياً ومعنوياً وفهم متعلقات النبوة.

٢- لأن الخلافة تفويض إلهي ونص من الرسول (ﷺ) وأنهم استبدوا بها فالحكم لله سبحانه وهو الحاكم في ذلك .

٣- في الوقت الذي كان هناك الإعلان السلبي الذي هدفه التشويه وطمس

---

(١) المثل لإمرئ ألقيس ضربه حين نزل على خالد بن سدوس النبهاني فأغار باعث بن حويص فطلب خالد رواحل امرئ ألقيس من أجل أن يطلب القوم فلحق القوم وقال لهم أغرتم على أبل جاري قالوا ما هو لك بجار قال بلى وهذه رواحله تحتي فأنزلوه عنها وأخذوها فقال إمرئ ألقيس:

ودع عنك نهبا صيح في حجراته ولكن حديثا ما حديث الرّواحل

دع نهبا صاح باعث في نواحيه فغير منكر أن يكون مثل ذلك لكن حديثي حديث الرواحل التي كنا نريد أن نستنقذه بها فذهبت هي أيضا، العسكري، جمهرة الأمثال، ١/ ٤٥٢ .

(٢) حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ١٠/ ٨ .

الحقائق كان هناك الإعلان الإيجابي البناء الذي هدفه معرفة الحقيقة كمثل السؤال في هذا النص الذي سأله أحد الأصحاب.

وفي زحمة هذه الأحداث التاريخية السياسية يوثق الإمام ﷺ وفق أسس ومرتكزات علمية وعقائدية عن الآثار المترتبة على الخلافة والإنقلاب على النص ودور الإمام ﷺ تجاه ذلك، يقول ﷺ موثقاً لما تقدم وقد خاطبه العباس وأبو سفيان في أن يبايعاه بعد وفاة الرسول (ﷺ) «**أَيُّهَا النَّاسُ، شُقُّوا أَمْوَاجَ الْفِتَنِ بِسُفُنِ النَّجَاةِ، وَعَرِّجُوا عَنْ طَرِيقِ الْمُنَافَرَةِ، وَضَعُوا تِيجَانَ الْمُفَاخَرَةِ. أَفْلَحَ مَنْ نَهَضَ بِجَنَاحٍ، أَوِ اسْتَسْلَمَ فَأَرَاحَ. هذا مَاءٌ آجِنٌ، وَلُقْمَةٌ يَغَصُّ بِهَا آكِلُهَا. وَمُجْتَنِي الثَّمَرَةِ لِغَيْرِ وَقْتِ إِينَاعِهَا كَالزَّارِعِ بِغَيْرِ أَرْضِهِ. فَإِنْ أَقُلْ يَقُولُوا: حَرَصَ عَلَى الْمُلْكِ، وَإِنْ أَسْكُتْ يَقُولُوا: جَزِعَ مِنَ الْمَوْتِ! هَيْهَاتَ بَعْدَ اللَّتَيَّا وَالَّتِي! وَاللهِ لَابْنُ أَبِي طَالِبٍ آنَسُ بِالْمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِثَدْيِ أُمِّهِ، بَلِ انْدَمَجْتُ عَلَى مَكْنُونِ عِلْمٍ لَوْ بُحْتُ بِهِ لَاضْطَرَبْتُمْ اضْطِرَابَ الْأَرْشِيَةِ فِي الطَّوِيِّ الْبَعِيدَةِ!**»[1].

هكذا يوثق الإمام ﷺ خلال النص المتقدم أن ثار هذا الوضع أصبح موجاً متلاطماً من الفتن وعندما يعطي الحل للتخلص من الفتن في طريق لم يعركه صدام ولا خصام يستمد منه الطاقة في قوله شقوا أمواج الفتن بسفن النجاة وعرجوا عن طريق المنافرة موثقاً عن سبب ذلك بتوثيق علمي وهو الماء الآجن واللقمة التي يغص بها آكلها ووجه الشبه ان الخلافة أصبحت أو ستصبح كالماء الآجن لا يستساغ طعمه و أضراره تكون أكثر من منافعه ولقمة يغص بها لا يستلذ بها أكلها فهي في حلقة تؤذيه وتمنعه لذة الحياة[2].

(١) نهج البلاغة، ص ٤٢- ٤٣ .

(٢) القزويني، شرح نهج البلاغة، ١/ ٢١٧؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة،١/ ١٢٨ .

فالتوثيق عن الإلتجاء بأهل البيت لم يأتِ اعتباطاً وإنما ذو هيكلية تتناسب مع طبيعة الطرح والوضع الواقعي الذي أصبحت عليه الخلافة، ربط الإمام (عليه السلام) ما آلت إليه بتوثيق علمي إذ أن الماء والأكل هما وجه إدامة الحياة لكن الماء المتغير الآجن واللقمة التي يغص بها التي ربما تسبب الوفاة ومن ثم يتحول من كونهما سبباً لإدامة الحياة إلى فسادها فشبه الإمام (عليه السلام) الخلافة بذلك.

إختلف الشارحون بخصوص قول الإمام (عليه السلام) شقوا أمواج الفتن بسفن النجاة، فأخذ بعضهم الكلام بمعناه العام وأبعده عن مغزاه إذ فهم ان الفتنة كمثل أمواج البحر إذ غمرت شيء أغرقته وسفن النجاة هي الطريق الموصل إلى الساحل[1] وهذا يعني أن فهم الشارحين لهذا الكلام لا إشكال فيه أما الإشكال فهو حملهم كلام الإمام على ظاهرة لأن الإمام (عليه السلام) أراد إيصال حقيقة وهي أن سفن النجاة هم أهل البيت ومما يؤيد هذا الكلام مارآه الصنف الثاني من الشارحين[2] وبأن النبي (صلى الله عليه وآله) قد أخبر بإقبال فتن كقطع الليل المظلم تهلكهم واخبرهم بطريق النجاة منها إذ قال أن مثل أهل بيتي كسفينة نوح[3] من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهلك. واختلف آخر بالقول أن المقصود بالسفن هي الأوامر بترك المنافرة والمفاخرة[4] وهذا بعيد جداً عن سياق الكلام.

(١) ابن ميثم البحراني، إختيار مصباح السالكين (المتوسط)، ص ١٠٠؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ١/ ٨١، الموسوي، ١/ ١٢٧ .

(٢) الراوندي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ١/ ١٤٦؛ كيذري بيهقي، حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة، ١/ ١٧٩؛ شارح من القرن الثامن، شرح نهج البلاغة، ١٢٥؛ حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٣/ ١٣٨؛ الخوئي، الدرة النجفية، ٦٨؛ التستري، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة،٤/ ٤١٢؛ الخراساني، مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة، ٤/ ٩.

(٣) الحاكم النيسابوري، المستدرك، ٢/ ٣٤٣ .

(٤) القزويني،شرح نهج البلاغة،١/ ٢١٦ .

أما موقف الإمام ﷺ تجاه هذا الوضع والدعوات التي ظهرت فيوثق الإمام ﷺ أن موقفة كان يتلاءم مع معطيات العصر إذ قال للذين حاولوا دفعة وتحريضه للتصدي للخلافة كحق شرعي له (أفلح من نهض بجناح، أو استسلم فأراح) ومن ثم أن الإمام عندما يقول ذلك الكلام ويحدد موقفة موضحاً الغرض من ذلك التوثيق يعضده بالتوثيق العلمي وهو نتيجة طبيعية أن قطف الثمرة قبل وقت إيناعها لا يمكن الإستفادة منها كما أن لها أضرار على المستوى الإقتصادي للزارع وكذلك لها أضرار على المستوى الصحي للأفراد، فكذلك الخلافة لم يكن الوقت الذي يسوغ فيه طلب الأمر فلو نهض إليها كان كمجتني الثمرة قبل إيناعها ونضجها لا ينتفع بما جنى[1] فلا يمكنه المطالبة والتصدي لها بسبب نظرة الأمة للموقف واتجاهها فلم يأتِ بعد وقت ذلك وتستدرك فيه الأمة أهمية النص ويبين ذلك الإمام بصورة أدق كالزراع في غير أرضه لا يستفيد شيئاً فإن طالب يقولوا حرص منه على الخلافة وإن سكت قالوا جزع من الموت فحرص الإمام ﷺ على جماعة المسلمين وخطر إنقسام الأمة نتيجة طبيعية لعدم نهوض الإمام ﷺ ومطالبة بالخلافة .

ونستفيد مما تقدم:

١- يوثق الإمام ﷺ عن أهمية النص في الخلافة وإن ترك الأمة ذلك أدى إلى حدوث الفتنة وفساد الوضع ولا سبيل للتخلص من هذا الوضع سوى أهل البيت ﷺ فهم السفن التي يمكن النجاة بها لاسيما أن لديه مكنون علم عما ستؤول إليه الأحداث بتولي هؤلاء الخلافة ولو تكلم بها لأضطرب الناس.

٢- هدف الإمام ﷺ من التوثيق لإيصال فكرة أن عدم المطالبة بحقه هو

(١) عبده، نهج البلاغة، ١/ ٣٦؛ دخيل، شرح نهج البلاغة، ٢/ ٢٧ .

للحرص على الوحدة والجماعة لأن توجه (الأمة) كان تجاه الشورى(إن صحت التسمية) وليس تجاه النص على الإمام عليه السلام .

٣- أن مطالبته ليس من أجل سلطان وسكوته ليس جزعاً من الموت هيهات بعد اللتيا والتي أي بعد صعاب الأمور وصغارها التي واجهها فالموت عنده حلاوة ولذة كأنس الطفل بثدي أمه.

يلاحظ مما تقدم أن عامل الأنصار والأعوان ليس العون المادي كما أسلفنا فالإمام عليه السلام قادر على ان يواجهه مجتمع بأكمله لكن العون المعنوي التوجه القلبي والعقلي لكل المجتمع تجاه الإمام عليه السلام ليكمل دور النبوة فهو حامل مبدأ وصاحب رسالة فيوثق الإمام ذلك في قوله: «**فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْباً، وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحاً**[1]، **وَطَفِقْتُ أَرْتَئِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدٍ جَذَّاءَ[جدّ] أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخْيَةٍ[ظلمة] عَمْيَاءَ، يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ، وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ، وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ! فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى، فَصَبَرْتُ وَفِي الْعَيْنِ قَذًى، وَفِي الْحَلْقِ شَجًا**»[2].

ومن ثم يوثق الإمام عليه السلام عن الأعراض عن الخلافة والسكوت عنها في قوله فرأيت الصبر على هاتا أحجى أي أحرى وأولى وبعد أن رجح الصبر قال فسدلت دونها ثوباً وطويت كشحاً يعنى أنى أعرضت عن الخلافة، فإن الإنسان المعرض عن الشيء يطوى و يلف خاصرته نحو اتجاه آخر لإفادة إعراضه و عدم الإكتراث بذلك الشيء لكن ذلك الإعراض مع الم شديد كحال من دخل في عينه غبار ونحوه و كحال من دخل عظم في حلقه[3].

(١) الكشح: مابين الخاصرة إلى الضلع الخلف، وطوى فلان كشحه اعرض عنه، ابن منظور، لسان العرب، ٢/ ٥٧١- ٥٧٢ .

(٢) نهج البلاغة، ٣٣- ٣٤ .

(٣) حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ١/ ٦٠- ٦٢ .

فيبين الإمام عليه السلام الغرض من ذلك التوثيق أي تركه مجاهدة أهل الخلافة لقلة الأعوان[١] وكون ذلك الترك أصح وأوجب موثق له بدليل انه لم يصل إلى هذه النتيجة إلا بعد عصارة راية وتفكيره فهو أما أن يصول على من تلبس بها من دون وجود ناصر ومعين مشوشاً أحوال المسلمين من دون جدوى ربما يقلل من دورة كحامل رسالة ومكمل للدين ويكون المغلوب على أمره، ولم يحفظ التاريخ إلا باغياً بغى على الدين وضيع من ذلك النص على خلافته[٢] أو الصبر والأعراض مع ملاحظة التباس أمور المسلمين وامتزاج الحق بالباطل يهرم الكبير ويشيب الصغير في تلك المحنة أي يربو عليها مجتمع ويقاسي المؤمن في تلك الظلمة الشديدة لكن لا ينفي دورة في التوجيه والإرشاد فكان هذا الرأي أكثر صواباً وأوفق للعقل لأنه يحفظ الإسلام من الإندراس والضياع فسدل دونها ثوباً وطوي كشحاً للسبب الذي ذكرناه لكن لم تكن هذه النتيجة من الإعراض سهلة بل كحال الإنسان الذي وقع في عينه شي من التراب أو الوسخ يسبب له عدم الراحة والإستقرار أو كالذي اعترض في حلقه شيء[٣].

ومما تقدم أن هدف الإمام عليه السلام من التوثيق هو من اجل إيصال حقيقة وهي أن مقصده من الخلافة لم يكن إلا هداية الناس وإعلاء كلمة الإسلام ورفض الجدال والحرب إذ كانت تؤدي إلى إضمحلال الإسلام ورجوعهم القهقرى إلى أعقابهم[٤] فعدم تفريق كلمة المسلمين وهم حديثو عهد بالإسلام من أهم أسباب

(١) الصدوق، علل الشرائع، ١/ ١٤٨ .

(٢) المظفر، السقيفة، ص١٥٣ .

(٣) شارح من القرن الثامن، شرح نهج البلاغة،ص ٨٩ - ٩٠؛ القزويني، شرح نهج البلاغة، ١/ ١٥٨- ١٥٩؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ١/ ٧٦- ٧٧ .

(٤) حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٣/ ٤٥ .

اقتصار الإمام ﷺ على الإحتجاج العقلي والشرعي فقط (الإحتجاج السلمي)[1]، ويمكن الخروج أيضاً بعدة نقاط:

١- يوثق الإمام ﷺ أن دوره تجاه هذا الحدث هو الإعراض عن الخلافة وعدم التصدي لها لعدم وجود الأعوان والأنصار.

٢- عدم تولي الإمام ﷺ أدى إلى حدوث خلل أصبح المجتمع في ظلمة شديدة لا يبصر من خلالها الطريق يهرم الكبير ويشيب الصغير ويقاسي المؤمن المتاعب لأن الناس حديثو العهد بالإسلام وان هناك دوراً مكملاً للنبوة وهو النص على الإمامة.

وربما يجد بعضهم من خلال التوثيق المتقدم أن الإمام ﷺ إعتزل الأمر أو الخلافة،صحيح أنه لم يتولَّ الخلافة مادياً لكن معنوياً هو المتولي وهذا الكلام نجد حقيقته في نهج البلاغة وفيما يوثق له الإمام ﷺ وفق أسس وضوابط عقائدية عن فلسفة وجودة ففي كتابة إلى أهل مصر مع مالك الأشتر لما ولاه إمارتها «**فَوَاللهِ مَا كَانَ يُلْقَى فِي رُوعِي، وَلَا يَخْطُرُ بِبَالِي، أَنَّ الْعَرَبَ تُزْعِجُ هَذَا الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ -صلَّى الله عليْهِ وَالِهِ وسلَّم- عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَا أَنَّهُمْ مُنَحُّوهُ عَنِّي مِنْ بَعْدِهِ فَمَا رَاعَنِي إِلَّا انْثِيَالُ النَّاسِ عَلَى فُلَانٍ يُبَايِعُونَهُ، فَأَمْسَكْتُ يَدِي حَتَّى رَأَيْتُ رَاجِعَةَ النَّاسِ قَدْ رَجَعَتْ عَنِ الْإِسْلَامِ، يَدْعُونَ إِلَى مَحْقِ دَيْنِ مُحَمَّدٍ -صلَّى الله عليْهِ وَالِهِ وسلَّم- فَخَشِيتُ إِنْ لَمْ أَنْصُرِ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ أَنْ أَرَى فِيهِ ثَلْماً أَوْ هَدْماً، تَكُونُ الْمُصِيبَةُ بِهِ عَلَيَّ أَعْظَمَ مِنْ فَوْتِ وِلَايَتِكُمُ الَّتِي إِنَّمَا هِيَ مَتَاعُ أَيَّامٍ قَلَائِلَ، يَزُولُ مِنْهَا مَا كَانَ، كَمَا يَزُولُ السَّرَابُ، أَوْكَمَا يَتَقَشَّعُ السَّحَابُ؛ فَنَهَضْتُ فِي تِلْكَ الْأَحْدَاثِ حَتَّى زَاحَ الْبَاطِلُ وَزَهَقَ، وَاطْمَأَنَّ الدِّينُ وَتَنَهْنَه**»[2]، إذ يوثق الإمام ﷺ نهوضه في تلك الأحداث أي

(١) يعقوب، الخطط السياسية لتوحيد الأمة، ص٣٣٤ .

(٢) نهج البلاغة، ٦٩٠- ٦٩١ .

الخلافة يأمر ويوجه ويرشد حتى زهق الباطل.

واتفق كثير من الشارحين على أن المقصود بتلك الأحداث هي أحداث الردة[١] ومانعي الزكاة[٢] فجمدوا نص قول الإمام ﷺ ولم يستفيدوا من تحريكه لتظهر النتيجة موثقاً سبب نهوضه بتوثيق عقائدي؛ لأن الناس بعد الرسول (ﷺ) انقلبت عن ما هو ثابت ومقرر وهو النص على الإمام ﷺ حتى رجعوا إلى ورائهم بترك حكم رسول الله في تنصيب الإمام خليفة وهذا الإنقلاب يؤدي إلى إبطال دين محمد[٣] (ﷺ) وعدم قيام الإمام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يؤدي إلى حدوث هدم في الدين أو ثلم وزعزعة أركانه واختلال أصوله[٤] تكون مرجعة على الإمام؛ لأن دور الإمامة لهداية الناس[٥] أعظم من طلب الولاية التي هي أمر وهمي لمن تبصر ونظر لا تبقى وتدوم[٦].

---

(١) كيذري بيهقي، حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة، ٢/ ٥٦٢؛ ابن ميثم البحراني، اختيار مصباح السالكين (الوسيط)، ٥٦٢؛ الشيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٤/ ٢١٨؛ دخيل، شرح نهج البلاغة، ٣١- ٣٢/ ٢٥؛مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٤/ ١٥١؛ بيضون، تصنيف نهج البلاغة، ص ٤٢٢.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٧/ ١٥٢- ١٥٣ .

(٣) ينظر قوله تعالى(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) المائدة/ ٦٧؛ نزلت في فضل علي بن أبي طالب ولما نزلت آخذه بيده وقال من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعادي من عاداه؛ الفخر الرازي، تفسير الرازي،١٢/ ٤٩- ٥٠؛ السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ٢/ ٢٩٨؛ الطباطبائي، تفسير الميزان، ٥/ ١٩٤، فعدم التبليغ بالولاية التي هي من الله (بلغ ما أنزل إليك) يعني عدم تبليغ الرسالة (فما بلغت رسالته) إذ ن هناك تكامل بين الرسالة والولاية والثانية حافظة للأولى .

(٤) الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٥/ ١٣٥- ١٣٦؛ الشيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٤/ ٢١٧ .

(٥)ينظر قوله تعالى (وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ) الأنبياء/ ٧٣؛ وينظر قوله تعالى (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ)،السجدة/ ٢٤ .

(٦) ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة (الكبير)، ٥/ ٢٠٢- ٢٠٣ .

ومن ثم يمكن القول أن الردة ومانعي الزكاة أثار هذا الحدث التاريخي، وهو نتيجة طبيعية للإنقلاب على النص ولمن فسر الإمامة والخلافة وفق الحدث وهي أكبر من طاقات وقدرات الناس، مما يلزمنا القول بذلك هو أن هذا الكلام نجد له توثيقاً في موضع آخر من نهج البلاغة يقول عليه السلام: «**أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَذَا الْأَمْرِ أَقْوَاهُمْ عَلَيْهِ، وَأَعْلَمُهُمْ [أعملهم] بِأَمْرِ اللهِ فِيهِ فَإِنْ شَغَبَ شَاغِبٌ اسْتُعْتِبَ، فَإِنْ أَبَى قُوتِلَ**»[1].

وفي هذا النص تجد توثيقاً صريحاً وهو أن أحق الناس بالخلافة هو الأقوى علماً وديناً وأحسنهم سياسة وأعلمهم بالأحكام الدينية والغرض من ذلك موثق له فالنقل القدرة والإستطاعة العلمية و الدينية في معالجة المستجدات في القول ان شغب شاغب استعتب وان أبي قوتل فإن حدث شغب أو فساد تكون لدية معرفة بالأحكام ويطبق ذلك وفق مقتضى علمه المستمد من الكتاب والسنة[2] ولا يحتاج لمن يدعمه فقهياً لذلك نجد أن كثيراً من الأحكام كان يرجع فيها الخلفاء إلى الإمام عليه السلام وإشتهر عن عمر قول لولا علي لهلك عمر[3].

وبذلك نحصل على نتيجة وكما سبق أن الخلافة أكبر من طاقات الناس ولاسيما أن منطق الحوادث التاريخية التي حدثت في ذلك الوقت سواء في عهد الخلفاء أو خلافة الإمام عليه السلام تكشف تلك الأهمية فالخلافة كما تقدم من التوثيق ليست منصبا أو مجرد قيادة سياسية وإنما قواعد تحكم مجرى شؤون البشرية بدقة لا يتمكن من أحكامها إلا الإمام لذلك نحكم ومن خلال التوثيق الذي نتوصل إليه بوحدة السبب والنتيجة في الخلافة.

(١) نهج البلاغة، ٣٦٧ .

(٢) مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٢/ ٥١١؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٣/ ٤٥ - ٤٦.

(٣) الكليني، الكافي، ٧/ ٤٢٤؛ ابن عبد البر، الإستيعاب، ٣/ ١١٠٣؛ الخوارزمي، المناقب، ص ٨١؛ محب الدين الطبري، الرياض النضرة في مناقب العشرة، ٣/ ١٦١ .

ولعلنا حين نستقرئ استمرار أحداث الخلافة يتجلى لنا ومن خلال التوثيق طريق سلوك هذا الحدث والآثار المترتبة عليه ونحن هنا بصدد التوثيق لخلافة الثاني، فيقول الإمام ﷺ في الخطبة الشقشقية «**حَتَّى مَضَى الْأَوَّلُ لِسَبِيلِهِ، فَأَدْلَى بِهَا إِلَى فُلَانٍ بَعْدَهُ ... فَيَا عَجَباً!! بَيْنَا هُوَيَسْتَقِيلُهَا فِي حَيَاتِهِ، إِذ عَقَدَهَا لِآخَرَ بَعْدَ وَفَاتِهِ. لَشَدَّ مَا تَشَطَّرَا ضَرْعَيْهَا!**»[1].

يوثق الإمام من خلال هذا النص أن الخلافة كأنها هي عملية تجارية بين أبي بكر وعمر؛ فقبل وفاته نص على أن يكون عمر خليفة وأدلى بها أي دفعها إليه رشوة بمعنى يأخذ ويعطي ومصداق هذا الكلام وثّقه الإمام ﷺ بتوثيق اقتصادي تجاري مرة وهو أن أبا بكر عقدها لعمر بعد وفاته، ومما يدل على أن هناك اتفاقاً أو عقداً هو قول أبي بكر في حياته أقيلوني أي يريد التخلص من الخلافة ومتاعبها لكنه استمر في التمسك بها في حياته وحتى عند مماته فلم يترك الأمر بل عقدها لآخر بعد وفاته، وثّقه توثيقاً علمياً بايلوجياً مرة ثانية إذ شبه الخلافة بالناقة الحلوب التي لها ضرعان والغرض من ذلك التشبيه وجه الإستفادة أنهما قسما الخلافة شطرين وأخذ كل واحد ضرعاً[2]

(١) نهج البلاغة، ٣٤ .

(٢) وربما ذلك نجد له صدى في المصادر ذكر ابن قتيبة في كتابه، أن أبا بكر أمر عمر ان يأخذ العهد بالخلافة ويخرج به إلى الناس ويأخذ سمعهم وطاعتهم «فقال له رجل: ما في الكتاب يا أبا حفص؟ قال: لا أدري، ولكني أول من سمع وأطاع قال: لكني والله أدري ما فيه: أمرته عام أول، وأمرك العام»، الإمامة والسياسة، ١/ ٣٧- ٣٨، وينظر أيضا الحسيني في ذكر هذا النص مع نص آخر يذكر فيه تشبث أبو بكر برأيه وعدم تنازله عن تولية عمر، الخلافة المغتصبة، ص١٥٥- ١٥٦، وذكر ان القائل في نص إمرته عام وأمرك العام طلحة بن عبيد الله إذ قال لعمر وليته أمس وولاك اليوم، ربما ان ابن قتيبة عرض عن ذكر طلحة لغرض في نفسه وربما يكون هناك أكثر من قائل منه الذي ذكره ابن قتيبة الذي اعرض عن ذكر اسمه والآخر قول طلحة، وذكر ان عمر لم ينكر هذا القول ولا أحد من الصحابة على طلحة فكأنه إجماع على ولاية أبي بكر لعمر لسبب انه ولاه في السقيفة، ابن طاووس نقلا عن ابن عبد ربه، الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف،ص٤٠٢ .

للفائدة[1].

وهناك رأي تطرق إليه محمد عبده وهو لا يبتعد كثيراً عن أقوال الشارحين لكن مع إضافات بسيطة جميلة وهو أن متولي الخلافة لا ينال الأمر إلا تماماً ولا يجوز أن يترك لغيره سهماً فأطلق على تناول الأمر واحداً بعد واحد اسم التشطير والإقتسام، كأن أحدهما ترك منه شيئاً للآخر[2] فأحدهما أمير والآخر وزير حتى إذا مضى الأمير خلفه الوزير[3].

النتيجة التي نصل إليها أن الخلافة عقد بين الرجلين وأن عمر دعا الناس إلى خلافة أبي بكر لتكون مقدمة لخلافته[4] ومن ثم ان اختيار الخليفة الأول للخليفة الثاني ليس آنياً بل مدبراً، ومما تقدم نستنتج ما يلي:

١- وثق الإمام ﷺ بأن الخلافة كانت نصاً وتدبيراً واتفاقاً محكماً وهذا الكلام ليس فرضية وإنما موثق غير قابل للجدل.

٢- ان استخلاف عمر من أبي بكر يعطينا قراءة جديدة للسقيفة التي هي امتداد حقيقي لها.

---

(١) الراوندي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ١/ ١٢٥؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١/ ١٦٩- ١٧٠؛ ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة، ١/ ٢٥٧- ٢٥٨؛ شارح من القرن الثامن، شرح نهج البلاغة،ص ٩١- ٩٢؛ حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة،٣/ ٤٧- ٤٨؛ التبريزي، مفتاح الولاية في شرح نهج البلاغة، ٢/ ٩٧٧- ٩٧٨؛ دخيل، شرح نهج البلاغة، ٢/ ١٤؛ الخراساني، مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة، ٣/ ١٨٢- ١٨٣؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ١/ ٨٨- ٨٩ .

(٢) عبده، نهج البلاغة، ١/ ٢٨ .

(٣) الموسوي، شرح نهج البلاغة، ١/ ٨٦ .

(٤) القزويني، شرح نهج البلاغة، ١/ ١٦٤؛ علي أنصاريان، شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار، ١/ ٦٨- ٦٩ .

إن الوضع في خلافة عمر أصبح لم يوفر أدنى حصانة لكثرة السقطات، وكما قلنا وحدة السبب والنتيجة (السبب الإبتعاد عن النص والنتيجة حالة المجتمع) فيوثق الإمام عليه السلام لتلك الصورة من دائرة الواقع التاريخي في خطبته الشقشقية يقول عليه السلام: «**فَصَيَّرَهَا فِي حَوْزَةٍ خَشْنَاءَ[1] يَغْلُظُ كَلْمُهَا [كلامها]، وَيَخْشُنُ مَسُّهَا، وَيَكْثُرُ الْعِثَارُ فِيهَا، وَالِاعْتِذَارُ مِنْهَا، فَصَاحِبُهَا كَرَاكِبِ الصَّعْبَةِ[2] إِنْ أَشْنَقَ لَهَا خَرَمَ، وَإِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّمَ، فَمُنِيَ النَّاسُ - لَعَمْرُ اللهِ - بِخَبْطٍ وَشِمَاسٍ، وَتَلَوُّنٍ وَاعْتِرَاضٍ، فَصَبَرْتُ عَلَى طُولِ الْمُدَّةِ، وَشِدَّةِ الْمِحْنَةِ**»[3] .

نستطيع إدراج التوثيق بما يأتي:

١- التوثيق للحالة التي أصبح عليها المجتمع من التخبط والعدول عن جادة الحق والتلون والإعتراض.

٢- سبب ذلك الوضع موثق له من خلال مشاهدة الحدث ومعايشته الذي أصبح من الخشونة وكثرة السقوط فيه وصعوبة الإعتدال والتلاعب في الأحكام .

فحالة الأمة في زمن عمر يوثق الإمام عليه السلام لها ابتلوا بأمور غير مستقيمة ولا واضحة الصحة والشرعية بسبب التخبط والخلط في الأمور والسير في الطريق المعاكس للإسلام وهذا الكلام الذي وثقه الإمام عليه السلام لم يكن استرسالاً أو فرضيات من غير قاعدة أو مبدأ أو كلام منقول من شخص بعيد عن الحدث غير متعايش معه بل موثق لتلك المرحلية السيئة السلبية التي مني بها الناس فهذه الحركات غير المنظومة التي مني بها الناس هي نتيجة ما لم يكن منظوماً من حركات الخليفة

(١) الحوزة الناحية، ابن منظور لسان العرب، ٥/ ٣٤٢ .

(٢) الصعب من الدواب نقيض الذلول، أصعب الجمل لم يركب قط، ابن منظور لسان العرب، ١/ ٥٢٤ .

(٣) نهج البلاغة، ٣٤- ٣٥ .

موثقاً ذلك وفق قاعدة لا تستقيم الرعية إلا باستقامة الولاة أو مبدأ (الناس على دين ملوكهم) إذ كانت طباع الخليفة تتميز بالحدة والجفاوة والتسرع في إصدار الأحكام[1] فوقع في كثير من الأخطاء ثم الإعتذار وكثرت السقطات التي أصيب بها كطريق كثير الحجارة ما يزال الماشي فيه عاثراً موثق في ذلك بتوثيق علمي كراكب الناقة الصعبة النفور، إذا أشنق لها خرم أنفها وإن تركها قادته إلى التهلكة[2]، ويمكن ان نخرج مما تقدم بعدة نقاط:

١- يوثق الإمام عن حالة المجتمع فيما بعد السقيفة من التقلب ولاسيما في الأحكام الدينية بسبب المصدر الذي اعتمدوا عليه لمعرفة السنة.

٢- نستفيد من ذلك التوثيق السيرة الشخصية للخليفة الثاني والصفات التي

(١) ومن أمثلة تسرع الخليفة في إصدار الأحكام من خلال الروايات التي وردت في المصادر منها إن رجلاً أتى له فقال أني أجنبت فلم أجد ماء فقال له لا تصلي وكان عمار بن ياسر حاضراً فقال: أما تذكر يا أمير المؤمنين إذ أنا وأنت في سرية فأجنبنا فلم نجد ماء فأما أنت فلم تصل وأما أنا فتمعكت في التراب فصليت فلما أتينا النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال إنما كان يكفيك وضرب النبي صلى الله عليه وسلم بيده على الأرض ثم نفخ فيها ومسح وجهه وكفيه؛ أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ٤/ ٢٦٥؛ مسلم، صحيح مسلم، ١/ ١٩٣؛ النسائي، سنن النسائي، ١/ ١٦٦؛ الرواية الأخرى جعل الصداق محدوداً ومن زاد في ذلك تكون الزيادة في بيت المال فقالت له إمرأة يا أمير المؤمنين لم تحرمنا شيء أعطانا الله إياه في كتابة فقال وأين فقالت؟ في قوله تعالى (وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا) النساء/ ٢٠؛ فقال امرأة أصابت ورجل اخطأ؛ ابن تيمية، مجموعة الفتاوى، ٣٥/ ٣٨٥؛ ابن حجر، فتح الباري، ٩/ ١٧٥؛ السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ٢/ ١٣٣؛ المتقي الهندي، كنز العمال، ١٦/ ٥٣٨؛ وغير ذلك من الروايات التي وردت وللتفاصيل عن تلك الأحكام ينظر، البكري، من حياة الخليفة عمر بن الخطاب، ص٢٢٧ وما بعدها .

(٢) كيذري بيهقي، حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة، ١/ ١٦٢؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١/ ١٧٠- ١٧١؛ الخوئي، الدرة النجفية، ص ٦٤- ٦٥؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ١/ ٦٤- ٦٥؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ١/ ٨٩ .

يتميز بها ولم يكن مقصد الإمام (عليه السلام) مقصداً سلبياً أو التعرض للخليفة كون تلك الصفات عاملاً مشتركاً في المصادر المختلفة لا تكاد تغيب عن أي مصدر تاريخي[1] وإنما الغرض لكي يوثق ويؤصل فكرة أن تلك الصفات الجافة لا يجب ان تكون في الخليفة لأن لها أبعاداً في التأثير على الناس.

٣- موقف الإمام (عليه السلام) من ذلك هو الصبر أيضا كحاله مع الخليفة الأول مع طول المدة وشدة المحنة لمشاهدة اضطراب أمور المسلمين.

٤- نستدل من ذلك في قضية علمية ان سيطرة القوى العصبية على الإنسان تخرجه من نطاق السيطرة على الأمور.

٥- النتيجة التي نصل إليها من هذا التوثيق لآثار هذا الحدث التاريخي عن أهمية النص إذ أن الإمامة الإلهية هي وحدها قادرة على التحكم في المنظومة البشرية.

ومما تقدم نجد أن اختيار الرسول (صلى الله عليه وآله) للقيادة التي تدير دفة الحكم لم يكن اختياراً عشوائياً وإنما لا ينطق عن الهوى، إذ ن كل فعل الرسول (صلى الله عليه وآله) وتقريره سنة عن وحي الهي لمصلحة البشرية يجب أن تتبع فإذ ا كان الرسول (صلى الله عليه وآله) معصوماً في بعض الجوانب وغير معصوم في أخرى فكيف تصرفاته وأفعاله سنة؟ إن هذه المقدمة لما نريد ان نصل إليه من خلال التوثيق عن مدى أهمية ذلك الإختيار في التوثيق للحدث التاريخي ذي الصبغة السياسية فيما سبق من الخلفاء وتعرفنا عن تلك الأهمية ولما نريد أن نوثق للحدث التاريخي الآخر هو إختيار الخليفة الثالث

(١) وينظر عن جفاة الخليفة وتهديده بالضرب في الدرة ينظر: الدارمي، سنن الدارمي، ١/ ١٣٢-١٣٣؛ المتقي الهندي، كنز العمال، ٣/ ٨٠٩؛ وينظر عبد الرزاق، المصنف، ١٠/ ٤١٦؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص١٥٨.

والآثار الناجمة عن ذلك يقول الإمام عليه السلام: «**حَتَّى إذا مَضَى لِسَبِيلِهِ جَعَلَهَا فِي جَمَاعَةٍ زَعَمَ أَنِّي أَحَدُهُمْ. فَيَا للهِ وَلِلشُّورَى! مَتَى اعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِيَّ مَعَ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ، حَتَّى صِرْتُ أُقْرَنُ إِلَى هَذِهِ النَّظَائِرِ! لَكِنِّي أَسْفَفْتُ إذ أَسَفُّوا، وَطِرْتُ إذ طَارُوا؛ فَصَغَا رَجُلٌ مِنْهُمْ لِضِغْنِهِ، وَمَالَ الْآخَرُ لِصِهْرِهِ**[1]، **مَعَ هَنٍ وَهَنٍ إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ الْقَوْمِ ...**»[2].

في هذا النص يوثق الإمام عليه السلام للشورى والإلتفاف لإخراج الخلافة وكيف ان القضية كانت تسير وفق مخطط مسبق لإيصال الخليفة الثالث، والغرض من ذلك التوثيق:

١- نفى الشك في التكليف بالخلافة منذ عهد الخليفة الأول ومعرفة الخليفة الثاني لذلك، لذلك قرن إلى نظائر أدنى مستوى من مستوى النص ليبعد الإمام عليه السلام عنها فلا يوجد مبرر شرعي لتولي هؤلاء الخلافة.

٢- كانت الغاية سياسية كما قلنا لإحراج الإمام عليه السلام أمام المجتمع لكن الإمام عليه السلام أدرك ذلك فلم يخالف الشورى ولم يتنازل. ومسايرتهم للكشف عن ذلك المخطط لذا قال أسفت إذ أسفواوطرت إذ طاروا، فصغا سعد بن أبي وقاص لعداوته وحسده الكامن ومال عبد الرحمن لعثمان فكأنما كانت القضية تدور في حلقة مفرغة بدأت بعثمان وانتهت به.

---

(١) صغا رجل لضغْنه سعد بن أبي وقاص فإنّه كان منحرفاً عنه عليه السّلام و هو أحد المتخلّفين عن بيعته بعد قتل عثمان ومال الآخر لصهره عبد الرحمن لأن عبد الرحمن كان زوجاً لامّ كلثوم بنت عقبة ابن أبي معيط و هي اخت عثمان لأمه، ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة، ١/ ٢٦٢، وذكر ابن أبي الحديد أن الرواية التي جاءت بأن طلحة لم يكن حاضراً يوم الشورى- فإن صحت فذو الضغن هو سعد بن أبي وقاص- لأن أمه حمنة بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس و الضغينة التي عنده على علي ع من قبل أخواله- الذين قتل صناديدهم و تقلد دماءهم، ١/ ١٩٠.

(٢) نهج البلاغة، ص ٣٥- ٣٦.

النتيجة يوثق الإمام ﷺ ان طريقة الحدث في ظاهره شورى وفي طياته نص وقد دخل في الشورى لكشف المخطط القرشي لإيصال الخليفة الثالث للخلافة إذ قال للناس كونوا مع الثلاثة الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف[1] وهو صهر عثمان فمال له وسعد بن أبي وقاص مال لضغنه وحقده الكامن فكان في كفة عثمان[2] فضلًا عن أمور أخرى اعرض الإمام ﷺ عن ذكرها وترك اختياره ونزل وفق نزولهم وصعد وفق صعودهم[3].

ولا يكاد الأمر يقتصر على طريقة أو أسلوب وصول الخليفة إلى دفة الحكم بل نجد ان هناك مرحلية ضمنية نستحصل منها نتيجة هذا الوصول من خلال التوثيق لسياسية الخليفة وسيرها منذ البداية إلى مرحلة إستحصال تلك النتائج، يقول ﷺ «...**إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ الْقَوْمِ نَافِجاً حِضْنَيْهِ، بَيْنَ نَثِيلِهِ وَمُعْتَلَفِهِ، وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضَمُونَ مَالَ اللهِ خِضْمَةَ الْإِبِلِ نِبْتَةَ الرَّبِيعِ، إِلَى أَنِ انْتَكَثَ**[4] **عَلَيْهِ فَتْلُهُ، وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ، وَكَبَتْ بِهِ بِطْنَتُه**[5]»[6]، من خلال هذا النص نجد أن الإمام ﷺ موثقاً لفشل سياسة الخليفة الثالث بانتكاث فتله عليه ما كان يبرمه من السياسية دون

(١) ابن شبة، تاريخ المدينة، ٣/ ٩٢٥؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ٥/ ٥٠٥؛ الطبري، تاريخ الطبري، ٣/ ٢٩٤؛ ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ٤/ ١٦٨- ١٦٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣/ ٦٧؛ ابن خلدون، تاريخ بن خلدون، ٢/ ١٢٥ .

(٢) السرخسي، أعلام نهج البلاغة، ٤٨- ٤٩؛ الخوئي، الدرة النجفية، ص ٦٥ .

(٣) شارح من القرن الثامن، شرح نهج البلاغة، ص٨٢ .

(٤) ألنكث، إن تنقض أخلاق الاخبيه، ونكث إلعهد نقضه بعد إحكامه، أبن منظور، لسان العرب، ٢/ ١٩٧إنتكث فتله انتقض .

(٥) كبت به: من كب الشيء يكبه قلبه، وكب لوجهه إي صرعه، أبن منظور، لسان العرب، ١/ ٦٩٥، والبطنه امتلاء البطن، وهي أيضا الأشر من كثرة المال، أبن منظور، لسان العرب، ١٣/ ٥٢، كبت به بطنته، إي قلبه أو صرعه أشره

(٦) نهج البلاغة، ص ٣٦ .

الصحابة، وعندما نجد تقرير فشل سياسة أحد ما لابد ان يكون هناك مقياس أو قاعدة يستند إليها لتقرير ذلك، وهنا نجد أن المقياس الذي استند إليه الإمام في ذلك من خلال التوثيق الإقتصادي مرة بفشل سياسة الخليفة الإقتصادية وتوسعة في أموال المسلمين[1] إذ كان همه ذلك دون تقديم شيء للمسلمين ورعاية مصالحهم،

(١) إن الواقع الحقيقي بفشل سياسة الخليفة الإقتصادية وتوسعة في أموال المسلمين وإحداث الطبقية في المجتمع بسبب تلك السياسية نجد ذلك المصداق من خلال المصادر التاريخية التي تذكر ذلك منها المسعودي الذي يدرج ثروة عثمان يذكر انه يوم قتل كان عند خازنة من المال خمسون ومائة ألف دينار وألف ألف درهم وقيمة ضياعه مائة ألف دينار، وكانت داره في المدينة مبنية بالحجر والكلس وأبوابها من الساج فضلاً عن ما يمتلكه من العيون والخيول والإبل، ويذكر ان عمالة وكثيراً من أهل عصره تأسوا به ثم يذكر أن في أيام عثمان أقتنى جماعة من الصحابة الدور والضياع منهم الزبير بن العوام الذي ابتنى داراً في البصرة تنزلها التجار وأصحاب الأموال فضلاً عن دوره في مصر والإسكندرية والكوفة وبلغ مجموع ما خلفه عند وفاته خمسين ألف دينار وألف فرس وألف عبد وأمة، وكذلك طلحة بن عبيد الله كانت تبلغ غلته من العراق كل يوم ألف دينار فضلاً عن داره في الكوفة وأخرى في المدينة مبنية بالآجر والساج والجص وزيد بن ثابت خلف من الذهب والفضة ما يكسر به الفؤوس وما خلفه من الضياع بقيمة إلف دينار، عبد الرحمن بن عوف كان على مربطه مائة فرس وألف بعير وعشرة الألف شاة وبلغ عند وفاته ربع ثمن ماله أربعة وثمانين إلف ومنهم أيضا سعد بن أبي وقاص بني دار بالعقيق فضلاً عن ما ذكره من ثروة المقداد ويعلى بن منبه، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ٢/ ٣٣٢- ٣٣٣؛ إضافه إلى ذلك ما ذكره ابن سعد عن ثروة طلحة بن عبيد الله على لسان جدته سعدى بنت عوف المرية ذكرت ان طلحة قتل وعند خازنة ألف ألف درهم ومائتا ألف درهم وثلاث قناطر ذهب، الطبقات الكبرى، ٣/ ٢٢٢؛ وينظرا ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٢٥/ ١٢٠؛ وقد ذكر البلاذري ان مروان بن الحكم عندما ابتنى داره دعا الناس إلى وليمة وكان فيمن دعا المسور فقال مروان وهو يحدثهم والله ما أنفقت في داري درهما من مال المسلمين فقال له المسور لو أكلت طعامك وسكت لكان خير لك لقد غزوت معنا أفريقية وأنك لأقلنا مالا وأعواننا ورقيقا فأعطاك ابن عفان خمس أفريقيا وعملت على الصدقات فأخذت أموال المسلمين، البلاذري، أنساب الإشراف، ٥/ ٥١٥، من خلال هذا يتوضح فشل سياسة الخليفة بتركيزه الثروة في أيدي فئة قليلة مما أدى إلى الثورة علية وقتلة بل أن من بذل عليه في العطاء كان من أشد المحرضين على قتله .

ومن خلال التوثيق الإجتماعي مرة أخرى بإحداث الطبقية في المجتمع بتقديم أهله وعشيرته على سائر الناس[1] وكانت جميع الإمتيازات المالية لهم، والنتيجة انقلبت عليه تلك السياسية وقتله عمله[2]، ومما تقدم نستنتج ما يلي:

١- يعبر الإمام ﷺ بوضوح من خلال التوثيق ان فشل سياسة عثمان وتقريبه عشيرته دون الناس هو الذي أدى إلى الثورة عليه ومن ثم قتله.

٢- تعد خلافة عثمان بداية تأسيس الحزب الأموي.

٣- نستفيد من ذلك التوثيق من باب التوعية والتثقيف واخذ العبرة من التاريخ ان تقريب فئة على أخرى تكون جميع الإمتيازات محصورة بها تكون نهايتها ثورة.

٤- نستفيد من ذلك أيضا في مسألة علمية طبية قول الإمام ﷺ (كبت به بطنته) في ظاهر القول وصفاً لعثمان بسبب إفراطه في التوسع في أموال المسلمين فانقلبت عليه سياسته وكانت سبب في قتله وحتى إذا فهم هذا الكلام بجانبه المعنوي فقط فإن الإشارة العلمية حاضرة إذ ان الإفراط في كميات الغذاء يؤدي إلى حدوث مرض البطنة أو التخمة[3] وتكبت به أي تنقلب عليه[4] أو

(١) فلما عوتب الخليفة الثالث على تقريب بني أميه قال: أيها الناس ان أبا بكر كان يؤثر بني تيم على الناس وان عمر يؤثر بني عدي على الناس واني والله أوثر بني أميه على من سواهم ولو كنت جالسا على باب الجنة ثم استطعت ان ادخل بني أميه جميعاً لفعلت وإن هذا المال لنا وان احتجنا إليه أخذناه وان رغم انف قوم، المفيد، الأمالي، ص٧٠- ٧١، ألمجلسي، بحار الأنوار، ٣١/ ٤٨١- ٤٨٢ فكأنما عملية التقريب أصبحت سنه وكان أوجها في عهد الخليفة الثالث .

(٢) ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة، ١/ ٢٦٢- ٢٦٣؛ الخوئي، الدرة النجفية، ص٦٥- ٦٦؛ دخيل، شرح نهج البلاغة، ٢/ ١٧ - ١٨؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ١/ ٦٩- ٧٠؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ١/ ١٠٣؛ عبده، نهج البلاغة، ١/ ٣٠؛ جرداق، روائع نهج البلاغة، ص١٣٥- ١٣٦.

(٣) حميد سراج جابر،الفكر الاختباري في نهج البلاغة، ص ٢٦٠- ٢٦١ .

(٤) ألفراهيدي، العين، ٥/ ٢٨٤ .

تصرفه[١] فتمنعه من الأكل.

نستطيع أن نقول أن عصر الخليفة الثالث أبرز المعطيات الإيجابية لصياغات توجه الأمة وإيقاظ شعورها بالمسؤولية وإدراكها أهمية النص، ويمكن التعرف على ذلك من خلال التوثيق يقول الإمام عليه السلام واصفاً خلافته: «**وَبَسَطْتُمْ يَدِي فَكَفَفْتُهَا، وَمَدَدْتُمُوهَا فَقَبَضْتُهَا، ثُمَّ تَدَاكَكْتُمْ عَلَيَّ تَدَاكَّ الْإِبِلِ الْهِيمِ عَلَى حِيَاضِهَا يَوْمَ وُرُدِهَا، حَتَّى انْقَطَعَتِ النَّعْلُ، وَسَقَطَ الرِّدَاءُ، وَوُطِئَ الضَّعِيفُ، وَبَلَغَ مِنْ سُرُورِ النَّاسِ بِبَيْعَتِهِمْ إِيَّايَ أَنِ ابْتَهَجَ بِهَا الصَّغِيرُ، وَهَدَجَ إِلَيْهَا الْكَبِيرُ، وَتَحَامَلَ نَحْوَهَا الْعَلِيلُ، وَحَسَرَتْ إِلَيْهَا الْكِعَابُ**»[٢].

التوثيق يتجلى في قوله عليه السلام بسطتم يدي فكففتها ومددتموها فقبضتها أي أن بيعته لم تكن برغبة منه بل كانت برغبة الجميع وحرصهم على ذلك وينطلق موثقاً وفق القاعدة الإنتخابية لذلك بازدحام الناس على مبايعته من خلال أقوال متكاملة متلاحقة توضح لنا ذلك بدليل حضور الصغار الذين ابتهجوا بالبيعة وبذلك الإجتماع وحضر الكبير أيضا الذي لا يستطيع المشي إلا بمشقة وحتى العليل تحامل على نفسه وحضر من اجل المبايعة والنساء حسرن فرحن بذلك ورغبن فيها وبدليل أيضا شدة الإزدحام ورغبة الناس بالبيعة ان انقطعت نعالهم وسقط رداؤهم[٣] أي القاعدة الانتخابية تمثلت حتى بحضور الأصناف التي لم يمكن حضورها، يمكن درج بعض الملاحظات وفق ما تقدم من التوثيق:

---

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٥/ ١٥٣ .

(٢) نهج البلاغة، ٥٣٠ .

(٣) الراوندي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٢/ ٤٠٢- ٤٠٣؛ حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ١٤/ ٤٠٨؛حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٣/ ٣٩٦؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٤/ ٧٢؛ الخطيب، مصادر نهج البلاغة وأسانيده، ٣/ ١٦١ .

١- يوثق الإمام ﷺ إدراك المجتمع أهمية النص على الخلافة.

٢- في خلافة الإمام ﷺ تحققت الشورى بالمعنى الصحيح إذ كانت بحضور الجميع.

صاغ الحدث السياسي توجه الأمة بإدراكها الشخص الأصلح للخلافة لكن هل ذلك الإدراك من الأمة للشخص الأصلح أو أهمية النص لكي تكون أو يساعدها لتكون شخصية عقائدية ذات اتجاه رسالي تتمتع بسلوك قويم وعقلية هادفة؟ أو ان اهتمامهم كان منصباً على الذات والمصالح، وان ذلك الإدراك لتلبية تلك المتطلبات؟ ويمكن الإجابة على ذلك من خلال التوثيق يقول ﷺ: «**لَمْ تَكُنْ بَيْعَتُكُمْ إِيَّايَ فَلْتَةً، وَلَيْسَ أَمْرِي وَأَمْرُكُمْ وَاحِداً. إِنِّي أُرِيدُكُمْ لله، وَأَنْتُمْ تُرِيدُونَنِي لِأَنْفُسِكُمْ. أَيُّهَا النَّاسُ، أَعِينُونِي عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَايْمُ الله لَأُنْصِفَنَّ الْمَظْلُومَ مِنْ ظَالِمِهِ، وَلَأَقُودَنَّ الظَّالِمَ بِخِزَامَتِهِ حَتَّى أُورِدَهُ مَنْهَلَ الْحَقِّ وَإِنْ كَانَ كَارِهاً**»[1].

فيوثق الإمام ﷺ ان أمره من الخلافة ليس كأمر الناس اتجاهان مختلفان دليل ذلك موثق له أنهم كانوا ينظرون لذلك نظرة سطحية سإذ جة قائمة على تحقيق رغباتهم الدنيوية وإشباع ميولهم أما الإمام ﷺ كان ينظر لذلك نظرة عميقة قائمة على الملاءمة والإنسجام في بنائهم وتحقيق أمر الله فيهم وليس من أجل رئاسة وطلب منفعة لذلك طلب منهم الإعانة على أنفسهم بالسيطرة على شهواتهم بتحكيم عقولهم وان كانت كارهة من أجل إعادة دوله الرسول (ﷺ) يؤخذ فيها للمظلوم من ظالمة وإذ لاله وتحقيق الحق وأن كانت النفوس كاره لذلك[2].

(١) نهج البلاغة، ص ٢٨٣.

(٢) كيذري بيهقي، حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة، ١/ ٦٠٨؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٩/ ٣١- ٣٢؛ ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة، ٣/ ١٦٤- ١٦٥؛ عبده، نهج البلاغة، ٢/ ٢٦.

وهناك التفاته جميلة من ابن أبي الحديد في القول ان هذا الخطاب منه ﷺ لجمهور أصحابه إما الخواص منهم فأنهم يريدونه للأمر الذي يريدهم له من إقامة شرائع الدين وإحياء معالمه[1].

وضمن هذا الإطار نجد توثيقاً آخر من النهج يكشف في الوقت نفسه عن ذلك الإنحراف النفسي الذي كان عليه المجتمع قال ﷺ: «**دَعُونِي وَالْتَمِسُوا غَيْرِي؛ فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْراً لَهُ وُجُوهٌ وَأَلْوَانٌ؛ لَا تَقُومُ لَهُ الْقُلُوبُ، وَلَا تَثْبُتُ عَلَيْهِ الْعُقُولُ. وَإِنَّ الْآفَاقَ قَدْ أَغَامَتْ، وَالْمَحَجَّةَ قَدْ تَنَكَّرَتْ. وَاعْلَمُوا إِنْ أَجَبْتُكُمْ [أحببتكم] رَكِبْتُ بِكُمْ مَا أَعْلَمُ، وَلَمْ أُصْغِ إِلَى قَوْلِ الْقَائِلِ وَعَتْبِ الْعَاتِبِ، وَإِنْ تَرَكْتُمُونِي فَأَنَا كَأَحَدِكُمْ وَلَعَلِّي أَسْمَعُكُمْ وَأَطْوَعُكُمْ لِمَنْ وَلَّيْتُمُوهُ أَمْرَكُمْ، وَأَنَا لَكُمْ وَزِيراً خَيْرٌ لَكُمْ مِنِّي أَمِيرا!**»[2].

ومن خلال هذا الموقف العجيب يوثق الإمام ﷺ في النص المتقدم برفض الخلافة وحثهم على أن يلتمسوا لهذا الأمر أحداً غيره وان يكون لهم وزيراً أحسن منه أميراً والسبب في ذلك وثق له الإمام ﷺ توثيقاً مستقبلياً بأنه رفض الخلافة لأنهم مستقبلون أمراً بإجراء التغييرات في البناء الإجتماعي والسياسي وحتى الإقتصادي وهذا التغير لا يعجب البعض فلا تستسيغه القلوب وترفضه العقول وهذا التنكر تنكر المحجة أي الطريق لهذه التغيرات نتيجة الإنحراف السابق الذي شهدته المسيرة وخروج الأمر عن حالته الطبيعية كما تخرج الآفاق بالغيم وهذا من باب إلقاء الحجة عليهم والإنذار لهم ويترتب على ذلك أثر بأنه ان أضحى خليفة عند ذلك سيحملهم على الشريعة وعندها لا يستمع إلى أقوال الناس ولا إلى

(١) شرح نهج البلاغة، ٩/ ٣٢ .

(٢) نهج البلاغة، ص ١٩٣- ١٩٤.

آرائهم ولا يلتفت إلى عتب العاتب الذين يطلبون أكثر من حقهم لذلك طلب عليه السلام الإعفاء من الخلافة وان يكون وزيراً بدل منه أميراً لأن الوزير له حق إبداء الرأي والمشورة دون أن يلزم الآخرين برأيه لكن الأمير يحملهم عليه كرهاً[1] .

مما تقدم نستنتج ما يأتي:

١- يوثق الإمام عليه السلام ان بيعته لم تكن فلته بل كانت بحضور الجميع.

٢- من خلال التوثيق نتعرف كيف أصبحت الأمة بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله) في تصورها لأهداف الحياة وغاية الوجود وبذلك كانت خلافته قوه فاعلة ومحركة لتغير ذلك وهذا هو الذي أدى إلى الإنقلاب عليه.

٣- نجد ان الإمام عليه السلام وثق لرفضه الخلافة من باب إلقاء الحجة عليهم لأن مسار هذا الرفض مرتبط بحدوث تغيرات مستقبلية لا يستسيغها البعض وللتعمق في ذلك نجد أن الإمام عليه السلام وثق بشكل غير مباشر لحدث تاريخي مستقبلي وهو عن الذين خرجوا عليه في خلافته ونجد مصداق ذلك من خلال الكتاب الذي بعثه إلى طلحة والزبير، كما سيأتي فيما بعد تفصيل الحدث لكن هنا من باب الإستشهاد بأن لا حجة عليهم بالخروج لأن الإمام عليه السلام رفض البيعة يقابله الإصرار منهم يقول «**أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ عَلِمْتُمَا، وَإِنْ كَتَمْتُمَا، أَنِّي لَمْ أُرِدِ النَّاسَ حَتَّى أَرَادُونِي، وَلَمْ أُبَايِعْهُمْ حَتَّى بَايَعُونِي. وَإِنَّكُمَا مِمَّنْ أَرَادَنِي وَبَايَعَنِي، وَإِنَّ الْعَامَّةَ لَمْ تُبَايِعْنِي لِسُلْطَانٍ غَالِبٍ [غاصب]، وَلَا لِعَرَضٍ حَاضِرٍ**»[2] فهم ممن بايع رغبة لا رهبة فبطل بذلك خروجهم[3]. كما ان الإمام عليه السلام يطلب الإعفاء من الحكم وليس الخلافة التي هي جعل الهي مكلف بها.

(١) الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٢/ ١١٨- ١١٩ .

(٢) نهج البلاغة، ص ٦٨١- ٦٨٢ .

(٣) مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٤/ ١٢٥.

٢ـ توثيق المؤهلات الداعمة للتنصيص:

من دون شك ان نهج البلاغة يعد من الكتب الموسوعية بما يحتويه من معارف في مختلف المجالات فكل ينهل منه ما يحتاج، هذا ليس موضوعنا لأنها نقطة متسالم عليها أنما النقطة الجوهرية التي نريد الوصول إليها انه من غير المعقول ان يوثق الإمام ﷺ للخلافة وقواعد انطلاقها من مبان متناسبة مع المصلحة والتوجه السياسي ونقض شرعنه كل ذلك لوجود النص دون ان يوثق لمنطلقات ذلك الجعل الإلهي في الخلافة أو النص الذي على أساسه تم نقض شرعنة أي خلافة خارجة عن دائرة النص، ولابد من القول ان الإمام ﷺ ينطلق في التوثيق لمصدرية النص من منطلقات ومعايير قرآنية وأحاديث نبوية.

يقول ﷺ في ذلك: «**وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاءَ [حرّاء] فَأَرَاهُ، وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي. وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ الله -صلّى الله عليه و آله- وَخَدِيجَةَ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا. أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ، وَأَشُمُّ رِيحَ النُّبُوَّةِ. وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ -صلّى الله عليه و آله و سلّم- فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله مَا هَذِهِ الرَّنَّةُ؟ فَقَالَ: (هَذَا الشَّيْطَانُ قَدْ أَيِسَ مِنْ عِبَادَتِهِ. إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ، وَتَرَى مَا أَرَى، إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ، وَلَكِنَّكَ لَوَزِيرٌ وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ)**»[1].

إن الإمام ﷺ ينطلق في تركيز النص من منطلقات تشريعية إذ تضرب أي خلافة خارجة عن هذه الدائرة وفي هذا النص فإن الإمام ﷺ يوثق لقول الرسول (ﷺ) انك لست بنبي ولكنك وزير[2]، أي أعطاه مرتبة دون درجة النبوة وهي الوزارة.

---

(١) نهج البلاغة، ص٤٥١- ٤٥٢.

(٢) - ينظر: قول الرسول أنت مني بمنزلة هارون من موسى، البخاري، صحيح البخاري، ٤/ ٢٠٨؛ مسلم الحاكم النيسابوري، صحيح مسلم، ٧/ ١٢٠؛ الترمذي، سنن الترمذي، ٥/ ٣٠٢ .

وهنا لابد من التساؤل ما هي المؤهلات (إن صح القول) التي جعلت الرسول (ﷺ) يقول إنك لست بنبي ولكن وزير؟ إي بالمعنى نص على الإمامة في حياته وبعد وفاته وما هو الغرض الذي يريد أن يصل إليه الإمام (عليه السلام) من ذلك التوثيق.

على ان الإمام (عليه السلام) وكما تعرفنا لا يتحدث إلا وفق منهج البحث العلمي فوثق لذلك من منطلق تاريخي وذلك بالإتيان بعدد من الحوادث التاريخية التي تسند ذلك القول وهي المرتبة التي دون مرتبة النبوة وهي، أولاً: انه كان يجاور في كل سنة مع الرسول (ﷺ) في غار حراء أي انه كان يتعبد الله مع الرسول (ﷺ) قبل البعثة[1] بالنتيجة انه كان لا ينفك عن مرافقة الرسول (ﷺ) حتى في الفترات التي يختلي فيها ليتعبد هذا من جانب ومن جانب ثاني انه كان يعبد الله وليس ديانة أهل الجاهلية الفاسدة من ثمَّ ان الغاية من التوثيق لمصدر السنة النبوية (ﷺ) بالنص لتلك للمؤهلات التي تسند إلى ذلك التوثيق، ثانياً: وثّق له وفق الحقيقية

(١) ذكر ابن إسحاق (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج إلى حراء في كل عام شهرا من السنة ينسك فيه، وكان من نسك في الجاهلية من قريش يطعم من جاءه من المساكين، حتى إذا انصرف من مجاورته وقضاه لم يدخل بيته حتى يطوف بالكعبة حتى إذا كان الشهر الآخر الذي أراد الله عز وجل ما أراد من كرامته من السنة التي يبعثه فيها، وذلك شهر رمضان، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان يخرج لجواره، وخرج معه بأهله، حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله عز وجل فيها برسالته، ورحم العباد به جاءه جبريل بأمر الله تعالى، ...)، السير والمغازي، ص١٠١-١٠٢؛ وينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ١/ ١٥٥- ١٥٦؛ البيهقي، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، ٢/ ١٤٧؛ ويمكن وضع بعض النقاط على الرواية مع استبعاد نص قول الإمام (عليه السلام) كان يجاور بحراء فأراه ولا يراه غيري أرى نور الوحي، ان ابن إسحاق ذكر ان الرسول (ﷺ) خرج بأهله ولم يصرح من المقصود هل هو علي أم خديجة (عليهما السلام) لكن ذكر فيما بعد ان خديجة بعثت رسلها في طلب الرسول (ﷺ) مما يعني ان الذي يقصده ابن إسحاق بأنه خرج بأهله الإمام علي (عليه السلام) لكنه لم يذكر ذلك ولا نعلم هل بتأثير سلطة؟ أو لأسباب أيدلوجية؟ أو الاثنين معا ؛ لكن الرواية مع غض النظر عن التعصب الذي يكتنفها مصداق لما ذكره الإمام (عليه السلام).

التاريخية التي لا غبار عليها في قوله عليه السلام لم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله (صلى الله عليه وآله) وخديجة والإمام عليه السلام ثالثهما[١] أي كان أول الناس إسلاما[٢]، وهذا الدليل لثاني الذي يسند التوثيق بأنه نال عليه السلام لمرتبة الوزارة أي النص عليه للسبق في الإسلام[٣]. وثالثاً: كان عليه السلام يسمع ما يسمع الرسول (صلى الله عليه وآله) ويرى ما يرى فيرى الوحي ويسمع رنة الشيطان حين نزل الوحي على الرسول (صلى الله عليه وآله) فيئس من عبادته بعد مراحل الإغواء الفاشلة وربما اعتقد ان هذا أهم سبب لنيل تلك المرتبة لأنه كان يرى جبرائيل عليه السلام فشهد له بمقام الوصول إلى سماع الوحي وكلام الملك وصوت الشيطان وجميع ما يراه الرسول (صلى الله عليه وآله) ولا يوجد احد غيرة يراه إلا هو

---

(١) وأشهر حديث في ذلك حديث التاجر الذي ورد مكة في الجاهلية ونزل على العباس بن عبد المطلب قال لما ارتفعت الشمس وحلقت في السماء اقبل شاب فرمى ببصره إلى السماء ثم استقبل القبلة فلم يلبث حتى جاء غلام فقام عن يمينه فلم يلبث حتى جاءت امرأة فقامت خلفهما فركع الشاب فركع الغلام والمرأة فخّر ساجداً فسجدا معه فقلت يا عباس أمر عظيم، فقال: أتدري من هذا الشاب هذا ابن أخي محمد بن عبد الله بن عبد المطلب وهذا الغلام ابن أخي علي بن أبي طالب وهذه المرأة زوجة ابن أخي خديجة ابنة خويلد حدثني ان رب السماوات أمرهما بهذا الدين والله ما على ظهر الأرض كلها على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة، النسائي، السنن الكبرى ٥/ ١٠٦؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ٣/ ٤١٤- ٤١٥ ابن كثير، السيرة النبوية، ١/ ٤٣٠ فحديث لم يجمع بيت واحد في الاسلام توثقه هذه الرواية وينبغي الإلتفات إلى أمر وهو ان إحكام الصلاة كانت مسنونة فمثلاً ان خديجة (عليها السلام) صلت خلف الرسول(صلى الله عليه وآله) والإمام (عليه السلام) لأنه لا يجوز ان تتقدم المرأة أو تكون بمستوى الرجل في الصلاة وان لم تذكر الرواية جميع الإحكام.

(٢) الصنعاني، المصنف، ١١/ ٢٢٧؛ أحمد بن حنبل، مسند أحمد ١/ ٣٣١؛ إما الحاكم النيسابوري فذكر ان أول من اسلم مع رسول الله علي بن أبي طالب حديث صحيح الإسناد ولكن الخلاف ان علي بن أبي طالب تقدم إسلامه قبل البلوغ وأبو بكر كان أول الرجال البالغين إسلاما، المستدرك ٣/ ١٣٦ويكفينا قول الرسول (صلى الله عليه وآله) أولكم وارداً علي الحوض أولكم إسلاماً علي بن أبي طالب، الحاكم النيسابوري، المستدرك، ٣/ ١٣٦ وللتفاصيل عن مناقشة إسلام أبي بكر والإمام (عليه السلام) ينظر، مرتضى، الصحيح من سيرة النبي الأعظم، ٣/ ٤٧ وما بعدها.

(٣) ينظر قوله تعلى (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ) الواقعة / ١٠- ١١.

والرسول (صلى الله عليه وآله)، فإنه ليس بمقام النبوة ولكن بمقام الوزارة التي هي مكمله للنبوة لتدبير وإصلاح الخلق[1] من بعد ومن استقراء ما مر يتضح ان الهدف من التوثيق ان النص على الوزارة أو خلافة الرسول (صلى الله عليه وآله) للإمام عليه السلام للمؤهلات التي استحق بها ذلك[2] وهي بلوغه الكمال.

ومن التوثيق يمكن الإستدلال على بعض الأمور:

١- مناقشة الإمام عليه السلام قول الرسول (صلى الله عليه وآله) بالنصوص لمرتبة الوزارة والخلافة ليس كأنه شخص معصوم مفترض الطاعة بل كوضع طبيعي من ناحية علمية موثق لأهليته لذلك.

٢- نستدل من التوثيق أن نص السنة النبوية الشريفة على الإمام جاء نتيجة مؤهلات التكامل التي لم تتوفر لأحد أي ان الجعل الإلهي للخلافة التي تتمثل بالإمام عليه السلام جاء نتيجة خصائص الإستعداد الذاتي المكمل لما منحه الله.

٣- حياة الرسول (صلى الله عليه وآله) التعبدية قبل البعثة ومرافقة الإمام عليه السلام له.

٤- نقض حجة من يدعي ان الرسول (صلى الله عليه وآله) كان وحده حين نزل الوحي وانه رجع خائفاً مرتجفاً إلى السيدة خديجة عليها السلام التي تداركت ذلك بالذهاب لإستشارة ابن عمها ورقة[3] فإن الإمام عليه السلام كان مرافقاً له وسمع مقالاته هذه[4].

(١) ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة (الكبير)، ٤/ ٣١٤- ٣١٨؛ حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ١٢/ ٣٩- ٤٥، وينبغي القول ان الاختلاف بين ابن ميثم البحرانيو الخوئي حادث نتيجة الروايات التي كان بعضها مخالف للإمامية لكن لم نركز على ألاختلاف لكونه حاصل في الروايات كما قلنا التي لم نأخذ بها وإنما تم التركيز على ظاهر الشرح الذي يتناسب مع ما نرمي اليه .

(٢) بيضون، تصنيف نهج البلاغة، ص٤١٦ .

(٣) البخاري، صحيح البخاري، ١/ ٣؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ١/ ١٥٥- ١٥٦.

(٤) مرتضى، الصحيح من سيرة النبي الأعظم، ٢/ ٢٧٩ .

٥- إن قول الرسول (ﷺ) للإمام (عليه السلام) انك وزير لا يعني ان هناك انفصاماً بين الإرادة الإلهية والإرادة النبوية بل ان هناك انسجاماً بدليل ان هذه الصيغة منتزعة من القرآن[١] أولًا وثانياً ان الرسول (ﷺ) ما ينطق عن الهوى إن هو إلّا وحي يوحى.

ومما تقدم يتجلى ان النص نتيجة مؤهلات الكمال التي لم يشاركه أحد فيها ولا يتقدم عليه فقط إلا الرسول (ﷺ) ويمكن أيضا ان نلتفت إلى مسألة نيل الإمام (عليه السلام) مرتبة الوزارة التي هي نص بالمعنى، لتدبير أمور الخلق.

وإذ تجاوزنا واحتسبنا ان القرابة الحميمة بين الرسول (ﷺ) وبين الإمام (عليه السلام) وتربيته له أي الإعداد الإلهي النبوي للإمام جدلاً مسألة ثانوية لنيل الخلافة فإن الذي لا نستطيع تجاوزه هو مسألة العلم يقول (عليه السلام): «**إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِالْأَنْبِيَاءِ أَعْمَلَهُمْ بِمَا جَاؤوا بِه، ثُمَّ تَلَا: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾[٢] ثُمَّ قَالَ: إِنَّ وَلِيَّ مُحَمَّدٍ مَنْ أَطَاعَ اللهَ وَإِنْ بَعُدَتْ لُحْمَتُهُ، وَإِنَّ عَدُوَّ مُحَمَّدٍ مَنْ عَصَى اللهَ وَإِنْ قَرُبَتْ قَرَابَتُهُ!**»[٣].

إن وفاة الرسول (ﷺ) كشف الغطاء عن مدى استيعاب ودرجة وعي الأمة لمفاهيم الرسالة فلم يكن لهم العلم لمعرفة حقيقة النبوة[٤] على ان تقييم فهم المجتمع لمقام النبوة لم يكن وليد تلك الحادثة بل جذوره تمتد إلى أبعد من ذلك

---

(١) ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ طه/ ٢٩- ٣٢ الالتفاتة الجميلة في الآية هارون أخي شد به أزري يعني يتوفر به عنصر المعونة وأشركه في أمري وبما ان إمره النبوة التي هي لإصلاح البشرية فإنه شركة في هذا الأمر .

(٢) آل عمران/ ٦٨ .

(٣) نهج البلاغة، ص٧٣٩ .

(٤) عن الفضيل بن يسار عن أبي جعفر (عليه السلام) قال إن رسول الله (صلى الله عليه و آله) لما قبض صار الناس كلهم أهل جاهلية إلا أربعة: علي والمقداد وسلمان وأبو ذر فقلت: فعمار؟ قال إن كنت تريد الذين لم يدخلهم شيء فهؤلاء الثلاثة، ألمجلسي، بحار الأنوار، ٢٢/ ٣٣٣ .

فهناك عدة حوادث أنتجت هذه النتيجة[1].

(١) إن تحليلا دقيقاً للحوادث التي سنأتي على ذكرها يتضح ان جميع المجتمع ماعدا أشخاصاً محدودين بعيدين كل البعد عن الرسول (ﷺ) بل أنهم في وادي والنبوة في وادي آخر فالموقف في معركة (احد) لا يخفى على أحد فما ان فشى ان رسول الله قد قتل حتى قالوا ليت لنا رسولا إلى عبد الله بن أبي يأخذ لنا أمانه من أبي سفيان، وكان هناك كلمة حق لأنس ابن النضر قال)ان كان محمد قد قتل فإن رب محمد لم يقتل)، الطبري، تاريخ الطبري، ٢/ ٢٠١ أي أنهم لم يكونوا ينظروا للرسول ﷺ مبلغ الرسالة وما ان يموت أو يقتل لا تنتهي الرسالة أو النبوة بل هم على العكس من ذلك كانوا يرون ما ان يموت الرسول أو يقتل ينتهي كل شيء، بل ان الأدهى من ذلك ان البعض أرادوا ان يكونوا يهودياً أو نصرانياً ذكر ألسدي ان أصحاب رسول الله لما أصيبوا في احد قال عثمان لألحقن بالشام فإن لي بها صديقا من اليهود يقال له دهلك ولأخذن منه أمانا فاني أخاف ان تدال علينا اليهود وقال طلحة بن عبيد الله لا خرجن للشام فان لي صديقاً من النصارى، ثم عقب ألسدي بالقول ان احدهما أراد ان يتهود والآخر ان يتنصر، ابن طاووس، الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، ص٤٩٤؛ آل طاووس، عين العبرة في غبن العترة، ص٢٨-٢٩؛ الحسيني، الخلافة المغتصبة، ص٣٩، وفي غزوة (حنين) كل الناس فروا ماعدا أربعة، ثلاثة من بني هاشم وواحد من غيرهم علي بن أبي طالب والعباس وهما بين يديه وأبو سفيان بن الحرث آخذ بالعنان وابن مسعود من جانبه الأيسر والرسول (ﷺ) ينادي إنا النبي لا كذب إنا ابن عبد المطلب ونادى يا أهل سورة البقرة! يا أهل بيعة الشجرة إنا رسول الله ونبيه فتولوا مدبرين، ابن أبي شيبة، المصنف، ٨/ ٥٥٢- ٥٥٣ ورسول الله يقول لهم إذ كروا العهد الذي عاهدتم عليه رسول الله صلى الله عيه وآله وسلم والقوم على وجوههم قد أدبروا والرسول في الوادي والمشركين خرجوا من شعاب الوادي وجنباته ومضايقة، المفيد، الإرشاد ١/ ١٤٢ واعتقد على الأغلب الإدبار والفرار كان أكثر في المهاجرين من الأنصار بدليل ان بعد نداء الرسول (ﷺ) قال شبهت عطفه الأنصار على رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا البقر على أولادها، الطبراني، المعجم الكبير، ٧/ ٢٩٩؛ الهيثمي، مجمع الزوائد ٦/ ١٨٤، والدليل الاخر ان الرسول (ﷺ) لما قسم السبي أعطى قريش وغيرها من العرب ولم يعطِ الأنصار فحدث بعض اللغط عند الأنصار فقال لهم الرسول (ﷺ) أوجدتم من شيء من دنيا أعطيتها قوما أتألفهم على الاسلام ووكلتكم إلى إسلامكم، ابن أبي شيبة، المصنف، ص ٥٥٣- ٥٥٤ ومن ثم ان هذه الحادثة كشفت مدى تفاعل المجتمع مع الرسول ﷺ إذ ما ان رأوا العدو انهزموا وتركوا الرسول ﷺ في الميدان، وخير دليل على ان المجتمع لم يكن له الإيمان القائم على العلم بالنبوة وتعاليمها هو مقولة الرسول ﷺ لعلي بن أبي طالب في معركة الخندق اليوم(برز الإيمان كله للشرك كله)، الكراجكي، كنز الفوائد، ١٣٧؛ الدميري،

ومما تقدم يوثق الإمام ﷺ ان المتولي الأمر بعد الرسول والقائم مقامه هو أعلمهم وأعملهم بما جاء به على ان هذا الكلام لم يكن اعتباطياً بل موثقاً له بآية قرآنية تثبت ذلك ان أولى الناس بإبراهيم الذين اتبعوه نتيجة علمهم بما جاء به[1] والذين امنوا أي حصلوا على مرتبة الإيمان ولم يركز الشارحون على الشطر الثاني من النص ولم يعطوه حقه وهو ان ولي محمد هو من أطاع الله أي ان الرسول (ﷺ) يمثل وسيطاً بين الله والبشر ينقل للبشر الأوامر الإلهية فطاعة تعاليم الرسول تمثل طاعة الله ومن أطاع فهو ولي محمد وان بعدت قرابته ومن يعصي الله بمخالفة التعاليم المنقولة بوساطة الرسول فهو عدو محمد وان قربت قرابته وهذا ينص عليه التوثيق.

ومن ثم ان الهدف من توثيق الإمام ﷺ والنتيجة المستحصله ان أولى الناس بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هو أعلمهم بما جاء به وطاعة التعاليم بالعمل بها التي هي من دون شك تعاليم سماوية، وقلنا في مقدمة البحث ان الأمة كانت غير مستوعبة مفاهيم الرسالة وعدم طاعتها تلك التعاليم بدليل حالات الإنقلاب التي حدثت فلم يكن أحد مؤهلاً ليقوم مقامه لعدم توفر شرط العلم ما عدا المنصوص عليه والمستوفي هذا الشرط كما سيأتي.

وبما ان الإمام ﷺ وثق فيما سبق ان الأولوية لتولي الخلافة بعد لنبي (صلى الله

حياة الحيوان الكبرى، ١/ ٣٨٧ أي ان الإمام علي (عليه السلام) كان يمثل الإيمان كله بالمعنى انه لم يصل احد إلى مرتبة الإيمان الحقيقي غير علي بن أبي طالب عليه السلام وفي حديث آخر قال الرسول ﷺ لمبارزة علي بن أبي طالب لعمرو بن عبد ود يوم الخندق أفضل من أعمال أمتي إلى يوم القيامة، الحاكم النيسابوري، المستدرك، ٣/ ٣٢، بالنتيجة ان العلم المستوفي كل الشروط متوفر فقط في علي بن أبي طالب .

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٨/ ٢٥٢؛ ابن ميثم البحراني، إختيار مصباح السالكين (المتوسط)، ص٦٠٠؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٥/ ٢٧٣ .

عليه وآله) لمن يمتلك العلم لما جاء به والإلتزام به عملاً وكما تقرر في السابق ان الأمة لم يكن لها هذا العلم فهي غير قادرة على اختيار الخليفة بعد النبي أولاً وعدم وجود مؤهل ثانياً غير المنصوص، فوثق الإمام عليه السلام لهذه المسألة بقوله: «**أَيْنَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ دُونَنَا، كَذِباً وَبَغْياً عَلَيْنَا، أَنْ رَفَعَنَا الله وَوَضَعَهُمْ، وَأَعْطَانَا وَحَرَمَهُمْ، وَأَدْخَلَنَا وَأَخْرَجَهُمْ. بِنَا يُسْتَعْطَى الْهُدَى، وَيُسْتَجْلَى الْعَمَى. إِنَّ الْأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ غُرِسُوا فِي هَذَا الْبَطْنِ مِنْ هَاشِمٍ؛ لَا تَصْلُحُ عَلَى سِوَاهُمْ، وَلَا تَصْلُحُ الْوُلَاةُ مِنْ غَيْرِهِم**»[1]. التوثيق يتجلى في قوله عليه السلام أن الأئمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم[2] هذا أولًا تعريف بالمنصوص عليهم وثانياً ان الإمامة والخلافة لا تصلح إلا بهم ولا يصلح لها إلا هم أي هناك أمر قطعي بفساد وعدم شرعية أي إمامه أو خلافة خارجة عن نطاق المنصوص عليهم ويمكن القول ان الإمام عليه السلام لا يثير نقطة بالغة الأهمية بشكل نظري من غير ان يكون هناك قانون علمي يستند عليه ولا سيما إذا علمنا ان الإمام عليه السلام لا يناقش المسألة

(١) نهج البلاغة، ص٢٩٣ .

(٢) وهذا تبع لحديث للرسول صلى الله عليه وآله عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله في حجة البلاغ لا يزال هذا الدين عزيزا منيعاً إلى اثني عشر خليفة، وفي معنى آخر يكون من بعدي اثنا عشر خليفة، قال فخفي علي فسألت الذي إلى جنبي فقال كلهم من قريش، أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ٥/ ٩٩؛ البخاري، صحيح البخاري، ٨/ ١٢٧؛ الترمذي، سنن الترمذي، ٣/ ٣٤٠،وبما ان الراوي لم يذكر من هم لكن سنصل وفق أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله لهم، إذ ن النص على ان عدد الخلفاء إثني عشر خليفة وقد صم الراوي عن سماع ممن هم وما هي أسماؤهم ولم يسأل سوى ممن، لكن الرسول صلى الله عليه وآله قال في حديث آخر ان الله اصطفى كنانة من بني إسماعيل واصطفى من بني كنانة قريشاً واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم، أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ٤/ ١٠٧؛ مسلم، صحيح مسلم، ٧/ ٥٨ فالا ثنا عشر خليفة من قريش ثم ان الاصطفاء من بني هاشم ثم من بني هاشم هم الأئمة في قول رسول صلى الله عليه وآله في حديث الثقلين، الحاكم النيسابوري، المستدرك، ٣/ ١٤٨.

كجعل للإمامة والخلافة من الله وتنصيب من رسول (ﷺ) بل كمسألة طبيعية فلم يضع توثيقاً من غير أن يكون هناك موثق له يسنده، ولأهمية المسألة فإن الموثق له كان بألفاظ قرآنية مباشرة تمثلت في قوله عليه السلام أنهم راسخون في العلم[1]، أي ان سبب النص وفساد كل إمامة أو خلافة خارج عن تلك الدائرة لأنهم راسخون في العلم رسوخاً ثابتاً غير متأرجح وكل من ادعى انه كذلك فقد كذب بادعائه بغياً وحسداً لان الرفع والإدخال وإعطاء العلم وفضل النبوة والإمامة مقصور عليهم فقط هذا من جانب من جانب آخر بهم يعطي الهدى ويجلي العمى[2] والجهل فهم الأنوار الكاشفة للمعارف كلها[3]. النتيجة التي يمكن تدوينها بالنظر إلى ما سبق:

١ – ان هدف الإمام عليه السلام من التوثيق يتجلى في بيان فساد كل خلافة خارجة عن النص وذلك لمؤهلات الأعلمية والهداية التي اقتصرت عليهم.

---

(١) قوله تعالى (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) آل عمران/ ٧، عن احد الإمامين (عليهما السلام) قال: رسول الله وآله أفضل الراسخين في العلم قد علمه الله جميع ما أنزل عليه من التنزيل والتأويل، وما كان الله لينزل عليه شيئاً لم يعلمه تأويله وأوصياؤه من بعده يعلمونه كله، الكليني، الكافي، ١/ ٢١٣ .

(٢) ينظر قوله تعالى (وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ) الأنبياء/ ٧٣ إذ ن أنهم يهدون بأمر الله ويفعلون الخيرات، وينظر قوله تعالى (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَّمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ) السجدة/ ٢٤ بالتالي ان عمليات الإصلاح التي تمثلت في الهداية جاءت نتيجة امتلاكهم الصبر واليقين، وينظر قوله تعالى (أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) يونس/ ٣٥ .

(٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٩/ ٨٦– ٨٨؛ ابن ميثم البحراني، إختيار مصباح السالكين (المتوسط)، ص٣٠٤؛ حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٩/ ٢١– ٢٥؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٢/ ٣٣٢– ٣٣٣؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٢/ ٤٣١– ٤٣٢؛ دخيل، شرح نهج البلاغة، ١٣– ١٤/ ٢٢– ٢٣ .

٢- قول الإمام ﷺ (رفعنا الله و وضعهم، و أعطانا و حرمهم) يعني ان القضية إلهية فالكم العلمي الغزير الذي أعطى للإمام ﷺ والمنصوص عليهم ليس باستطاعة أحد الوصول إليه لأنه من الله.

٣- الترابط العميق بين الخلافة والإمامة وبين الهداية.

المسألة الأخرى التي يوثق لها الإمام ﷺ لمؤهلات النص التي اعتبرناها -جدلاً- اعتباراً ثانوياً هو سلسلة النسب مع صاحب الرسالة والتربية في كنفه يقول ﷺ: **(لما انتهت إليه أنباء السقيفة ما قالت الأنصار؟ قالوا: قالت: منا أمير و منكم أمير، قال عليه السّلام: «فَهَلَّا احْتَجَجْتُمْ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ رَسُولَ الله صلّى الله عليه وَصَّى بِأَنْ يُحْسَنَ إِلَى مُحْسِنِهِمْ، وَيُتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِهِمْ؟» قَالُوا: وَمَا فِي هَذَا مِنَ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ؟ فقَالَ عليه السّلام: «لَوْ كَانَتِ الإمامة [الْإِمَارَةُ] فِيهِمْ لَمْ تَكُنِ الْوَصِيَّةُ بِهِمْ». ثُمَّ قَالَ عليه السّلام: «فَمَإذا قَالَتْ قُرَيْشٌ؟» قَالُوا: احْتَجَّتْ بِأَنَّهَا شَجَرَةُ الرَّسُولِ صلّى الله عليه وإله وسلم، فَقَالَ عليه السّلام: «احْتَجُّوا بِالشَّجَرَةِ وَأَضَاعُوا الثَّمَرَة»)**[1] .

فالتوثيق هنا إبطال احتجاج الأنصار بالإمارة موثقاً له بأن أتى ﷺ بحادثة تاريخية وهي وصية الرسول (ﷺ) بأن يحسن إلى محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم[2] فإذا كانت الإمارة فيهم لم يكن هناك معنى لوصية الرسول (ﷺ) فلو كانوا أمراء كان من المفترض ان يوصيهم الرسول (ﷺ) ان يعطفوا على الناس لا أن يوصي بالعطف عليهم، والتوثيق الآخر إبطال احتجاج قريش أيضاً بالإمارة فقد

(١) نهج البلاغة، ص١١٧- ١١٨ .

(٢) ينظر تلك الوصية التي وصى بها الرسول (ﷺ) في إثناء مرضه بالأنصار، الشافعي، المسند، ص٢٨٠؛ أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ٥/ ٢٢٤؛ البخاري، صحيح البخاري، ٤/ ٢٢٦؛ ابن حبان، صحيح بن حبان، ١٦/ ٢٥٦ .

احتجت بأنهم عشيرة وشجرة الرسول ﷺ، فإن احتجاجهم باطل بدليل أنهم أضاعوا الثمرة، فإن فائدة الشجرة تتمثل في الثمرة بل لا أهمية للشجرة من غير الثمرة فإن كانت الخلافة بالقرابة فهو أحق بها؛ لأنه ثمرة رسول الله (ﷺ) فأبطل احتجاج المهاجرين والأنصار[1]، ويمكن الخروج بما يلي:

١- القضاء على الإحتجاجات الباطلة التي ادعت بها، الطائفتان (الأنصار والمهاجرون) لنيل الخلافة، الأولى بالوصية والثانية بقاعدة علمية رادعة.

٢- كلام الرسول (ﷺ) الذي وثق به الإمام عليه السلام فيه بعد مستقبلي لما سيلاقيه الأنصار من الأثرة لذلك أوصى (ﷺ) بالإحسان إليهم.

النقطة الأخرى للتوثيق من زاوية علمية تربوية التي تعد الحجر الأساس للهدف الذي يريد الإمام عليه السلام الوصول إليه بالتوثيق يقول عليه السلام: «**أَنَا وَضَعْتُ فِي الصِّغَرِ بِكَلَاكِلِ [كَلكَل] الْعَرَبِ، وَكَسَرْتُ نَوَاجِمَ قُرُونِ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ. وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ- بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ، وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ. وَضَعَنِي فِي حِجْرِهِ وَأَنَا وَلَدٌ [وليد] يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ، وَيَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِهِ، وَيُمِسُّنِي جَسَدَهُ، وَيُشِمُّنِي عَرْفَهُ. وَكَانَ يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ، وَمَا وَجَدَ لِي كَذْبَةً فِي قَوْلٍ، وَلَا خَطْلَةً فِي فِعْلٍ. وَلَقَدْ قَرَنَ اللهُ بِهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ- مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ، وَمَحَاسِنَ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ، لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ. وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّهِ، يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عَلَماً، وَيَأْمُرُنِي بِالِاقْتِدَاءِ بِهِ**»[2].

---

(١) ابن ميثم البحراني، إختيار مصباح السالكين (المتوسط)، ص١٧٤- ١٧٥؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ١/ ٢٦٤- ٢٦٦ .

(٢) نهج البلاغة، ٤٥٠- ٤٥١ .

يؤسس الإمام ﷺ بالتوثيق من خلال النص المتقدم لهيكلية مؤهلات النص على الخلافة[١] تمثلت في مشاركته في خصوصية الإنحدار البيولوجي من جهة القرابة على أن هذه النقطة لا تشكل محور اهتمام الإمام ﷺ بالتوثيق وهو القرابة المادية وإنما محور التوثيق على القرابة المعنوية أولاً والمنزلة الخصيصة المخصوصة به فقط ثانياً أي أن الإمام ﷺ يوثق ان مؤهلات النص نتيجة القربة المعنوية ومنزلة الإمام ﷺ الخصيصة من النبي (ﷺ) وهذه العلاقة المعنوية والمنزلة المادية موثقة بعدة شواهد تاريخية تثبت ذلك وهو مدى عناية الرسول (ﷺ) بالإمام ﷺ وتربيته له فوضعه في حجره وهو وليد ويضمه إلى صدره عطفاً وحناناً قريب من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى في فراشه يمس جسده ويشم ريح الرسول (ﷺ) الطيبة[٢] بل ان من شدة اهتمامه به انه كان يمضغ الطعام الصلب ويلقمه للإمام ﷺ[٣] . كما ان هذه التربية يقابلها استعداد الإمام ﷺ الذاتي فلم يجد له كذبة في قول ولا خطأ في فعل بل كان مسدد معصوم، فضلاً عما تقدم من الشواهد التي تثبت المنزلة الخصيصة فهناك نقطة جوهرية في غاية الأهمية موثقة لتلك المنزلة تمثلت بقول الإمام ﷺ ولقد قرن الله بالرسول (ﷺ) منذ صغره ومنذ ان كان فطيما ملكاً من ملائكته لا يفارقه يأخذ بيده إلى طريق المكارم ومحاسن الأخلاق[٤]

---

(١) الريشهري، موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (ع) في الكتاب والسنة والتاريخ،٢/ ٢٠- ٢١ .

(٢) ينظر ابن البطريق، خصائص الوحي المبين، ص٢٥؛ الأربلي، كشف غمة في معرفة الأئمة، ١/ ٦١- ٦٢؛ الشيرازي، الأربعين، ص٦١- ٦٢ .

(٣) ينظر، المازندراني، شرح أصول الكافي، ٢/ ٢٩٨؛ ألمجلسي، بحار الأنوار، ٣٨/ ٣٢٣- ٣٢٤ .

(٤) سئل أبي عبد الله عليه السلام عن قوله تبارك وتعالى (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ) الشورى / ٥٢ قال خلق من خلق الله عز وجل أعظم من جبرئيل وميكائيل كان مع رسول الله ﷺ يخبره ويسدده وهو مع الأئمة من بعده، الكليني، الكافي، ١/ ٢٧٣ .

إذ ن المنزلة الخصيصة تمثلت في الإعداد والتربية الإلهية للرسول (ﷺ) ثم إعداد الرسول للإمام وكان الإمام ﷺ ملازماً للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كإتباع الفصيل إثر أمه لا ينفك عنه ولم يفارقه في يوم من الأيام وكان رسول (ﷺ) معلم للإمام ﷺ يرفع له من تلك الأخلاق الإلهية النبوية ويأمره بالإقتداء به[1]. يمكن القول وفق ما تقدم:

١- هدف الإمام ﷺ من التوثيق لإيصال حقيقة ان مؤهلات النص نتيجة علاقة القرابة المعنوية بين الإمام ﷺ والرسول (ﷺ) وإطار تربية الوصي التي لم يتدخل فيها احد سوى الإعداد الإلهي.

٢- الإعداد النبوي للقيادة المستقبلية التي ستتولى أمر الأمة.

٣- يدل قول الإمام ﷺ «**ولقد قرن الله به -صلّى الله عليه و آله- من لدن أن كان فطيما أعظم ملك من ملائكته**» على عصمة النبي (ﷺ) في عالم التكليف قبل البعثة.

أما فيما يخص القرابة المادية يقول ﷺ في الكتاب الذي بعثة إلى معاوية في محاولة تصديه للسياسة الأموية والإعلام المضاد الذي قام به معاوية من ضمن سياسته بذكر اصطفاء الرسول (ﷺ) وتأيده بمن أيده من الصحابة والرد عليه بالكتب ومن ما جاء فيه ما يلازم موضوعنا «...**وَكِتَابُ الله يَجْمَعُ لَنَا مَا شَذَّ عَنَّا، وَهُوَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللهِ﴾**[2] **وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْراهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللهُ**

(١) ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة (الكبير)، ٤/ ٣١٢- ٣١٤؛ حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ١٢/ ٣٤- ٣٩؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٣/ ٣٤٧- ٣٤٨ .
(٢) الأنفال/ ٧٥ .

وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾[١]، فَنَحْنُ مَرَّةً أَوْلَى بِالْقَرَابَةِ[٢]، وَتَارَةً أَوْلَى بِالطَّاعَةِ. وَلَمَّا احْتَجَّ الْمُهَاجِرُونَ عَلَى الْأَنْصَارِ يَوْمَ السَّقِيفَةِ بِرَسُولِ الله - صلى الله عليه وآله - فَلَجُوا عَلَيْهِمْ، فَإِنْ يَكُنِ الْفَلَجُ بِهِ فَالْحَقُّ لَنَا دُونَكُمْ، وَإِنْ يَكُنْ بِغَيْرِهِ فَالْأَنْصَارُ عَلَى دَعْوَاهُم»[٣].

فالتوثيق يتمثل في قوله عليه السلام نحن مرة أولى بالقرابة ومرة بالطاعة وقد وثق للشطر الثاني وهو الطاعة فيما سبق أما بخصوص القسم الأول، فإن الإمام عليه السلام يوثق هنا انه أحق بالخلافة بدلاله أولوية القرابة وهذا الكلام لم يأتِ به الإمام عليه السلام من نفسه بل موثقاً له بتوثيق قرآني وهو قوله تعالى أولو الأرحام بعضهم أولياء بعض إذ ن فالقرآن مأخذ عهد على العباد ان الأرحام بعضهم أولياء بعض فالأولى بالنبي أرحامه لأن هناك نصاً وقانوناً إلهياً يحفظ ذلك فالقرآن يجمع ما شذ عنهم وما سلب منهم وهي الخلافة، كما ان الأنصار عندما احتجوا بالخلافة وغلب عليهم بعض المهاجرون لأنهم شجرة الرسول (صلى الله عليه وآله) فإن كانوا صادقين فالإمام عليه السلام أولى وإن كانوا لا فالأنصار على دعواهم بأن لهم حق في الخلافة وان يكون منهم أمير ومن المهاجرين أمير[٤].

وكأنما يريد الإمام عليه السلام أن يصل بالتوثيق إلى ان الخليفة أما أخذ حقي أو حق الأنصار[٥].

من النقاط الأخرى التي يوثق لها الإمام عليه السلام التي تعد كمرتكز وأساس لمؤهلات النص على الخلافة هو انه على جادة الحق، ويقول عليه السلام: «**وَلَقَدْ عَلِمَ**

---

(١) آل عمران/ ٦٨ .

(٢) (وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ)، الانفال/ ٧٥ .

(٣) نهج البلاغة، ص٥٨٤ .

(٤) كيذري بيهقي، حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة، ٢/ ٤٤١- ٤٤٢؛ ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة، ٤/ ٤٤٢- ٤٤٣؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٤/ ٢٩- ٣٠، الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٤/ ٢٣٦ .

(٥) دخيل شرح نهج البلاغة، ٢٥- ٢٦/ ٩٦ .

الْمُسْتَحْفَظُونَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ -صلى الله عليه وآله- أَنِّي لَمْ أَرُدَّ عَلَى اللهِ وَلَا عَلَى رَسُولِهِ سَاعَةً قَطُّ. وَلَقَدْ وَاسَيْتُهُ بِنَفْسِي فِي الْمَوَاطِنِ الَّتِي تَنْكُصُ فِيهَا الْأَبْطَالُ، وَتَتَأَخَّرُ فِيهَا الْأَقْدَامُ، نَجْدَةً أَكْرَمَنِي اللهُ بِهَا. وَلَقَدْ قُبِضَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وآله- وَإِنَّ رَأْسَهُ لَعَلَى صَدْرِي. وَلَقَدْ سَالَتْ نَفْسُهُ فِي كَفِّي، فَأَمْرَرْتُهَا عَلَى وَجْهِي. وَلَقَدْ وَلِيتُ غُسْلَهُ -صلى الله عليه وآله- وَالْمَلَائِكَةُ أَعْوَانِي، فَضَجَّتِ الدَّارُ وَالْأَفْنِيَةُ؛ مَلَأٌ يَهْبِطُ، وَمَلَأٌ يَعْرُجُ، وَمَا فَارَقَتْ سَمْعِي هَيْنَمَةٌ مِنْهُمْ، يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى وَارَيْنَاهُ فِي ضَرِيحِهِ. فَمَنْ ذَا أَحَقُّ بِهِ مِنِّي حَيّاً وَمَيِّتاً؟ فَانْفُذُوا عَلَى بَصَائِرِكُمْ، وَلْتَصْدُقْ نِيَّاتُكُمْ فِي جِهَادِ عَدُوِّكُمْ. فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنِّي لَعَلَى جَادَّةِ الْحَقِّ، وَإِنَّهُمْ لَعَلَى مَزَلَّةِ الْبَاطِلِ. أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ!»[1].

فيقول عليه السلام إني أحق بها في حياته وبعد وفاته وكل مدعي لها (الخلافة) فهو كإذ ب على ان تلك الأحقية لم تأتِ اعتباطاً بل بالتفاني العقائدي الذي يدل عليه احداث التاريخ سواء في إطاعة الله ورسوله في الإحكام والأوامر أو في التضحيات الجهادية التي قدمها في الوقت الذي تنكص فيه الإبطال بل انه كان ملازماً للرسول (صلى الله عليه وآله) حتى ساعات وفاته أي بمعنى ان إطاعته للرسول (صلى الله عليه وآله) وتضحياته لم تكن من أجل غرض مادي دنيوي زعامة أو ملك بدليل انه كان يجهز الرسول (صلى الله عليه وآله) في الوقت الذي اجتمع فيه الناس لنيل ذلك فمن أحق بالخلافة، الذي هدفه الدين والعقيدة لا غير؟ أو أصحاب المنافع؟ فإنه عليه السلام أحق بها كما وثق له؛ لأن غرضه عقائدي صرف، توفي رسول الله وكانت الملائكة أعوانه في تغسيل الرسول (صلى الله عليه وآله) ملك يصعد وملك يهبط حتى ازدحمت الدار بالملائكة ما فارق سمعه أصواتهم الخفية وهذا الإسناد الثالث لأحقيته بالخلافة وهو تأييده و سماعه ورؤيته الملائكة، كانت وفاة الرسول

(١) نهج البلاغة، ص٤٦٨- ٤٦٩ .

الله (ﷺ) في حجره (وهذا القول ينفي من نسبت له هذه الفضيلة (السيدة عائشة) وسالت روحه في كفه وهذا دليل آخر على أحقيته بالخلافة موثقا بأنه من أولياء الله بدليل رؤيته الروح فمررها عليه السلام على وجهه تبركاً بها[١].

ويرى قسم آخر من الشارحين ان المقصود بروحه ونفسه، الدم لأن الرسول (ﷺ) قاء وقت وفاته دماً وأن علياً عليه السلام مسح به وجهه[٢]، أما الخوئي فيرى ان المقصود روحه الناطقة القدسية التي هي مبدأ الذكر والفكر والحلم والنباهة فيكون محصلة الكلام ان روحه (قل الروح من أمر ربي) (ونفخت فيه من روحي) لما فارقت جسده الطاهر فاضت بيده فمسح بها على وجهه[٣] وهو قريب من الرأي الأول لكن مع توسع في الشرح أما الرأي الثاني، فبعيد عن السياق وقد أجاد الخوئي في التوسع في شرحه ونقضه.

ويمكن القول وفق ما تقدم:

١- هدف الإمام عليه السلام من التوثيق بيان أن مؤهلاته للخلافة انه على طريق الرسول (ﷺ) ومن ثم ان الأمر الذي يترتب عليه أولويته بمقام النبوة.

٢- استعمل الإمام عليه السلام مصدر الشاهد الروائي أو الشاهد العلمي وهم المستحفظون حفظة الشريعة والسنة[٤] لتقرير كلامه بصورة قطعية لوجود ذلك المصدر العلمي.

---

(١) كيذري بيهقي، حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة، ٢/ ١٥٢- ١٥٤؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٣/ ٢٦٠- ٢٦٢؛ دخيل، شرح نهج البلاغة، ٢١- ٢٢/ ٨- ١٠ .

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٠/ ١٨٢- ١٨٣؛ ابن ميثم البحراني، إختيار مصباح السالكين (المتوسط)، ص٣٧٠؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٣/ ٣٩٣؛ عبده، نهج البلاغة، ٢/ ١٩٧؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٣/ ١٨٩ .

(٣) حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ١٢/ ٢٤٠- ٢٤٢ .

(٤) كيذري بيهقي، حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة، ٢/ ١٥٢ .

٣- قول الإمام ﷺ إني لم أرد على الله ورسوله قط يعني ان هناك من كان يرد ويحاجج الله ورسوله[١] فتقدم الإمام ﷺ بهذه الفضيلة.

(١) ففي الحديبية لما كتب كتاب الصلح أتى عمر للرسول (ﷺ) قائلًا له ألسنا على الحق وهم على الباطل أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار قال بلى فقال عمر للرسول (ﷺ) ففيم نعطي الدنية في ديننا ونرجع فقال الرسول (ﷺ) له يا ابن الخطاب إني رسول الله ولن يضيعني أبدا فرجع وهو غاضب ولم يصبر حتى استشار ابا بكر فقال له انه رسول الله (ﷺ) ولن يضيعه أبدا، أحمد بن حنبل، مسند احمد، ٣/ ٤٨٦؛ مسلم الحاكم النيسابوري، صحيح مسلم، ٥/ ١٧٥ كما ان قول الله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ) الحجرات/ ٢ نزلت في الخليفة الأول والثاني بعد قدوم وفد من بني تميم على الرسول (ﷺ) يسألونه ان يؤمّر عليهم رجلاً منهم فتشاجرا وارتفعت أصواتهما بعد أن اختلاف في الشخص الذي سيؤمّره الرسول (ﷺ) فنزلت هذه الآية، البخاري، صحيح البخاري، ٦/ ٤٦ .

المبحث الثاني

توثيق الأبعاد التعليلية للأحداث السياسية وانعكاساتها على الواقع

إن تعامل الإمام ﷺ مع ثلاثة من أكبر الأحداث التاريخية وهو مقتل عثمان وحرب الجمل والتحكيم ليس من جانب عسكري بل تعامل سياسي من منطق التعليل لتلك الإحداث قائم على أساس إيصال وتصحيح الأفكار تجاه تلك الأحداث التاريخية السياسية بالتوثيق، التي كان بعضها ونقصد حرب الجمل بالذات قائمة على أساس استهجان المجتمع واستنكاره فارضة نفسها بما امتلكته من مقومات ولا سيما في المناطق التي كانت بعيدة مغيبة عن ثورة الأحداث لكن الإمام ﷺ وثق للإطار المحدد الذي تدور في نطاقه تلك الأحداث وسلبياته على الواقع ودورانها في حلقة بعيدة عن الثوابت الدينية أو يمكن ان نطلق عليها منطق الإصلاح الإجتماعي البعيد عن المصلحة الذاتية.

يعد فكر الإمام ﷺ العلمي والعصرنة للحدث رافداً حقيقيا لإسناد إبعاده (الحدث) وإرجاعه إلى قواعده وثوابته الحقيقية التي قام على أساسها ونقض إطار القداسة والهيبة المتخذ في الشكل الخارجي فتوثيق الإمام ﷺ قائم دائماً على هذه النقطة الحساسة وهي جذر الحدث والدافع منه الذي لا يمكن التفريط أو الإستخفاف به إذ نصل إلى ان هذه الأحداث جميعها مستبدلة بأهداف تخالف حقيقتها وواقعها.

ومن خلال استقراء الأحداث التاريخية السياسية في نهج البلاغة يمكن الوصول إلى ما ياتي:-

١- قراءة الحدث من خلال جانبين فقط وهو الجانب العلمي وجانب المشاهدة وحضور الحدث مما يبعد التشتت كما هو الحال عند قراءة الحدث من المصادر الأخرى.

٢- هناك مسألة جداً مهمة نصل إليها وهي ان تعامل الإمام ﷺ مع جميع هذه الإحداث من جانب عقائدي لحفظ الدين ومصلحة الأمه لا غير.

١- توثيق الأبعاد الموضوعية للحدث التاريخي:

لعل من أهم الأحداث التي تنطبق عليها هذه المسألة وهذا النوع من التوثيق هي حادثة مقتل عثمان وحرب الجمل، إذ ان مقتل عثمان وحرب الجمل هما عنوانان لموضوع واحد وسيتم التوثيق لهذين المنطلقين لفهم سير الحدث التاريخي وتطوره، ومعطياته السلبية منذ ذلك الوقت وحتى الآن.

وكان للإمام ﷺ دور في إشاعة وترسيخ الأفكار الموضوعية عن هذا الحدث التاريخي وتفسير الواقع تفسيراً محايداً؛ لأن الإمام ﷺ كان على علم أنها ستؤدي إلى عواقب إجتماعية وسياسية خطيرة لذلك وثق للحقيقة المطلقة بالنسبة لهذين الحدثين إذ نجد في النص الفكرة وأداة التوثيق ويثبت أو يبين سبب التوثيق، ومن هذا المنطلق يوثق الإمام ﷺ لسير الحدث بكل أبعاده منذ البداية وهو خلافة عثمان والثورة إلى النتيجة التي آلت إليها، ولم يكن هناك تسلسل في النصوص عن هذه الأحداث بل متناثرة هنا وهناك من النهج، ومن هنا جاء ليوثق من خلال النصوص ليرسم صورة حقيقية لبداية الحدث من منطلق الواقع.

يقول ﷺ: وقد شكا إليه الناس ما نقموه على عثمان وسألوه مخاطبته لهم فقال ﷺ له: («**فَاعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ عِبَادِ اللهِ عِنْدَ اللهِ إِمَامٌ عَادِلٌ، هُدِيَ وَهَدَى، فَأَقَامَ سُنَّةً مَعْلُومَةً، وَأَمَاتَ بِدْعَةً مَجْهُولَةً [منزوكه]. وَإِنَّ السُّنَنَ [السير] لَنَيِّرَةٌ، لَهَا أَعْلَامٌ، وَإِنَّ**

الْبِدَعَ لَظَاهِرَةٌ، لَهَا أَعْلَامٌ. وَإِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ إِمَامٌ جَائِرٌ ضَلَّ وَضُلَّ بِهِ، فَأَمَاتَ سُنَّةً مَأْخُوذَةً [معلومة]، وَأَحْيَا بِدْعَةً مَتْرُوكَةً. وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -صلى الله عليه وآله- يَقُولُ: «يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْإِمَامِ الْجَائِرِ وَلَيْسَ مَعَهُ نَصِيرٌ وَلَا عَاذِرٌ، فَيُلْقَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيَدُورُ فِيهَا كَمَا تَدُورُ الرَّحَى، ثُمَّ يُرْتَبَطُ [يرتبك] فِي قَعْرِهَا»[1]. **وَإِنِّي أَنْشُدُكَ اللهَ أَنْ تَكُونَ إِمَامَ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمَقْتُولَ، فَإِنَّهُ كَانَ يُقَالُ: يُقْتَلُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ إِمَامٌ يَفْتَحُ عَلَيْهَا الْقَتْلَ وَالْقِتَالَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَيَلْبِسُ أُمُورَهَا عَلَيْهَا، وَيَبُثُّ الْفِتَنَ فِيهَا، فَلَا يُبْصِرُونَ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ؛ يَمُوجُونَ فِيهَا مَوْجاً، وَيَمْرُجُونَ فِيهَا مَرْجاً. فَلَا تَكُونَنَّ لِمَرْوَانَ سَيِّقَةً يَسُوقُكَ إذ شَاءَ بَعْدَ جَلَالِ السِّنِّ وَتَقَضِّي الْعُمُرِ». فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ: كَلِّمِ النَّاسَ فِي أَنْ يُوَجِّلُونِي، حَتَّى أَخْرُجَ إِلَيْهِمْ مِنْ مَظَالِمِهِمْ، فَقَالَ عليه السلام: «مَا كَانَ بِالْمَدِينَةِ فَلَا أَجَلَ فِيهِ، وَمَا غَابَ فَأَجَلُهُ وُصُولُ أَمْرِكَ إِلَيْهِ»**[2].

من خلال هذا النص يوثق الإمام عليه السلام لقضية تربوية وعظ وإرشاد وتحذير الخليفة لكي لا يكون إماماً جائراً ضل ويُضل به وتزويده بالحصانة الواقعية من الإنحراف موثقاً عن الغرض من ذلك الوعظ والتحذير كي لا يكون إماماً جائراً أولاً: وفق قاعدة عامة موثقة بحديث للرسول (صلى الله عليه وآله) إن الإمام الجائر يؤتى به يوم القيامة ويلقى في نار جهنم فيدور فيها ثم يرتبط في القعر لأنه من أشد الناس جرما فيكون من أشد الناس عذابا الأمر الثاني بتحذيره ألا يكون جائراً لكي لا يشمل بذلك الأمه إذ لا تقع الأضرار على المستوى الشخصي للخليفة وهذا الكلام لم يأتِ اعتباطاً بل وفق حديث له أبعاد مستقبلية للرسول (صلى الله عليه وآله)

---

(١) ورد في كتب الحديث بألفاظ أخرى، في قول الرسول (صلى الله عليه وآله) (ان أحب الناس إلى الله عز وجل يوم القيامة وأقربهم منه مجلسا إمام عادل وإن ابغض الناس إلى الله يوم القيامة وأشده عذابا إمام جائر)، أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ٣/ ٢٢؛ الترمذي، سنن الترمذي، ٢/ ٣٩٤

(٢) نهج البلاغة، ٣٤٤- ٣٤٥ .

أيضا وهو تحذيره من الاستمرار على الجور سيؤدي إلى قتله ويضل بذلك الأمة واستمرارية الضرر إذ يفتح القتل والقتال إلى يوم القيامة نتيجة سلوكه اللامشروع فتلتبس الأمور على الأمه فلا يبصرون الحق من الباطل لأن هناك من يستغل الحدث وفي الوقت نفسه بعد النصح والتحذير أرشده لمعالجة الأسباب لتجنب ذلك، وهي أن لا يعطي زمام الأمور بيد مروان يوجههُ إذ يشاء وان يباشر مظالم الناس ويرد كل ذي حق حقه فمن كان في المدينة فلا تأخير في أجله والبعيد أجله وصول الأمر إليه[1].

النتيجة التي نصل إليها من خلال التوثيق في النص ان عثمان كان خليفة جائراً وإلا فما معنى نصح الإمام ﷺ لو لم يكن كذلك ووثق الإمام ﷺ لضرر ذلك على المستوى الشخصي للخليفة وعلى المستوى الإجتماعي للأمة، ومما تقدم نستنتج أيضا:

١- توثيق الإمام ﷺ لترسيخ مبدأ أن الأمام الجائر أو الحاكم الجائر يكون مصيره قعر نار جهنم.

٢- حدد الإمام بدقة من خلال التوثيق الصورة المستقبلية للحدث بحدوث الفتنة فلا يبصر الحق من الباطل.

٣- نستنتج من ذلك النص أيضا كبر سن الخليفة وان مروانا كان مسيطراً عليه فكان من أقوى الأسباب المسببة للثورة عليه ومقتله[2].

(١) حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٢/ ٤٦٢- ٤٦٣؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٣/ ٧٢-٧٣.

(٢) ابن ميثم البحراني، إختيار مصباح السالكين (المتوسط)، ص ٣٤٥؛ حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ١٠/ ٣٦.

٤- نستنتج من ذلك التوثيق كذلك أن الإمام ﷺ وعظ وأرشد الخليفة وأعطاه التوصيات التي تسهم في بناء وتغيير سلوكه كل ذلك من أجل الحرص على جماعة ووحدة المسلمين.

من التوثيق نصل إلى أن عملية وعظه وإرشاده للخليفة لم يقابلها عملية تغيير، فأصبحت عبثاً كالبناء بدون قاعدة على الرغم من عواصف الأحداث من حوله. وفي الوقت نفسه يستغل مكانة الإمام ﷺ في تهدئة الثوار،ونستدل على ذلك من خلال قوله ﷺ إلى عبد الله بن عباس وقد جاءه برسالة من عثمان وهو محصور يسأله الخروج إلى ماله بينبع[1] ليقل هتف الناس باسمه للخلافة بعد أن سأله من قبل فقال: «**يَا بْنَ عَبَّاسٍ، مَا يُرِيدُ عُثْمَانُ إِلَّا أَنْ يَجْعَلَنِي جَمَلًا نَاضِحاً بِالْغَرْبِ؛ أُقْبِلُ وَأُدْبِرُ: بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أَقْدَمَ، ثُمَّ هُوَالْآنَ يَبْعَثُ إِلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ! وَاللهِ لَقَدْ دَفَعْتُ عَنْهُ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ آثِماً**»[2] .

من خلال هذا الشاهد يريد الإمام ﷺ ان يوثق حين سأله عثمان أن يخرج بأنه دفع عن عثمان حتى خشي لكثرة المدافعة أن يكون آثماً في ذلك والسبب في ذلك ان عثمان يريد أن يجعل من الإمام كالجمل الناضح الذي يستفاد منه في السقي التي لها حرية الحركة وليست حرية الإختيار وجه الشبه الإستفادة لأنه بعث إليه، أخرج لتهدئ الثوار ثم بعث إليه أن يقدم وهو الآن يبعث للإمام بالخروج[3].

(١) ينبع: وهي بين مكة والمدينة سميت بذلك لكثرة الينابيع فيها تقع على اليمين من رضوى على سبع مراحل من المدينة وهي قرية غنية واديها يصب في غيقة، كان يسكنها الأنصار وجهينة وليث وبها وقوف لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) يتولاها ولده (الإمام الحسن عليه السلام)، الحموي، معجم البلدان، ٥/ ٤٤٩- ٤٥٠؛ .

(٢) نهج البلاغة، ص ٥٤٣ .

(٣) كيذري بيهقي، حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة، ٢/ ٣٦٥ ؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٣/ ٤٢١؛ دخيل، شرح نهج البلاغة، ٢٣- ٢٤/ ٩١.

فما أراد الإمام ﷺ أن يصل إليه من خلال التوثيق ان مدافعته عن عثمان بالخروج ثم الرجوع قد يحصل بها الإثم لاستفادة عثمان من ذلك ولا يقابله أي عمل من جانبه لحل المشكلة، ومن الصيغة الموثقة في تعبير الإمام ﷺ أمكن الخروج بعدة نقاط:

١- ذكر بعض الشارحين أن قول الإمام ﷺ دفعت عن عثمان حتى خشيت أن أكون آثماً تحتمل وجوه أحدها دفع عن عثمان بلسانه بالشتم وضرب بسيفه حتى خشي أن يكون آثماً لأنه قد ضرب من لا يستحق[١] لكن ما توصلنا إليه بالتوثيق أولاً أنه دفع عن عثمان وخشي الإثم لأنه يبعث إليه بالخروج فيخرج ثم يبعث إليه بالرجوع فيرجع فهذه عملية خروج الإمام ورجوعه هي دفع الضرر عن عثمان وقد يحصل من وراء ذلك الإثم؛ لأن الثوار على حق وثانياً انه ليس من أخلاقيات الإمام ﷺ ضرب وشتم أصحاب الحق.

٢- النتيجة التي نصل إليها من خلال التوثيق لحقيقة يجب التسليم بها ان الخليفة كان عاجزاً أو متعاجزاً عن ان يحدث التغيير ويقوم بتهدئة الثوار بل كان معتمداً ومستفيداً من مكانة الإمام ﷺ في نفوسهم.

٣- من خلال التوثيق نتعرف على الجانب الزراع إذ كان يتم السقي بواسطة الجمال وكان لها اسم خاص بها وهي النواضح بالغرب[٢].

---

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٣/ ٢٩٧؛ ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة (الكبير)، ٤/ ٣٢٣؛ حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ١٦/ ١٨٤، الخوئي، الدرة النجفية، ص ٢٩٤؛ الخطيب، مصادر نهج البلاغة وأسانيده، ٣/ ١٧٨؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٣/ ٣٦٨؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٤/ ١١٢.

(٢) الناضح جمل يستقى عليه الماء للقرى وجمعه النواضح، ألفراهيدي، العين، ٣/ ١٠٦، والغرب دلو تتخذ من جلد ثور، ابن منظور، لسان العرب، ١/ ٦٤٢ فالناضح بالغرب أي بالدلو.

٤- نستدل أيضا أن دور الإمام ﷺ مثل دور الوسيط من أجل إيجاد الحلول السلمية وإنهاء المشكلة بأقل الخسائر.

ويمكن ان نزيد الأمور إيضاحا لسير الحدث التاريخي وذلك بدراسة العناصر التي يمكن الخروج بها بالتوثيق من كلامه ﷺ والواقع الذي شهد تحولاً كبيراً جعل من أحدهما قاتلاً والآخر مقتولاً وهنا نسأل هل أن المسؤولية تقع على قاتليه؟ لكن معطيات التوثيق تدل على أن الطرفين كانا ضحية ذلك الواقع وعبر ﷺ عن هذا بالقول: «**لَوْ أَمَرْتُ بِهِ لَكُنْتُ قَاتِلًا، أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ لَكُنْتُ نَاصِراً، غَيْرَ أَنَّ مَنْ نَصَرَهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ: خَذَلَهُ مَنْ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ، وَمَنْ خَذَلَهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ: نَصَرَهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي. وَأَنَا جَامِعٌ لَكُمْ أَمْرَهُ، اسْتَأْثَرَ فَأَسَاءَ الْأَثَرَةَ، وَجَزِعْتُمْ فَأَسَأْتُمُ الْجَزَعَ، وَلله حُكْمٌ وَاقِعٌ فِي الْمُسْتَأْثِرِ وَالْجَازِعِ**»[1].

فالإمام ﷺ يقول أنه لو أمر به لكان هو القاتل وأن نهى عنه لكان ناصراً والغرض من ذلك القول ليس معناه ان الإمام ﷺ هو من قتل عثمان أو انه نصره بل ان السبب في ذلك موثق له بتوثيق سياسي ومؤطر من جانب الحاكم والمحكومين إذ أن عثمان أو الحاكم استأثر أي استبد فأساء الأثرة فلا يمكن أن يكون الإمام ﷺ ناصراً له والمجتمع جزع من استبداده فأساء الجزع لأنه قتله وكان يكون جزاؤه عما إذ نب ليس القتل بل الحبس أو العزل[2].

ومن ثم لا يمكن للإمام ﷺ ان يكون قاتل له فلم تكن هناك عملية توازن بين الأمرين فالمسؤولية تقع على الإثنين بالنتيجة من نصره لا يستطيع ترجيح نفسه على قاتليه لأن نصره لا يوجب مدح للناصر لأنه أستأثر كما تقدم ومن خذله لا

(١) نهج البلاغة، ص ٧٧.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٢/ ١٢٨- ١٢٩.

يتلهف على خذلانه. واستدل الشارحون من ذلك على أن الخإذ لين أحسن من الناصرين[1] ولكن هناك التفاتة من الراوندي في القول أن المعنى ليس خيرهما من خذلانهما إياه ولا نصرتهما إياه[2] وهذا يؤيد ما ذهبنا إليه من قول الإمام ﷺ بأنه لم ينصره ولم يخذله، مما تقدم نصل إلى ما يأتي:

١- إن الإمام ﷺ كان يمتاز برؤية شاملة للموقف ومعالجة حكيمة لا يجامل في الحق لذلك وثق انه لم يكن ناصراً عثمان ولم يكن خإذ له وربما قائل يقول هذا يخالف ماورد من ان الإمام ﷺ دافع عن عثمان هو وولديه[3]، يمكن القول ان هذا بمعنى المدافعة لحفظ نظام المسلمين وليس مناصرة عثمان شخصياً.

٢- إن الإمام ﷺ عندما يضع الحجر الأساس في موقفة من الحدث ينطلق من منطلقين من منطلق السلطة التي استبدت ومن منطلق الواقع الإجتماعي الذي جزع.

٣- من خلال ألتوثيق الذي تقدم نصل إلى برنامج مكون من عدة أفكار في الجانب السياسي بأن للسلطة دوراً في تطور حالة المجتمع بوصوله إلى آخر مرحلة وهي الثورة، وفي الجانب العلمي تنبيه إلى أهمية استعمال العقل إذ أن الطيش يجعل من العمل سلبياً بدل أن يكون إيجابياً، وفي الجانب الديني ان الحاكم يحاسب لعدم استعماله العدل والمجتمع أيضا يحاسب لأنه أساء في الحكم.

(١) الموسوي، شرح نهج البلاغة، ١/ ٢٤٨؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ١/ ١٦٥- ١٦٦؛ جرداق، روائع نهج البلاغة، ص ٩٣؛ القزويني، شرح نهج البلاغة، ٢/ ٢٢٠- ٢٢١؛ عبده، نهج البلاغة، ١/ ٧٢؛ دخيل، شرح نهج البلاغة، ٣/ ٤٥- ٤٦؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ١/ ٢٠٥- ٢٠٦؛ الخراساني، مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة، ٥/ ٤٨٩- ٤٩٠.

(٢) الراوندي، مناهج البراعة في شرح نهج البلاغة، ١/ ٢٢٥.

(٣) البلاذ ري، أنساب الأشراف، ٥/ ٥٥٨؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ٢/ ٣٤٤- ٣٤٥.

وفضلاً عن أنه ﷺ قد أدان الحاكم والمجتمع فإنه وضع يده على الحقيقة للذين استغلوا الحدث وفند اتخإذ هم ذلك كسبب في الشكل الظاهري، فقد يكون السبب المباشر في بعض الأحيان عامل مساعد على كشف البواطن وهذا المعنى بالذات الذي طرحه الإمام ﷺ ولم يكتفِ بالطرح بل موثقاً له قال ﷺ حين بلغه خبر الناكثين: «**أَلَا وَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ ذَمَّرَ حِزْبَهُ، وَاسْتَجْلَبَ جَلَبَهُ، لِيَعُودَ الْجَوْرُ إِلَى أَوْطَانِهِ، وَيَرْجِعَ الْبَاطِلُ إِلَى نِصَابِهِ**»[1].

قبل الخوض في التوثيق للنص المتقدم لابد في البداية معرفة من هو الشيطان؟ ومن هم حزبه الذين ذمرهم واستجلبهم؟ ويمكن القول ان المقصود بالشيطان معاوية بن أبي سفيان لاسيما أنه ﷺ ذكر ذلك في موضع آخر من نهج البلاغة وبشكل صريح في كتابه إلى زياد بن أبيه حين أراد معاوية إستلحاقه بالنسب قال له ﷺ: «**وَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَيْك... فَاحْذَرْهُ، فَإِنَّمَا هُوَالشَّيْطَان**»[2].

وحزبه الذين ذمرهم أي حثهم وشجعهم هم الناكثون مستغلاً الطموح السياسي لديهم فقد بدأ يعزف على وتر الخلافة فكتب (بسم الله الرحمن الرحيم- لعبد الله الزبير أمير المؤمنين، من معاوية بن أبي سفيان، سلام عليك أما بعد فإني قد بايعت لك أهل الشام، فأجابوا و استوسقوا كما يستوسق الجلب، فدونك الكوفة و البصرة لا يسبقك إليها ابن أبي طالب، فإنه لا شيء بعد هذين المصرين، و قد بايعت لطلحة بن عبيد الله من بعدك، فأظهرا الطلب بدم عثمان و ادعوا الناس إلى ذلك...)[3]، فمعاوية قد خدع هؤلاء بهذا الأمر مستغلاً حب الرئاسة والطموح لديهم.

---

(١) نهج البلاغة، ص ٦٠.

(٢) نهج البلاغة، ص ٦٢٩- ٦٣٠.

(٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١/ ٢٣١؛ ألمجلسي، بحار الأنوار، ٣٢/ ٥- ٦؛ ألأميني، الغدير، ١٠/ ٣٢٧.

ومن ثم ان الإمام (عليه السلام) يوثق لحقيقة من خلال النص أن حرب الجمل كانت بتخطيط من معاوية إذ يوثق أنه هو الذي ذمرهم وحثهم وشجعهم وجلبهم من مكان لمكان و السبب الذي جعل معاوية يخطط لذلك موثق له وفق الحقيقة الواقعية لمعاوية لأنه يريد الإعادة إلى الحالة التي كانت عليها قبل مبعث الرسول (صلى الله عليه وآله) أي إعادة الجاهلية.

واخفق الشارحون في بيان القسم الأول من التوثيق إذ تقوقعوا في أن المقصد من كلامه هو أصحاب الجمل وان الشيطان هو الذي حثهم وشجعهم وهذا صحيح ولكن لم يذهبوا إلى أبعد من ذلك لبيان أن معاوية هو الشيطان الذي يقصده الإمام (عليه السلام) إما الجانب الثاني من الكلام فاتفقوا فيه انه ذمرهم وحثهم لأنه يريد الإعادة إلى الحالة التي كانت قبل مبعث الرسول (صلى الله عليه وآله) والرجوع إلى شرك الجاهلية ليعود الجور ممتزج بالعدل[1]، ومما طرح نصل إلى ما يأتي:

١- ان ما مر يدفعنا إلى الإعتقاد لا بل التسليم أن بني أمية خططوا لكيفية الإستفادة من مقتل الخليفة فوثق الإمام (عليه السلام) الغرض من ذلك لإعادة الجاهلية الأولى.

٢- إن الشيطان جلب جلبة من بلد إلى بلد فالمقتول في المدينة لماذا حدثت المظاهرات في البصرة، لكن ما توصلنا إليه بالتوثيق ان الغرض إعادة الجاهلية ومن ثم ان المدينة أو مكة لم تكن المكان المناسب لإعادة الجاهلية لكن البصرة تأسست وفق ثقافة الخلفاء فهي الأنسب .

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١/ ٣٠٤؛ شارح من القرن الثامن، شرح نهج البلاغة، ص ٢٧٥؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ١/ ١٦٢، الخراساني، مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة، ٥/ ٧- ٨؛ القزويني، شرح نهج البلاغة، ٢/ ٨٢- ٨٣؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ١/ ١٨٩؛ الخطيب، مصادر نهج البلاغة، ١/ ٣٩٠؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ١/ ١٢٥- ١٢٦، علي أنصاريان، شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار، ١/ ١٠٨؛ دخيل، شرح نهج البلاغة، ٣/ ١٥؛ عبده، نهج البلاغة، ١/ ٥٥.

٣- صحيح أن بوادر التحرك والتخطيط من الأمويين لكن منطلق التمرد كان من جهة أصحاب الجمل .

وكما أوضحنا سابقاً ان معاوية وجد في أصحاب الجمل منفذاً ينفذ منه لتحقيق مأربه فاستغل حبهم للسلطة والرئاسة ونجد مصداق ذلك في موضع من نهج البلاغة إذ يوثق الإمام عليه السلام لهذا المعنى وعبر عن ذلك بالقول: «**إِنَّ هَـؤُلَاءِ قَدْ تَمَالَؤُوا عَلَى سَخْطَةِ إِمَارَتِي، وَسَأَصْبِرُ مَا لَمْ أَخَفْ عَلَى جَمَاعَتِكُمْ؛ فَإِنَّهُمْ إِنْ تَمَّمُوا عَلَى فَيَالَةِ هَذَا الرَّأْيِ انْقَطَعَ نِظَامُ الْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّمَا طَلَبُوا هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَداً لِمَنْ أَفَاءَهَا اللهُ عَلَيْهِ، فَأَرَادُوا رَدَّ الْأُمُورِ عَلَى أَدْبَارِهَا. وَلَكُمْ عَلَيْنَا الْعَمَلُ بِكِتَابِ اللهِ تَعَالَى وَسِيرَةِ رَسُولِ اللهِ -صلى الله عليه وآله- وَالْقِيَامُ بِحَقِّهِ، وَالنَّعْشُ لِسُنَّتِهِ**»[1]، ويلاحظ في هذا المقام أن الإمام عليه السلام وثق لسبب خروج أصحاب الجمل وسبب اتفاقهم على سخط إمارة الإمام عليه السلام وكرهها ولم يكتفِ الإمام عليه السلام إلى الإشارة إلى ذلك دون عضد وتأكيد وتوثيق وبيان سبب ذلك منطلق من منطلق الفكر الجاهلي المنصب على الذات والمصالح .

إن سبب سخط هؤلاء إمارة الإمام عليه السلام وإعلانهم الحرب لأنهم أرادوا رد الأمور على أدبارها أي إرجاع الإسلام إلى جاهلية تتحكم فيه الكبرياء والحسد وطمع السلطة[2] ويرى قسم آخر من الشارحين أنهم أرادوا بذلك من رد الأمور على إدبارها انتزاع الخلافة من بني هاشم كما انتزعت أول مرة[3] وهذا الرأي يترجم ما ذكرناه من منطلق جاهلي وحب الرئاسة والسلطة لديهم ووضح الإمام عليه السلام أن موقفه من ذلك

(١) نهج البلاغة، ص ٣٦٢ .

(٢) حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٣/ ٣٣- ٣٤.

(٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٩/ ٢٩٨؛ ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة(الكبير)، ٣/ ٣٢٥- ٣٢٦؛حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ١٠/ ١١٠- ١١١؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٣/ ١٠٧؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٢/ ٤٩٦.

في البداية الصبر وتجاهلهم لكن إن استمروا على ضعف الرأي أي من الخطأ والجهالة سيقع الضرر على المجتمع إذ يفرقون جماعة المسلمين من ثم سيعمل بهم ويسير بهم بذلك على وفق كتاب الله وسنة رسول الله (ﷺ) وإحياء سنته[١] .

وفي المعنى نفسه تقريبا يقول (عليه السلام): «**فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالْأَمْرِ نَكَثَتْ طَائِفَةٌ، وَمَرَقَتْ أُخْرَى وَقَسَطَ آخَرُونَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا اللهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلا فَساداً وَالْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٢] بَلَى! وَاللهِ لَقَدْ سَمِعُوهَا وَوَعَوْهَا، وَلَكِنَّهُمْ حَلِيَتِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِهِمْ، وَرَاقَهُمْ زِبْرِجُهَا!**»[٣].

إن هذا النص يجمع ويضم جميع الأحداث فيه تقريباً (الناكثون والقاسطون والمارقون) بأن لها النتيجة نفسها، فالتوثيق في القول ان أصحاب الجمل الفئة الناكثة قد خرجوا من أجل هدف مادي من أجل الدنيا إذ حليت لهم وليس من أجل الإصلاح على أن هذا الكلام ليس ضرباً أو اعتباطاً بل موثقاً له بدليل قرآني في الآية القرآنية بأن الدار الآخرة جعلت للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فساداً، ومن ثم ان خروجهم لغرض دنيوي وليس من أجل إصلاح بدليل الآية القرآنية التي تثبت ذلك فهم ممن سمع الآية ووعوها ولكنهم استهوتهم سلطة الملك والرياسة وغرتهم الزعامة[٤].

نجد أن الإمام (عليه السلام) ركز في ما تقدم على أن احد أسباب خروجهم من أجل السلطة لذلك وثق لهذا السبب في أكثر من مناسبة ولكن بشكل مختلف وبصيغة

---

(١) بيهقي خراساني، معارج نهج البلاغة، ص ٢٨٥؛ كيذري بيهقي، حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة، ٢/ ٥٩.

(٢) القصص / ٨٣.

(٣) نهج البلاغة، ص٣٧- ٣٨.

(٤) الموسوي، شرح نهج البلاغة، ١/ ١١٧.

مباشرة وغير مباشرة ولعلنا نجد هناك توثيقاً بشكل غير مباشر مجسداً ذلك وبشكل عملي ومفلسفاً خروجهم، تجلت هذه المفاهيم بقوله لطلحة والزبير بعد بيعته بالخلافة وقد عتبا عليه لترك مشورتهما والإستعانة في الأمور بهما قال عليه السلام «**لَقَدْ نَقَمْتُمَا يَسِيراً، وَأَرْجَأْتُمَا كَثِيراً. أَلَا تُخْبِرَانِي، أَيُّ شَيْءٍ كَانَ لَكُمَا فِيهِ حَقٌّ دَفَعْتُكُمَا عَنْهُ؟ أَمْ أَيُّ قِسْمٍ اسْتَأْثَرْتُ عَلَيْكُمَا بِهِ؟ أَمْ أَيُّ حَقٍّ رَفَعَهُ إِلَيَّ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ضَعُفْتُ عَنْهُ، أَمْ جَهِلْتُهُ، أَمْ أَخْطَأْتُ بَابَهُ؟! وَاللهِ مَا كَانَتْ لِي فِي الْخِلَافَةِ رَغْبَةٌ، وَلَا فِي الْوِلَايَةِ إِرْبَةٌ، وَلَكِنَّكُمْ دَعَوْتُمُونِي إِلَيْهَا، وَحَمَلْتُمُونِي عَلَيْهَا، فَلَمَّا أَفْضَتْ إِلَيَّ نَظَرْتُ إِلَى كِتَابِ اللهِ وَمَا وَضَعَ لَنَا، وَأَمَرَنَا بِالْحُكْمِ بِهِ فَاتَّبَعْتُهُ، وَمَا اسْتَنَّ النَّبِيُّ، صلى الله عليه وآله وسلم فَاقْتَدَيْتُهُ، فَلَمْ أَحْتَجْ فِي ذَلِكَ إِلَى رَأْيِكُمَا، وَلَا رَأْيِ غَيْرِكُمَا، وَلَا وَقَعَ حُكْمٌ جَهِلْتُهُ، فَأَسْتَشِيرَكُمَا وَإِخْوَانِي الْمُسْلِمِينَ؛ وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ لَمْ أَرْغَبْ عَنْكُمَا، وَلَا عَنْ غَيْرِكُمَا. وَأَمَّا مَا ذَكَرْتُمَا مِنْ أَمْرِ الْأُسْوَةِ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ لَمْ أَحْكُمْ أَنَا فِيهِ بِرَأْيِي، وَلَا وَلِيتُهُ هَوًى مِنِّي، بَلْ وَجَدْتُ أَنَا وَأَنْتُمَا مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وآله وسلم- قَدْ فُرِغَ مِنْهُ، فَلَمْ أَحْتَجْ إِلَيْكُمَا فِيمَا قَدْ فَرَغَ اللهُ مِنْ قَسْمِهِ، وَأَمْضَى فِيهِ حُكْمَهُ، فَلَيْسَ لَكُمَا، وَاللهِ، عِنْدِي وَلَا لِغَيْرِكُمَا فِي هَذَا عُتْبَى. أَخَذَ اللهُ بِقُلُوبِنَا وَقُلُوبِكُمْ إِلَى الْحَقِّ، وَأَلْهَمَنَا وَإِيَّاكُمُ الصَّبْرَ**»[1].

التوثيق هنا يتمثل في قول الإمام عليه السلام انه لم يستشر أحداً خلال خلافته ومنهم طلحة والزبير اللذان عتبا عليه لتركه مشورتهما ومساواتهما بالعطاء مع غيرهما وليس معنى ذلك إعتداد الإمام عليه السلام برأيه واستئثاره بالسلطة بل ان سبب ذلك يوثق له الإمام عليه السلام وفق مبدأ عملي وهو ان عمله كان يستمده من كتاب الله وما سنه النبي (صلى الله عليه وآله) فليست هناك حاجة بعد الكتاب والسنة إلى رأي آخر، فضلاً عن

(١) نهج البلاغة، ص ٤٨٤- ٤٨٥.

العلم الذي كان عند الإمام ﷺ فلم يقع حكم جهله ليستشير به أحداً ولو حصل ذلك لكانا أحد المشاورين[١].

الأمر الآخر الذي يوثق له الإمام ﷺ وهو المساواة في العطاء وعتب طلحة والزبير على الإمام ﷺ لمساواتهما بغيرهما الذي أدى إلى إحداث ضجة ولا يعني ان ذلك الأمر حكم خاص من الإمام ﷺ ورأي منه، بل أثبت الإمام ﷺ ذلك عقائدياً ليسند به كلامه ان ذلك العمل عمل الرسول (ﷺ) في المساواة في العطاء وهو ثابت في الشريعة لا يحتاج إلى رأي آخر وفلسفة في ذلك ولا يحتاج اجتهاد. إن الفكرة التي يريد إيصالها الإمام ﷺ من خلال التوثيق ان عمله كان مستمداً من الكتاب وألسنة فأدى ذلك إلى حدوث خلل كبير لدى كثير لتغيير ما عهدوه وتعودوا عليه سابقاً فنقموا لأمر يسير في نظر الإمام ﷺ لأنه الحق[٢]، ويمكن الوصول من التوثيق بأن عمل الإمام ﷺ قائم ومستند وفق قوانين وتشريعات إلهية طبقها النبي ثم عمل بها هو فليس هناك مبرر للإحتجاج ويمكن أن يستفاد من النص بعدة نقاط:

١- ان الإمام علي ﷺ أراد ان يوثق للإشكال الذي طرحه طلحة والزبير من أجل الحصول على منصب كمستشارين له وتفضيلهم على غيرهم في العطاء.

٢- يوثق الإمام ﷺ أن فلسفته في الحكم كانت وفق الكتاب والسير بسنة رسول الله (ﷺ).

---

(١) الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٣/ ٤٤٧.

(٢) الراوندي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٢/ ٣٢٥- ٣٢٦؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١١/ ٨- ١٠؛ ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة(الكبير)، ٤/ ١١- ١٢؛ الخوئي، الدرة النجفية، ص ٢٣٤؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٣/ ٢٩٥- ٢٩٧؛ ألتستري، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، ٩/ ٥٤٥- ٥٤٨.

٣- نستدل من خلال التوثيق حالة التميز الطبقي التي كان عليها المجتمع من بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله) فلما ساوى الإمام (عليه السلام) بهم أدى إلى أثارة المنتفعين.

٤- نستفيد من ذلك كمادة تاريخية تدل على الحالة الإقتصادية والسياسة المالية التي كان عليها الخلفاء وتداولها بينهم بدل من توزيعها بالتساوي.

٥- ديناميكية النص الموثقة إذ يستفاد منه في عدة أوجه، منها ابتعاد الخلفاء عن سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، كما انه توعية وتثقيف في الجانب السياسي للحاكم بالسير وفق الكتاب والسنة فما وجد فيهما لا يحتاج بذلك إلى مشورة احد فيما هو مثبت لا يحتاج إلى تأويل.

٦- النزعة السياسية التي كانت عند طلحة والزبير وحبهما للسلطة والإمتيازات كانت أحدى عوامل الخروج في حرب الجمل.

ان الحدث التاريخي بتولي الإمام (عليه السلام) الخلافة كان له آثاره، وشعور بعضهم بالسلبية والتهميش فاستغل موت الخليفة وسيلة لإعادة المكتسبات، نجد أن الإمام (عليه السلام) يوثق لهذا المعنى في نهج البلاغة الذي يحقق لنا مصدراً عن ملامح وطبيعة سير الحدث يقول (عليه السلام): «**كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَرْجُو الْأَمْرَ لَهُ، وَيَعْطِفُهُ عَلَيْهِ دُونَ صَاحِبِهِ، لَا يَمُتَّانِ إِلَى اللهِ بِحَبْلٍ، وَلَا يَمُدَّانِ إِلَيْهِ بِسَبَبٍ. كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَامِلُ ضَبٍّ لِصَاحِبِهِ، وَعَمَّا قَلِيلٍ يَكْشِفُ قِنَاعَهُ بِهِ! وَاللهِ لَئِنْ أَصَابُوا الَّذِي يُرِيدُونَ لَيَنْتَزِعَنَّ هَذَا نَفْسَ هَذَا، وَلَيَأْتِيَنَّ هَذَا عَلَى هَذَا. قَدْ قَامَتِ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ، فَأَيْنَ الْمُحْتَسِبُونَ! فَقَدْ سُنَّتْ لَهُمُ السُّنَنُ، وَقُدِّمَ لَهُمُ الْخَبَرُ[الخبر]. وَلِكُلِّ ضَلَّةٍ عِلَّةٌ، وَلِكُلِّ نَاكِثٍ شُبْهَةٌ. وَاللهِ لَا أَكُونُ كَمُسْتَمِعِ اللَّدْمِ، يَسْمَعُ النَّاعِيَ، وَيَحْضُرُ الْبَاكِي ثُمّ لَا يَعْتَبِرُ!**»[1].

الأمر الذي يريد أن يصل إليه الإمام (عليه السلام) من خلال التوثيق في النص المتقدم هو

(١) نهج البلاغة، ص ٣٠٠- ٣٠١.

بيان علة ضلال أصحاب الجمل لاسيما طلحة والزبير إذ يريد ان يصل لفكرة لكل ضلة علة ولكل ناكث ينكث البيعة ويخون العهد شبهه يتخذها، ويسند الإمام (عليه السلام) ما يريد توثيقه بدليل واقعي وفق النزعة السياسية لديهم لتولي الخلافة فمحاربتهم ليس من أجل الدين بل من أجل الدنيا كل منهم يريد الخلافة ويحاول انتزاعها من صاحبة ولا سبب بينهم وبين الله من الإيمان للمطالبة بدم عثمان وما جمعتهم إلا المصلحة إذ كل منهم حامل ضب لصاحبة[1]، والضب الغيظ والحقد[2] إي ان كلًا منهم يحمل في طياته وداخله الحسد والحقد لصاحبه لأن كل واحد منهم يريد الخلافة دون صاحبه فإن تحقق مطلبهم سيقتل كلاً منهم الآخر وسينكشف عند ذلك القناع.

ان الهدف الذي وصل إليه الإمام (عليه السلام) من التوثيق هو بان ضلة وشبهه هؤلاء وكشف سبب نكثهم البيعة هو من أجل السلطة وليس للطلب بدم عثمان، وهذه الشبهة التي اتخذوها وانطوت على كثير فأين المحتسبون الذين قدم لهم الخبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) بخروج هذه الفئة الباغية وبذلك نبه (عليه السلام) على الخبر ليبين من على الحق ومن على الباطل، أما موقفه ليس موقف المتفرج كمستمع اللدم أي كالضبع التي تتميز بالجبن[3] يسمع الناعي لأصحابه دون ان يكون له دور في التغيير والإنكار[4]، ان ما تقدم يتجسد فيما يأتي:

---

(١) الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٢/ ٤٥٢.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ١/ ٥٤٠.

(٣) حميد سراج جابر، الفكر الاختباري، ٢٩٩- ٣٠٠.

(٤) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٩/ ١٠٩- ١١٠؛ ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة، ٣/ ٢٠٥- ٢٠٧؛ الخوئي، الدرة النجفية، ص ١٨١؛ حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٩/ ١٠٧- ١٠٩؛ عبده، نهج البلاغة، ٢/ ٤٤؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٢/ ٣٤٦- ٣٤٧؛ الموسوي شرح نهج البلاغة، ٢/ ٤٥٢- ٤٥٣؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة،٢/ ٣٥١- ٣٥٣.

١- من خلال التوثيق يريد الإمام عليه السلام ان يوصل فكرة ان أصحاب الجمل اتخذوا من مقتل عثمان ذريعة للخروج عليه، وهذه شبهة أو دعاية إعلامية انطوت على الكثير لأنهم في الحقيقة ما خرجوا إلا من أجل الذات والمصالح ولنيل الخلافة.

٢- بالتوثيق نصل أيضا إلى الجانب الديني المتزعزع الذي كان عليه أصحاب الجمل إذ اتخذوا من المطالبة بدم الخليفة المقتول ذريعة لتحقيق رغباتهم.

٣- الأمراض النفسية التي مني بها أصحاب الجمل من الحقد والحسد والتنازع فيما بينهم[١] إلى درجة تصل بهم ان يقتل أحدهم الآخر.

وعند استكمال استقراء كلام الإمام عليه السلام فيما يخص هذا الحدث التاريخي نجد انه أراد ان يصل من خلال التوثيق إلى حقائق أخرى فضلاً عن ما توصل إليه ان خروجهم من اجل نيل الخلافة يصل بنا أنهم من المشاركين في دم عثمان، يقول عليه السلام بشأن طلحة بن عبيد الله: «**قَدْ كُنْتُ وَمَا أُهَدَّدُ بِالْحَرْبِ، وَلَا أُرَهَّبُ بِالضَّرْبِ؛ وَأَنَا عَلَى مَا قَدْ وَعَدَنِي رَبِّي مِنَ النَّصْرِ. وَاللهِ مَا اسْتَعْجَلَ مُتَجَرِّداً لِلطَّلَبِ بِدَمِ عُثْمَانَ إِلَّا خَوْفاً مِنْ أَنْ يُطَالَبَ بِدَمِهِ؛ لِأَنَّهُ مَظِنَّتُهُ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْقَوْمِ أَحْرَصُ عَلَيْهِ مِنْهُ، فَأَرَادَ أَنْ يُغَالِطَ بِمَا أَجْلَبَ فِيهِ لِيَلْتَبِسَ [يلبس] الْأَمْرُ وَيَقَعَ الشَّكُّ. وَوَاللهِ مَا صَنَعَ فِي أَمْرِ عُثْمَانَ وَاحِدَةً مِنْ ثَلَاثٍ: لَئِنْ كَانَ ابْنُ عَفَّانَ ظَالِماً- كَمَا كَانَ يَزْعُمُ- لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُوَازِرَ قَاتِلِيهِ، أَوْ يُنَابِذَ نَاصِرِيهِ، وَلَئِنْ كَانَ مَظْلُوماً لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ**

(١) ونجد مصداق ما اخبر به الإمام (عليه السلام) من التنازع فيما بينهم لما دخلوا البصرة وإذ ن مؤذن الصلاة لصلاة الغداة أراد طلحة ان يتقدم الصلاة فدفعه الزبير فما زالا يتدافعان حتى كادت الشمس تطلع فنادى أهل البصرة « الله الله يا أصحاب رسول الله في الصلاة نخاف فوتها» إلى ان قدمت عائشة أم المؤمنين ابن أختها عبد الله بن الزبير؛ المفيد، وقعة الجمل، ص ١٥٢؛ المدني، وقعة الجمل، ص ٤٠.

يَكُونَ مِنَ الْمُنْهَنِهِينَ عَنْهُ، وَالْمُعْذِرِينَ فِيهِ وَلَئِنْ كَانَ فِي شَكٍّ مِنَ الْخُصْلَتَيْنِ، لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَعْتَزِلَهُ وَيَرْكُدَ [يركب] جَانِباً، وَيَدَعَ النَّاسَ مَعَهُ، فَمَا فَعَلَ وَاحِدَةً مِنَ الثَّلَاثِ، وَجَاءَ بِأَمْرٍ لَمْ يُعْرَفْ بَابُهُ، وَلَمْ تَسْلَمْ مَعَاذِيرُهُ»[1].

يوثق الإمام عليه السلام من خلال هذا النص سبب استعجال طلحة للطلب بدم عثمان فلم تكن هذا السرعة طبيعية بل يخفي وراء ذلك أمراً، ويسند الإمام عليه السلام ذلك التوثيق بعدة أدلة الدليل الأول علمي نفسي (ان صح ذلك) وهو ان المبادرة السريعة ما هي إلا لإخفاء الحقائق لأنه يكون محل شك أو ظن فيبعد عنه الشك، الدليل الثاني يسند عليه السلام به ذلك التوثيق بحادثة تاريخية قريبة على الحدث وهي ان طلحة كان من أحرص الناس على قتل عثمان إذ كان يحرض على ذلك[2] وبين

(١) نهج البلاغة، ص ٣٦٩- ٣٧٠.

(٢) من خلال ما مر في النص من توثيق الإمام (عليه السلام) من ان طلحة بن عبيد الله كان من أكثر الناس حرصا على قتل الخليفة نجد ذلك له صدى في العديد من المصادر وبروايات مختلفة لها النتيجة نفسها منها ما ذكره الطبري من أن طلحة كان يحرض الناس على عثمان فقال علي (عليه السلام) له «أنشدك الله ألا رددت الناس عن عثمان قال لا والله حتى تعطي بنو أمية الحق من أنفسها»؛ تاريخ الطبري، ٣/ ٤٣٣؛ وينظر أيضا ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣/ ١٨٣؛ ومنها ما ذكره ابن شيبة أخذ علي بيد الأشتر وانطلق به حتى أتى طلحة فقال له ان أهل مصر يسمعون منك ويطيعونك فأنهم عن قتل عثمان فقال « ما استطيع دفع دم أراد الله إهراقه « فاخذ علي بيد الأشتر وانصرف وهو يقول «بئس ما ظن ابن الحضرمية ان يقتل ابن عمي ويغلبني على ملكي بئس ما أرى»؛ المصنف، ٨/ ٦٩٤؛ بل انه شدد عليه في الحصار ومنع ان يدخل عليه الماء، فأرسل إلى علي يقول له «ان فلانا يعني طلحة قد قتلني بالعطش، والقتل بالسلاح أجمل من القتل بالعطش» فخرج إليه علي وهو متوكئ على يد المسور بن مخرمة حتى دخل عليه وهو يترامى بالنبل فقال له ان عثمان قد أرسل لي إنكم قد قتلتموه بالعطش وذلك ليس بحسن و انا أحب ان تدخل عليه الماء فقال «لا والله ولا نعمة عين لا نتركه يأكل ولا يشرب»؛ ابن شبه، تاريخ المدينة، ٤/ ١٢٠٢؛ وينظر البلاذري، أنساب الأشراف، ٥/ ٥٨٢؛ ومر مجمع بن جارية الأنصاري بطلحة بن عبيد الله «فقال: يا مجمع ما فعل صاحبك؟ قال:أظنكم والله قاتليه فقال طلحة: فإن قتل فلا ملك مقرب ولا نبي مرسل؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ٥/ ٥٦٥.

الشك والحقيقة استعجل للطلب بدم الخليفة ليغالط الناس وليحدث الإلتباس ويسقط الشك عنه، الدليل الثالث ما صنع في أمر عثمان هو واحد من ثلاثة فإن كان ظالما كان من المفترض ان يؤازر قاتليه ويعادي من ينصره وان كان مظلوماً كما يدعي الآن كان ينبغي أن يكون من الناهين عن قتله وينهى عن الثورة، وان كان شاكاً لا يعلم أهو ظالم أم مظلوم كان ينبغي ان يسكن ويدع الناس ما تفعل، لكنه لم يفعل أياً من هذه الخصال وجاء بأعذار واهية من التحريض ونكث البيعة ليبعد عنه ألشبهة بالقتل والتحريض بالتدليس والتضليل[1].

النتيجة التي أراد الإمام ﷺ ان يصل إليها وأسندها بالدلائل العلمية التاريخية ان طلحة أحد المشاركين في دم عثمان وما كان خروجه إلا لإبعاد الشك عنه.

على الرغم إننا نتعامل مع العموميات والحوادث البارزة خلال التوثيق إلا أن هناك جزئيات وتفاصيل موثقة ترد في النص في غاية الأهمية قد تكون أكثر أهمية من العموميات منها ماورد في هذا النص وما أراد الإمام ﷺ ان يصل إليه بعد ان هدد بالحرب من أصحاب الجمل فكان رده انه لا يهدد بالحرب ولا يرهب بالضرب، ولم يأتِ كلام الإمام ﷺ ذلك مجرداً من غير دليل أو معتمداً على قوته و شجاعته البدنية فقط أو ما يمتلك من عسكر بل يوثق لذلك مهما هدد بالحرب فإن الله قد وعده النصر، يعني ان الشجاعة الجسمية والنصرة المعنوية كلتاهما

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٠/ ٤- ٩؛ ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة (الكبير)، ٣/ ٣٤٥-٣٤٦؛ حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ١٠/ ١٧٤- ١٧٥؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٣/ ٥١- ٥٣؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٢/ ٥١٨- ٥١٩؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٣/ ١٢٩- ١٣٠؛ دخيل، شرح نهج البلاغة، ١٥- ١٦/ ٨١- ٨٢؛ ألتستري، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، ٩/ ٣٣٨- ٣٤٢.

متوفرة فليهدد من يهدد وليرهب من يرهب لأنه على الحق وإنهم على الباطل[1].

بذلك نصل إلى نتيجة من هذا التوثيق ان التأييد الإلهي كان حاضراً في معركة الجمل أولاً وثانياً يطلعنا على حقيقة وهي ان أصحاب الجمل كانوا يهددون الإمام عليه السلام وكل من يهدد ويرفع صوته دائما هو على غير الحق، ونجد مصداق ذلك في قول الإمام عليه السلام: «**وَقَدْ أَرْعَدُوا وَأَبْرَقُوا، وَمَعَ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ الْفَشَلُ، وَلَسْنَا نُرْعِدُ حَتَّى نُوقِعَ، وَلَا نُسِيلُ حَتَّى نُمْطِرَ**»[2] فالتهديد والتوعد نتيجتهما الفشل الذريع لأن الغالب من الجبناء الجلبة والضوضاء والغالب من الشجعان الصمت والسكون[3].

وفضلاً عن هذه الأدانه الموثقة بالأدلة فيما يخص طلحة بن عبيد الله فالإمام عليه السلام أهتم أيضا بالتوثيق فيما يخص بقية أصحاب الجمل، يقول عليه السلام: «**وَاللهِ مَا أَنْكَرُوا عَلَيَّ مُنْكَراً، وَلَا جَعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ نَصِفاً. وَإِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقّاً هُمْ تَرَكُوهُ، وَدَماً هُمْ سَفَكُوهُ، فَلَئِنْ كُنْتُ شَرِيكَهُمْ فِيهِ فَإِنَّ لَهُمْ لَنَصِيبَهُمْ مِنْهُ، وَلَئِنْ كَانُوا وَلُوهُ دُونِي، فَمَا التَّبِعَةُ إِلَّا عِنْدَهُمْ، وَإِنَّ أَعْظَمَ حُجَّتِهِمْ لَعَلَى أَنْفُسِهِمْ، يَرْتَضِعُونَ أُمّاً قَدْ فَطَمَتْ، وَيُحْيُونَ بِدْعَةً قَدْ أُمِيتَتْ. يَا خَيْبَةَ الدَّاعِي! مَنْ دَعَا! وَإِلَامَ أُجِيبَ! وَإِنِّي لَرَاضٍ بِحُجَّةِ اللهِ عَلَيْهِمْ وَعِلْمِهِ فِيهِمْ. فَإِنْ أَبَوْا أَعْطَيْتُهُمْ حَدَّ السَّيْفِ وَكَفَى بِهِ شَافِياً مِنَ الْبَاطِلِ، وَنَاصِراً لِلْحَقِ!**»[4].

وهنا أراد الإمام عليه السلام ان يوثق أن لا حجة لهم بادعائهم بدم عثمان ولا يمكن ان يحكموا حكماً عادلاً منصفا بينهم، وهذا الكلام يرتبط بمفهوم علمي ولا يتعلق بالعشوائية من قريب أو بعيد فالتوثيق قائم على أسس منهجية إقناعية ثابتة بدليل أن

(١) حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٣/ ٥٠- ٥١.
(٢) نهج البلاغة، ص ٤٥.
(٣) الغروي، الأمثال والحكم المستخرجة من نهج البلاغة، ص ٣٧- ٣٨.
(٤) نهج البلاغة، ص ٦٠- ٦١.

لا قيمة لدعوى لا تستند إلى برهان صحيح فالحق هم تركوه أي أنهم تركوا عثمان حتى قتلوه ثم طالبوا به، ودم هم أيضاً سفكوه لأنهم كانوا يقولون نطلب بدم عثمان مظلوماً مع أنهم تركوه أيام محاصرته[1] وحرضوا على قتله[2] فكأنهم قد جعلوا من أنفسهم ميزاناً للحق حتى لا تتعرض أقوالهم وأفعالهم السابقة للنقد أو النظر.

ولمدى أهمية هذا الحدث فإن الإمام ﷺ ركز على الإتيان بأكثر من دليل وبرهان يسند به ما يريد توثيقه وابرز عناصر لتجسد الفكرة، منها فضلاً عن ما ذكر ومن اجل تمام للحجة وتقريرها بأنهم لا حجة لهم للمطالبة بدم عثمان وضح ذلك بتوثيق قضائي إذ الإشتراك في الجريمة تجعل الكل بمنزلة سواء

(١) الخراساني، مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة، ٥/ ١٦- ١٧.

(٢) كان أصحاب الجمل من أشد الناس تحريضاً على قتل عثمان فاستولى طلحة والزبير على الأمر ومنع من ان يدخل عليه الماء، البلاذري، أنساب الأشراف، ٥/ ٥٨٢؛ وكانت أم المؤمنين عائشة تشنع على عثمان وتحض عليه وتخرج راكبة بغلة رسول الله ومعها قميصه وتقول: (هذا قميص رسول الله صلى الله عليه -وآله-، ما بلى وقد بلى دينه، اقتلوا نعثلا، قتل الله نعثلا)؛ ابن مسكويه، تجارب الأمم، ١/ ٤٦٩؛ ثم طالبت بدمه وقالت قتل مظلوما فقال لها ابن أم كلاب (ولم فو الله إن أول من أمال حرفه لانت ولقد كنت تقولين اقتلوا نعثلا فقد كفر قالت إنهم استتابوه ثم قتلوه وقد قلت وقالوا وقولي الأخير خير من قولي الأول) فقال لها:

منك البداء ومنك الغير * ومنك الرياح ومنك المطر

وأنت أمرت بقتل الإمام * وقلت لنا إنه قد كفر

فهبنا أطعناك في قتله * وقاتله عندنا من أمر

ولم يسقط السقف من فوقنا * ولم ينكسف شمسنا والقمر

وقد بايع الناس ذا تدرإ * يزيل الشبا ويقيم الصعر

ويلبس للحرب أثوابها * وما من وفى مثل من قد غدر .

الطبري، تاريخ الطبري، ٣/ ٤٧٧؛ وتذكر المصادر انه فقط أعداؤه وشامتوه كان يسمونه نعثلا؛ ابن قتيبة، المعارف، ١٩٢ .

حساباً أم عقاباً على فرض ادعائهم أن الإمام ﷺ مشترك في دمه وان لم يكن شريكاً معهم فهم المدانون قد حكموا أنفسهم بأنفسهم فالحجة عليهم سواء بالاشتراك أم الإستقلال، كما عضد الإمام ﷺ التوثيق بدليل آخر وهو حجة الله عليهم وعلمه فيهم موثقاً بمعاني ألآيات ألقرآنية[١] وهي الحجة والعلم بقتال الفئة الباغية ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[٢]، وعدم وفاءهم بالعهد[٣] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾[٤].

النتيجة التي يريد ان يصل إليها الإمام ﷺ من خلال التوثيق ان حجتهم باطلة وان هذا الشعار الذي رفع شعار باطل، بل ان غرضهم الحقيقي هو أنهم (يرتضعون أمّا قد فطمت، و يحيون بدعة قد أميتت) أي يطلبان الخلافة بعد ان أدبرت عنهما وانعقدت للإمام ﷺ وإحياء البدع وسيرة عثمان في توزيع الأموال والمناصب وكان طلحة قد طلب من الإمام ﷺ الولاية على البصرة وطلب الزبير الولاية على الكوفة[٥].

---

(١) كيذري بيهقي، حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة، ١/ ٢٢١؛ ابن ميثم البحراني، إختيار مصباح السالكين (المتوسط)، ص١٢٠؛ شارح من القرن الثامن، شرح نهج البلاغة،ص ٢٧٦- ٢٧٧؛ الخوئي، الدرة النجفية، ص ٨٣؛ حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٣/ ٣١٠- ٣١١؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ١/ ١٦٢- ١٦٣؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ١٨٩،١- ١٩٠؛ القزويني، شرح نهج البلاغة، ٢/ ٨٤- ٨٦ .

(٢) الحجرات/ ٩.

(٣) مغنية، ي ظلال نهج البلاغة، ٢/ ١٦٣.

(٤) الفتح / ١٠.

(٥) مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٢/ ١٦٣؛ القزويني، شرح نهج البلاغة، ٢/ ٨٤- ٨٥؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ١/ ١٩٠.

وهناك رأي آخر من الشارحين ان الإمام ﷺ يقصد بذلك أنهم بذلك يريدون إعادة الجاهلية والبدع التي اندرست بظهور الإسلام[1] إذ كانوا أهل الجاهلية يثيرون الفتن بحجة المطالبة بالثأر[2]، وعليه يمكن الخروج بعدة نقاط حول التوثيق ببطلان حجية أصحاب الجمل:

١- أراد الإمام ﷺ من التوثيق إبراز حقيقة وهي ان حجة أصحاب الجمل بقتل عثمان باطلة موثقاً لذلك بدلائل لا تترك أي مجال للجدل .

٢- التوثيق بموضوعية وطرح الأدلة ليصل بذلك إلى نتيجة وهي أن المطالبة بدم عثمان هي دعاية إعلامية قام بها أشخاص لهم ثقلهم كانوا من قبل من أبرز المحرضين على قتل الخليفة.

٣- شمولية التوثيق وتقديم رؤية متكاملة فبعد ان أدان أصحاب الجمل بحجتهم الواهية لم يترك التوثيق بفراغ خطير أو إدانة من غير دليل بل قام بالتوعية والتثقيف ليصل ان هدفهم كان من أجل السلطة والحصول على الامتيازات.

(١) إن إعادة الجاهلية تعني الكفر ونجد مصداق ذلك القول حين جاء رجل إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) يوم الجمل فوقف بين يديه «فقال:يا أمير المؤمنين، كبر القوم وكبرنا، وهلل القوم وهللنا، وصلى القوم وصلينا،فعلى ما نقاتلهم؟ فقال أمير المؤمنين (عليه السلام) «على ما أنزل الله عز وجل في كتابه» فقال: يا أمير المؤمنين، ليس كل ما أنزل الله في كتابه أعلمه فعلمنيه. فقال علي (عليه السلام): «ما أنزل الله في سورة البقرة» فقال: يا أمير المؤمنين ليس كل ما أنزل الله في سورة البقرة أعلمه فعلمنيه . فقال علي (عليه السلام) «هذه الآية: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ البقرة/ ٢٥٣؛ فنحن الذين آمنا وهم الذين كفروا»؛ الطبرسي، الاحتجاج، ١/ ٢٤٨- ٢٤٩ ؛ ألمجلسي، بحار الأنوار، ٣٢/ ٢٠٢.

(٢) القزويني، شرح نهج البلاغة، ٢/ ٨٤- ٨٥؛ حسيني شيرازي، ١/ ١٢٧.

٤- قول الإمام عليه السلام «فإن أبوا أعطيتهم حدّ السّيف» نستنتج ان الحرب كانت آخر خيار للإمام عليه السلام ولا يوجد علاج شافٍ لهم سوى السيف للقضاء على الباطل.

ثم ركز عليه السلام في هذا المقام بالتوثيق لحقيقة أخرى، وهي ان خروجهم أو تهديدهم له بالبروز للرماح والسيوف لا يشكل أي معنى في نظر الإمام عليه السلام فلا يبالي بالحرب، قال عليه السلام «**وَمِنَ الْعَجَبِ بَعْثُهُمْ إِلَيَّ أَنْ أَبْرُزَ لِلطِّعَانِ! وَأَنْ أَصْبِرَ لِلْجِلَادِ! هَبِلَتْهُمُ الْهُبُولُ! لَقَدْ كُنْتُ وَمَا أُهَدَّدُ بِالْحَرْبِ، وَلَا أُرْهَبُ بِالضَّرْبِ! وَإِنِّي لَعَلَى يَقِينٍ مِنْ رَبِّي، وَغَيْرِ شُبْهَةٍ مِنْ دِينِي**»[1]، وهذا توثيق عقائدي وهو القوى الفاعلة والمحركة التي يمتلكها الإمام عليه السلام وهي العقيدة التي وصلت إلى درجة اليقين بالله وهو ثابت عليها، ولم تحصل له الشبهة في دينه[2] ومن ثم من يمتلك اليقين لا يبالي بالسيوف أو الرماح، مما تقدم نصل إلى:

١- وثق الإمام عليه السلام بهذه الصورة ليصل إلى نتيجة وهي ان مواجهة أصحاب الجمل كانت عن يقين من الإمام المعصوم ولم تحصل له شبهة في الدين.

٢- إن أصحاب الجمل كانوا منحرفين عن الحق ضالين عن الدين.

٣- نستنتج من خلال التوثيق أو نحصل على حقيقة مهمة وهي العمل بدون إيمان تجعل العمل فارغاً.

استعمل الإمام عليه السلام عبارة الفئة الباغية في الحديث عن أصحاب الجمل وهو

(١) نهج البلاغة، ص ٦١.

(٢) شارح من القرن الثامن، شرح نهج البلاغة، ص٢٧٧؛ حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٣/ ٣١١- ٣١٢؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ١/ ١٩١؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ١/ ١٦٤؛ الخراساني، مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة، ٥/ ٦ .

لموافقة المفهوم أو اللفظ القرآني يقول عليه السلام: «**وَإِنَّهَا لَلْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ [الناكثة] فِيهَا الْحَمَأَ وَالْحُمَةُ، وَالشُّبْهَةُ الْمُغْدِفَةُ؛ وَإِنَّ الْأَمْرَ لَوَاضِحٌ، وَقَدْ زَاحَ الْبَاطِلُ عَنْ نِصَابِهِ، وَانْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ شَغْبِهِ. وَايْمُ اللهِ لَأُفْرِطَنَّ لَهُمْ حَوْضاً أَنَا مَاتِحُهُ، لَا يَصْدُرُونَ عَنْهُ بِرِيٍّ، وَلَا يَعُبُّونَ بَعْدَهُ فِي حِسْيٍ!**»[1]، يوثق الإمام عليه السلام أنها جماعة باغية ظالمة، فلما يقول الإمام عليه السلام إنها فئة باغية معتدية ظالمة موثقاً لذلك أي من هي هذه الفئة؟ ولماذ ا هي باغية؟ وهذه الجماعة هي الحمأ والحمة أي فيها القرابة والنسابة، وانقسم الشارحون إلى ثلاثة أقسام في بيان ذلك:

الرأي الأول: يرى ان الإمام عليه السلام يقصد بالحمأ والحمة الضلال والفساد والغل والحسد[2].

الرأي الثاني: يرى أن الإمام عليه السلام يقصد مطلق القريب والنسيب، الحمة عائشة زوجة النبي (صلى الله عليه وآله) والحمأ طلحة ابن عم أبيها والزبير زوج أختها أسماء[3].

الرأي الثالث: ان الحمأ يعني الزبير إذ كان قريب النسب من الإمام عليه السلام والحمة الإبرة اللاسعة من العقرب ويعني بذلك زوجة الرسول (صلى الله عليه وآله) عائشة [4].

ونذهب إلى تأييد الرأي الثاني فكما قلنا ان الإمام عليه السلام يوثق أنها فئة معرفاً من هي هذه يبين ذلك من ناحية النسبية ان فيها قرابة ونسابة، ويوثق أيضاً أن هذه الفئة باغية أي ظالمة ولا يقصد الإمام عليه السلام أنها باغية لخروجها على الخليفة الشرعي

(١) نهج البلاغة، ص ٢٨٤.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٩/ ٣٤؛ ابن ميثم البحراني، إختيار مصباح السالكين (المتوسط)، ص ٢٩٦؛ علي أنصاريان، شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار، ٢/ ٣٦.

(٣) الراوندي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٢/ ٦١؛ ألتستري، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، ٩/ ٣٧٧.

(٤) حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٢/ ٣١٠؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٢/ ٤٠٦.

المنصوص علية فقط بل أنها فئة ظالمة موثقاً لذلك بدليل اتخاذ ها شبهة التي تظلم وجه الحق وتستر على الناس الدوافع الحقيقية من خروجهم وطلبهم بدم عثمان .

النتيجة التي يريد ان يصل لها الإمام ﷺ انه وثق للفئة الباغية من هم ولما هي باغية، أصبح هذا الأمر واضحاً من على الحق ومن على الباطل موضحاً في الوقت نفسه أنه لا يترك لهم حوض المنية لأنهم على باطل وهذا الحوض ليس كنفس الحياض التي يردها الظمآن ويروي عطشه بل ان الوارد إليه لا يشرب بعدها لهلاكه[١] فيقسم ﷺ وأيم الله لأفرطن لهم حوضاً أي إعداد لحرب عظيمة الضارب بالسيف انا والمعطي إياهم الطعن انا لا يخلص من خاض فيها ولشدتها لا يعود إليها من دخل فيها[٢]، ليس لحب الحرب بل لأنها كما وثق فئة باغية ظالمة.

ورب سائل يسأل لمإذ ا لم يتجنب الإمام ﷺ إراقة الدماء ويسلم أصحاب الجمل المناصب إذ كان خروجهم لهذا الغرض؟ لم يغب عن الإمام ﷺ التوثيق لذلك للرد على المتفلسفين، قال ﷺ «**فَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله صلّى اللهُ عَلَيْه وَآلِهِ وَإِنَّ الْقَتْلَ لَيَدُورُ عَلَى الْآباءِ وَالْأَبْنَاءِ وَالْإِخْوَانِ وَالْقَرَابَاتِ [الأقرباء] فَمَا نَزْدَادُ عَلَى كُلِّ مُصِيبَةٍ وَشِدَّةٍ إِلَّا إِيمَاناً، وَمُضِيّاً عَلَى الْحَقِّ، وَتَسْلِيماً لِلْأَمْرِ، وَصَبْراً عَلَى مَضَضِ الْجِرَاحِ. وَلَكِنَّا إِنَّمَا أَصْبَحْنَا نُقَاتِلُ إِخْوَانَنَا فِي الْإِسْلَامِ عَلَى مَا دَخَلَ فِيهِ مِنَ الزَّيْغِ وَالِاعْوِجَاجِ، وَالشُّبْهَةِ وَالتَّأْوِيل**»[٣].

(١) حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٨/ ٣٣٩- ٣٤٠.
(٢) شارح من القرن الثامن، شرح نهج البلاغة، ص١٥١.
(٣) نهج البلاغة، ص ٢٦١ - ٢٦٢.

صحيح ان الخطاب خاص كان موجهاً إلى الخوارج فظاهره عام يخص كل حرب قام بها أمير المؤمنين ﷺ ومنها حرب الجمل وبذلك يوثق الإمام ﷺ ان طبيعة الزمن أدى إلى حدوث التغيير فبعد إن كان الجهاد من أجل الدين إذ يدور القتل على الأب والابن وكيف ان فيوض النبي (ﷺ) طغت على المجتمع فخلق مجتمعاً يفكر فقط كيف يخدم الدين إذ ان قوة العقيدة ملكت شعورهم وعواطفهم تخطُ على أساسها صلة القربة والدم وما يزيد ذلك إلا إيمانا لكن ذلك تغير وأصبح القتال بين أهل القبلة فيما بينهم، وكان الغرض الأول من الجهاد مع النبي (ﷺ) من اجل إرساء الدين فإن الجهاد الثاني مع المعصوم من أجل بقاء الدين لما دخل فيه من الإنحراف والإلتواء وعدم الإستقامة والشبهة التي ضلل القوم على أساسها، ومن نتائج التوثيق أو ما أراد ان يصل إليه الإمام ﷺ ان حرب الجمل كانت من أجل الدين ولتصحيح ما دخل فيه من الإعوجاج[1] والشبهة وإلا لو ساير الإمام ﷺ أصحاب الجمل ولم تحدث الحرب لعادت الجاهلية.

وبخصوص الشارحون فقد قالوا ان هذا الخطاب يخص أهل الشام وما حدث من أمر التحكيم[2] واختلف عن ذلك الموسوي في القول ان المقصد من

(١) وربما نجد تلك الحقيقة حقيقة الإنحراف الذي أصبحت عليه ألسنة عند دخول الإمام (عليه السلام) الكوفة أمروه ان ينصب لهم أماماً ليصلي بهم ألنوافل جماعة فقال لهم أن الرسول (ﷺ) ينهي عن صلاة النوافل جماعة فصاحوا وا سنة عمراه، ألشيرازي، الأربعين، ص٥٦٢؛ الحر ألعاملي، وسائل الشيعة، ٥/ ١٩٢؛ ألمجلسي، بحار الأنوار، ٣٤/ ١٨١؛ النجفي، جواهر الكلام، ١٣/ ١٤١؛ بالتالي ان حرب الجمل كانت لتصحيح الإنحراف والإعوجاج الذي أصيب به الدين.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٧/ ٢٩٩؛ ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة(الكبير)، ٣/ ١٢٠؛ حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٨/ ١٤٧؛ ألتستري، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، ١٠/ ٣٧٩؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٢/ ٢٢٤- ٢٢٥.

الحروب التي وقعت بين أهل القبلة في الجمل وصفين[1]، ويمكن ان نخرج من ذلك التوثيق بعدة نقاط:

١- يوثق الإمام عليه السلام للمفهوم والكيفية للتغيير الذي طرأ على الجهاد.

٢- نستفيد من التوثيق في إطار الموضوع إن حروب الإمام عليه السلام كانت من أجل المحافظة على الدين من الزيغ والاعوجاج ولولا حرب الجمل لما عرفت السنة في قتال أهل القبلة[2] من ثم ان حرب الجمل كانت توعية وتثقيفاً للمجتمع على كيفية التعامل مع أهل التوحيد.

٣- من خلال النص الموثق يمكن ان نتعرف على الحالة الإيمانية أو مستوى العقيدة لدى المسلمين الأوائل إذ انعكست إيجابيا عليهم فاندفعوا في ميادين الجهاد يضحي ويقتل أقرب إليه الأب أو الابن في سبيل دينه.

٤- نستدل أيضا أن الإمام عليه السلام كان غرضه من التوثيق أن يصل إلى نتيجة لكن بصورة غير مباشرة أن حرب الجمل عالجت الإنحراف عن الإسلام الذي كان سائداً وثبتت العقيدة.

لقد وثق الإمام عليه السلام لهذا الحدث التاريخي بكل أبعاده إذ لم يدع مجالاً للمتقولين، والظاهر ان وجود مثل هؤلاء الصحابة وزوجة النبي (صلى الله عليه وآله) قد شكل ثقلاً في إذ هان بعضهم معتمداً على ثقل الأشخاص وليس الحق والباطل، يقول عليه السلام موثقاً لذلك المعنى في أحد حكمه (وَقِيلَ: إن الحارث بن حوط أتاه فقال: أتراني أظن أصحاب الجمل كانوا على ضلالة؟ فَقَالَ عليه السلام: «**يَا حَارِثُ، إِنَّكَ نَظَرْتَ**

(١) شرح نهج البلاغة، ٢/ ٢٣٦- ٢٣٧.

(٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢/ ٣٨٣؛ ابن العربي، العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد الرسول (صلى الله عليه وآله)، ص ١٩٤.

تَحْتَكَ وَلَمْ تَنْظُرْ فَوْقَكَ فَحُرْتَ! إِنَّكَ لَمْ تَعْرِفِ الْحَقَّ فَتَعْرِفَ مَنْ أَتَاهُ، وَلَمْ تَعْرِفِ الْبَاطِلَ فَتَعْرِفَ مَنْ أَتَاهُ [اباه]»، فقال الحارث: فإني أعتزل مع سعيد بن مالك وعبد الله بن عمر فقال: عليه السلام: «**إِنَّ سَعِيداً وَعَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ لَمْ يَنْصُرَا الْحَقَّ، وَلَمْ يَخْذُلَا الْبَاطِلَ**»[1].

يوثق الإمام عليه السلام ان هذا الشخص السائل لم يعرف الحق فيعرف أهله ولم يعرف الباطل فيعرف أهلة موثقاً لذلك بالدليل القاطع وهو جعل المقياس الأشخاص وليس الحق والباطل، ان النتيجة التي يريد أن يصل إليها الإمام عليه السلام ان الحق والباطل لا يقاس بعظمة الأفراد ومكانتهم وإن كان طلحة والزبير من صحابة النبي (صلى الله عليه وآله) وعائشة زوجة النبي (صلى الله عليه وآله) وأم المؤمنين لكن ذلك لا يعني أنهما على الحق لمجرد هذه المكانة وأنهم معصومان من الخطأ لهذه العظمة فلا ينظر على الأمور أو الحق والباطل من منظار ضيق وهو منظار الأشخاص بل من منظار أوسع وهو الحق من الباطل[2] ومما تقدم ما يلي:

١- من التوثيق نستنتج حالة الشك والريبة التي كان عليها المجتمع ولاسيما العراقي ففي طرف في نظرهم صحابة الرسول (صلى الله عليه وآله) وأهل الشورى وزوجة النبي (صلى الله عليه وآله) وأم المؤمنين وفي الطرف الآخر الخليفة الشرعي.

٢- يوثق الإسام عليه السلام أن رؤية هؤلاء كانت رؤية سطحية ضيقة لأن المقياس لديهم الأشخاص وليس الحق والباطل.

٣- التوعية والتثقيف للمجتمع موضحاً لهم فلسفة الحق والباطل من منطلقات جديدة تسير على ضوئها.

(١) نهج البلاغة، ص ٧٨٦- ٧٨٧.

(٢) حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٤/ ٣٩٢؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٥/ ٤٠٨- ٤٠٩؛ دخيل، شرح نهج البلاغة، ٣٥- ٣٦/ ٥٦ .

٤- على الصعيد التاريخي نستدل من النص أن هناك من اعتزال القتال الذين لهم ثقلهم أيضاً في نظر الناس مبرزاً الإمام عليه السلام المعطيات السلبية لذلك الإعتزال بأنهم لم ينصروا الحق ولم يخذلوا الباطل.

٥- صحيح التوثيق يخص الحدث التاريخي حرب الجمل لكن أظهر عالميته إذ يمكن الإستفادة من هذه الحكمة في كل زمان ومكان، كما أنه يسلح المؤرخ بسلاح يشكل منظومته الثقافية بأن لا يكون ضحية الخطاب التاريخي فليس من قال بل ما قال.

ثم انتقل الإمام عليه السلام إلى التوثيق إلى مرحلة أخرى هم المستفيدون من الحدث والقضاء على الدعاية الإعلامية التي روجوا لها وعلى رأسهم ومقدمتهم معاوية بن أبي سفيان، يقول عليه السلام وهو جواب لكتاب بعثة معاوية «**ثُمَّ ذَكَرْتَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِي وَأَمْرِ عُثْمَانَ، فَلَكَ أَنْ تُجَابَ عَنْ هَذِهِ لِرَحِمِكَ مِنْهُ، فَأَيُّنَا كَانَ أَعْدَى لَهُ، وَأَهْدَى إِلَى مَقَاتِلِهِ! أَمَنْ بَذَلَ لَهُ نُصْرَتَهُ فَاسْتَقْعَدَهُ وَاسْتَكَفَّهُ، أَمْ مَنِ اسْتَنْصَرَهُ فَتَرَاخَى عَنْهُ وَبَثَّ الْمَنُونَ إِلَيْهِ، حَتَّى أَتَى قَدَرُهُ عَلَيْهِ. كَلَّا وَاللهِ لَ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنا وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[1] وَمَا كُنْتُ لِأَعْتَذِرَ مِنْ أَنِّي كُنْتُ أَنْقِمُ عَلَيْهِ أَحْدَاثاً؛ فَإِنْ كَانَ الذَّنْبُ إِلَيْهِ إِرْشَادِي وَهِدَايَتِي لَهُ؛ فَرُبَّ مَلُومٍ لَا ذَنْبَ لَهُ.**

وَقَدْ يَسْتَفِيدُ الظَّنَّةَ الْمُتَنَصِّحُ

وَمَا أَرَدْتُ ﴿إِلَّا الْإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَما تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[2]»[3].

(١) الأحزاب/ ١٨.

(٢) هود/ ٨٨.

(٣) نهج البلاغة، ص ٥٨٥- ٥٨٦.

في البداية لابد من معرفة أن الإمام ﷺ لماذا أجاب ورد على معاوية، يوثق الإمام ﷺ لذلك رد على معاوية؛ لأن عثمان من رحمهِ أي من بني أمية ومن ثم يصح الجدال معه[١] فهو أقرب الناس له وأعلم به وان ما إتخذه من حجه لمطالبة الإمام ﷺ وهي دم عثمان مجرد دعاية له نوايا من ورائها.

أما الدور الأموي من الأحداث من خلال النص يوثق الإمام ﷺ ان معاوية مشترك في دم عثمان وهو الذي كان له دور في تقريب ريب المنون أي الموت إلى أن أتى قدرة وتراخى عن نصرته، موثقاً الإمام ﷺ لذلك أي عندما يقول الإمام ﷺ بأنه هو الذي كان له دور في التعجيل بقتله أو تقريب قتله موثقاً بآية قرآنية تسند ما يوثق له الإمام ﷺ تقف عند حقيقة الوقائع التاريخية وتبين ما يريد الإمام ﷺ توثيقه وهي ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنا وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[٢]، والمعوقون وهم المنافقون الذين يثبطون الناس عن القتال وهم أيضاً في الوقت ذاته لا يحضرون الحرب الإ قليل[٣] وهذه الفئة اعتزلت حرب الأحزاب ودعوا الآخرين إلى الإعتزال أيضاً[٤].

ان ما يريد ان يصل إليه الإمام ﷺ من التوثيق بالآية ان عثمان طلب من معاوية النجدة لكنه ماطل وعوق وثبط عن نصرته حتى قتل[٥] وكان يمتلك من

(١) جرداق، روائع نهج البلاغة، ص ١١٤؛ عبده، نهج البلاغة، ٣/ ٣٨.
(٢) الأحزاب / ١٨ .
(٣) الطباطبائي، الميزان، ١٦/ ٢٨٧- ٢٨٨.
(٤) مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ١٣/ ١٩١.
(٥) ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة، ٤/ ٤٤٤؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٤/ ٣٢- ٣٣؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٤/ ٢٣٨؛ دخيل، شرح نهج البلاغة، ٢٥- ٢٦/ ٩٩- ١٠٠؛ عبده، نهج البلاغة، ٣/ ٣٨- ٣٩؛ علي أنصاريان، شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار، ٣/ ٨٧؛ الخطيب، مصادر نهج البلاغة وأسانيده؛ ٣/ ٢٦٠.

القوة ما يرد القتل عن عثمان، وقرع الإمام ﷺ معاوية بالحجة فلا يحق له حتى القول بدم الخليفة وليس الطلب به.

وفي المقابل نجد في النص موقف الإمام ﷺ إذ يوثق الإمام ﷺ لذلك بأنة كان ينقم بعض الأحداث السيئة على عثمان وبالغ في النصيحة له وأتهم إذ أنكروا عليه ولا يعرفون حجته لكن يستفيد الناصح من التهمة موثقاً لغرض من ذلك أي التوثيق لمبالغته في النصيحة لعثمان بدليل قرآني ﴿إِلَّا الْإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَما تَوْفِيقِي إِلَّا بِالله عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيب﴾[1]، فموقفة من عثمان ونصيحته له هو من أجل الإصلاح بقدر استطاعته[2]، ان ما يريد ان يصل إليه الإمام ﷺ من التوثيق بعد ان اتهمه معاوية بدم عثمان انه كان يريد قتل عثمان لأنه استنصره ولم ينصره في المقابل ان الإمام ﷺ كان ينصحه وينصره ومن ثم ان معاوية كان يريد قتل الخليفة والإمام ﷺ كان يصلح الخليفة. يمكن الخروج بعدة نقاط مما تقدم:

١- أورد الإمام ﷺ معلومات تتعلق باستنجاد الخليفة بمعاوية وتخإذ له عن نصرته موثقه بمصدر قرآني.

٢- رسم الإمام ﷺ بالتوثيق لإستراتيجية معاوية في التعامل مع الحدث والتكيف مع طبيعة الظرف إذ وظفه ليكون في خدمته.

٣- الغرض من الخطاب الموثق توعية وتثقيف في ذلك الوقت وإلى يومنا للقضاء على الإعلام الفاسد الذي روج له معاوية ومن باب ألزموهم بما ألزموا به أنفسهم.

---

(١) هود/ ٨٨ .

(٢) ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة (الكبير)، ٤/ ٤٤٤- ٤٤٥.

٤- ان تخإذ ل معاوية ثم المطالبة بدم عثمان يدل على أن المسألة مبرمجة ومقصودة وليست عشوائية.

وفي الوقت ذاته يوثق الإمام عليه السلام عن غرض معاوية من الطلب بدم عثمان، يقول عليه السلام في كتابه إلى معاوية: «**وَقَدْ أَكْثَرْتَ فِي قَتَلَةِ عُثْمَانَ، فَادْخُلْ فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ، ثُمَّ حَاكِمِ الْقَوْمَ إِلَيَّ، أَحْمِلْكَ وَإِيَّاهُمْ عَلَى كِتَابِ اللهِ تَعَالَى. وَأَمَّا تِلْكَ الَّتِي تُرِيدُ فَإِنَّهَا خُدْعَةُ الصَّبِيِّ عَنِ اللَّبَنِ فِي أَوَّلِ الْفِصَالِ**»[1]، ان معاوية رفع شعار الطلب بدم عثمان قبل ان يدخل في البيعة موثقاً الإمام عليه السلام لذلك أي ما الذي دفع معاوية إلى رفع هذا الشعار؟موثقاً لذلك وفق المبدأ الواقعي أو الحقيقية الواقعية التي كان عليه معاوية من المكر والخداع كخدع الصبي في أول الفصال إذ رفع شعار الطلب بدم عثمان من أجل ولاية الشام فهو لم يكن همهُ تحقيق مضمون ذلك الشعار والوصول إليه بقدر رفض البيعة والتمرد، ومن ثم فهو رفع هذا الشعار الباطل ليتمرد ويبقى على ولاية الشام[2].

ان التوثيق في النصوص لاسيما مع معاوية كانت من باب خاطبوهم على قدر عقولهم لذلك نلحظ ان الإمام عليه السلام مرة يوثق له مبرزاً له لغة المكر والخداع التي يتمثل بها ومرة يقضي على ما يروج له، نجد هذا المعنى الأخير في جواب الذي بعثة له يقول عليه السلام: «**وَذَكَرْتَ أَنِّي قَتَلْتُ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ، وَشَرَّدْتُ بِعَائِشَةَ، وَنَزَلْتُ بَيْنَ الْمِصْرَيْنِ! وَذَلِكَ أَمْرٌ غِبْتَ عَنْهُ فَلَا عَلَيْكَ، وَلَا الْعُذْرُ فِيهِ إِلَيْكَ**»[3].

(١) نهج البلاغة، ص ٦٩٧.

(٢) الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٥/ ١٤٨؛ دخيل، شرح نهج البلاغة، ٣١- ٣٢/ ٣٩- ٤٠؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٤/ ٢٢٨؛ عبده، نهج البلاغة، ٣/ ١٣٦؛ الخطيب، مصادر نهج البلاغة وأسانيده، ٣/ ٤٤٢.

(٣) نهج البلاغة، ص ٦٩٥.

بدأ معاوية يحرف الحدث ليستفيد من ذلك، إذ تلاعب بمضامين الحادثة وقال ان الإمام عليه السلام قتل طلحة والزبير وأهان السيدة عائشة ولم يحترم حرمتها، لذلك يوثق الإمام عليه السلام ان هذا تكليفه ليس عليه بدليل انه غاب عن الأمر أي معركة الجمل[1]، فزعمه قتل طلحة والزبير أمر غاب هو عنه ولو حضره لعلمه[2] وليس ان يدعي أمر هو غاب عن معرفة تفاصيل حقيقته. ومما تقدم يمكن ان نستدل على:

١- أن معاوية البعيد عن مجريات الحدث بدأ يتلاعب بالرواية أثناء نقلها إلى عامة المسلمين البعيدين عن الحدث أيضا من أجل الحصول على مكاسب سياسية.

٢- غرض معاوية من ذلك التحريف تأجيج الرأي العام إذ استفاد مما حدث في معركة الجمل في فتح أبواب وآفاق جديدة في استيعاب الأنصار لمواجهة الإمام علي عليه السلام.

٢- الأبعاد التعليلية في التوثيق:

طرح الإمام عليه السلام توثيقاته المتعددة بمختلف الصور وبشكل يتناغم مع نوعية الحدث، ولعل إطارها العام يفصح عن الأبعاد التعليلية غير ان هناك صوراً تختلف فيها تلك الأبعاد أكثر من غيرها وأصبحت مترجمة لذلك التوثيق ومنها قضية التحكيم إذ ان هذا الموضوع لا يقل شأناً عما سبق وهو أيضاً من المواضيع التي سلط عليها الضوء في النهج، ومن خلال دراسة النصوص الموثقة يمكن

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٧/ ٢٥٣- ٢٥٤؛ ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة، ٥/ ٢٠٩؛ حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٢٠/ ٣٧٣؛ الخوئي، الدرة النجفية، ٣٤٧ .

(٢) الميرجهاني، مصباح البلاغة مستدرك نهج البلاغة، ٤/ ١٧٠.

أن نفهم أن هناك مقاصد مدروسة لذلك التحكيم آخذين بنظر الإعتبار طبيعة المجتمع الذي لم يكن متفاعلاً مع الإمام ﷺ وأطروحته وهنا تكمن المشكلة في الحقيقة إذ وثق الإمام ﷺ لذلك التأثير الإجتماعي الذي عد نقطة مهمة جعلت الإمام ﷺ يتنازل عن حقوقه السياسية لمصلحة الدين.

إن التوثيق لهذا الموضوع الذي نحن بصدده كان له أبعاد في فكر الإمام ﷺ الأمر الذي عرض قبوله أو تنازله للتحكيم إلى تفسيرات أخرى، ولا شك أن هناك مرحلة سابقة للتحكيم وهي معركة صفين(٣٧هـ) التي كانت نتيجتها ذلك التحكيم وانطلق الإمام ﷺ للتوثيق لهذا المعركة من باب التوعية والتثقيف للمجتمع الذي كان بعيد عن الحدث في ذلك الوقت ليس من أجل كسب القلوب نحوه بل لإيضاح الصورة الحقيقية للحدث لكي لا يكون مشوهاً في النظر موثقا لتلك الحقيقة، فيقول ﷺ في كتاب له إلى أهل الأمصار يقص ما جرى بينه وبين أهل صفين: «**وَكَانَ بَدْءُ أَمْرِنَا أَنَّا الْتَقَيْنَا وَالْقَوْمُ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ رَبَّنَا وَاحِدٌ، وَنَبِيَّنَا وَاحِدٌ، وَدَعْوَتَنَا فِي الْإِسْلَامِ وَاحِدَةٌ، وَلَا نَسْتَزِيدُهُمْ فِي الْإِيمَانِ بِاللهِ وَالتَّصْدِيقِ بِرَسُولِهِ، وَلَا يَسْتَزِيدُونَنَا؛ الْأَمْرُ وَاحِدٌ إِلَّا مَا اخْتَلَفْنَا فِيهِ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ، وَنَحْنُ مِنْهُ بَرَاء!**»[1].

يوثق الإمام ﷺ لحقيقة وهي ان معركة صفين كانت نتيجة الإختلاف في الموقف السياسي وهو دم عثمان بدليل توثيق الإمام ﷺ لذلك القول أن ربنا واحد والنبي (ﷺ) واحد والدعوة واحدة لا يطلب احد الزيادة من احد في الإيمان لتمامه منهم في الظاهر[2]، الإ النظرية السياسية التي إختلف عليها وأتهم طرفاً بريئاً بها،

(١) نهج البلاغة، ص ٦٨٥- ٦٨٦.

(٢) ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة (الكبير)، ٥/ ١٩٥؛ حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٢٠/ ٣٤٠؛ ألتستري، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، ٩/ ٤٧٣.

وربما غرض الإمام ﷺ من ذلك التوثيق هو توضيح ان حرب صفين قامت على دعوه باطلة.

وفي الكتاب نفسه أيضا الموجه من الإمام ﷺ إلى الأمصار يتجه فيه لتوثيق تفاصيل سير الحدث لأن المشكلة في الحقيقة هي ان الإمام علي ﷺ في قبال معاوية الذي كان معدم الشعور بالمسؤولية تجاه الأمة، أي ان الإمام ﷺ كان مهتماً بتعريف المجتمع حتى يتسنى له إدراك الحق وليس إيهام وتعميس الخبر، لذلك نجد الإمام ﷺ يوثق لمإذا بدأ سير هذا الحدث ومنذ البداية بالمفاوضات، يقول ﷺ وهو تكملة الكتاب السابق «... **إِلَّا مَا اخْتَلَفْنَا فِيهِ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ، وَنَحْنُ مِنْهُ بَرَاءٌ! فَقُلْنَا: تَعَالَوْا نُدَاوِي مَا لَا يُدْرَكُ الْيَوْمَ بِإِطْفَاءِ النَّائِرَةِ، وَتَسْكِينِ الْعَامَّةِ، حَتَّى يَشْتَدَّ الْأَمْرُ وَيَسْتَجْمِعَ، فَنَقْوَى عَلَى وَضْعِ الْحَقِّ مَوَاضِعَهُ، فَقَالُوا: بَلْ نُدَاوِيهِ بِالْمُكَابَرَةِ! فَأَبَوْا حَتَّى جَنَحَتِ الْحَرْبُ وَرَكَدَتْ، وَوَقَدَتْ نِيرَانُهَا وَحَمِشَتْ. فَلَمَّا ضَرَّسَتْنَا وَإِيَّاهُمْ، وَوَضَعَتْ مَخَالِبَهَا فِينَا وَفِيهِمْ، أَجَابُوا عِنْدَ ذَلِكَ إِلَى الَّذِي دَعَوْنَاهُمْ إِلَيْهِ، فَأَجَبْنَاهُمْ إِلَى مَا دَعَوْا، وَسَارَعْنَاهُمْ إِلَى مَا طَلَبُوا، حَتَّى اسْتَبَانَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ، وَانْقَطَعَتْ مِنْهُمُ الْمَعْذِرَةُ. فَمَنْ تَمَّ عَلَى ذَلِكَ مِنْهُمْ فَهُوَ الَّذِي أَنْقَذَهُ اللهُ مِنَ الْهَلَكَةِ، وَمَنْ لَجَّ وَتَمَادَى فَهُوَ الرَّاكِسُ الَّذِي رَانَ اللهُ عَلَى قَلْبِهِ، وَصَارَتْ دَائِرَةُ السَّوْءِ عَلَى رَأْسِهِ**»[1].

ومن خلال هذا النص نجد في البداية يوثق الإمام ﷺ ان بدء الموقف السياسي هو المفاوضات بدعوتهم قبل القتال إلى حقن الدماء والفتن التي ثارت وتسكين الناس ولا يعني ذلك تنازلاً من الإمام ﷺ لمعاوية أو تأكيداً من ان معاوية على حق حتى يفاوضه الإمام ﷺ بل الغرض من ذلك أن الإمام ﷺ قام بتوثيق مستقبلي وهو انه لم يكن ينظر إلى المسألة ربحاً وخسارة وإنما من أجل تقليل الخسائر إن صح القول

(١) نهج البلاغة، ص ٦٨٦- ٦٨٧.

والحفاظ على المسلمين فكان التفاهم لمداواة ما لا يدرك اليوم أي ما لا يمكن تلافيه بعد وقوع الحرب ولا يستدرك من القتل وهلاك المسلمين[1]، فالنتيجة المستقبلية للحرب هي التي دعت الإمام ﷺ في البدء بالتفاوض، لكن في المقابل يوثق الإمام ﷺ للعقلية الجاهلية التي كان عليها الطرف المقابل الذي لم يفهم نظرية الإمام ﷺ إلا فيما سبق بدليل توثيق الإمام ﷺ أنهم استجابوا لذلك واستبانت عليهم الحجة إلا بعد ان طحنت الحرب الفريقين ومزقت الناس وفرقتهم[2].

من خلال هذا التوثيق يريد الإمام ﷺ أنهم بذلك أدانوا أنفسهم بعد ان استبانت عليهم الحجة بشق وحدة المسلمين وانقطع عذر الطلب بدم عثمان بقبولهم التحكيم، وهناك جملة من الأمور يمكن الخروج بها مما تقدم:

١- نستدل من خلال التوثيق ان الهدف الأساس لتفاوض الإمام ﷺ مع معاوية من أجل الحفاظ على وحدة المسلمين وتجنب إراقة الدماء لكن ذلك لا يعني تنازل الإمام ﷺ لمطالب معاوية بل نلاحظ لغة الشدة والتمسك بالمطالب فكانت النتيجة اللجوء إلى الخيار العسكري.

٢- يمكن من خلال النص الموثق ملاحظة ان سياسة التفاهم التي نادى لها الإمام ﷺ كان لها أبعاد أخرى في نظره من أبرز مصاديقها ثبوت الحجة عليهم وتحطيم الدافع الذي حاربوا من أجله وهو دافع الثأر من قتلة عثمان.

٣- التوعية والتثقيف لمجتمعة وأصحابه في تقديم الحدث السياسي لهم موضحاً الأبعاد الإنسانية في تعامله مبرزاً الواقعية والصدق في ذلك التعامل في مقابل الجهل والتعصب.

---

(١) ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة، ٥/ ١٩٥.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٧/ ١٤٢- ١٤٣؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٥/ ١٢١- ١٢٢؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٤/ ٢٠٩؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٤/ ١٣٧.

٤- دراسة توثيقيه مهمة وشاملة للحدث بكل جزئياته وظروفه من بدء المفاوضات والعامل الذي ارتكزت عليه ثم الخيار العسكري إلى النتيجة النهائية من ذلك الحدث.

٥- قول الإمام ﷺ (جنحت الحرب و ركدت، و وقدت نيرانها و حمشت) يدل على ان هناك أكثر من صدام عسكري كان بين الطرفين ومن لغة النص يتبين أنها كانت صدامات في غاية الشدة.

وعلى العموم أن الأبعاد التعليلية للتحكيم هو النتيجة الحتمية للواقع المأساوي الذي كان عليه الطرفان، ولم يغفل الإمام ﷺ أي توجه لمعاوية إذ يوثق ان التحكيم كشعار مشروع لكنه من إذ المنطلق كان وسيلة لوصول معاوية لغايته يقول ﷺ: «**أَلَمْ تَقُولُوا عِنْدَ رَفْعِهِمُ الْمَصَاحِفَ[1] حِيلَةً وَغِيلَةً، وَمَكْراً وَخَدِيعَةً: إِخْوَانُنَا وَأَهْلُ دَعْوَتِنَا، اسْتَقَالُونَا وَاسْتَرَاحُوا إِلَى كِتَابِ اللهِ سُبْحَانَهُ، فَالرَّأْيُ الْقَبُولُ مِنْهُمْ وَالتَّنْفِيسُ عَنْهُمْ؟ فَقُلْتُ لَكُمْ: هَذَا أَمْرٌ ظَاهِرُهُ إِيمَانٌ، وَبَاطِنُهُ عُدْوَانٌ، وَأَوَّلُهُ رَحْمَةٌ، وَآخِرُهُ نَدَامَةٌ. فَأَقِيمُوا عَلَى شَأْنِكُمْ، وَالْزَمُوا طَرِيقَتَكُمْ، وَعَضُّوا عَلَى الْجِهَادِ بِنَوَاجِذِكُمْ، وَلَا تَلْتَفِتُوا إِلَى نَاعِقٍ نَعَقَ: إِنْ أُجِيبَ أَضَلَّ، وَإِنْ تُرِكَ ذَلَّ. وَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ الْفَعْلَةُ، وَقَدْ رَأَيْتُكُمْ أَعْطَيْتُمُوهَا. وَاللهِ لَئِنْ أَبَيْتُهَا مَا وَجَبَتْ عَلَيَّ فَرِيضَتُهَا وَلَا حَمَّلَنِي اللهُ ذَنْبَهَا. وَوَاللهِ إِنْ جِئْتُهَا إِنِّي لَلْمُحِقُّ الَّذِي يُتَّبَعُ؛ وَإِنَّ الْكِتَابَ لَمَعِي، مَا فَارَقْتُهُ مُذْ صَحِبْتُهُ.... فَإِذا طَمِعْنَا فِي خَصْلَةٍ يَلُمُّ اللهُ بِهَا شَعَثَنَا، وَنَتَدَانَى بِهَا إِلَى الْبَقِيَّةِ فِيمَا بَيْنَنَا، رَغِبْنَا فِيهَا، وَأَمْسَكْنَا عَمَّا سِوَاهَا**»[2].

---

(١) ان فكرة رفع المصاحف فكرة الإمام علي (عليه السلام) فقد رفع المصاحف يوم الجمل وصفين لكن دعوة الإمام رفضت ودعوة ابن العاص قبلت .

(٢) نهج البلاغة، ص ٢٦١- ٢٦٢.

إن الإمام ﷺ كان يحسب لكل شيء حسابه ومنها مسألة التحكيم الذي وقع فيه تحت التأثير العسكري بالدرجة الأساس ولعلنا نجد ذلك مجسداً وبشكل عملي من خلال النص المتقدم إذ نجد ان الإمام ﷺ يصر على أصحابه على الجهاد وعدم الإلتفات إلى شعار الناعق الذي نعق بالشام وهو عمرو بن العاص ولا يعني ذلك أن الإمام ﷺ يعارض المبدأ الإسلامي، التفاهم بل أن الغرض من ذلك موثقاً توثيق سياسي مرة من جانب معرفة الإمام ﷺ للسياسة وإدراكه النوايا الحقيقية التي كان عليها الطرف الآخر إذ أوضح لهم ان هذا الشعار في ظاهره إيمان لأنها دعوة إلى كتاب الله وباطنه عدوان أي حيلة للظلم والغلبة، وتوثيق مستقبلي مره أخرى من ناحية النتيجة والأثر التي يترتب عليها تطبيق هذا الشعار إذ أن أوله رحمة منكم وعطف وتوقف للقتال وحقن للدماء وآخره ندامة لأنه سيتبين كذبهم ويندمون على تركهم لهم وقد أشرفوا على الإنتصار[1].

ومن خلال ما تقدم في هذا الكتاب الذي كان موجهاً إلى الخوارج أراد الإمام ﷺ ومن خلال التوثيق ان يصل فكرة انه سواء قبل التحكيم أم لا فهو على حق وهذه الصورة للواقعة هم من رسموها بمخالفتهم تعاليم الإمام ﷺ وإصرارهم على التحكيم.

الجانب الآخر الذي يوثق له الإمام ﷺ هو اختيار الحكمين إذ نجد ان الإمام ﷺ قد حثهم على اختيار عبد الله بن عباس فهو الشخص الأصلح من الشخص الذي وقع اختيارهم عليه وهو أبو موسى الأشعري يقول ﷺ: «**أَلَا وَإِنَّ**

(١) ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة، ٣/ ١١٩؛ حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٨/ ١٤٤- ١٤٥؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٢/ ٢٤٨- ٢٤٩؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٢/ ٣٣٥- ٣٣٦؛ علي أنصاريان، شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار، ١/ ٤١٤.

الْقَوْمَ اخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ أَقْرَبَ الْقَوْمِ مِمَّا تُحِبُّونَ، وَإِنَّكُمُ اخْتَرْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ أَقْرَبَ الْقَوْمِ مِمَّا تَكْرَهُونَ، وَإِنَّمَا عَهْدُكُمْ بِعَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسٍ بِالْأَمْسِ: يَقُولُ إِنَّهَا فِتْنَةٌ فَقَطِّعُوا أَوْتَارَكُمْ، وَشِيمُوا سُيُوفَكُمْ» فَإِنْ كَانَ صَادِقاً، فَقَدْ أَخْطَأَ بِمَسِيرِهِ غَيْرَ مُسْتَكْرَهٍ، وَإِنْ كَانَ كَاذِباً فَقَدْ لَزِمَتْهُ التُّهْمَةُ، فَادْفَعُوا فِي صَدْرِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ بِعَبْدِ اللهِ بْنِ الْعَبَّاسِ»[1].

عندما يقول عليه السلام لهم أدفعوا في صدر عمرو بن العاص بعبد الله بن عباس يتعلق بالمبادئ والضوابط التي أراد الإمام عليه السلام ان يوصلها عن الشخص الذي وقع الإختيار عليه وانه ليس المناسب في قبال الشخص الداهية عمرو بن العاص الذي يعمل على تحقيق ما يتمنى أهل الشام بالمكر والخديعة في مقابل أبي موسى الأشعري المنحرف عن خط الإمام عليه السلام يعني ان عمرو بن العاص يجهد على انتصارهم وأبو موسى يجهد على خذلانهم، موثقاً لذلك بحادثة تاريخية ليضيء الفكرة التي يريد إيصالها ويشخص حقيقة ذلك وهي ان أبا موسى الأشعري كان في قبل حرب الجمل يحث الناس على عدم القتال مع الإمام عليه السلام ويقول إنها فتنة[2] فقد خرق قوله إن كان صادقاً لأنه سار إلى صفين غير مستكره وان كان كاذباً فهو متهم وفي الحالتين لا يمكن ان يكون حكماً[3]. مما تقدم نستنتج ما يلي:

(١) نهج البلاغة، ص ٥٤١.

(٢) ابن قتيبة، الإمامه والسياسة، ١/ ٨٤- ٨٥؛ الثقفي، الغارات، ٢/ ٩٢١- ٩٢٢؛ الطبري، تاريخ الطبري، ٣/ ٤٩٦- ٤٩٧؛ المفيد، الجمل، ص ١٣٥- ١٣٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣/ ٢٢٦- ٢٢٧.

(٣) كيذري بيهقي، حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة، ٢/ ٣٧٢- ٣٧٣؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٣/ ٣١١- ٣١٢؛ ابن ميثم البحراني، إختيار مصباح السالكين (المتوسط)، ص٤٦٧؛ الخوئي، الدرة النجفية، ص ٢٩٦؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٤/ ١٠٤- ١٠٥؛ دخيل، شرح نهج البلاغة، ٢٣- ٢٤/ ٨٦- ٨٧؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٣/ ٣٦١- ٣٦٢؛ السرخسي، أعلام نهج البلاغة، ص ٢٢٤؛ ألتستري، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، ١٣/ ٦١٥- ٦١٦.

١- تحذير الإمام عليه السلام المسبق من اختيار أبي موسى الأشعري والتشكيك في حكمه لأن له سوابق تاريخية معروفة.

٢- كلام الإمام عليه السلام توثيق للحادثة التاريخية وهي محاولة أبي موسى المعروفة لمنع الناس من الخروج إلى معركة الجمل والخروج الإرادي له في صفين.

٣- قوله عليه السلام «**فادفعوا في صدر عمرو بن العاص بعبد الله بن عبّاس**» دليل على ان ابن عباس يعرف مكر ودهاء عمرو بن العاص، وفي الوقت ذاته ان اختيار الإمام عليه السلام توعية وتحذير من الإنحراف المستقبلي.

وهناك قضية مهمة وثق لها الإمام عليه السلام ربما لم يسلط عليها الضوء أو ربما ركز على الجانب البارز فيها وهو الشرط الذي اشترط على الحكمين، قال عليه السلام: «**فَأَجْمَعَ رَأْيُ مَلَئِكُمْ عَلَى أَنِ اخْتَارُوا رَجُلَيْنِ، فَأَخَذْنَا عَلَيْهِمَا أَنْ يُجْعِجِعَا عِنْدَ الْقُرْآنِ، وَلَا يُجَاوِزَاهُ، وَتَكُونَ أَلْسِنَتُهُمَا مَعَهُ وَقُلُوبُهُمَا تَبِعَهُ، فَتَاهَا عَنْهُ، وَتَرَكَا الْحَقَّ وَهُمَا يُبْصِرَانِهِ، وَكَانَ الْجَوْرُ هَوَاهُمَا، وَالِاعْوِجَاجُ رأيُهُما [دَأْبهما] وَقَدْ سَبَقَ اسْتِثْنَاؤُنَا عَلَيْهِمَا فِي الْحُكْمِ بِالْعَدْلِ وَالْعَمَلِ بِالْحَقِّ سُوءَ رَأْيِهِمَا وَجَوْرَ حُكْمِهِمَا [رأيهما]. وَالثِّقَةُ فِي أَيْدِينَا لِأَنْفُسِنَا، حِينَ خَالَفَا سَبِيلَ الْحَقِّ، وَأَتَيَا بِمَا لَا يُعْرَفُ مِنْ مَعْكُوسِ الْحُكْمِ[الحق]**»[1].

يوثق الإمام عليه السلام أن الشرط الذي اشترط على الحكمين أن يلتزما بالقرآن ولا يجاوزاه والشرط الأهم ان تكون لسانهما وقلباهما معه، ولم يأتِ هذا القول إعتباطاً بل موثقاً له بدليل ان الإعوجاج رأيهما والجور هواهما أي أن العاطفة والميول كانت مستحكمة عليهما فدعا إلى تحكيم القلب من أجل ترك الهوى ولم يقل العقل؛ لأن الهوى واعوجاج الرآي كان مستحكم عليهم ودعوته إلى تحكيم القلب

(١) نهج البلاغة، ص ٣٧٩ .

لأن سيطرة الهوى على العقل تؤدي إلى تغير الحقائق[1] بدليل اعوجاج الرأي فدعا عليه السلام إلى ان يمضي كل واحد قلبه خلف القرآن وليس عقلاهما بسبب الإعوجاج في الرأي والجور الذي هو هواهما، النتيجة أن هذين (الحكمين) كانا منحرفين مسيطراً عليهما الهوى لذلك اتخذ العدل شرطاً أساسياً للتحكيم لكنهم عكسا الحكم لأنهما حكما حسب أهواءهما[2]. ومما تقدم نخرج بما يلي:

١- الشرط الذي اشترط على الحكمين أن لا يتجاوزا القرآن وأن يكون قلباهما ولسانهما تبعا له وسبب ذلك نستدل عليه من خلال التوثيق بسبب سيطرة الأهواء والميول المستحكمة على كل منهم.

٢- قول الإمام عليه السلام (فأجمع رأى ملئكم على أن اختاروا رجلين) يدل على ان رواسب الجاهلية التي ما تزال مستحكمة على المجتمع ولاسيما الإعتداد بالرأي ومحاولة فرضه على الآخرين.

٣- نستفيد مما تقدم في التوثيق للحدث التاريخي كتوعية وتثقيف إذ ان الإمام عليه السلام أراد الإشارة إلى الأثر السيئ الذي قد تتركه سيطرة الهوى على الإنسان وانعكاساته السلبية على المجتمع ومن تميز بذلك لا يمكن ان يكون حكماً عادلا.

من الأمور الأخرى التي وثق لها الإمام عليه السلام هي شرط أو أحد بنود التحكيم ويمكن القول ان كثيراً من إجراءات الإمام عليه السلام تعرضت إلى الإنتقاد لأن لها أبعاداً بعيدة المدى لم يدركوها فوثق الإمام عليه السلام معالجاً ذلك الجهل، وكان واحداً من تلك الإنتقادات التي وجهها هو مدة الأجل في التحكيم إذ ضرب الإمام عليه السلام أجلاً

(١) حميد سراج جابر، الجودة وفلسفة إتقان العمل في فكر الإمام علي (عليه السلام) «دراسة في نهج البلاغة»، ص ٢٦- ٢٧ .

(٢) الراوندي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٢/ ١٧٢؛ ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة، ٣/ ٣٦٧- ٣٦٨؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٣/ ٧٤- ٧٥ .

لمدة سنه[1]، فوثق الإمام عليه السلام للغرض من ذلك، قال عليه السلام: «**وَأَمَّا قَوْلُكُمْ: لِمَ جَعَلْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ أَجَلًا فِي التَّحْكِيمِ؟ فَإِنَّمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ لِيَتَبَيَّنَ الْجَاهِلُ، وَيَتَثَبَّتَ الْعَالِمُ؛ وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ فِي هَذِهِ الْهُدْنَةِ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ؛ وَلَا تُؤْخَذَ بِأَكْظَامِهَا، فَتَعْجَلَ عَنْ تَبَيُّنِ الْحَقِّ، وَتَنْقَادَ لِأَوَّلِ الْغَيِّ**»[2].

يوثق الإمام عليه السلام من خلال هذا النص ان من إشكالات التحكيم كما قلنا هي البند الذي وضعة بأن يكون أجل التحكيم لمدة سنه موثقاً لهذا الإشكال ليزيل الضبابية للذين يشككون أو لا يدركون سياسة الإمام عليه السلام فيوثق لذلك بتوثيق فلسفي وهو ان فلسفته من ذلك البند الذي لم يكن مجرد رغبة من الإمام عليه السلام بل لأهداف وأغراض يتوخاها بعيدة المدى لا يمكن ان تتحقق إلا بهذه المدى وهي تهيئة الظروف للتفاهم وتقريب وجهات النظر، ومحاولة تفكيك الطرف الآخر بكسب الوقت لتتبين الحقائق للجاهل[3] الذي ضلله معاوية ويثبت العالم في رأيه ويتخلص من الشبهات، والهدف الآخر الذي يتوخاها الإمام عليه السلام وهو إصلاح الأمة بتوقف القتال ليترك مجال لها للنظر في أمورها، في الوقت ذاته تحقيق لدور الإمامة على الأرض وهو إصلاح أمر الأمه لكي تراجع نفسها وتعود إلى طريق

(١) ينظر، المنقري، وقعة صفين، ص ٥٠٦؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ٢/ ٣٣٧؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ٢/ ٣٩٢- ٣٩٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣/ ٣٢٠؛ أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ١/ ١٧٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٧/ ٣٠٧ .

(٢) نهج البلاغة، ص٢٦٦- ٢٦٧.

(٣) ان إجراء الإمام (عليه السلام) في هذا البند بأن تكون مدة الأجل في التحكيم سنه كاملة الذي كان يهدف من ورائه ذلك كسب الجاهل في الطرف الآخر وهداية الأمة كما تقدم ذلك، هو عينه إجراء الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في صلح الحديبية إذ كانت أحد بنود الصلح وضع الحرب أو ان تكون مدة الصلح عشر سنين وكان هدف هذا الإجراء لتحقيق أهداف سياسية ولكي يسهل دخول القبائل في الدين الإسلامي؛ ينظر حميد سراج، الدبلوماسية وقواعد المواجهة في فكر الرسول (صلى الله عليه وآله)، ص ٣١، ٣٢، ٤٣ .

الحق وتترك الضلال والإنحراف، فلو رفض الهدنة ولم يعالجه بالحكمة قطع الطريق على من أخطأ ولم يترك له فرصة يدرأ السيئة من الحسنه[١].

ولابد من الإشارة إن إدراك الإمام ﷺ بعدم التفاعلية والإدراك لأبعاد سياسته حتى بعد معرفة المجتمع الخطأ، كان عليه دائما ان يوضح ويفسر ويبين مواقع خطأهم مع اعترافهم أو لا بذلك وهذا جزء من عملية توفيق الإمام ﷺ لدورة نحو التكامل وبعبارة أخرى ان ممارسة الإمام ﷺ دورة وبعثة نحو التكامل سواء دور الإمامة، أو القيادة السياسية للمجتمع، افترض ذلك الإجراء بأن يجعل تلك المعطيات دائما في المقدمة، ومن دون شك دائماً يكامل الإمام ﷺ بين الدورين (الإمامة، القيادة) إذ يؤدي إلى الصب في مصلحة الإسلام، والتحكيم من أكثر الأحداث التي فلسفة وبشكل علني ذلك المعنى فبعد ان كان ﷺ رافض التحكيم ومصر على مواصلة القتال قبل أمام المعارضة وهذا العمل بعينة تعرض إلى الإنتقاد كما تعرفنا فيما سبق على الرغم إنها كانت رغبتهم وليس رغبة الإمام ﷺ.

وبعد تلك المقدمة يوثق الإمام ﷺ لنفس المنطلق لذلك يقول ﷺ: (و قد قام اليه رجل من أصحابه فقال: نهيتنا عن الحكومة ثم أمرتنا بها، فلم ندر أي الأمرين أرشد؟ فصفق عليه السلام إحدى يديه على الأخرى ثم قال: هَذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ الْعُقْدَة ! ...)[٢]، فهذا الرجل ألقى تبعة تلك القرارات على الإمام ﷺ بعد فشل التحكيم فيوثق الإمام ﷺ ان ذلك القرار ليس عشوائياً لا يخضع لمنطق أو تعليل أو دون جدوى بدليل ان الإمام ﷺ موثقا له في نص في موضع آخر من

(١) حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٢/ ٢٦٢- ٢٦٣؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٢/ ٣٥٢؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٢/ ٢٣٦؛ دخيل، شرح نهج البلاغة، ١١- ١٢/ ٥٥- ٥٦؛ علي أنصاريان، شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار، ١/ ٤٢١؛ عبده، نهج البلاغة، ٢/ ٨ .

(٢) نهج البلاغة، ص ٢٥٨.

نهج البلاغة يقول ﷺ لما اضطرب عليه أصحابه في أمر الحكومة: «**أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَمْ يَزَلْ أَمْرِي مَعَكُمْ عَلَى مَا أُحِبُّ، حَتَّى نَهَكَتْكُمُ الْحَرْبُ، وَقَدْ، وَاللهِ أَخَذَتْ مِنْكُمْ وَتَرَكَتْ، وَهِيَ لِعَدُوِّكُمْ أَنْهَكَ. لَقَدْ كُنْتُ أَمْسِ أَمِيراً، فَأَصْبَحْتُ الْيَوْمَ مَأْمُوراً، وَكُنْتُ أَمْسِ نَاهِياً، فَأَصْبَحْتُ الْيَوْمَ مَنْهِيّاً، وَقَدْ أَحْبَبْتُمُ الْبَقَاءَ، وَلَيْسَ لِي أَنْ أَحْمِلَكُمْ عَلَى مَا تَكْرَهُونَ!**»[1].

فرد الإمام ﷺ على الذين القوا تبعية التحكيم عليه ولاسيما الخوارج موثقاً ذلك، يسند ذلك القول بتوثيق عسكري مرة وهو بسبب الإبادة التي أحدثتها الحرب والإجهاد النفسي والجسدي الذي تعرضوا له على الرغم من ان القتل كان في أصحاب معاوية أكثر، وبتوثيق اجتماعي سياسي مرة أخرى وهو التوجه السياسي للأمة إذ كان مؤثراً وفاعلاً في صياغة هذه الهدنة واجبروا الإمام ﷺ على قبول التحكيم[2] فلم يكن متفاعلًا مع الإمام ﷺ وهو لا يستطيع أن يحقق مشروعة إذ كان المجتمع رافضاً ذلك إذ لم يكن ينظر للإمام ﷺ على انه إمام معصوم. ومن ثم ان القتال بدون قناعة وإيمان قد يحقق نتائج سلبية ولا يحقق الغرض المطلوب[3] فرفض الإمام ﷺ التحكيم وبعد هذه الأسباب ما كان عليه إلا القبول. ومما تقدم يمكن القول:

١- تعامل الإمام ﷺ مع الحدث والمعركة على أنها وسيلة وليست غاية لذلك رفض التحكيم ثم قبل به لأن؛ هدف الإمام ﷺ الحفاظ على الدين ولا يتحقق ذلك بوجود أمة رافضة فتغيرت نظرته للحدث.

(١) نهج البلاغة، ص ٤٨٦- ٤٨٧.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١١/ ٢٩- ٣١؛ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة (الكبير)، ٤/ ١٥- ١٦؛ حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ١٣/ ١١٩.

(٣) مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٣/ ٢٣٧.

٢- نستفيد من ذلك النص كتوعية وتثقيف في الجانب العسكري للقادة وفي الجانب السياسي للحاكم بأخذ توجه الأمة في نظر الإعتبار فلا يمكن أن تجبر على عمل لأنه يأتي بنتائج عكسية

٣- من خلال النص نستدل تشخيص بعض حالات المعركة منها ان الإمام عليه السلام عمل على رفع الروح المعنوية للمقاتلين ومعالجة الحالة النفسية ببيان لهم ان القتل في الطرف الآخر أكثر وهو في الوقت ذاته دعوة لهم على مواصلة القتال.

الفصل الثاني

توثيق أبعاد السير الشخصية ومدلولات مفاهيمها

لقد شغل التوثيق لبعض الشخصيات حيزاً في نهج البلاغة حاول الإمام ﷺ ان يبرز معلومات وأن يرسم صورة لحقيقة تلك الشخصيات في صورتها البسيطة من السلب أو الإيجاب التي لا مداراة فيها أو اصطناعاً،لا يخرج فيها عن نطاق الأسلوب العلمي التوثيقي موضحاً العامل والدافع الذي جعله يتبنى ذلك الإتجاه فيكشف لنا ﷺ جوانب من تلك الشخصيات ربما تكون خفية على بعض الشارحين فيضع بين أيدينا خلاصات موثقة وفق معايير وموازين، وينبغي الإشارة ان نطاق الدراسة لا يشمل جميع جوانب هذه الشخصية بل توثيق لجانب أو صفه يؤطر هذه الشخصية فيكشف لنا بعض الحقائق المهمة،كما ان تطرق الإمام ﷺ للتوثيق لبناء إطار علمي للشخصيات ليست وفق رأيه الخاص بل هي عامل مشترك مع كتب السير والتواريخ وعليه فإن ما موثق له من الشخصيات هي قطع واثبات كونها عاملاً مشتركاً مع المصادر وهذا الذي يؤدي إلى زيادة المصداقية.

والملاحظة الجميلة ان التوثيق عن هذه الشخصيات ليس في طرف الإفراط والتفريط والتناقض كما هو شأن مصادر السيرة والتاريخ بل نظرة شمولية أما سلبية أو إيجابية، كما لم يجرِ عليها عوامل التحريف والتزوير وأضافت المظنونات والحدسيات أو المختلقات التي صنعتها الأهواء والعصبيات والمصالح،ولا شك أن اطلاق السلبية أو الإيجابية على الشخصيات الواردة في نهج البلاغة ليست استدلالات ساذجة وسطحية تصبح هي الأخرى غير مقبولة ولا معقولة بل موثقاً لها وفق أحوال هذه الشخصية أو سيرتها السلوكية أو الإستعانة بالحوادث التاريخية.

وعليه أبرز ما يطالعنا الإمام ﷺ حول السير الشخصية الموجودة في النهج:-

١- أهمية دراسة السير على أساس أنها تمثل عنصراً محركاً وموجهاً سواء بالفترة الزمنية التي نتحدث فيها أم في الوقت الحاضر ليكون نموذجاً يستفاد منه لتربية الفرد والمجتمع.

٢- إن دراسة السير ذات أهمية قصوى لأن من خلالها نقرأ التاريخ.

٣- التهذيب لبعض السيرة التي تستحق التضعيف والإزدراء.

٤- التدرج في التوثيق من السير الفردية إلى المجموعات التي تشترك بعوامل مشتركة.

المبحث الأول

توثيق البعد الإيجابي في مفاهيم السيرة

إن توثيق الإمام ﷺ للأبعاد الإيجابية في مفاهيم السيرة بما فيها وصف الملامح الحسنة في سيرة بعض الأشخاص لا يعني ان هناك تميزاً عنصرياً عنده بل أن هناك قاعدة ينطلق منها ليصف الإيجابية في سير هؤلاء الأشخاص للوصول إلى نتائج متوخاة ولم تكن تلك القواعد مخترعة أو أنها بعيدة عن حقيقتهم أو هي وجهة نظره ﷺ تجاههم بل يوثق لتلك الصورة التي جعلته ينطلق من منطلق الإيجابية، ويمكن القول ان الموازين والمقاييس أو القواعد التي وضعها القرآن لتمييز الشخصية وهي التقوى:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾[1]، والجهاد:

﴿فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[2]، والعلم:

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[3] هي ذاتها أو مقاربة لما ينطلق منه الإمام ﷺ للتوثيق لهذه الشخصيات لتبنى على أساسها الإيجابية.

ومن مصاديق البعد الإيجابي في مفهوم السيرة ما ذكره الإمام ﷺ ووثق له

(١) الحجرات/ ١٣.

(٢) النساء/ ٩٥.

(٣) الزمر/ ٩.

عن السمات الإيمانية لدى بعض الأشخاص مثل الخباب بن الأرت، إذ قال الإمام عليه السلام بشأنه:

«يَرْحَمُ اللهُ خَبَّابَ بْنَ الْأَرَتِّ، فَلَقَدْ أَسْلَمَ رَاغِباً، وَهَاجَرَ طَائِعاً، وَقَنِعَ بِالْكَفَافِ، وَرَضِيَ عَنِ اللهِ، وَعَاشَ مُجَاهِداً»(١).

ومن ثم فعندما يترحم الإمام عليه السلام على خباب بن الأرت لابد إن تكون هناك مزايا إن صح القول تمتلكها هذه الشخصية جعلت الإمام المعصوم بنفسه يدعو له بالرحمة أو ان هناك حقيقة يريد إيصالها بذلك القول موثقاً الإمام عليه السلام لذلك الدافع من القول والأهداف المقصودة من التوثيق بالتوثيق الديني مرة وهو درجة إيمان خباب بن الأرت وسرعة تقبله للدعوة فاسلم رغبة وهو الإسلام المنتفع به ليس طمعاً في مال أو جاه أو خوفاً من العذاب فكان من المسلمين الأوائل(٢).

(١) نهج البلاغة، ص ٧٢٩ .

(٢) ونجد حقيقة قول الإمام (عليه السلام) عند الإطلاع على المصادر حيث ذكرت انه اسلم سادس ستة قبل الدخول في دار الأرقم لاقى أشد العذاب من المشركين حيث كانوا يلصقون ظهره على الرصف حتى ذهب ماء متنه ولم يكن له من يمنعه من إذاهم فكانوا يضعونه في النار يسلقونه بها ثم يضع رجل رجله على صدره،ولما هاجر الرسول (صلى الله عليه وآله) هاجر، ثم شهد بدراً ولم يتخلف عن مشهد من مشاهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وخباب هذا كان قينا يعمل السيوف في الجاهلية قيل كان أبوه من أهل كسكر أصابه سبي حين أغار قوم من بني ربيعة فباعوه في الحجاز فصار إلى أم انمار مولاته كان ألكناً إذ تكلم العربية فسمي بالارت، وبعد ان أسلم خباب لم يتخلص من العذاب حيث كان الرسول يألفه ويأتيه فأخبرت بذلك مولاته فكانت تأخذ حديدة محماة فتضعها على رأسه فشكا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اللهم انصر خبابا فاشتكت مولاته رأسها فكانت تعوي عواء الكلاب فقيل لها اكتوي فكان خباب يأخذ الحديده محماة يكوي بها رأسها، قتل على يد الخوارج سنه سبعه وثلاثين دفن في ظهر الكوفة، البلاذري، أنساب الأشراف، ١/ ١٧٥- ١٨٠؛ وكان الإمام علي (عليه السلام)

المقام الآخر الذي جعل هذه الشخصية مثالية وهو الهجرة طائعاً إلى المدينة بلا إكراه لمفارقته بلده وهي الهجرة التامة رغبة في الله ورسوله، وموثقاً بتوثيق إجتماعي مرة أخرى وهو وعي وسلوك خباب والمعرفة التي حصلت له بحيث ظهرت بصماتها واضحة في حياته الإجتماعية بقناعته بالكفاف[١] في الحياة أي بما يكفيه من المال دون زيادة ولم يسخط ما قسم له من رزقه، أضافة إلى الجوانب الجهادية حيث عاش مجاهدا في سبيل الإسلام سواء مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) بقتال الكفار أو مع الإمام (عليه السلام) بقتال البغاة والقاسطين[٢].

ومما تقدم من التوثيق يمكن إدراج ما أراد ان يصل إليه الإمام (عليه السلام):

١- فلسفة الإمام علي (عليه السلام) من التوثيق للسيرة الشخصية لخباب ان يصل إلى حقيقة وهي ان خباباً كان عميق الإيمان متشبعاً برؤى الإسلام.

٢- مستوى العقيدة التي أسهمت في بناء شخصيته واستيعابه للحياة إذ كان ينظر لها نظرة موضوعية تكافلية فقنع بالكفاف من الرزق.

ومن المفاهيم الإيجابية الأخرى التي وثق لها الإمام (عليه السلام) هي الصلابة في إحقاق الحق والتي مثلها مالك الأشتر يقول (عليه السلام) وقد جاء نعيه (رحمه الله) «**مَالِكٌ وَمَا مَالِكٌ! وَاللهِ لَوْ كَانَ جَبَلًا لَكَانَ فِنْداً، وَلَوْ كَانَ حَجَراً لَكَانَ صَلْداً، لَا يَرْتَقِيهِ الْحَافِرُ،**

يقول السباقون خمسة فأنا سابق العرب وسلمان سابق الفرس وصهيب سابق الروم وخباب سابق النبط، الصدوق، الخصال، ص ٣١٢ .

(١) ذكر ابن أبي الحديد ان خباب كان من فقراء المسلمين وخيارهم، شرح نهج البلاغة، ١٨/ ١٧١ .

(٢) ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة (الكبير)، ٥/ ٢٦٥- ٢٦٦؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٥/ ٢٣٩؛ دخيل، شرح نهج البلاغة، ٣٣- ٣٤/ ١١- ١٢؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٤/ ٢٨١.

وَلَا يُوفِي عَلَيْهِ الطَّائِر[1]»[2] .

وهنا يوثق الإمام عليه السلام أن مالكاً من العلو والمكانة لا يرتقيه الحافر أي لا يؤثر عليه مؤثر ولا يوفى عليه الطائر أي لا يمكن ان يصل لمكانته السامية العالية، موثقاً عليه السلام لتلك المكانة بتوثيق علمي جغرافي يسند ذلك التوثيق وهو انه كالجبل الفند وهي قطعة من الجبل طولاً مستدقة لا سبيل لصعودها[3]، أي ان مالكاً كان منفرداً في المكانة لا يمكن أن يصل إليها أحد (منقطع النظير)[4] وانه كان صلداً كالحجر،

(١) ان كلمات أمير المؤمنين (عليه السلام) عن مالك بن الحارث عن كونه كالجبل الفند ولا يؤثر عليه مؤثر وصف لمالك في غاية الروعة وصف بالقول والفعل ويمكن الاستدلال على ذلك من المصادر، وربما طبيعة الظروف التي مرت كانت تحتاج إلى مثل هكذا الشخصية غير المجاملة في الحق والباذلة كل الجهد في سبيل مبادئ الإسلام فضلاً عن انه صوره من صور القائد الذي تربى على يد أمير المؤمنين حيث قال (عليه السلام) كان الأشتر لي كما كنت لرسول الله (صلى الله عليه وآله)؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٢/ ٢١٤؛ أي حصل على درجة من المعرفة التي تؤهله لأن يكون رأيه كرأي أمير المؤمنين،ونحاول ان نسلط الضوء على دور هذه الشخصية محاولين الإحاطة بقول الإمام (عليه السلام) بأنه شخصية لا يمكن ان يصل لها احد، وربما نجد ذلك القول تعضيد في المصادر بأنه أي مالك اخذ على عاتقه تطبيق والدفاع عن الإسلام فكان معروف بشدة شكيمته وهو من الشخصيات التي كان لها دور ايجابي فعال في المجتمع من اجل التغيير ولاسيما إذا تعرضت البنية الثقافية إلى ضربات موجعة وأدواره في ذلك واضحة فكلما حدث خرق في الإدارة كان الأشتر من المتصدين فلما استبد سعيد بن العاص في الكوفة كان موقف الأشتر ان عارض ذلك وبقوة وكانت نتيجة ان أرسل للشام وفي الشام أيضا مارس الدور نفسه، البلاذري، أنساب الأشراف، ٥/ ٥٢٩، ٥٣٢؛ فكانوا منه في موضع خوف، لأنه لا يجامل في الحق كما قلنا حتى في قبال السلطة، أمن بضرورة التغير، وربما ان مواقفه في الجمل وصفين معروفة، ابن حجر، الإصابة، ٦/ ٢١٢ كما كان صلب العقيدة والإيمان وربما هذه الرواية التي ذكرها، المالكي الاشتري في كتابه تفصح بشكل جلي عن إيمان مالك، تنبيه الخواطر ونزهة النواظر، ص ١٠.

(٢) نهج البلاغة، ص٨٣٢.

(٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٢٠/ ٩٣.

(٤) دخيل، شرح نهج البلاغة، ٣٧- ٣٨/ ٧٩.

ومن ثم عندما قال الإمام ﷺ بأن مالكاً لا يرتقيه الحافر أي لا يؤثر عليه مؤثر وثق لذلك وكما قلنا بتوثيق علمي لأنه صلد كالحجر لا يتفتت لشدة إيمانه وتقواه لا يذل لأحد ولا يمكن ان يطعن فيه بسوء[1].

كما ان أداء العمل (أي نوعه) بالصورة المتقنة أو الكفاءة مع ما تمليه من ايجابية فكرية من الأبعاد الإيجابية في مفهوم السيرة التي مثلها مالك الأشتر أيضاً، يقول ﷺ في الكتاب الذي بعثه إلى أميرين من أمراء جيشه وهما زياد بن النضر[2] وشريح بن هاني[3]: «**وَقَدْ أَمَّرْتُ عَلَيْكُمَا وَعَلَىَ مَنْ فِي حَيِّزِكُمَا مَالِكَ بْنَ الْحَارِثِ الْأَشْتَرِ، فَاسْمَعَا لَهُ وَأَطِيعَا، وَاجْعَلَاهُ دِرْعاً وَمِجَنّاً فَإِنَّهُ مِمَّنْ لَا يُخَافُ وَهْنُهُ وَلَا سَقْطَتُهُ وَلَا بُطْؤُهُ عَمَّا الْإِسْرَاعُ إِلَيْهِ أَحْزَمُ، وَلَا إِسْرَاعُهُ إِلَى مَا الْبُطْءُ عَنْهُ أَمْثَلُ**»[4].

ومن ثم عندما يأمر الإمام ﷺ على أميرين من الأمراء والجيش الذي معهما

(١) - الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٥/ ٥٢٤.

(٢) زياد بن النضر ألحارثي يقال له أبو الأوبر وقيل أبو عائشة وقيل أبو عمر من أهل الكوفة، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ١٩/ ٢٤٢، وهو من أصحاب علي (عليه السلام)، الخوئي، معجم رجال الحديث، ٨/ ٣٣٨.

(٣) شريح بن هانئ أبو المقدام ألحارثي المذحجي فقيه حدث عن بعض الصحابة، وهو من الصلحاء وهو القائل:

أصبحت ذا بث أقاسي الكبرا * قد عشت بين المشركين أعصرا

ثمت أدركت النبي المنذرا * وبعده صديقه وعمرا

والجمع في صفينهم والنهرا * ويوم مهران ويوم تسترا

ويا جميراوات والمشقرا * هيهات ما أطول هذا عمرا

شهد تحكيم الحكمين، وهو أيضا من القادة الأكفاء، وقيل في فضله انه ما شوهد حارثيا أفضل من شريح بن هانئ، عاش مئة وعشرين سنه، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٤/ ١٠٧- ١٠٨.

(٤) نهج البلاغة، ص ٥٦١- ٥٦٢.

المكلفين لأداء مهمة، مالك الأشتر ويقول لهم اجعلوه درعاً ومجناً أي ترس أو دعامة للمواجهة والوقاية من الأعداء ليس ذلك بالأمر الهين بل لابد ان يكون هناك موقف قائم على تشخيص الأسباب التي جعلت الإمام ﷺ يجعل من مالك كالجدار في مقابل الأعداء ولاسيما ان هناك أميرين، وهذا الكلام موثقاً له وفق قاعدة انطلق منها الإمام ﷺ للتوثيق جعلت من مالك درعاً ومجناً وهو قاعدة البناء الفكري لديه[1] وتقيم الإمام ﷺ لفكره والآثار الناجمة عنه فهو ممن لا يخاف ضعفه ولا ان يسقط أو يغلظ في المحاربة فضلاً عن امتلاكه أدوات التأني، في وقت الذي يلزم ذلك والسرعة في الوقت الذي تلزم فيه السرعة فهو حكيم يضع

(١) ويمكن ان نستخلص من الأراجيز أو الشعر الذي كان يقوله مالك أو الأعداء المنطلق الفكري في أسلوبه وتعامل مع الأعداء يقول في صفين وقد برز له فارس من الشام

رويدا لا تخرج من جلاد * جلاد شخص جامع الفؤاد

يجيب في الروع دعا المنادي * يشد بالسيف على الأعادي

ألمنقري، وقعة صفين، ص ١٧٥؛ الخوارزمي، المناقب، ص ٢١٧؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ١٨/ ٢٦٥، فقول الأشتر بأنه شخص جامع الفؤاد أي انه غير متخبط في أفعاله إنما يضعها في نصابها المحدود لأنه يستخدم قلبه وعقله، لأن الفؤاد وكما استخدم في القرآن مبدأ الشعور والفكر من الإنسان؛ الطباطبائي، الميزان، ٢٠/ ٣٥٩- ٣٦٠ من ثم ان مالكاً كان ينطلق من منطلقات فكرية عقلية في معالجة الأعداء بذلك يكون بعيداً عن الخطأ، فهو من القادة العسكريين المعتمدة عند أمير المؤمنين (عليه السلام) لذلك قال لأهل مصر اجعلوه درعا ومجنا ويمكن ان نضرب بعض الأمثلة لتلك الخبرة والعقلية لمالك من الفتوحات التي شارك فيها ففي آمد عندما وصل بالجيش وتبين له ان القلعة حصينة جداً أخذ يفكر بالأمر وإن مقامة سيطول هناك فأمر بالجيش ان يكبروا معا تكبيرة واحدة بأعلى أصواتهم فخاف آهل آمد وظنوا ان المسلمين يبلغون عشرة الألف وإنهم لا يستطيعون حربهم فأرسلوا شخصاً للصلح، ابن أعثم، الفتوح، ١/ ٢٥٩، فهو ليس فقط يمتلك منطق القوة بل لديه قوة المنطق للخروج بأقل الخسائر لأن الحصار قد يطول وقد يستنفذ إمكانات الجيش وصبرهم لذلك صنع خطة عسكرية تنم عن قوة العقلية.

الأمور في موضعها[1].

النتيجة ان الإمام عليه السلام وثق للغرض أو السبب للقول بان يجعل درعاً ومجناً موثقاً له وفق القاعدة الفكرية التي يمتلكها التي ارتقت به إلى هذه المكانة. ومما تقدم من التوثيق يمكن ان نستخلص ترجمة لشخصية مالك الأشتر:

١- يوثق الإمام عليه السلام للعقلية التي يتمتع بها مالك وبناؤه الفكري.

٢- الشجاعة والخبرة العسكرية التي يتمتع بها فقول الإمام عليه السلام (فاسمعا له و أطيعا) يعني أن قراراته غير قابلة للمناقشة بل في موضع التنفيذ لما لديه من مؤهلات عسكرية.

٣- من خلال التوثيق نستدل على ان مالكاً يمتلك أسلوب إتقان العمل والإجادة فيه مما جعل الإمام عليه السلام يعتمد عليه.

٤- نستدل على ان هناك صفة كان يتميز بها وهي صفة الحلم والحكمة.

وفي الإطار نفسه من التوثيق لحجمه الفعلي، يقول عليه السلام في كتاب إلى أهل مصر لما ولاه (٣٨هـ) عليهم: «**أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ عَبْداً مِنْ عِبَادِ الله، لَا يَنَامُ أَيَّامَ الْخَوْفِ، وَلَا يَنْكُلُ عَنِ الْأَعْدَاءِ سَاعَاتِ الرَّوْعِ، أَشَدَّ عَلَى الْفُجَّارِ مِنْ حَرِيقِ النَّارِ، وَهُوَمَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ أَخُو مَذْحِجٍ، فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ فِيمَا طَابَقَ الْحَقَّ، فَإِنَّهُ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ الله، لَا كَلِيلُ الظُّبَةِ، وَلَا نَابِي الضَّرِيبَةِ: فَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تَنْفِرُوا فَانْفِرُوا، وَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تُقِيمُوا فَأَقِيمُوا، فَإِنَّهُ لَا يُقْدِمُ وَلَا يُحْجِمُ، وَلَا يُؤَخِّرُ وَلَا يُقَدِّمُ، إِلَّا عَنْ أَمْرِي؛ وَقَدْ آثَرْتُكُمْ بِهِ عَلَى نَفْسِي لِنَصِيحَتِهِ لَكُمْ، وَشِدَّةِ شَكِيمَتِهِ**

(١) ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة (الكبير)، ٤/ ٣٨٢؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٣/ ٤٥٢؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٤/ ١٦٨- ١٦٩؛ دخيل، شرح نهج البلاغة، ٢٥-٢٦/ ٣٥-٣٦.

عَلَى عَدُوِّكُمْ»[1].

ان بعث مالكاً إلى أهل مصر وأوامر الإمام ﷺ ان يطيعوه من الإقدام والإحجام فإن أمر ان يقيموا يقيموا. يثير تساؤلاً عن المؤهلات التي كانت لدى مالك لفهم أبعاد قول الإمام ﷺ، لكن يمكن القول ان هذا الكلام لم يأتِ اعتباطاً بل موثقاً له وفق أسس عقائدية وهو ان مالكاً من عباد الله، أي الجانب الديني المميز لدى مالك حيث كان معروف بشدة دينه وصلابته ودور ذلك في تنزيه من الأخطاء، وكذلك الصفات الشخصية التي يتمتع بها من الشجاعة والإيثار لا ينام أيام الخوف أي حذره والتفاته واستعداده للعمل لا يهزه عدو فلا ينكص أو يجبن أوقات الخوف والفزع شديد على الفجار[2] في سبيل الإسلام لا كليل الظبة ولا نابي الضريبة سيف يعمل ماضيا لا يتوقف ولا يرجع[3] فهو رجل مبدأ وعقيدة، فضلاً عن عامل الثقة الذي يتمتع به فلا يتقدم عن أمر الإمام ﷺ[4] مادياً ومعنوياً أي الأمور التي تحتاج إلى معالجة سريعة. ومما تقدم نستنتج ما يلي:

(١) نهج البلاغة، ص ٦٢٢.

(٢) وشهد له بذلك أعداؤه ففي صفين خرج رجل من فرسان أهل الشام فبرز الأشتر له فحمل عليه وهو يقول:

بليت بالأشتر ذاك المذحجيّ ... بفارس في حلق مدجّج

كاللّيث ليث الغابة المهيّج ... إذا دعاه القرن لم يعرّج

المنقري، وقعة صفين، ص ١٧٧ - ١٧٨؛ ابن أعثم، الفتوح، ٣/ ١٧؛ وخرج إليه آخر ثائراً فحمل بضربه فإذا هو بين يدي فرسه فقال قائل منهم هذا نار فصادف إعصار، الطبري، تاريخ الطبري، ٣/ ٥٧١؛ وفي رواية هذا ريحا فصادف إعصارا، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٥/ ٢١٤.

(٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٦/ ١٥٨ - ١٥٩؛ ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة (الكبير)، ٥/ ٨٤؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٤/ ٩٦؛ دخيل، شرح نهج البلاغة، ٢٧- ٢٨/ ٩٩- ١٠٠.

(٤) الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٥/ ١٠٤.

١- أن الإمام عليه السلام أراد ان يوصل فكرة موثقاً لها وهو ان مستوى طاعتهم لمالك كانت وفق البناء والمنظومة الشخصية التي يتمتع سواء في جانبها الديني أو في مستوى طاعة الإمام عليه السلام أو مقدار الشجاعة التي يمتلكها أو الكفاءة الإدارية.

٢- قول الإمام عليه السلام انه (لا ينام أيّام الخوف، و لا ينكل عن الأعداء ساعات الرّوع) يدل على انه تجاوز سلبيات النفس أو الغرائز كالجبن والخوف بحلول العقيدة بدل ذلك.

٣- لقبه الإمام عليه السلام انه سيف من سيوف الله لأنه عبد الله وليس هواه أي ربط قلبه بالله فكان شديداً على الفجار، وربما يعترض معترض بنسبة ذلك اللقب لخالد بن الوليد[١] وهو أمر مردود لشدة خالد على المسلمين وليس الفجار حتى انه قتل شخصاً مسلم وتزوج امرأته وقال تأولت وأصبت وأخطأت[٢] فهو لقب الإمام علي عليه السلام للأشتر وليس خالداً من باب الإستحقاق.

ووثق الإمام عليه السلام لمكانة بعض الشخصيات في نفسه ونفوس المسلمين بما يمثل المكانة الإيجابية إذ اختلفت أسماء الأشخاص اللذين وثق لهم الإمام عليه السلام الإ أن ذلك يصب في قالب واحد وهو الإطار الإيجابي ومنهم محمد بن أبي بكر[٣]،

(١) النسائي، فضائل الصحابة، ص ٥٣.

(٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢/ ١٣١- ١٣٢.

(٣) محمد بن أبي بكر ولد بذي الحليفة في السنة العاشرة من حجة البلاغ أمه أسماء بنت عميس الخثعمية نشأ وتربى في حجر الإمام علي وكان يثني عليه ويفضله حتى قال عليه السلام محمد ابني من صلب أبي بكر كان يدعى عابد قريش لنسكه وزهده وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: ما من أهل بيت إلا ومنهم نجيب من أنفسهم وأنجب النجباء من أهل (بيت سوء) محمد بن أبي بكر، لم يتخلف عن نصر الحق فشهد الجمل و صفين، ولاه علي بن أبي طالب على مصر بعد ان عزل قيس بن سعد وقيل بعد الأشتر لكن الأصح بعد قيس، اثبت فيها كفاءته مثل طاعته للإمام (عليه السلام) كإمام معصوم أولاً وكخليفة ثانياً فجاهد أهل الشام بعد ان قدم

إذ يقول ﷺ فيما يتعلق بمحمد لما بلغه قتله (٣٨هـ): «**إِنَّ حُزْنَنَا عَلَيْهِ عَلَى قَدْرِ سُرُورِهِمْ بِهِ**[١]، **إِلاَّ أَنَّهُمْ نَقَصُوا بَغِيضاً، وَنَقَصْنَا حَبِيباً**»[٢].

يوثق الإمام ﷺ هنا لقضية التوازن بين حزنه على محمد وسرور معاوية موثقاً لعمق الفكرة التي يريد إيصالها من ذلك القول وهو أنهم نقصوا بغيضا وأن الإمام ﷺ نقص حبيباً فاستراحوا من واحد من جملة أشخاص كانوا يتمنون موتهم[٣]، أي المبالغة في الحزن في مقابل المبالغة في الفرح.

النتيجة التي يريد إيصالها الإمام ﷺ من التوثيق هو طريقة واتجاه محمد بن أبي بكر الفكري والعقائدي إلى درجة جعلت بعضهم يتمنى له الخطوب وجعلت من موته موضع سرور، وان قول الإمام ﷺ (حزننا عليه على قدر سرورهم به)

عمرو بن العاص في جيش من معاوية واجتمعت عليه العثمانية فلم يكن قادراً على مواجهة تلك الأحداث مما أدت بقتله سنة ٣٨ه، ينظر:، البلاذري، أنساب الأشراف، ١/ ٥٣٨، ابن حجر، الإصابة، ٦/ ١٩٣- ١٩٤؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٦/ ٥٣؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ٢/ ٣٠٠؛ الطوسي، اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي)، ١/ ٢٨٣، ألمجلسي، بحار الأنوار، ٢٢/ ٣٤٣؛ صفين، ابن الأثير، أسد الغابة، ٤/ ٣٢٤؛، ابن كثير، البداية والنهاية، ٧/ ٢٨١، ٣/ ٢٧٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣/ ٣٥٦- ٣٥٧.

(١) وصل خبر قتل محمد بن أبي بكر فحزن عليه الإمام (عليه السلام) وقدم عبد الرحمن بن شبيب الفزاري بخبر الشام بأنه لم يكن هناك سرور مثل ذلك السرور الذي سروا به عند علمهم بمقتل محمد، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣/ ٣٥٨- ٣٥٩، وربما سبب بغضهم له لأنه كانت له وقفات وتاريخ حافل في سبيل الحق ومع الذين استولوا على مقام الخلافة، فعن أبي جعفر عليه السلام ان محمد بن أبي بكر بايع عليا على البراءة من أبيه، الشيخ المفيد، الاختصاص، ٧٠، وكذلك كتابة إلى معاوية الذي يذمه فيه ويذكر اصطفاء محمد صلى الله عليه وسلم وفضل الإمام علي، المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ٣/ ١١.

(٢) نهج البلاغة، ص ٨٠١.

(٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٩/ ٢٣٧؛ ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة، ٥/ ٤٠٤؛ دخيل، شرح نهج البلاغة، ٣٥- ٣٦/ ٩٥؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٥/ ٤٤٦.

قد وثق في موضع آخر من نهج البلاغة، بمعنى ان السمات الإيمانية والصلابة في إحقاق الحق والكفاءة الإدارية التي هي من المعايير الإيجابية هي ذاتها التي مثلها محمد بن أبي بكر أسهم في تكوين هذه الشخصية أو تمتع به في الإطار الإيجابي،يقول عليه السلام موثقاً لما سبق في كتابه إلى عبد الله بن عباس بعد مقتل محمد (رحمه الله) «**فَعِنْدَ اللهِ نَحْتَسِبُهُ وَلَداً نَاصِحاً [صالحا]، وَعَامِلًا كَادِحاً، وَسَيْفاً قَاطِعاً، وَرُكْناً دَافِعا**»[1].

فالتوثيق هنا لما تقدم من حزن الإمام عليه السلام ليؤطر معايير شخصية محمد بن أبي بكر فوثق برسم صورة شخصيته تربوياً وسياسياً وعسكرياً وإدارياً، فالخصوصية في الجانب التربوي تتجسد في قول ولداً ناصحاً في جانبها المعنوي فيما يخص التربية والرعاية وليس في الجانب المادي فيما يخص نسب الدم، أي ان الإمام عندما يقول حزننا عليه على قدر سرورهم ليصل فكره موثق لها من حيث نشأة محمد بن أبي بكر في حضن الإمام عليه السلام فكان ولداً للإمام وموته سبب الفرح لأعدائه، أما الجانب الإداري يتمثل في الصدقية والإيجابية حيث كان عاملاً كادحاً، أي النزاهة التي كان يتمتع، وسيفاً قاطعاً يقمع به العدو وركناً يستند به في الحوادث[2]، كل هذه كانت مصداق لحزن الإمام عليه السلام مقابل سرور معاوية . ولا شك ان الإمام عليه السلام بذلك التوثيق أطر السيرة الشخصية الإيجابية لمحمد وهي تتجسد فيما يأتي:

١- نشأة محمد بن أبي بكر لدى الإمام عليه السلام التي شكلت رافداً حقيقياً لسلوكه.

٢- التوجه السياسي لمحمد حيث شكل ركناً دافعاً للإمام عليه السلام مما جعل بعضهم يسر بمقتله.

٣- ان هذه المميزات التي ذكرها الإمام عليه السلام ليست تعصباً لشخص محمد بن

(١) نهج البلاغة، ص٦١٧.

(٢) ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة (الكبير)، ٥/ ٧٧؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٤/ ٤٢٩.

أبي بكر بقدر ما هي حقيقية لإنسان اتقى الله في دنياه والمعرفة والقناعة التي نالها أو يمكن ان نطلق عليه الإنفتاح العقائدي بمعرفة جهة الحق من الباطل.

٤- الكفاءة التي يتمتع بها في ميدان العمل الإداري حيث كان كادحاً ساعياً في عمله.

وكما هو معروف ان الشخصيات تختلف في الأمزجة والطبائع التي قد تكون سلبية أو إيجابية، ولم يغب هذا المفهوم العلمي عن فكر الإمام ﷺ في التوثيق لشخص الزبير بن العوام[١] بعد ان أرسل إليه عبد الله بن عباس يستفيئه إلى طاعته قبل حرب الجمل (لَا تَلْقَيَنَّ طَلْحَة ...وَلَكِنِ الْقَ الزُّبَيْرَ، فَإِنَّهُ أَلْيَنُ عَرِيكَةً، فَقُلْ لَهُ: يَقُولُ لَكَ ابْنُ خَالِكَ: عَرَفْتَنِي بِالْحِجَازِ وَأَنْكَرْتَنِي بِالْعِرَاقِ، فَمَا عَدَا مِمَّا بَدَا)[٢]. فعندما يقول الإمام ﷺ لعبد الله بن عباس في الحرب التقي بالزبير لابد ان يكون هناك ميزة أو طبع يتميز به كان يراه الإمام ﷺ إيجابياً ملائماً لطبيعة الموقف فوثق الإمام ﷺ لذلك بتوثيق وفق الصفة الخلقية وهو ان الزبير كان الين طبيعة سهل الجانب لا يحتاج إلى تكلف ومجاذبة، ومن ثم ان قول الإمام لعبد الله بن عباس للقاء الزبير وثق له وفق الخاصية الشخصية الخلقية التي يتمتع بها الزبير وهي طبيعته انه اقبل للإستدراج[٣] . مما تقدم يمكن القول:

١- يوثق الإمام ﷺ في إطار السيرة للطبيعة الفطرية للزبير وهي صفة اللين التي تضفي عليه الإيجابية لأن المتمتع بهذه الطبع يكون قابل للتفاهم غير متعصب.

---

(١) الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى يكنى ابا عبد الله، أمه صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله شارك في غزوات الرسول ص، كان تاجراً له ألف مملوك يؤدون له الخراج، ابن عبد البر، الإستيعاب، ٢/ ٥١٠- ٥١٤، وقيل كان خياطاً، ألقمي، الكنى والألقاب، ١/ ٥٦.

(٢) نهج البلاغة، ص ٧٨.

(٣) ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة (الكبير)، ٢/ ٦٠، شارح من القرن الثامن، شرح نهج البلاغة، ص٣٧٩؛ القزويني، شرح نهج البلاغة، ٢/ ٢٢٣؛ الخراساني، مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة، ١/ ٥٠٣- ٥٠٤؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ١/ ٢٠٩.

٢- يمكن ان نستفيد من النص في إطار الحدث التاريخي حرب الجمل ان الإمام (عليه السلام) حاول إستعمال أسلوب العاطفة مع الزبير من اجل تغيير الأفكار.

٣- يستفاد أيضا من النص توعية وتثقيف بشأن المفاهيم الأخلاقية ان الطبيعة اللينة السهلة الجانب بالإمكان تغيير أفكارها وتجاوبها في أصعب الظروف.

من التوثيق ما يخص بيان الضرورة والحاجة لبعض الشخصيات نتيجة لبلادها أو للإسلام وهذا ما يظهر في كلامه (عليه السلام) عن عمر بن أبي سلمة[١] وهو عامله على البحرين إذ عزله وولى نعمان بن عجلان الزرقي[٢] على انه بالتوثيق نحصل على ان عملية العزل ليست لخلل بهذه الشخصية، إذ يقول له (عليه السلام): «**فَإِنِّي قَدْ وَلَّيْتُ نُعْمَانَ بْنِ عَجْلَانَ الزُّرَقِيَّ عَلَى الْبَحْرَيْنِ، وَنَزَعْتُ يَدَكَ بِلَا ذَمٍّ لَكَ، وَلَا تَثْرِيبٍ عَلَيْكَ؛ فَلَقَدْ أَحْسَنْتَ الْوِلَايَةَ، وَأَدَّيْتَ الْأَمَانَةَ، فَأَقْبِلْ غَيْرَ ظَنِينٍ، وَلَا مَلُومٍ، وَلَا مُتَّهَمٍ، وَلَا مَأْثُومٍ، فَلَقَدْ أَرَدْتُ الْمَسِيرَ إِلَى ظَلَمَةِ أَهْلِ الشَّامِ، وَأَحْبَبْتُ أَنْ تَشْهَدَ مَعِي، فَإِنَّكَ مِمَّنْ أَسْتَظْهِرُ بِهِ عَلَى جِهَادِ الْعَدُوِّ، وَإِقَامَةِ عَمُودِ الدِّينِ، إِنْ شَاءَ اللهُ**»[٣].

(١) عمر بن أبي سلمه المخزومي القرشي ربيب رسول الله (صلى الله عليه وآله) أمة أم سلمة أم المؤمنين يكنى أبا حفص، ولد في السنة الثانية من الهجرة في الحبشة، ابن عبد البر، الإستيعاب، ٣/ ١١٥٩ وذكر ابن حجر، انه ولد قبل ذلك، الإصابة، ٤/ ٤٨٧ حفظ العديد من الأحاديث عن الرسول (صلى الله عليه وآله) كما روى عن آخرين، شهد الجمل، وتوفي في خلافة عبد الملك بن مروان سنة ثلاث وثمانين ابن عبد البر، الاستيعاب، ٣/ ١١٥٩- ١١٦٠ وهو من جملة الذين استشهد به عبد الله بن جعفر عند معاوية، انه سمع النبي (صلى الله عليه وآله) نص على ألائمة ألإثني عشر (عليهم السلام) وهو أيضاً من الشهود على صلح الإمام الحسن، الخوئي، معجم رجال الحديث، ١٤/ ١٥- ١٦ ومن دون شك كونه شاهد يدل وبشكل قطعي على عدله وحسن سيرته.

(٢) النعمان بن عجلان بن النعمان بن عامر بن زريق الأنصاري، لسان الأنصار وشاعرهم، استعمله علي بن أبي طالب (عليه السلام) على البحرين فكان يعطي ويؤثر أقاربه، ابن حجر، الإصابة، ٦/ ٣٥١ - ٣٥٢.

(٣) نهج البلاغة، ص٦٢٧- ٦٢٨.

فعندما يقول ﷺ في ما تقدم أقدم بلا ذم أو تثريب تعنيف ولا متهم فقد أحسنت الولاية وأديت الأمانة فلابد ان يكون هناك معيار تشكله عوامل موضوعية يفسر بمنطق عملية العزل في مقابل كلمات الإحسان تلك التي بذلها الإمام ﷺ تجاه هذه الشخصية ولكي لا يكون هناك زلل في الرؤية فإن الإمام ﷺ موثق له بدليل ان كلمات الإحسان في دائرة الرقي والقرب من الكمال أو لنخصص أكثر ان صلاح هذا الشخص جعلت الإمام ﷺ يعزله من موقع ليضعه في موقع آخر وهو ان يقدم معه لجهاد أهل الشام فهو ممن يعتمد عليه في اشد الأمور وهو الجهاد[١].

أي بما ان الجهاد باب من أبواب الجنة فتح لخاصة أوليائه[٢] فإن الإمام ﷺ عزله ليقدم إلى الجهاد لأنه من خاصة الأولياء وهذا يدعمه قول الإمام ﷺ فإنك ممن استظهره على إقامة عمود الدين وجهاد العدو فهو من المرشحين لتصحيح الدين الذي سيتم في التوجه إلى الشام وهذا موثقا لعزلة بدون لوم أو تثريب.

كما يوثق الإمام ﷺ لأنموذج آخر من الأبعاد الإيجابية في مفهوم السيرة وهو مستوى الثقافة الدينية الذي يؤثر على أسلوب الشخصية والإستقامة السلوكية فجاء توثيق الإمام ﷺ لذلك في إطار المجموعة من الشخصيات لأنها:

أولاً: تشترك بذلك المشترك نفسه أي الثقافة الدينية وانعكاساتها، وثانياً: لما له (التوثيق) من أهمية لما تحتله تلك (الشخصيات) من قيمة إنسانية ودينية، يقول ﷺ في خطابه لأصحابه: «**أَيْنَ إِخْوَانِيَ الَّذِينَ رَكِبُوا الطَّرِيقَ، وَمَضَوْا عَلَى الْحَقِّ؟ أَيْنَ عَمَّارٌ[٣]؟ وَأَيْنَ**

(١) الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٤/ ٤٥٤- ٤٥٥.

(٢) ينظر نهج البلاغة، ص٦٩.

(٣) عمار بن ياسر بن مالك يكنى أبا اليقظان حليف لبني مخزوم، من المسلمين الأوائل لاقى العذاب من المشركين فأنكر بلسانه واطمأن الإيمان بقلبه فنزلت فيه (إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ)، النحل/ ١٠٦، من المهاجرين، صلى القبلتين، شهد بدر والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه

ابْنُ التَّيِّهَانِ[١]؟ وَأَيْنَ ذُو الشَّهَادَتَيْنِ[٢]؟ وَأَيْنَ نُظَرَاؤُهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ تَعَاقَدُوا عَلَى الْمَنِيَّةِ، وَأُبْرِدَ بِرُؤُوسِهِمْ إِلَى الْفَجَرَةِ! قَالَ: ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى لِحْيَتِهِ الشَّرِيفَةِ الْكَرِيمَةِ،

وسلم، ابن عبد البر، الإستيعاب، ٣/ ١١٣٥ - ١١٣٦، استعمل المقياس الصحيح للتعرف على الحق معتبره وظيفة لا يستطيع التخلف عن أدائها فأدرك الحقيقة المطلقة للإمامة وإنها مكملة للنبوة وان الجهاد مع الإمام (عليه السلام) هو عينه الجهاد مع الرسول (ﷺ) فاتبع الإمام (عليه السلام) كقائد أو حاكم وكإمام معصوم مفترض الطاعة، ونجد مصداق ذلك في أقواله، ينظر الصدوق، الخصال،ص ٢٧٦، ونجد أيضا تلك الحقيقة والمعرفة العميقة التي حصلت له لفهم ألنبوة أيضا بقوله إلى ألمغيرة بن شعبة عند حثه له للخروج إلى حرب الجمل الشيخ المفيد، الأمالي، ص ٢١٧- ٢١٨، وكان معاوية يقول: كان لعلي يدان يمينان قطعت أحدهما يوم صفين، يعني عمار، الثقفي، الغارات ١/ ٢٦٤؛ يعني ان الإمام عليه سلام كان معتمد عليهما كإعتماد الإنسان على اليد اليمنى في كل شيء، كان عميق الإيمان، سئل الإمام (عليه السلام) عن عمار فقال: ذلك امرؤ خالط الله الإيمان بلحمة ودمه وشعره وبشره حيث زال زال معه ولا ينبغي للنار أن تأكل منه شيئاً، الثقفي، الغارات، ١/ ١٧٧- ١٧٨، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ملئ عمار بن ياسر إيمانا إلى مشاشه، النسائي، فضائل الصحابة،ص ٥٠، وكان من أطول الناس سكوتا وأقلهم كلاماً، ابن سعد ٣/ ٢٥٦.

(١) أبو الهيثم مالك بن التيهان بن مالك البلوى من بلى شهد بيعة العقبة الأولى والثانية، وكان أحد الستة الذين لقوا رسول الله بالعقبة شهد بدر والمشاهد مع رسول الله، ابن عبد البر، الإستيعاب، ٣/ ١٣٤٨ - ١٣٤٩، وقيل كان يكره الأصنام في الجاهلية ويقول بالتوحيد، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١/ ١٩٠، وهو من أفاضل أصحاب رسول الله ﷺ، الشيخ الصدوق، الأمالي، ص١٠٧، شارك في صفين برز وهو يرتجز أحمد ربي وهو الحميد * ذاك الذي يفعل ما يريد * ذاك الذي عذابه شديد من نج منه فهو السعيد * هذا علي ماله نديد دين قويم وهو الرشيد، ابن أعثم، الفتوح، ٣/ ١٧٧ .

(٢) خزيمه بن ثابت كان من السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام شهد مع رسول الله بدر، ألقمي، الكنى والألقاب، ٢/ ٢٥٥، جعل الرسول صلى الله علي واله شهادته بشهادة رجلين لقصة معروفة، الصنعاني، المصنف، ٨/ ٣٦٧، السرخسي، المبسوط، ١٦/ ١١٤، كان ممن احتج على أبي بكر في بيعة السقيفة وقال له يا ابا بكر ألست تعلم إن الرسول قبل شهادتي وحدي قال فأشهد أني سمعت رسول الله واله يقول انه أمامكم من بعدي، أبن طاووس، اليقين، ص ٣٤١، ويروى له شعر فيه معنى وغرض ويبين فيه درجة ثقته بالإمام (عليه السلام) ينظر في ذلك، السيوطي، المحاضرات والمحاورات، ص ٢٠٦.

فَأَطَالَ الْبُكَاءَ»، ثُمَّ قَالَ عليه السلام: «**أَوَّهْ عَلَى إِخْوَانِيَ الَّذِينَ تَلَوُا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ، وَتَدَبَّرُوا الْفَرْضَ فَأَقَامُوهُ، أَحْيَوُا السُّنَّةَ، وَأَمَاتُوا الْبِدْعَةَ. دُعُوا لِلْجِهَادِ فَأَجَابُوا، وَوَثِقُوا بِالْقَائِدِ فَاتَّبَعُوهُ**»[1]. ما يلفت النظر ان الإمام (عليه السلام) من خلال هذا النص عمل على الإنتقاء الدقيق لمجموعة من الشخصيات أطلق عليهم إخواني، يوثق أنهم من ذوي الفضائل العالية والسجايا الحميدة كانوا بعيدين عن الإنحراف ومضوا على الحق شخص أسماء بعضهم وهم عمار بن ياسر وابن التيهان وذو الشهادتين خزيمة بن ثابت وآخرين لم يصرح بهم لكن هم نظراء هؤلاء ممن أهدي رؤوسهم إلى الفجرة.

عندما يوثق الإمام (عليه السلام) في هذا النص ان هؤلاء كانوا بعيدين عن الإنحراف أولاً ومضوا على الحق ثانياً لم تكن إشارة عابرة غير موثق لها بل وثق لها وفق السيرة الشخصية والقاعدة الأخلاقية والبناء الفكري العقائدي الذي أهلهم للسمو والإرتفاع وأبرز تفوقهم، والذي تجسد في تلاوة القرآن ليس بمجرد قراءته بل أنهم أحكموه في كل مبدأ من مبادئه تفاعل مع النفس وانعكس على السلوك وفهم المعنى والغاية من الفروض أي إسرار الفروض ولاحظوا أهدافها وخلفياتها والعطاء الإلهي المدخر فيها فواظبوا عليه احيوا السنة وأماتوا البدعة المستحدثة التي لم يسنها رسول الله (صلى الله عليه وآله) والتي أهلكت الإسلام وخرجوا للجهاد واطمأنوا للقيادة عملاً وعلماً وان قائد دفتها إمام معصوم وان كل ما يقوم به هو الحق فاتبعوه[2].

---

(١) نهج البلاغة، ص ٣٩٣- ٣٩٤.

(٢) ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة (الكبير)، ٣/ ٣٩٥؛ الخوئي، الدرة النجفية، ص ٢١٥؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٣/ ١٩١؛ دخيل، شرح نهج البلاغة، ١٧- ١٨/ ٣٥- ٣٧؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٣/ ١٠٢- ١٠٣ .

ومما تقدم يمكن الخروج بعدة نقاط:

١- يوثق الإمام عليه السلام لسبب عدم انحراف عمار بن ياسر وابن التيهان و خزيمة ومضيهم على الحق انطلاق من مميزاتهم وخصائصهم الشخصية نتيجة التشبع بقيم سماوية والتطبيق الصحيح للإسلام.

٢- نستنتج الفلسفة أو الأهمية من قراءة القرآن وأداء الفروض والجهاد وإطاعة القيادة في ضبط معايير الشخصية.

٣- قول الإمام عليه السلام (تدبّروا الفرض فأقاموه) يدل على ان الفروض ليست مجرد حركات أو تصوف أو غير ذلك بل هي عملية تدبر وتفكير وأهمية ذلك في البناء والرقي بالإنسان.

يوثق الإمام عليه السلام في المفاهيم الإيجابية أيضا لكيفية التعامل مع الإسلام في بدايته واحتضانه بل وتقبله والتفاعل معه قبل ان يصبح هدفا لنيل المكاسب والذي مثله الأنصار، واعتقد ان هذا المفهوم كان متوفر فيما سبق من الشخصيات والذي عد من السمات الإيمانية إلا ان الإمام عليه السلام يوثق له هنا بصورة صريحة، كما انه عليه السلام يوثق هنا لفئة وليس فرداً، يقول عليه السلام: «**وَاللهِ رَبُّوا الْإِسْلَامَ كَمَا يُرَبَّى الْفَلُوُّ مَعَ غِنَائِهِمْ بِأَيْدِيهِمُ السِّبَاطِ وَأَلْسِنَتِهِمُ السِّلَاطِ**»(١).

من المعروف ان بعض من دخل الإسلام نتيجة ظروف مادية مما أدى إلى ان يكون هناك تباين في المستويات لا يعني التمييز والطبقية بقدر ما هو تباين ومستويات وارتفاع درجات بالعقيدة التي يمتلكها كل مسلم وما قدمه من تضحيات حفظت للفرد فضله وللإسلام مكانته. من هنا يوثق الإمام عليه السلام في النص ان الأنصار على الرغم من عدم حاجتهم المادية إلا أنهم اعتنوا واحتضنوا الإسلام

(١) نهج البلاغة، ٨٣٦ .

كما يربى الفلو المهر الذي بلغ سنة مع غنائهم ووجه الشبه رعايته والاهتمام به إلى حين إكماله أي مع استغنائهم عن الإسلام (الإستغناء المادي وليس الإستغناء العقائدي) فكانوا قوة رادعة احتضنت الإسلام[١] وهذا التوثيق الذي أضفى الإيجابية على الأنصار ليس تعبيرات غير ممنهجة أو أفكار تم اقتناصها أو نتيجة مواقف تلقائية معينه حفظت للأنصار بل موثقاً لها بدليل أو بتوثيق اقتصادي وعسكري في قوله ربوا الإسلام بأيديهم السباط أي منحوا الإسلام القوة الإقتصادية والعسكرية في الوقت ذاته.

وأشار بعض الشارحين بأن المقصد من ذلك أيديهم السمحة [٢]، وقال آخر[٣] أن اللفظ يدل على كلتا الصفتين الشجاعة والسماحة وهذا ما تميز به الأنصار، وبالدور التبشيري الذي قاموا به بنشر الإسلام من ناحية أخرى في قوله ﷺ ربوا

(١) ويكفينا مصداق على الدور الذي قام به الأنصار قول الرسول (ﷺ) إنكم ما علمتكم تكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع، المتقي الهندي، كنز العمال، ١٤/ ٦٦ على ان دورهم في احتضان الإسلام لا يخفي، كما قال الرسول (ﷺ) الناس دثار والأنصار شعار، الهيثمي، مجمع الزوائد ٨/ ٢١٦- ٢١٧، وذكر ابن جرير الطبري ان الحيين من الأنصار يتصاولان مع رسول الله تصاول الفحلين لا تصنع الأوس شيئا فيه غناء عن رسول الله صلى الله عليه إلا فعلت الخزرج مثلها وقالت لا يذهبون بهذا فضلا علينا عند رسول الله بالإسلام لا ينتهون حتى يفعلوا كما فعلوا وإذ فعلت الخزرج قالت الأوس مثل ذلك، تاريخ الطبري، ٢/ ١٨٣- ١٨٤.

(٢) الراوندي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٣/ ٤٤٦؛ السرخسي، أعلام نهج البلاغة، ص٣١٤؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٤/ ٤٧٩؛ الخوئي، الدرة النجفية، ص٣٩٣؛ علي أنصاريان، شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار، ٣/ ٥١٢، دخيل، شرح نهج البلاغة، ٣٧- ٣٨/ ٨٨؛ عبده، نهج البلاغة، ٣/ ٢٦٣؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٤/ ٤٧٩.

(٣) كيذري بيهقي، حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة، ٢/ ٧٠٥؛ حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٢١/ ٥٣٠؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٥/ ٥٣٥.

الاسلام بألسنتهم السلاط أي الفصيحة[1]، ومن ثم ان ألسنتهم السلاط وأيديهم السباط هي موثقاً لما يريد توثيقه ﷺ والهدف الذي يريد إيصاله لبيان دور الأنصار في حفظ ورعاية الإسلام.

على ان السمات الإيمانية والأخلاقية التي هي من مصاديق البعد الإيجابي في التعامل مع السير لا يمكن إضفاؤها فقط على فرد بل ان الإمام ﷺ أضفاها على قبيلة التي تتكون من مجموعه من الأفراد ومن هذه القبائل هي قبيلة بني تميم[2]، على ان الإمام ﷺ لا يتجه إلى التخصيص لكي يوثق لهذه القبيلة دون غيرها وإنما في طور التعامل الأخلاقي الديني مع كل القبائل، وهذا هو الهدف إما كلامه وتخصيصه حتى يحقق تلك النتيجة، يقول ﷺ فيما يخص بني تميم في كتابه إلى عبد الله بن عباس عامله على البصرة: «**وَقَدْ بَلَغَنِي تَنَمُّرُكَ لِبَنِي تَمِيمٍ، وَغِلْظَتُك عَلَيْهِمْ، وَإِنَّ بَنِي تَمِيمٍ لَمْ يَغِبْ لَهُمْ نَجْمٌ إِلَّا طَلَعَ لَهُمْ آخَرُ، وَإِنَّهُمْ لَمْ يُسْبَقُوا بِوَغْمٍ فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِسْلَامٍ، وَإِنَّ لَهُمْ بِنَا رَحِماً مَاسَّةً، وَقَرَابَةً خَاصَّةً، نَحْنُ مَأْجُورُونَ عَلَى صِلَتِهَا، وَمَأْزُورُونَ عَلَى قَطِيعَتِهَا. فَارْبَعْ أَبَا الْعَبَّاسِ، رَحِمَكَ اللهُ، فِيمَا جَرَى عَلَى لِسَانِكَ وَيَدِكَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ! فَإِنَّا شَرِيكَانِ فِي ذَلِكَ، وَكُنْ عِنْدَ صَالِحِ ظَنِّي بِكَ، وَلَا يَفِيلَنَّ رَأْيِي فِيك**»[3].

(١) ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة (الكبير)، ٥/ ٤٦٢.

(٢) من القبائل العدنانية تنسب إلى تميم بمن مر بن أد بن طابخة بن إياس بن مضر بن نزار، كانت تسكن في الجاهلية في نجد ثم انتشرت في البصرة واليمامة والبحرين والكوفة ثم تفرقت في الحواضر، وهي اكبر القبائل ولها العديد من البطون، وفيها العديد من الشخصيات البارزة منها اكثم بن صيفي سيد بني تميم صديق أبي طالب (عليه السلام)، بعث له الرسول (ﷺ) برسالة يدعوه إلى الإسلام فقال لقومه إني أراه يدعو لمكارم الأخلاق فكونوا في هذا الأمر رؤساء ولا تكونوا إذنابا وكونوا فيه أولاً ولا تكونوا آخر، دخلت بني تميم في الإسلام في السنة التاسعة بعد مجيء وفد إلى رسول الله ﷺ، الربيعي، قبيلة بني تميم، ٤/ ٥- ٦، ٢٣- ٢٤، ٢٩ .

(٣) نهج البلاغة، ص٥٦٦- ٥٦٧.

من خلال هذا الكلام يوثق الإمام ﷺ لقوله لابن عباس يجب ان لا يغير موقفه من بني تميم ولا يستخف بوزنهم، وهذا الكلام يجب ان لا يحمل على محمل تعصب الإمام ﷺ لهم أو انه أراد تفضيلهم بل موثقاً لذلك ببروز شخصيات وهو ان بني تميم لم يغب منهم نجم إلا طلع آخر، وقد حصر الشارحون ان المقصد من ذلك النجم هو القيادة أو الزعامة التي تتولى بني تميم[1]، نعم صحيح القائد أو الزعيم الذي يظهر بعد ان غاب الذي قبلة كجزء من القبيلة لكن يمكن القول ان الإمام ﷺ لم يكن كلامه حصراً في شخص الزعامة أو القيادة بل عاماً يشمل كل شخص من القبيلة وقد يكون الزعيم، وهذه الشخصيات التي تبرز تكون ذات مستوى ولها دور تجاه الإسلام[2].

(١) ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة (الكبير)، ٤/ ٣٩٦؛ الخوئي، الدرة النجفية، ص٣٠٧؛ ألتستري، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، ١٤/ ٣٤- ٣٥؛ دخيل، شرح نهج البلاغة، ٢٥- ٢٦/ ٤٩؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٣/ ٤٢٩.

(٢) ومن شخصيات بني تميم التي هي من مستوى الشخصيات التاريخية العظمية التي كان لها تاريخ حافل ومكانة سامية سواء على مستوى العقيدة أو مستوى الدور السياسي هو مالك بن نويرة من بني يربوع أسلم وولاه النبي على صدقات قومه، الربيعي، قبيلة بني تميم، ٤/ ٣١، ومنهم أيضا خباب بن الارت وابنه عبد الله من أصحاب الإمام عليه السلام وكان عاملا على المدائن وهو أول شهيد على الخوارج، الربيعي، قبيلة بني تميم ٤/ ٥١، كان لهم دور في معركة الجمل لا سيما بني يربوع ماعدا بعض بطونها في البصرة التي كانت في صف الناكثين وكان لمعقل بن قيس ألرياحي من بني تميم مشاركة فعاله في حرب الجمل، الربيعي، قبيلة بني تميم، ٤/ ٤١- ٤٢، كما كان لهم دور في حرب صفين أيضا، وهذه شخصيات برزت وكان لها دور في عهد الرسول (ﷺ) وعهد الإمام (عليه السلام) ثم ظهرت شخصيات أخرى حفظها التاريخ من خيرة أولياء الأمام الحسين عليه السلام وهو الحر بن يزيد ألرياحي من القادة الشجعان كان من قادة الذين أرسلهم عبيد الله بن زياد لاعتراض الإمام الحسين عليه السلام ثم تحول إلى معسكر الحق، الربيعي، قبيلة بني تميم، ٤/ ٤٧، وهناك شخصيات أخرى برزت في عصر الأئمة ﷺ كالإمام الباقر والإمام الصادق عليهما السلام والتي كانت ذات تاريخ حافل، ويذكر ان قائد قوات الإمام المهدي (عليه السلام) عج شعيب بن صالح من بني تميم،الربيعي، قبيلة بني تميم، ٤/ ٢٢ .

كما أن في هذا الكلام أيضا توثيق مستقبلي بظهور شخصيات لامعة لها مكانة لذلك فتوثيق الإمام ﷺ لعدم ابتذال أو استهجان بني تميم؛ لأن هناك شخصيات أدت دوراً وستظهر أخرى يكون لها الدور الإيجابي نفسه، وإلى جانب ذلك يسند القول موثقاً له بتوثيق تاريخي وهو ان بني تميم تاريخها سليم سواء في الجاهلية أو الإسلام خالٍ من الأحقاد لشرف نفوسهم،و بتوثيق ديني أو منطق عقائدي (ان صح قول ذلك) وهو الإثم الذي يلحق بالإمام ﷺ من قطيعتها والأجر الذي ينال لصلتها بسبب أواصر القرابة التي تربط مع بني تميم[1].

ان النتيجة من حث ابن عباس على عدم تغيير موقفه من بني تميم وعدم الإستهانة بهم موثقا له ﷺ وفق الإطار الإيجابي الذي تمتلكه هذه القبيلة، ومما تقدم هناك جملة أمور ندرجها هي:

١- يوثق الإمام ﷺ لسيرة بني تميم وإنها لا تخلو من عظماء حقيقيين على امتداد الزمن.

٢- توعية وتثقيف لابن عباس بأن لا يميز فئة عن فئة وان يتعامل وفق قوانين وليس أهواء نفسية.

٣- الأثر أو البعد المستقبلي لذلك الإستهجان وانعكاساته التي قد تؤدي إلى تغير نفوس القوم.

إن دراسة هذه الأبعاد في نهج البلاغة وضعت بين أيدينا معلومات موثقة عن سيرة بعض الشخصيات وكذلك لبعض القبائل ولم يعدم من التوثيق على مستوى البلد ليس جغرافيا بل سكانيا ومن هذه البلدان التي وثق لها والتي كان لها مواقف إيجابية في زمانها هي مصر، يقول ﷺ في عهده إلى محمد بن أبي بكر حين قلده مصر

(١) ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة (الكبير)، ٤/ ٣٩٧ ؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٤/ ١٨٧.

«وَاعْلَمْ- يَا مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ- أَنِّي قَدْ وَلَّيْتُكَ أَعْظَمَ أَجْنَادِي فِي نَفْسِي أَهْلَ مِصْر»[١].

ان هذا النص يدعونا للتساؤل ما هي الحكمة أو السبب الذي جعل مصر تحتل هذه المكانة المميزة في نفس الإمام عليه السلام؟ فيوثق الإمام عليه السلام لذلك السبب الذي جعل لمصر موقعاً خاصاً في نفسه ولا يعني ان الإمام عليه السلام يقول بالتميز والأسبقية بل انه أبطل نظريات التميز، فوثق لتلك المكانة في كتابة لأهل مصر حين ولى الأشتر «مِنْ عَبْدِ الله عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ غَضِبُوا لله حِينَ عُصِيَ فِي أَرْضِهِ، وَذُهِبَ بِحَقِّهِ، فَضَرَبَ الْجَوْرُ سُرَادِقَهُ عَلَى الْبَرِّ وَالْفَاجِرِ، وَالْمُقِيمِ وَالظَّاعِنِ، فَلَا مَعْرُوفٌ يُسْتَرَاحُ إِلَيْهِ، وَلَا مُنْكَرٌ يُتَنَاهَى عَنْه»[٢].

ان حب الإمام عليه السلام لأهل مصر موثقاً له وفق حادثة تاريخية وهي ثورة أهل مصر بوجه[٣]

(١) نهج البلاغة، ص ٥٧٩.

(٢) نهج البلاغة، ص ٦٢١- ٦٢٢.

(٣) كان سبب الثورة نتيجة الفساد والجور الذي تعرضت له مصر من الخليفة عثمان وعامله ابن أبي سرح فكانت نظريتهم أنهم ماداموا أهل سلطة فإنها تخولهم للإستيلاء دون تقديم عمل في المقابل وثبت صدق ذلك في السياسة المالية التي أتبعت في مصر فكانت تجبى فيه الأموال بغض النظر عن حالتهم فهناك رواية تذكر أن ابن أبي سرح جبى الأموال فكانت أربعة عشر ألف إلف، وذكر ان هذه المبلغ كان فقط على الجماجم دون الخراج، الحموي، معجم البلدان، ٥/ ١٣٨، فكانت بداية شرارة الثورة من قبلهم، الطبري، تاريخ الطبري، ٣/ ٣٨٣، وكانوا اشد أهل الأمصار عليه، الطبري، تاريخ الطبري، ٣/ ٤٠١، ولم يسكت المصريون على سوء سياسة ابن أبي سرح بل كانت لهم وفود وكتب إلى الخليفة بسوء سياسة عامله وتعلله بأن عمله بصيغة قانونية فإذا قيل له في ذلك قال هذا كتاب أمير المؤمنين، ثم ذكروا أشياء خالف بها صاحبيه، الطبري، تاريخ الطبري، ٣/ ٤٠٧، كما قدم وفد آخر التقى بعثمان خارج المدينة أخذوه بأشياء لم يكن عنده منها مخرج فعرفها فقال استغفر الله وأتوب إليه وقال لهم ما تريدون فأخذوا عليه الميثاق والشرط، فلم يكد أن يصلوا حتى عثروا على بريد الخليفة إلى عامله عبد الله بن أبي سرح يتضمن كتاب وعليه ختمه وفيه ان يصلبهم أو يقتلهم أو تقطع أرجلهم من خلاف، فرجعوا إلى المدينة وقالوا لقد أحل الله دمك بعد ان نقضت العهد والميثاق، الطبري، تاريخ الطبري، ٣/ ٣٩٠- ٣٩١، ومن ثم نستنتج أن أهل مصر كان لهما موقف تجاه جور الخليفة و عامله كانت نتيجتها الثورة .

الظلم[١] وهذه الخطوة من خطوات المشروع الإسلامي هي النتيجة التي نصل إليها وان الإمام عليه السلام وثق لسيرة أهل مصر الإيجابية التي تجسدت في البناء الفكري وانعكاساتها على سلوكهم في التصدي الحازم للظلم السياسي الذي تعرضوا له.

كما نالت مدينه البصرة نصيباً من التوثيق في نهج البلاغة، وينبغي القول ان التوثيق لهذه المدينة ليس معلومات مستفيضة بل تخص جانب بارز فيها تطغى أهميته على بقية الجوانب الأخرى كما هو شان ما تقدم من التوثيق ومن هنا فان الإمام عليه السلام يقول «**أَرْضُكُمْ قَرِيبَةٌ مِنَ الْمَاءِ، بَعِيدَةٌ مِنَ السَّمَاءِ. خَفَّتْ عُقُولُكُمْ، وَسَفِهَتْ حُلُومُكُمْ، فَأَنْتُمْ غَرَضٌ لِنَابِلٍ، وَأُكْلَةٌ لِآكِلٍ، وَفَرِيسَةٌ لِصَائِلٍ [صائد]**»[٢].

ويفرز لنا الإمام عليه السلام في هذا النص والتوثيق جانباً خاصاً في مدينة البصرة وهو أنها كانت هدفاً لكل نابل وأكلة لآكل وفريسة لصائد ولا يعني الإمام عليه السلام من ذلك الذم والسلبية فيما يخص البصرة كما فهم الشارحون بأنهم كانوا غرض لأصحاب الجمل[٣] أو كما فهم القسم الآخر بأن تلك الأوصاف الثلاثة لازمة عن خفة عقولهم وسفه حلومهم لذلك فهي طمع القاصد بأنواع الأذى ينشأ عن العلم بقلة عقليتهم لوجوه المصالح لذلك فهم مقصد لمن يريد إذاهم ويطمع في أموالهم ويأكلها ويقصد قتلهم وإهلاكهم[٤]، أو كما فهم ثالث بأنها كلمات تجري مجرى الأمثال فيمن هو سلس القيادة في الشر عسر في الخير يطمع في الاستيلاء

(١) مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٣/ ٥٥١.

(٢) نهج البلاغة، ص٤٩ .

(٣)حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ١/ ٩٨؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ١/ ١٥٢؛ الخراساني، مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة، ٤/ ١٨٤.

(٤) ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة (الكبير)، ١/ ٢٩٤؛ الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٣/ ٢١٢- ٢١٣؛ الغروي، الأمثال والحكم المستخرجة من نهج البلاغة، ص٢٧٥ .

عليه كل طامع[1]، أو كما قال آخر أن ذلك مقصد لمن يريد إذاهم لأنهم في غاية العجز والجبن[2].

إلا ان الإمام عليه السلام يقصد أنهم كانوا غرضاً لكل طامع وأكلة لكل شره أكل ومغنماً لكل صائد موثقاً له بتوثيق علمي فأرضهم قريبة من الماء ومما لا شك فيه ان القرب من البحر يوفر مورداً اقتصادياً تجارياً لذلك كانت محل أطماع وليس كما فهم وحلل بعض الشارحين. ويمكن توضيح عدة أمور من ذلك التوثيق:

١- كون البصرة محط الأطماع السياسية بسبب الجانب الإقتصادي التجاري المميز لتلك المدينة الذي أضفاه موقعها القريب من المياه.

٢- أثر الجانب الإقتصادي على الجانب العقلي بتسفيه عقولهم لأن الثروة والطمع أحد الأمراض.

٣- الحكم التاريخي ذو الإبعاد المستقبلية بأن هذه المنطقة ستكون في كل ظرف وزمن وجهة للأنظار؛ لمؤهلات ذلك الموقع.

٤- لا يفهم من النص السلبية أبداً سواء بخصوص أشخاص هذه المدينة أم المدينة ذاتها بل على العكس تماماً أظهر الإمام عليه السلام الجانب الاقتصادي المميز فيها لذلك تتوجه إليها الأنظار، كما لا يفهم من ذلك الإيجابية في كل الجوانب بل ان الإيجابية ما إضافه الجانب الإقتصادي أما فيما عدى ذلك، فإن القرب من الماء سبب مشكلات بيئية إلى المدينة سواء فيما يخص ملوحة التربة أو المشاكل الجوية أم الفيضانات[3].

---

(١) بيهقي خراساني، معارج نهج البلاغة، ص٩٦؛ كيذري بيهقي، حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة، ١/ ١٩٧.

(٢) شارح من القرن الثامن، شرح نهج البلاغة، ص١٧٣- ١٧٤ .

(٣) ينظر نهج البلاغة، ص٤٨.

المبحث الثاني

توثيق البعد السلبي في مفاهيم السيرة

إن فلسفة طرح السلبيات لبعض الشخصيات إنما هي قائمة على أساس بنائي وإعطاء صورة حقيقية لواقعية ووزن هذه الشخصيات ومدى احتكامها بمنطق الضمير والدين والأخلاق موثق لها بدون افتعال بما يبرز من خلاله عمق الفكرة والصدق لدلائل هذه الشخصية، ومن هنا فإن هناك بعض الشخصيات التي وثق لها الإمام عليه السلام في الإطار الذي نحن بصدده بوصف تاريخ وبيئة ونزعات هذه الشخصيات ومنها شخصية الأشعث بن قيس حينما قال له عليه السلام: «...**حَائِكُ ابْنُ حَائِكٍ**(١)**! مُنَافِقُ ابْنُ كَافِرٍ! وَاللهِ لَقَدْ أَسَرَكَ الْكُفْرُ مَرَّةً وَالْإِسْلَامُ أُخْرَى**(٢) **[مرّه] فَمَا فَدَاكَ مِنْ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مَالُكَ وَلاَ حَسَبُكَ! وَإِنَّ امْرَأً دَلَّ عَلَى قَوْمِهِ السَّيْفَ**(٣)**، وَسَاقَ إِلَيْهِمُ الْحَتْفَ**(٤)**، لَحَرِيٌّ أَنْ يَمْقُتَهُ الْأَقْرَبُ، وَلَا يَأْمَنَهُ**

---

(١) الحياكة الصناعة، والحوك النسج والحائك هو الذي يحوك الكذب على الله ورسوله، ألطريحي، مجمع البحرين، ٥/ ٢٦٣ بالتالي فان الحوك والحائك هي علامة على الكذب وليس المهنة.

(٢) أسر الأشعث في الجاهلية من بني الحارث فأفتدى بثلاث الأف بعير،ابن حزم، جمهرة أنساب العرب ص٤٢٥- ٤٢٦ ولم يرد في المصادر انه اسر في الإسلام وربما ان الإمام (عليه السلام) يقصد بذلك حادثه الغدر أي بعد أن اسر غدر بقومه لأنه ذكر الأسر ثم خيانة قومه وسوق القتل لهم.

(٣) ذكر الشريف الرضي ان قوله (دل على قومه السيف) أراد به حديثا للأشعث مع خالد بن الوليد باليمامة غر فيه قومه ومكر بهم حتى أوقع بهم خالد، ينظر: نهج البلاغة، ص٥٨ وربما ان هذا خطأ أو لبس وقع فيه لأن تلك الحادثة للأشعث كانت مع زياد بن لبيد وليس خالد بن الوليد كما اتفقت عليه المصادر التي سيأتي ذكرها .

(٤) كان الأشعث سبب بل عامل رئيس في إراقة دم قومه فلما تولى أبو بكر امتنعوا(كندة) عن دفع الزكاة وكان عليهم زياد بن لبيد ولما علم ان زياد شجع أصحابه على حرب من أمتنع عن دفع الزكاة جعل الأشعث يحرض قومه حتى نشبت الحرب بينهم فحارب زياد القوم وأقبلت له إمدادات من الخلافة بقيادة عكرمة، ولما رأت قبيلته كندة ذلك صاحت بالأشعث وقالوا ان هذه خيل حامية قد أقبلت ونحن تعبنا وخيلنا قد أكلت وعامتنا جرحى لكن الأشعث شجعهم

الْأَبْعَد!»[1]. من هنا يوثق الإمام عليه السلام للأشعث بأنه حائك بن حائك ولا يقصد الإمام عليه السلام بذلك مهنة الأشعث وهي الحياكة أو ذم هذه المهنة كما فهم بعض الشارحين بأنها مظنة نقصان العقل[2]، بل حائك لأنه يحوك الكذب على الله ورسوله كما فهم القسم الثاني منهم[3] حيث وثق له وفق حادثه تاريخية وهي ان الأشعث كذب وغدر بقومه وأراق دماءهم ودل عليهم القتل[4]، ومن ثم ان النتيجة التي يريد ان يصل لها الإمام عليه السلام ان الأشعث حائك لأنه حاك الغدر والخيانة لقومه وساق لهم القتل وطبيعي من كان هكذا يجب ان يمقته الأقرب ولا يأمنه الأبعد. مما تقدم يمكن الخروج بعدة نقاط:

وأمرهم بالصبر ونهاهم عن العجز فلما أشتد القتال بينهم لجئوا إلى حصن النجير وأغلقوا عليهم الأبواب وما ان طال عليهم الحصار وأشتد الجوع والعطش، بعث الأشعث إلى زياد ان يعطيه الأمان له ولأهل بيته وعشرة من وجوه أصحابه فأجاب زياد إلى ذلك فظن أهل الحصن ان الأشعث أخذ الأمان لهم جميعاً فسكتوا على ذلك، وفتحوا باب الحصن فدخل الجيش وضرب زياد أعناقهم فقالوا له أنما فتحنا الحصن لأن الأشعث خبرنا أنك أعطيت الأمان فقال لهم كذب الأشعث فلم يثبت أحد في الكتاب غيرة وأهل بيته وعشرة من بني عمة فعلموا ان الأشعث هو الذي سلمهم للقتل، ابن أعثم، الفتوح، ١/ ٦٠- ٦٧، وينظر: اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢/ ١٣٢، البلاذري، فتوح البلدان، ١/ ١٢٠- ١٢٣.

(١) نهج البلاغة، ص ٥٧- ٥٨.

(٢) بيهقي خراساني، معارج نهج البلاغة، ص١٠٤- ١٠٥؛ كيذري بيهقي، حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة، ١/ ٢١٣- ٢١٤؛ ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة(الكبير)، ١/ ٣٢٣- ٣٢٤؛ شارح من القرن الثامن، شرح نهج البلاغة، ص ٢٤٧؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ١/ ١٧٨؛ القزويني، شرح نهج البلاغة، ٢/ ٥٨؛ عبده، نهج البلاغة، ١/ ٥٢؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ١/ ١٥٣؛ الخراساني، مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة، ٤/ ٤٩٨؛ علي أنصاريان، شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار، ١/ ١٠٤- ١٠٥؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ١/ ١٢٠؛ ألتستري، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، ٨/ ١٥- ١٦.

(٣) الخطيب، مصادر نهج البلاغة وأسانيده، ١/ ٣٨٦؛ دخيل، شرح نهج البلاغة، ٣/ ١٠.

(٤)ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١/ ٢٩١- ٢٩٢.

١- ان الأشعث بن قيس كان يتصف بنزعات سيئة كالكذب والغدر والخيانة لذلك وثق له الإمام عليه السلام بأنه حائك بن حائك.

٢- قول الإمام عليه السلام (منافق ابن كافر) إشارة إلى أن إسلام الأشعث إسلام متضعضع لم يتعمق الإيمان في قلبه يظهر خلاف ما يبطن.

٣- يستفاد من توثيق الإمام عليه السلام كمصدر لدراسة سيرة الأشعث ولاسيما في الجاهلية إذ ما علمنا ان المصادر التي ذكرت ذلك شحيحة.

من المعلوم ان تصرفات الإنسان التي يقوم بها سواء كانت صحيحة أم خاطئة هي ترجمة لشخصيته وتحديد سماته الخلقية والفكرية، وتعرفنا فيما سبق على ذلك في شخصية الأشعث وما نحن بصدده أيضا من توثيق الإمام عليه السلام لشخصية البرج بن مسهر الطائي[١] بعد ان سمعه يقول لا حكم إلا لله فقال له: «**اسْكُتْ قَبَّحَكَ اللهُ يَا أَثْرَمُ، فَوَاللهِ لَقَدْ ظَهَرَ الْحُقُّ فَكُنْتَ فِيهِ ضَئِيلًا شَخْصُكَ، خَفِيّاً صَوْتُكَ؛ حَتَّى إذا نَعَرَ الْبَاطِلُ نَجَمْتَ نُجُومَ قَرْنِ الْمَاعِزِ**»[٢].

فيوثق الإمام عليه السلام في هذا النص للبرج بن مسهر في قوله بأنه أثرم ولا يقصد من ذلك ساقط الثنايا من الأسنان ولعله كان كذلك، أو أنها عاهة فيه وأصحاب

---

(١) البرج بن مسهر بن جلاس بن الارت من معمري الجاهلية كان مقيم في ديار طيئ بنجد، الزركلي، الأعلام، ٣/ ٤٧، كان شاعراً مشهوراً من شعراء الجاهلية، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٠/ ١٣٠. وربما ان الذي يقصده الإمام عليه السلام في النص ليس هذه الشخصية البرج بن مسهر كما قال الشريف الرضي وإنما المقصود زرعه بن البرج كما ورد في كتب التاريخ ان اثنين من الخوارج وهما زرعه بن البرج وحرقوص بن زهير دخلوا على الإمام عليه السلام بعد التحكيم ثم خرجوا منه يحكمان وأعلنوا خروجهم، ينظر: الطبري، تاريخ الطبري، ٤/ ٥٢- ٥٣، كما انه هذه الشخصية التي ذكر ها الشريف الرضي (البرج بن مسهر) لم اعثر لها على ترجمة ماعدا الزركلي وابن أبي الحديد.

(٢) نهج البلاغة، ص ٣٩٩- ٤٠٠.

العاهات يعيرون بما فيهم من عاهات كما فهم الشارحون[١] معاذ الله ان يصدر هذا الفعل من الإمام ﷺ ان يعير من له عاهة بل موثقاً لذلك أي لما هو أثرم وهو انه حين ظهر الحق كان صغيراً حقيراً ضعيفاً خفي الصوت لم يعد في عداد الموجودين وحين كان الباطل ظهر بغتة بارزاً أكثر إنتفاعاً، واختلف مغنية عن الشارحين بالقول انه أثرم لأنه آثر الحق بالقول أو الفعل[٢]. ومن ثم ان توثيق الإمام ﷺ بقضية علمية بيولوجية وهو الأثرم الذي تسقط أسنانه ثم تظهر أخرى بارزة قوية[٣] لإيصال حقيقة عامة وهي ان سلوك برج بن مسهر عند الحق ضعيف لا يكاد يعد من الموجودين وان ظهر الباطل برز بصورة قوية، ووفق ما تقدم سندرج بعض النقاط:

١- استعمل الإمام ﷺ المنظار العلمي البايولوجي في التوثيق لإيصال الفكرة.

٢- الجانب العلمي في النص تمثل في صفة الإقران في الماعز كمصدر قوة ودفاع.

ومما لاشك فيه ان منطق بعض الحوادث يدل على تفكير الإنسان وقد يكون هذا الفكر مغلقٌ قائماً على العصبية والذي يترجم من سلوكه، ومن هنا يوثق الإمام ﷺ لذلك البعد السلبي في مدلول الشخصية الذي مثله طلحة بن عبيد الله يقول ﷺ حينما يوصي ابن عباس: «**لَا تَلْقَيَنَّ طَلْحَةَ، فَإِنَّكَ إِنْ تَلْقَهُ تَجِدْهُ كَالثَّوْرِ**

(١) الراوندي، شرح نهج البلاغة، ٢/ ٢٠٣؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٠/ ١٣٠، ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة، ٣/ ٤٠٩؛ السرخسي، أعلام نهج البلاغة، ١٧١؛ حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ١٠/ ٤١٢؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٣/ ١١٦؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٣/ ٢١١؛ ألتستري، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، ١٠/ ٤١٣، علي أنصاريان، شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار، ٢/ ٢٠٣؛ دخيل، شرح نهج البلاغة، ١٧- ١٨/ ٥٣؛ عبده، نهج البلاغة، ٢/ ١٣٧.

(٢) مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٣/ ٥١.

(٣) http://www.syrianmeds.net/topic/3530

عَاقِصاً قَرْنَهُ، يَرْكَبُ الصَّعْبَ وَيَقُولُ: هُوَالذَّلُول»[1] هذا القول حين بعث الإمام عليه السلام عبد الله بن عباس إلى الزبير يستفيأه إلى طاعته في حرب الجمل.

فعندما يقول الإمام عليه السلام لعبد الله بن عباس لا تلتقي طلحة فلا يعني الإمام عليه السلام بذلك انتقاصاً من مكانته بل يوثق سبب عدم الإلتقاء مع شخص طلحة بتوثيق علمي وهو أنه أشبه بالثور ووجه الشبه ان الثور عاقص قرنه أي انه يتميز بالكبرياء والغطرسة والمشبه له وهو طلحة، أي ان صفاته تتميز بالعناد والكبر والعصبية[2] كالثور العاقص قرنه المستعد للقتال غير قابل للتفاهم يركب الأمور الصعبة متهوراً مستهيناً بها[3] وما تؤدي إليه من نتائج .

(١) نهج البلاغة، ص ٧٨ .

(٢) وربما نجد تلك الحقيقة من خلال الإطلاع على المصادر التي تناولت سيرة طلحة، فلم تكن نظرة الغطرسة والتكبر عند طلحة رأي فردي قال به الإمام (عليه السلام) بل كانت واقع معروف عند الجميع، ونجد مصداق ذلك في قول الخليفة الثاني لما طعن ودخل عليه عبد الله بن عباس وكان في حالة جزع فسأله عبد الله بن عباس عن سبب جزعة فقال يا بن عباس جزعي لهذا الأمر من يليه من بعدي، فذكر له ابن عباس مجموعة من الأسماء وكان أول ما ابتدأ بطلحة فقال له: أنه رجل فيه حدة وكان الرسول صلى الله عليه وآله يعرفه فلا أولي أمر المسلمين حديداً، الطبرسي، الإحتجاج، ٢/ ١٥٣، (ولدينا تحفظ على هذه الرواية لأن ابن عباس من أنصار الإمام عليه السلام والمؤيدين لخلافته فكيف يرشح طلحة للخلافة) ونجد الصورة أوضح في مصادر أخرى حيث ذكر ابن قتيبة قول عمر ان ما يمنعني تولية طلحة الإ نخوته وكبره، الإمامة والسياسة، ١/ ٤٣، البلاذري، أنساب الأشراف، ٥/ ٥٠١، فالخليفة شهد بأنه مزهو معجب بنفسه، ابن أعثم، الفتوح، ٢/ ٣٢٥، وهناك مدلول أخر على تكبره وانه غير قابل للتفاهم حين حصر عثمان وكان من اشد المحرضين عليه وقد أتاه الإمام عليه السلام طالبا منه ان يرد الناس عن عثمان أو يدخل عليه الماء لكنه كان متعصبا لرآيه رافضاً ذلك التفاهم، ينظر: ابن شبة، تاريخ المدينة، ٤/ ١٢٠٢ .

(٣) الراوندي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ١/ ٢٢٥؛ كيذري بيهقي، حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة، ١/ ٢٥٢؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٢/ ١٦٢- ١٦٣؛ ابن ميثم البحراني، إختيار مصباح السالكين (المتوسط)، ١٣٦؛ الخوئي، الدرة النجفية، ص٩٣؛ حسيني شيرازي،توضيح نهج البلاغة، ١/ ١٦٧؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ١/ ٢٥٠؛ دخيل، شرح نهج البلاغة، ٤/ ٣؛ القزويني، شرح نهج البلاغة، شرح نهج البلاغة، ٢/ ٢٢٣؛ عبده، نهج البلاغة، ١/ ٧٢ .

النتيجة التي نصل إليها من التوثيق هو السيرة الشخصية السلبية التي كان عليها طلحه فالغرض من قول الإمام ﷺ من عدم التفاهم مع طلحة واستدراجه إلى الطاعة قبل الحرب بسبب الصفات النفسية السلوكية المطبوعة بطابع السلبية كالتكبر والعناد المانعة من التفاهم، ومما تقدم يمكن القول:

١- ان الإمام ﷺ يوثق للصفات السيئة لطلحه بن عبيد الله كالتكبر والعناد والتي تتحكم في نفسه وتوجه سلوكه.

٢- نستفيد من التوثيق التوعية والتثقيف لمواجهة المتكبر المتعصب بأساليب خاصة لأنه يكون غير قابل للتفاهم لا يميز بين الحق والباطل ولا يفرق بين الغي والرشاد.

ولابد من القول ان توثيق الإمام ﷺ للشخصيات انطلق فيه من منطلق الشخصية ذاتها ومنطق تفكيرها ومدى الإيمان الذي تمتلكه بحيث يحول نظرتها للحياة من هدف إلى غاية، فيقول ﷺ في عمرو بن العاص[1]. «**عَجَباً لِابْنِ النَّابِغَةِ! يَزْعُمُ لِأَهْلِ الشَّامِ أَنَّ فِيَّ دُعَابَةً، وَأَنِّي امْرُؤٌ تِلْعَابَةٌ: أُعَافِسُ وَأُمَارِسُ! لَقَدْ قَالَ بَاطِلًا، وَنَطَقَ آثِماً. أَمَا -وَشَرُّ الْقَوْلِ الْكَذِبُ- إِنَّهُ لَيَقُولُ فَيَكْذِبُ، وَيَعِدُ فَيُخْلِفُ، وَيُسْأَلُ**

(١) وربما نجد ان الإمام الحسن (عليه السلام) إختصر حياة عمرو بن العاص من الألف إلى الياء وهو ان أمه باغية ولد على فراش مشرك فتحاكمت عليه رجال قريش فغلبهم ألامهم حسبا العاص بن وائل كان عمرو من أشد أعداء رسول الله وبني هاشم في الجاهلية والإسلام هجا الرسول (ﷺ) بسبعين بيت من الشعر فلعنه (ﷺ)، الطبرسي، الإحتجاج، ١/ ٤١١،كان الرسول (ﷺ) يأمره على الجيوش ويستشيره من أجل أن يأتلفه، ابن أبي شيبة، المصنف، ٨/ ٣٥٧، من المشهود له بالدهاء لذلك نجد ان معاوية لا يستغني عن الإستعانة به، قيس، كتاب سليم بن قيس، ص٣٣٦، من أئمة الجور والضلال وقد شهد بذلك لنفسه فعند احتضاره قال لقد دخلت في أمور ما أدري ما حجتي فيها عند الله أصلحت لمعاوية دنياه وأفسدت آخرتي عمي عني رشدي حتى حضر أجلي، المازندراني، شرح أصول الكافي، ٢/ ٣١٥.

فَيَبْخَلُ[1]، وَيَسْأَلُ فَيُلْحِفُ، وَيُخَونُ الْعَهْدَ[2]، وَيَقْطَعُ الْإِلَّ فَإذا كَانَ عِنْدَ الْحَرْبِ فَأَيُّ زَاجِرٍ وَآمِرٍ هُوَ! مَا لَمْ تَأْخُذِ السُّيُوفُ مَآخِذَهَا، فَإذا كَانَ ذَلِكَ كَانَ أَكْبَرُ مَكِيدَتِهِ أَنْ يَمْنَحَ الْقِرْمَ [الْقَوْمَ] سَبَّتَهُ[3]. أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَيَمْنَعُنِي مِنَ اللَّعِبِ ذِكْرُ الْمَوْتِ، وَإِنَّهُ لَيَمْنَعُهُ مِنْ قَوْلِ الْحَقِّ نِسْيَانُ الْآخِرَةِ، إِنَّهُ لَمْ يُبَايِعْ مُعَاوِيَةَ حَتَّى شَرَطَ لَهُ أَنْ يُؤْتِيَهُ أَتِيَّةً، وَيَرْضَخَ لَهُ عَلَى تَرْكِ الدِّينِ رَضِيخَةً[4]»[5].

وهنا يوثق الإمام عليه السلام بالقول ان الذي يمنع عمرو بن العاص من قول الحق والعمل بها هو نسيانه الآخرة وانه لا يؤمن بها، ولم يكن ذلك القول مجرد فرض

(١) إذا سأل يبخل والرواية التي تذكر ان معاوية كتب إلى عمرو في خراج مصر فكتب اليه عمرو:

معاوي إن تدركك نفس شحيحة * فما ورثتني مصر أمي ولا أبي

وما نلتها عفوا ولكن شرطتها * وقد دارت الحرب العوان على قطب

فلما رجع الجواب إلى معاوية تذمم، فلم يعاوده في شئ من أمرها، خير مصداق على بخله، الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٢٢ كما هناك رواية تشخص مدى لؤم عمرو بن العاص وأساليبه الماكرة فقد قال لعائشة لوددت انك قتلتي يوم الجمل فقالت ولم لا أبا لك؟ فقال كنت تموتين بأجلك وتدخلين الجنة ونجعلك أكثر للتشنيع على علي عليه السلام، الطبرسي، الاحتجاج، ١/ ٢٤١.

(٢) أكبر دليل على كونه شخصية غادرة يخون العهود أمر التحكيم عندما اتفق مع أبي موسى الأشعري على خلع كل منهما صاحبه ولاسيما إذا علمنا ان هذا الرأي كان رأي عمرو بن العاص هو الذي قال لأبي موسى نخلع هذين الرجلين ونجعل الأمر شورى بين المسلمين، (لا يعني هذا تبرئة أبي موسى بل لبيان مدى مكر عمرو بن العاص) فخدع أبي موسى ونقض عمرو ما تعاهدوا عليه، الاسكافي، المعيار والموازنة،ص ١٨٩ - ١٩٠، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٤/ ٢٥٦- ٢٥٧.

(٣)كان يظهر بمظهر الشجاع الذي لا يغلب ولا يفر من الحرب،الدينوري،الأخبار الطوال، ص١٧،لكن ما ان يحس بالخطر يقوم بأساليب غير أخلاقية كي لا يقتل كما حدث في صفين،الدينوري، الأخبار الطوال،ص١٧٧.

(٤) ورد في المصادر انه أتى معاوية فباعه دينه، الطبرسي، الاحتجاج، ١/ ٤١١، على ان تكون مصر طُمْعة له، الثقفي، الغارات، ١/ ٢٧١ - ٢٧٢.

(٥) نهج البلاغة، ص ١٥٢- ١٥٣.

أو من غير دليل بل وثّق عليه السلام له وفق السيرة الشخصية والصفات النفسية الخلقية لعمرو وهي انه لا يوجد مصداق في كلامه فهو يقول فيكذب بلا خجل على خلاف أهل الإيمان، وأيضا انه لا يلتزم بالعهود وهذه خاصية أخرى للمؤمنين الذي يؤمنون بالآخرة فهو بعيد عنها لجوجاً في المطالبة، بخيلا يمنع ما هو واجب عليه فلا يعطي سائلاً أو محتاجاً قاطعاً صلة الرحم وفي الجهاد جبان يتظاهر بالبطولة ويحرض على القتال فإذا اشتد القتال وأخذت السيوف مأخذها جبن لأن همه الدنيا وليست الآخرة[1] وترتب على ذلك انه باع دينه في مقابل عطية من عطايا الدنيا[2].

ومما تقدم نستنتج ما يلي:

١- ان عمرو بن العاص كان لا يؤمن بالآخرة بدليل توثيق الإمام عليه السلام ان مبادئ التوحيد كالجهاد وصلة الرحم والوفاء بالعهد وعدم الكذب لم تكن من اهتماماته.

٢- نستنتج من التوثيق الأثر التربوي لذكر الآخرة في صقل شخصية الإنسان.

٣- كما نستدل من النص على أصل عمرو بن العاص و دناءته كما ذكر الإمام عليه السلام نسبته لأمه وهي النابغة.

إن سيطرة الأهواء على عمرو بن العاص مع فقدان الوازع الديني كانت تدل على رذالة وضحالة هذه الشخصية، بل الأدهى من ذلك ان الإمام عليه السلام يوثق كيف إذله الطمع بحيث انحدر به إلى مستوى البهيمة يقول عليه السلام «**فَإِنَّكَ قَدْ جَعَلْتَ دِينَكَ تَبَعاً لِدُنْيَا امْرِىءٍ ظَاهِرٍ غَيُّهُ، مَهْتُوكٍ سِتْرُه ... فَاتَّبَعْتَ أَثَرَهُ، وَطَلَبْتَ فَضْلَهُ، اتِّبَاعَ**

(١) حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٦/ ٧٦- ٨٠؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ١/ ٥١١- ٥١٢؛ دخيل، شرح نهج البلاغة، ٧- ٨/ ٣- ٤؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ١/ ٤١٦- ٤١٧؛ عبده، نهج البلاغة، ١/ ١٤٥.

(٢) السرخسي، أعلام نهج البلاغة، ص٨٨.

الْكَلْبِ لِلضِّرْغَامِ يَلُوذُ بِمَخَالِبِهِ، وَيَنْتَظِرُ مَا يُلْقِى إِلَيْهِ مِنْ فَضْلِ فَرِيسَتِهِ، فَاذهَبْتَ دُنْيَاكَ وَاخِرَتَكَ! وَلَوْ بِالْحَقِّ أَخَذْتَ أَدْرَكْتَ مَا طَلَبْتَ. فَإِنْ يُمَكِّنِ اللهُ مِنْكَ وَمِنِ ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ أَجْزِكُمَا بِمَا قَدَّمْتُمَا، وَإِنْ تُعْجِزَا وَتَبْقَيَا فَمَا أَمَامَكُمَا شَرٌّ لَكُمَا»[١].

فالتوثيق في قول الإمام ﷺ لعمرو بن العاص بإتباعه لمعاوية كما يتبع الكلب للأسد بحيث جعل دينه تبعاً لدنيا معاوية وسبب ذلك موثقاً له الإمام ﷺ وفق القاعدة إذا دنت نفس الفرد وتحكم فيها الطمع تغيب عنها المكارم الإنسانية والأخلاق الحسنه التي ترفع الإنسان، فترسخ أضدادها وتستحكم فيها صفات البهائم، فأصبح كالكلب ينتظر ما يلقى إليه فأتباع عمرو بن العاص لمعاوية نتيجة طمعه ينتظر ما يلقيه إليه معاوية من فضل فريسته[٢].

وفي الإتجاه نفسه وثق الإمام ﷺ للإزدواجية في التعامل مع الدين ونزعات النفس السلبية والتي من انعكاساتها السلوك المنحرف في المجتمع لشخص المغيرة بن شعبة[٣] يقول ﷺ لعمار بن ياسر حين سمعه يراجع المغيرة كلاماً «**دَعْهُ يَا عَمَّارُ، فَإِنَّهُ لَمْ يَأْخُذْ**

---

(١) نهج البلاغة، ص٦٢٣.

(٢) الغروي، الأمثال والحكم المستخرجة من نهج البلاغة، ص١٨- ١٩ .

(٣) المغيرة بن شعبة بن أبي عامر الثقفي، ابن حجر، الأصابه ٦/ ١٥٦، كان يقال له في الجاهلية والإسلام مغيرة الرأي، أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ١٦/ ٣٢١، أسلم بعد ارتكابه جريمة القتل في جماعة من بني مالك لطمعه في أموالهم ثم لحق بالإسلام، ابن قتيبة، غريب الحديث، ٢/ ١٤٦،وكان يقال انه هامان ألامه، وكان عمر بن الخطاب يقول له ما رأيتك قط إلا خشيت ان تقع علي حجارة من السماء وكان من الفاسقين، ابن شاذان، الإيضاح، ص٦٤- ٦٥، معروف بالمكر والدهاء قال قبيصة بن جابر يقول صحبت المغيرة بن شعبة فلو ان مدينه لها ثمانية أبواب لا يخرج من باب منها إلا بمكر لخرج منها جميعها، ابن كثير، السيرة النبوية، ٤/ ٦٦٥، استعمل على الكوفة من قبل عمر بن الخطاب لأنه فاجر قوي فقال لعمر ان الفاجر القوي فجوره على نفسه وقوته لك والمسلمين اعمل فاعمل في ذلك برأيك، صدقه الخليفة وولاة الكوفة، ابن أعثم، الفتوح، ٢/ ٣٢١- ٣٢٢.

مِنَ الدِّينِ إِلَّا مَا قَارَبَتهُ مِنَ الدُّنْيَا، وَعَلَى عَمْدٍ لَبَّسَ عَلَى نَفْسِهِ، لِيَجْعَلَ الشُّبُهَاتِ عَاذراً لِسَقَطَاتِه[1]»[2].

ولابد من القول ان المغيرة من الشخصيات التي تبنت اتجاه الإنحراف وهنا يوثق الإمام ﷺ لتصرفاته البعيدة عن المنهج الإسلامي والثوابت الأخلاقية فلم يأخذ من الدين إلا لما قاربه من الدنيا لا يبتعد به إلى أكثر من ذلك وهذه السلوكيات ليست من السلوكيات الطارئة أو سلوك قهري نتيجة مثلاً تنشئة في أماكن بعيدة عن الإسلام أو لقلة معرفته بمبادئه بل وثق الإمام ﷺ سبب ذلك وهو ان سلوكه هذا وادعاءه الوهم والإلتباس سلوكاً اختيارياً ليجعله عذراً لسقطاته وزلاته التي يقوم بها[3]. ومما تقدم يتضح ما يأتي:

(١) لبس عمداً على نفسه ليجعله ذريعة لعدم خروجه وقد التقى به عمار بن ياسر في زقاق من سكك المدينة- و هو متوشح سيفا- فناداه يا مغيرة، فقال: ما تشاء قال: هل لك في الله عز و جل قال: و أين هو قال: تدخل في هذه الدعوة فتسبق من معك، و تدرك من سبقك، فقال المغيرة: وددت و الله أني لو علمت ذلك، إني و الله ما رأيت عثمان مصيباً و لا رأيت قتله صواباً، فهل لك يا أبا اليقظان ان تدخل بيتك، و تضع سيفك، و أدخل بيتي، حتى تنجلي هذه الظلمة و يطلع قمرها، فنمشي مبصرين، نطأ أثر المهتدين، و نجتنب سبل الحائرين فقال عمار: أعوذ بالله أن أعمى بعد أن كنت بصيراً، يدركني من سبقته، و يعلمني من علمته فقال يا ابا اليقظان إذ رأيت السيل جارياً فاجتنب جريته ولا تكن كقاطع السلسلة فر من الضحل فوقع في الغمر، وسمع كلامهما علي فقال انه على عمد يلبس عزلهُ وانه لم يأخذ من الدين الإ ما خلطته الدنيا فأنتجاه عمر،ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٦٠/ ٤٣- ٤٤، فلزم الطائف أقام بها ينتظر على من تستقيم الأمة فقال رجل لأمير المؤمنين (عليه السلام) إني لأحسب ان الأحنف لأسرع إلى ما تحب من المغيرة فقال (عليه السلام): ما يبالي المغيرة أي لواء رفع لواء ضلاله أو هدى، المفيد، الجمل، ص١٥٩، ولم يكن في شبهه من تجاه جبهة الحق في حرب الجمل بل كان على بينة ومع ذلك اعتزل في الطائف، ابن قتيبة، الإمامة والسياسية، ١/ ٨٢، متمارضا، البلاذري، أنساب الأشراف، ١٣/ ٣٤٦.

(٢) نهج البلاغة، ص ٨٢٣- ٨٢٤ .

(٣) مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٤/ ٤٥١؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٥/ ٥٠١.

١- يوثق الإمام عليه السلام ان شخصية المغيرة شخصية ازدواجية تدعي السذاجة ليكون درعاً وقائياً عند سقطاته وغرضاً لنيل الأهداف الخاصة.

٢- قول الإمام عليه السلام (دعه يا عمّار) يستنتج منه ان عملية الإصلاح كانت لا تجدي نفعا معه لأنه ليس جاهلاً بل متجاهلاً.

ان توثيق الإمام عليه السلام أفصح عن فهم الواقع الحقيقي للشخصيات الموثق لها، وقد اختلفت هذه الشخصيات لكن هناك نتيجة واحد تجمعها وهي السلبية، لذا نجد الأمر يتكرر مع المغيرة بن الأخنس[1] إذ يقول عليه السلام وقد وقعت مشاجرة بينه وبين عثمان فقال المغيرة لعثمان: أنا اكفيكه فقال له «**يَا ابْنَ اللَّعِينِ الْأَبْتَرِ، وَالشَّجَرَةِ الَّتِي لَا أَصْلَ لَهَا وَلَا فَرْعَ**[2]**، أَنْتَ تَكْفِينِي؟ فَوَاللهِ مَا أَعَزَّ اللهُ مَنْ أَنْتَ**

(١) المغيرة بن الأخنس حليف بني زهرة قتل يوم الدار مع عثمان، ابن عبد البر، الاستيعاب، ٤/ ١٤٤٤، كان والده من المنافقين اظهر الإسلام وزعم انه يحبه ويحلف بالله على ذلك لكنه منافق خبيث الباطن وما ان خرج من عند النبي حتى مر على زرع للمسلمين فأحرق الزرع وقتل حمار فنزلت فيه ألأيه(وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ)البقرة/ ٢٠٤، بل قيل لم يسلم قط،ابن حجر،الأصابه،١/ ١٩٢، شهد مع الرسول حنين فأعطاه سهم المؤلفة قلوبهم،ابن الجوزي، المنتظم، ٤/ ١٥٢.

(٢) أبوه منافق وأخوه مشرك قتل في احد فلم يبقى للأخنس عقب، الشيخ المفيد، الإرشاد، ١/ ٩١، شجرة نسبه إلى ثقيف التي اختلف فيهم فزعم أنهم من إياد بن بكر كما قيل هم قوم من بقايا ثمود، ابن عبد البر، الإنباه على قبائل الرواة، ص٧٦- ٧٧ وقد نجد شعر يهجا فيه الحجاج الذي كان من ثقيف أدل على الإختلاف الذي وقع في نسبهم يقول:

ثقيفٌ بقايا من ثمودٍ ومالها ... أبٌ ثابتٌ في قيس عيلان ينسب

إذ انتسبوا في قيس عيلان كذبوا ...وقالوا ثمود جدكم والمغيب

هم ولدوكم غير شك فيمموا ...بلاد ثمود حيث كانوا وعذبوا

وأنت دعيٌّ يابن يوسف فيهم ... زنيمٌ إذا ما حصلوا يتذبذب

ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٧/ ٣٥١.

نَاصِرُهُ، وَلَا قَامَ مَنْ أَنْتَ مُنْهِضُهُ. اخْرُجْ عَنَّا أَبْعَدَ اللهُ نَوَاكَ، ثُمَّ ابْلُغْ جَهْدَكَ، فَلَا أَبْقَى اللهُ عَلَيْكَ إِنْ أَبْقَيْتَ!»[1].

من خلال هذا النص يوثق الإمام ﷺ للمغيرة بأنه لا يعز من نصره أي لا يضفي الفخر والعزة لمن يقدم له النصر فهو ذليل حتى وان كان خليفة، ولا ينهض من منهضه موثقاً الإمام ﷺ عن سبب ذلك بترجمة سيرته النسبية وأصله ليسند بها ما يذكره، فهو لئيم النسب من أب لعين لأنه من أكابر المنافقين سيرته معروفة من المؤلفة قلوبهم، ومن كان نسبة هكذا لا يضفي الفخر والعزة لمن يقدم له النصر كما انه ابتر لأن عقبه ضال خبيثاً فهو كمن لا عقب له وشجرته التي ينسب إليها وهي مدعاة من ثقيف لا أصل لها ولا فرع حيث يزعمون أنهم من هوازن وقيل من إياد بن نزار وقيل أنهم من بقايا ثمود[2]، وشذ قسم آخر من الشارحين بالقول ان المقصود بالشجرة سقوط بيته وما اتصف به من دناءته وحقارته في الناس[3]. والنتيجة من التوثيق ان الإمام ﷺ أراد إيصال حقيقة نسبة وموقفها المعروف من الإسلام على مستوى التاريخ ومن ثم فإن وقفته مع الخليفة لا تقدم له الفخر وهنا نرى:

١- ان الإمام ﷺ يوثق للسيرة النسبية للمغيرة بن الأخنس مع ما في ذلك من مدلولات سلبية.

(١) نهج البلاغة، ص٢٨٢.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٨/ ٣٠١- ٣٠٣؛ ألتستري، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، ٩/ ٢٦٥- ٢٦٧؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٢/ ٣٩٩ - ٤٠٠؛ علي أنصاريان، شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار، ٢/ ٣٣- ٣٤؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٢/ ٢٨٦- ٢٨٧.

(٣) ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة (الكبير)، ٣/ ١٦٣؛ دخيل، شرح نهج البلاغة، ١١- ١٢- / ٩١؛ الخوئي، الدرة النجفية، ص١٧٦ .

٢- نستدل من التوثيق ان شجرة نسبه خاملة بكل معانيها .

٣- قول الإمام ﷺ (أنت تكفيني) استفهام إنكاري لبيان موقعة الحقيقي لأنه تصدر للوقوف بوجه الإمام ﷺ .

وصحيح ان معطيات الشخصية تنسجم مع سيرتها النسبية وتؤخذ بعين الإعتبار لكن ذلك لا يعني قاعدة عامة تنطبق على الجميع فقد تكون هناك شواذ، ومن مصاديق هذا النوع ما يوثق له الإمام ﷺ وهو المنذر بن الجارود[1] يقول ﷺ وقد خان في بعض ما ولاه من أعماله «**أَمَّا بَعْد، فَإِنَّ صَلَاحَ أَبِيكَ غَرَّنِي مِنْكَ**[2]، **وَظَنَنْتُ أَنَّكَ تَتَّبِعُ هَدْيَهُ، وَتَسْلُكُ سَبِيلَهُ، فَإذا أَنْتَ فِيمَا رُقِيَ إِلَيَّ عَنْكَ لَا تَدَعُ لِهَوَاكَ**

(١) واسمه بشر أمه أمامة بنت النعمان، ابن حجر، الإصابة، ٦/ ٢٠٩، ولد في عهد رسول الله (ﷺ) وذكر ابن سعد ان علي ولاه اصطخر فكان سيد جوادا لا يأتيه أحد الإ وصلة، الطبقات الكبرى، ٥/ ٥٦١، ولا أدري هل يعد البذل من أموال المسلمين جوداً، فاحتاز المال فحبسه علي عليه السلام إلى ان شفعه له صعصعة بن صوحان، الثقفي، الغارات، ٢/ ٥٢٢ وكان ينكر انه أخذ الأموال بعد ان شكاه القوم فأستحلفه فلم يحلف فقال صعصعة ان اضمنه فيحلف فقال (ﷺ) وإنا أظنه سيفعل انه نظار في عطفيه مختال في برديه تفال في شراكيه، (أي كان معجب بنفسه مهتم بمظهره) ثم خلى سبيله، البلاذري، أنساب الأشراف، ٢/ ١٦٣- ١٦٤، فمن كانت هذه صفاته لا يمكن ان يعطي صفة الورع والتقوى.

(٢) والده الجارود من الأشراف في الجاهلية حسن المعرفة بتفسير الكتب وتأويلها عالما بسير الفرس بصير بالطب والفلسفة وكان ذو ثروة ومال، الربيعي، قبيلة بنو عبد ألقيس، ٣/ ٦٨،وهو نصراني قدم إلى رسول الله ص في وفد دعاه إلى الإسلام فأسلم وحسن أسلامه وعمل بتعاليم الإسلام فقدم على عمر بن الخطاب يشهد على الوالي الذي ولاه عمر البحرين وهو قدامة بن مظعون بشرب الخمر فقال يا أمير المؤمنين أني رأيت حداً من حدود الله كان حقا علي ان أرفعه ألا ان الخليفة حجم من موقفة وقال أنت خصم ولست شاهد فأملك لسانك أو لأسوءنك فقال ما ذاك بالحق يشرب أبن عمك وتسوءني فوزعه عمر، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٥/ ٥٥٩- ٥٦١، وكانت له صحبة مع رسول الله (ﷺ) وقتل غازيا في بلاد فارس في عهد عمر بن الخطاب، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٦٠/ ٢٨١ فهو من الصلحاء وكانت له مواقف إصلاحية في الاسلام.

انْقِيَاداً، وَلَا تُبْقِي لِآخِرَتِكَ عَتَاداً. تَعْمُرُ دُنْيَاكَ بِخَرَابِ آخِرَتِكَ، وَتَصِلُ عَشِيرَتَكَ بِقَطِيعَةِ دِينِكَ. وَلَئِنْ كَانَ مَا بَلَغَنِي عَنْكَ حَقّاً، لَجَمَلُ أَهْلِكَ وَشِسْعُ نَعْلِكَ خَيْرٌ مِنْكَ، وَمَنْ كَانَ بِصِفَتِكَ فَلَيْسَ بِأَهْلٍ أَنْ يُسَدَّ بِهِ ثَغْرٌ، أَوْ يُنْفَذَ بِهِ أَمْرٌ، أَوْ يُعْلَى لَهُ قَدْرٌ، أَوْ يُشْرَكَ فِي أَمَانَةٍ، أَوْ يُؤْمَنَ عَلَى جبايةٍ]خِيَانَةٍ[فَأَقْبِلْ إِلَيَّ حِينَ يَصِلُ إِلَيْكَ كِتَابِي هَذَا إِنْ شَاءَ الله»[1].

فالتوثيق هنا في قول الإمام ﷺ للمنذر الذي كان والده من الصلحاء ان جمل أهلك وشسع نعلك خير منك ليس بالشجاع الذي يصلح ان يجعل في المواضع المهمة وليس أهلاً ان ينفذ به أمر أو يؤمن على جباية ولم يأتِ هذا الكلام استرسال دون عضد وتأكيد بل موثقاً له من جميع أبعاده للكشف عن مضامين سيرته ومدلالولاتها التي جعلت شسع نعله خير منه، وهو انه أولاً: رهين هواه لم يجعل له سبيل، يسلك وفقه فجذبته الدنيا وحجبته عن الرؤيا السليمة لأنه أسير شهواته ضعيف أمام إغراءات المادة، ثانياً: أنه كان قليل الايمان متعلق بالدنيا إذ كانت أكبر همه فقيدته عن العمل للآخرة فلم يعمل عمل يعتد به يوم القيامة ويقدمه يوم الحساب فعمر دنياه حيث البذخ والتمتع بأموال الفقراء وخرب أخرته، ثالثاً: عدم الوفاء فيما أؤتمن عليه وإيثاره عشيرته وإغداقه الأموال عليهم على حساب دينه [2].

ان النتيجة التي يريد ان يصل إليها الإمام ﷺ هو السبب الذي اطر هذه الشخصية بإطار السلبية أولاً، وثانياً ترسيخ فكرة ان حسن سيرة العائلة لا تعني

(١) نهج البلاغة، ص٧٠٧.

(٢) الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٥/ ١٨٠- ١٨١؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٤/ ٢٤٥- ٢٤٦؛ دخيل، شرح نهج البلاغة، ٣١- ٣٢/ ٦٤.

دائماً ان لها دوراً في صياغة نفس الإنسان سلوكياً وتحديد ممارساته ولا تنطبق القاعدة على الجميع لأن الشخص قد ينحرف عن طريق أبوية ويسلك طريق آخر، وثالثاً بعد الفكر السياسي في النص أي ان من سيطرت عليه الأهواء وما إلى ذلك من محسوبية ومنسوبيه في الوظيفة لا يمكن ان يتولى ولا يعتمد عليه ولا يؤمن أن يشرك في أمانة.

ومن المفاهيم السلبية الآخرى التي وثق لها الأمام عليه السلام هو الغدر في شخصية مروان بن الحكم[1] مع ما تملية من معطيات للتعامل معها، يقول عليه السلام عندما استشفع الحسن والحسين (عليهما السلام) له ثم قالا يبايعك يا أمير المؤمنين قال عليه السلام «**أَوَلَمْ يُبَايِعْنِي بَعْدَ قَتْلِ عُثْمَانَ؟ لَا حَاجَةَ لِي فِي بَيْعَتِهِ! إِنَّهَا كَفٌّ يَهُودِيَّةٌ لَوْ بَايَعَنِي بِيَدِهِ لَغَدَرَ بِسَبَّتِهِ**[2] أَمَا

(١) مروان بن الحكم بن أبي العاص ابن عم عثمان، والحكم هو الذي كان يحكي مشية الرسول فطرد ولم يزالوا طرداء حتى ردهم عثمان، البلاذري، أنساب الأشراف، ٦/ ٢٥٥- ٢٥٦،لقب بخيط باطل، المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ٣/ ٨٦، لا يعرف بالزهد ولا بالهمة ولا بصحبة صارت اليه الخلافة بالغلبة وتوارثها من بعده أبناءه، المقريزي، النزاع والتخاصم، ص٥٣- ٥٤.

(٢) ألسبه الاست، والسبه جمع السب وهي الدبر، ابن منظور، لسان العرب، ١/ ٤٥٧، والكف اليهودية أي الغدر والخيانة لأن صفات اليهود وطبيعتهم الغدر والخيانة، للتفاصيل ينظر، مرتضى، الصحيح من سيرة النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله)، ٦/ ٣٣٥ وما بعدها، وهذه الصفات هي ذاتها عند مروان، فكان من ضمن النفر الذين لم يبايعوا علي (ع) حتى يعفوا عما في أيديهم، ثم ما لبث ان بايع بعد رفض الإمام (عليه السلام) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢/ ١٧٨- ١٧٩، ثم نقض البيعة وخرج في حرب الجمل مع عائشة وطلحة والزبير مع معاوية، ابن حجر، الأصابه، ٦/ ٢٠٤ كما من المعروف عن مروان بن الحكم أسرع إلى نقض العهود وخير مصداق على ذلك عندما أخذ عليه العهد عند ثورة أهل المدينة ان لا يدل على عورة وإحلفوه عند منبر رسول الله لكنه سرعان ما نقض العهد وقدم تفاصيل مفصلة عنهم عند التقائه بالجيش الذي بعثة يزيد بعد خروجه من المدينة، ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ١/ ٢٣٠- ٢٣٢، كما انه غدر ببني أمية و خرق الإتفاق بتعيين والده ولياً للعهد وكان من المتفق ان تعود الخلافة للسفيانيين بعده، ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ٢/ هامش٢٢.

إِنَّ لَهُ إِمْرَةً كَلَعْقَةِ الْكَلْبِ أَنْفَهُ[1]، وَهُوَ أَبُو الْأَكْبُشِ الْأَرْبَعَةِ[2]، وَسَتَلْقَى الْأُمَّةُ مِنْهُ وَمِنْ وُلْدِهِ يَوْماً [موتا] أَحْمَرَ!»[3].

وبموجب النص المتقدم يوثق الإمام عليه السلام انه ليس بحاجة إلى بيعة مروان بن الحكم ولم ينطلق الإمام عليه السلام لهذا القول من منطلق شخصي أي انه رفض ان يبايع له لأنه خرج عليه في حرب الجمل وانه تحامل عليه، حتى وان صح ذلك ليس هناك ما يمنع من هذا القول لأنه خرج على إمام معصوم أولاً وخليفة لا يمكن الخروج عليه حسب قولهم [4] ثانياً، لكن يمكن القول ان الإمام عليه السلام أسمى من ذلك بل يوثق للغاية من ذلك في قوله أنها كف يهودية، أي ان صفاته كصفات اليهود من طبيعتهم الغدر والخيانة ومروان هكذا يتصف بالغدر لا يطول به أمد الولاء وهذه البيعة لا تنفع أو تقف دون غدره فقد بايع بعد قتل عثمان ثم خرج محارباً فان بيعته وعدمها سواء فلو بايع بيده فانه سيغدر سرا[5] . ومما تقدم نستنتج ما يلي:

(١) قصر مدة خلافته أو ولايته حيث كانت عشرة أشهر، ابن قتيبة، المعارف، ٣٥٤ كالزمن الذي يتخلل لعق الكلب انفه.

(٢) كبش الكتيبة قائدها، ألفراهيدي، العين، ٥/ ٢٩٨ والاكبش الأربعة أي القواد الأربعة، وهم عبد الملك الذي تولى الخلافة وعبد العزيز تولى مصر وبشر صاحب العراق ومحمد تولى الجزيرة والثغور، ابن حزم، جمهرة أنساب العرب،ص ٨٧،وكانوا جميعهم سفاكين وأشهرهم محمد بن مروان كان جباراً لا يبالي ما يصنع فكان يقال مروان أكفر من حمار الازد وهو حمار بن مالك بن نصر بن الأزد كان جباراً قتالاً لا يبالي ما أقدم عليه فسمي حمار الجزيرة، البلاذري، أنساب الأشراف، ٤/ ١٥٩.

(٣) نهج البلاغة، ص١٢٥.

(٤) الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ص٧ .

(٥) بيهقي خراساني، معارج نهج البلاغة، ص١٤٧؛ كيذري بيهقي، حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة، ١/ ٣٥٨- ٣٥٩؛ ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة، ٢/ ٢٠٣؛ حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٥/ ٢٢٠؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ١/ ٢٨٥- ٢٨٦؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ١/ ٤٢٨؛ عبده، نهج البلاغة، ١/ ١٢٠؛ مغنية، في ظلال نهج

١- بناء أطار موثق فيما يخص الصفات السلبية لمروان بن الحكم.

٢- استعمل الإمام ﷺ السيرة التاريخية لليهود وهي الغدر والخيانة وعدم الالتزام، لتوافق هذه السيرة مع النموذج الذي يريد طرحه.

٣- أشار الإمام ﷺ لقضايا مستقبلية تاريخية وهي ان مروان سيتولى الخلافة كما أشار لقصر مدتها، وانه والد الرؤساء الأربعة ذكرهم ابن ميثم البحراني وهم عبد الملك تولى الخلافة (٦٥هـ - ٨٦م) وعبد العزيز تولى مصر (٦٥هـ - ٨٥م) وبشر ولى العراق (٧٤ هـ - ٧٥م) ومحمد ولى الجزيرة ويحتمل انه يشير بذلك إلى أولاد عبد الملك الذين تولوا الخلافة وهم الوليد (٨٦هـ - ٩٦م) وسليمان(٩٦هـ - ٩٩م) و يزيد (١٠١هـ - ١٠٥م) وهشام (١٠٥هـ - ١٢٥م)، كما اخبر ما سيجري على الأمة على أيديهم [١] وهذا الإخبار لها أبعاد هادفة من أجل التوعية لبناء صوره في عقول الناس وتوعيتهم على تجنبها لأن ذلك يجر الإذى على الأمة.

ولابد من القول أن الإمام ﷺ كثير ما يستعين بالتاريخ للتوثيق للشخصيات لأنه لا يمكن النظر للشخصية بمعزل عن ماضيها التاريخي، وقد تعرفنا فيما سبق على هذه النظرة، لذا نجد الأمر نفسه في توثيق الإمام ﷺ لشخصية أخرى من هذا المنطلق وهو مصقلة بن هبيرة الشيباني[٢] وهبيرة كان قد ابتاع سبي بني ناجية من عامل أمير المؤمنين ﷺ فلما طالبه بالمال خاس به وهرب إلى معاوية في الشام،

البلاغة، ١/ ٣٥٨؛ الخطيب، مصادر نهج البلاغة وأسانيده، ٢/ ٦٨؛ المحمودي، نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، ١/ ٣٨٠.

(١) ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة، ٢/ ٢٠٤.

(٢) مصقلة بن هبيره الشيباني من بكر بن وائل قائد من الولاة كان من رجال علي بن أبي طالب، الزركلي، الأعلام، ٧/ ٢٤٩.

فقال عليه السلام «قَبَّحَ اللهُ مَصْقَلَةَ! فَعَلَ فِعْلَ السَّادَةِ [السّادات]، وَفَرَّ فِرَارَ الْعَبِيدِ![1] فَمَا أَنْطَقَ مَادِحَهُ حَتَّى أَسْكَتَهُ، وَلَا صَدَّقَ وَاصِفَهُ حَتَّى بَكَّتَهُ، وَلَوْ أَقَامَ لَأَخَذْنَا مَيْسُورَهُ، وَانْتَظَرْنَا بِمَالِهِ وُفُورَهُ»[2].

وهنا يوثق الإمام عليه السلام ان مصقلة فعل فعْل السيد الكريم لكنه ليس إلا عبد حيث فر كما يفرون موثقاً لذلك بحادثة تاريخية وهي انه ابتاع سبي بني ناجية عندما استنجدوا به لكنه خاس بالمال ولم يدفعه ففر إلى معاوية، كما يفر العبيد فلم يمدحه احد لأن فعل القبح محا الحسن وما كاد يصفه واصف حتى أسكته وعاد إلى توبيخه وتقريعه[3].

(١) أشترى سبي بني ناجية وبنو ناجية ينسبون إلى قريش وقريش تدفعهم إلى ناجية وهي أمهم وقيل ان سبب سبيهم، انه بعد حرب الجمل دخل أهل البصرة في الطاعة غير بني ناجية فبعث إليهم الإمام علي (ع) من أصحابه ليقاتلهم فافترقوا ثلاث فرق فرقه قالوا كنا نصارى وأسلمنا ونبايع وفرقة قالوا كنا نصارى فلم نسلم وخرجنا مع القوم كرها ثم هزموا فندخل فيما دخل فيه الناس ونعطيكم الجزية كما أعطيناهم وفرقة قالوا كنا نصارى فأسلمنا ولم يعجبنا الإسلام فنرجع نعطيكم الجزية كالنصارى فقال لهم توبوا فأبوا فقاتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم فقدم بهم على أمير المؤمنين (عليه السلام)، الثقفي، الغارات، ٢/ ٧٧٠- ٧٧١، مر بهم على مصقلة كان عاملاً على أردشير خره فصاح النساء والرجال امنن علينا واشترنا فقال أقسم بالله لأتصدقن عليكم ان الله يحب المتصدقين فقال علي والله لولا أني أعلمه قالها توجعا له لضربت أعناقهم فاشتراهم مصقلة بمائتي ألف لكنه لم يدفع المال وورد الخبر ان مصقلة أطلق سبيل الأسارى ولم يسألهم ان يعينوه على فكاك أنفسهم فقال (ع) ما أظن ان مصقلة سيحمل حماله سترونه عن قريب منها ملبدا فكتب اليه ان أعظم الخيانة خيانة الأمة وأعظم غش الغش الإمام وعندك من حق المسلمين خمسمائة، وكان قد دفع نصف المبلغ، فقال أما والله لو ان ابن هند طالبني بها أو ابن عفان لتركاها لي فلحق بمعاوية وولى معاوية مصقلة طبرستان، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٥٨/ ٢٧١- ٢٧٣ فعاقبه الإمام (عليه السلام) على فعلته بهدم داره، اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢/ ١٩٥.

(٢) - نهج البلاغة، ص٩٧.

(٣) كيذري بيهقي، حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة، ١/ ٢٩٠- ٢٩١؛ ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة(الكبير)، ٢/ ١١٦- ١١٧؛ شارح من القرن الثامن، شرح نهج البلاغة،ص ٤٨٥- ٤٨٦؛

ربما ان ما مر من فلسفة طرح السلبيات لبعض الشخصيات قائم على صفة بارزة طبعت تلك الشخصية بطابع السلبية، لكن في الوقت ذاته نجد ان الإمام عليه السلام يوثق لتمحور كل تلك الصفات في شخصية واحدة مما أضفى مفهوم السلبية بكل معانيها، ومن هذه الشخصيات التي وثق لها هو معاوية بن أبي سفيان، ولعل الشراهة أو ألنهمة مع ما تضفيه من تصرفات بجانبيها المادي والمعنوي من ابرز مفاهيم السلبية في شخص معاوية، حيث يقول عليه السلام «**أَمَّا إِنَّهُ سَيَظْهَرُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي رَجُلٌ رَحْبُ الْبُلْعُومِ، مُنْدَحِقُ الْبَطْنِ، يَأْكُلُ مَا يَجِدُ وَيَطْلُبُ مَا لَا يَجِدُ، فَاقْتُلُوهُ، وَلَنْ تَقْتُلُوهُ! أَلَا وَإِنَّهُ سَيَأْمُرُكُمْ بِسَبِّي وَالْبَرَاءَةِ مِنِّي ...**»[1].

ويمكن القول ان هذا النص يخص توثيق أخر وفيه أخبار عن قضية مستقبلية لكن نستشف منه ما يخص موضوعنا، حيث يوثق الإمام عليه السلام ان معاوية بن أبي سفيان رحب البلعوم أي واسع ومندحق البطن عظيمة بارزه موثقا لسبب ذلك بتوثيق علمي وهو لأنه كان يأكل فيكثر، يأكل ما يجد ولشدة نهمه يطلب ما لا يجد[2].

وشذ قسم آخر من الشارحين بالقول ان المقصود بذلك زياد[3]، لكن يمكن

حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ١/ ٢٠٩- ٢١٠؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ١/ ٢٦٦- ٢٦٧؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة؛ ١/ ٣٢٦- ٣٢٧؛ دخيل، شرح نهج البلاغة، ٤/ ٣٤- ٣٥؛ الخوئي، الدرة النجفية، ص١٠٣.

(١) نهج البلاغة، ص١٠٨- ١٠٩.

(٢) الراوندي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ١/ ٢٧٦- ٢٧٧؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٤/ ٥٤- ٥٥؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ١/ ٢٣٧؛ ألتستري، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، ٥/ ٥٦٨- ٥٦٩؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ١/ ٣٦٩؛ علي أنصاريان، شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار، ١/ ١٧٨- ١٧٩؛ دخيل، شرح نهج البلاغة، ٥- ٦/ ١٢؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ١/ ٣٠٧؛ الخطيب،مصادر نهج البلاغة وأسانيده، ٢/ ٢٦.

(٣) بيهقي خراساني، معارج نهج البلاغة، ص١٣٨؛ كيذري بيهقي، حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة، ١/ ٣١٩؛ السرخسي، أعلام نهج البلاغة، ص٧٥.

القول ان هذه الصفات تنطبق مع ما ذكرته المصادر عن معاوية[١] أولًا، وثانياً ان قول الإمام ﷺ انه سيأمركم بالسب فسبوني دليل على انه معاوية، لأن فلسفة السب واللعن كانت بتشريع من معاوية[٢] وليس من زياد. ويمكن مما تقدم القول ان النص يوحي بما يأتي:

١- شكل معاوية بن أبي سفيان كان غير طبيعي موثقاً الإمام ﷺ للأسباب الموضوعية التي أدت لذلك، وهي في الوقت نفسه تنم عن جشعة ولا يعني بذلك المستوى المادي فقط وإنما يشمل المعنوي فلا يقصد بالشكل الهيأة فقط.

٢- الأبعاد أو الإخبار المستقبلية عن تسلط معاوية فقوله ﷺ (أما إنّه سيظهر) دليل عليتوليه بالغلبة والقوة.

٣- توعية وتحذير من الإنحرافات العقائدية المستقبلية ووضع حجر الأساس لمواجهتها.

كما يوثق الأمام ﷺ لمفاهيم سلبية أخرى تمثلت في شخصية معاوية ولعل أهمها كونه يتعامل بهواه وفق العاطفة والميول وليس بعقلة، ومن دون شك ان

---

(١) وتذكر المصادر ان بطنة معاوية كانت نتيجة دعاء الرسول ﷺ حيث بعث له ليكتب لبني خزيمة ولم يأتِ ثلاث مرات وهو يأكل فقال الرسول أللهم لا تشبع بطنه فهي والله في نهمتك، الطبرسي، الإحتجاج، ٤٠٧- ٤٠٨ ولدينا تحفظ على هذه الرواية فكيف يكون معاوية كاتب للرسول بل وضع ذلك منقبة في مقابل ما ذم به هذا أولا وثانيا ان معاوية كان شرها على الطعام من قبل ان يدعو عليه الرسول (ﷺ) ودليل هذه الرواية حيث بعث له ثلاث مرات وفي الثلاث كان يأكل؛ وقيل للنسائي ألا تذكر فضائل معاوية فقال وماذا اخرج حديث اللهم لا تشبع بطنه، النسائي، الضعفاء والمتروكين، ص١٣٩؛وذكر شاعر يصف رجلا أكولا :

وصاحب لي بطنه كالهاوية ... كأن في أمعائه معاوية

الثعالبي، يتيمة الدهر، ٣/ ٤٦٥؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٤/ ٥٥.

(٢) ينظر علي رحيم أبو الهيل، السياسة الأموية المضادة للأمام علي -ع- (دراسة في سياسة السب)، جميع الصفحات.

كمال الإنسان والسمو ذات ومعنى متوقف على العمل الصالح البعيد عن الهوى وما يكتسبه من كمال نفسي على المستويات كافة ومن البديهي ان عدمه يؤدي إلى آثار أخرى، كما سنرى ذلك في شخص معاوية يقول عليه السلام «**وَلَعَمْرِي، يَا مُعَاوِيَةُ، لَئِنْ نَظَرْتَ بِعَقْلِكَ دُونَ هَوَاكَ لَتَجِدَنِّي أَبْرَأَ النَّاسِ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ، وَلَتَعْلَمَنَّ أَنِّي كُنْتُ فِي عُزْلَةٍ عَنْهُ إِلَّا أَنْ تَتَجَنَّى؛ فَتَجَنَّ مَا بَدَا لَكَ!**»[1].

فهنا يوثق الإمام عليه السلام ان الأهواء كانت تسيطر على معاوية فأصبح عقلة مقيد وأسير بسبب ميوله ورغباته التي منعته من اتخاذ القرار الصائب، مسنداً ما يريد توثيقه لذلك بحادثة تاريخية وهي قتل عثمان؛ لأن معاوية كان في مقام معاقبة قتلة عثمان متهماً الإمام عليه السلام ليس لجهله ببراءته بل لأنه كان يتعامل وفق ميوله[2]، ومن ثم أن توثيق الإمام عليه السلام بحادثة مقتل عثمان ليترجم ويفصح عن ان معاوية كان يتعامل بأهوائه وليس بعقلة.

وقريب من هذا المعنى قوله عليه السلام «**امَّا بَعْدُ، فَقَدْ اتَتْنِي مِنْكَ مَوْعِظَةٌ مُوَصَّلَةٌ، وَرِسالَةٌ مُحَبَّرَةٌ، نَمَّقْتَها بِضَلالِكَ، وَامْضَيْتَها بِسُوءِ رَأْيِكَ، وَكِتابُ امْرِئٍ لَيْسَ لَهُ بَصَرٌ يَهْدِيهِ، وَلا قائِدٌ يُرْشِدُهُ، دَعاهُ الْهَوى فَأَجابَهُ، وَقادَهُ الضَّلالُ فَاتَّبَعَهُ، فَهَجَرَ لاغِطاً، وَضَلَّ خابِطاً**»[3].

وهنا يبني الإمام عليه السلام إطاراً علمياً في التوثيق لشخصية معاوية وتأثير الصفات النفسية في ذلك، فيوثق ان معاوية ليس له بصيرة تهديه ولا قائد من دين أو ضمير

(١) نهج البلاغة، ص٥٥٢- ٥٥٣.

(٢) ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة، ٤/ ٣٥٣- ٣٥٤؛ الخوئي، الدرة النجفية، ص٣٠٠؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٤/ ١٣٩؛ ألتستري، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، ٩/ ٣٩٨- ٣٩٩؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٣/ ٣٩٢؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٣/ ٤٣٦.

(٣) نهج البلاغة، ص٥٥٣.

يأخذه إلى الإستقامة والعدل أي ان معاوية فاقد البصيرة والدين والضمير موثق الإمام ﷺ لسبب ذلك أولاً: لأنه استجاب لشهواته وميوله بمجرد ان دعته إلى الإنحراف والرذيلة أي ان شهواته استعبدته، وثانياً: قادة أو سيطر عليه الإنحراف والضلال بدل الهدى والرشد فتابعة من دون توقف أو أشكال وخير دليل على ذلك هو هذه الرسالة التي لا يجمعها نظام ولا هدف كانت في ظاهرها موعظة مطلية بطلاء يظهر منه الجودة لكن ما في داخلها فاسد أحتال معاوية بالعبارات لتظهر بمظهر الموعظة كالتقوى وفي عمقها تحمل السم فكان حديثة يحمل اللغط[1].

ويمكن ان نستدل ما يأتي:

١- نستدل من التوثيق فقدان الوازع الديني لدى معاوية الذي يزود بالحصانة الواقعية من الإنحراف سبب ذلك وثق له الإمام ﷺ لأن الهوى والضلال استحكمت عليه.

٢- نستدل كيف ان الأهواء أبرزت معطياتها المادية على صعيد حياته الفكرية بحيث لم يكن فيها للعقل وجود.

٣- اللغط والتخبط في الأمور نتيجة الإنحرافات النفسية.

أما على الصعيد العقائدي يقول ﷺ «**فَاتَّقِ اللهَ فِيمَا لَدَيْكَ، وَانْظُرْ فِي حَقِّهِ عَلَيْكَ، وَارْجِعْ إِلَى مَعْرِفَةِ مَا لَا تُعْذَرُ بِجَهَالَتِهِ، فَإِنَّ لِلطَّاعَةِ أَعْلَاماً وَاضِحَةً، وَسُبُلًا نَيِّرَةً، وَمَحَجَّةً نَهْجَةً، وَغَايَةً مُطَّلَبَةً [مطلوبة]، يَرِدُهَا الْأَكْيَاسُ، وَيُخَالِفُهَا الْأَنْكَاسُ؛ مَنْ نَكَبَ عَنْهَا جَارَ عَنِ الْحَقِّ، وَخَبَطَ فِي التِّيهِ، وَغَيَّرَ اللهُ نِعْمَتَهُ، وَأَحَلَّ بِهِ نِقْمَتَهُ. فَنَفْسَكَ نَفْسَكَ! فَقَدْ بَيَّنَ اللهُ لَكَ سَبِيلَكَ، وَحَيْثُ تَنَاهَتْ بِكَ أُمُورُكَ، فَقَدْ أَجْرَيْتَ**

(١) الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٤/ ١٤١؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٣/ ٤٣٧؛ دخيل، شرح نهج البلاغة، ٢٥- ٢٦/ ١٧- ١٨.

إِلَى غَايَةِ خُسْرٍ، وَمَحَلَّةِ كُفْرٍ، فإِنَّ نَفْسَكَ قَدْ أَوْجَتْكَ شَرّاً، وَأَقْحَمَتْكَ غَيّاً، وَأَوْرَدَتْكَ الْمَهَالِكَ، وَأَوْعَرَتْ عَلَيْكَ الْمَسَالِك»[1].

ونجد في هذا النص توثيقين أبرز فيهما الإمام ﷺ النتيجة الواقعية لسيطرة الأهواء على معاوية وأثرها على الصعيد المستقبلي والعقائدي.

التوثيق الأول،وثق لقضية مستقبلية وهدف الإمام ﷺ هنا ليس التوثيق المستقبلي في حد ذاته بل ليحدد خصائص شخصيته التي أدت إلى هذه النتيجة المستقبلية والتوثيق في قوله ﷺ أجريت إلى غاية خسر أي الغاية التي توجب خسران كل شيء، موثقاً لذلك القول وفق السنة الإلهية أو الناموس الطبيعي لأنه جائر عن الحق مخالف الطاعة التي أعلامها واضحة متمثلة في الكتاب والسنة والمعصوم وغير نعمة الله وخبط في التيه، ومن ثم ان السنن الإلهية جارية على كل من خالف الحق والعدل فيسلبه الله هذا الحق والعدل، ويمكن القول ان ذلك لا يعني بالضرورة خسران نعم الدنيا، ان هدف الإمام ﷺ من ذلك التوثيق ليجسد ما تنطوي عليه هذه الشخصية من تهافت جائر عن الحق والطاعة التي لا يخالفها سوى الإنكاس. التوثيق الآخر توثيق الهوية العقائدية أو الدينية متمثلة في قولة (أجريت إلى محلة كفر) أي تسعى لأن تكون في مكانة كفر موثقاً ﷺ لسبب ذلك نتيجة سلوكه لأن نفسه كانت نفساً خبيثة بوساوسها الشيطانية زينت له مسالك الغي والضلال فأوعرت علية المسالك دون وعي منه بسبب ضلاله فأبرزت معطياتها السلبية الدنيوية والأخروية المترتب عليها الكفر[2].

(١) نهج البلاغة، ص٥٨٩- ٥٩٠.

(٢) ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة،(الكبير) ٤/ ٤٥٠؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٤/ ٢٤٥-٢٤٦.

ومما لا ريب فيه ومن المتسالم عليه ان شخصية معاوية مثلت كل مفاهيم السلبية كانت فاقدة كل ميزة إنسانية أخلاقية ويمكن الاستدلال على ذلك من تعامله الإجتماعي، يوثق الإمام عليه السلام ليؤكد هذا الطرح فيقول في كتابه إلى عمرو بن العاص «**فَإِنَّكَ قَدْ جَعَلْتَ دِينَكَ تَبَعاً لِدُنْيَا امْرِىءٍ ظَاهِرٍ غَيُّهُ، مَهْتُوكٍ سِتْرُهُ، يَشِينُ الْكَرِيمَ بِمَجْلِسِهِ، وَيُسَفِّهُ الْحَلِيمَ بِخَلْطَتِهِ**»[1].

فعندما يقول الإمام عليه السلام في هذا النص ان انحراف معاوية علني ظاهر للجميع مهتوك ستره وأمره مفضوح فهو خارج عن كل الموازين الأخلاقية، لا يعني بذلك مجرد كلمات لا يستدل عليها أو تجني على شخص معاوية بل وثق لها بدليل واقعي بتعامله مع الأشخاص في قوله عليه السلام يشين الكريم بمجلسة ويسفه الحليم بخلطته، أي انه يتعامل مع أصحاب الثقل الإجتماعي أو ذوي المكانة كالكريم والحليم تعامل غير أخلاقي فهو يفضح ويشنع الكريم بمجلسه ويصبح الحليم المتزن بمخالطته معاوية خفيف العقل مضطرب الرأي[2]. ومن هذا التوثيق نستدل على ان مدلولات سلوكه الإجتماعي في تعامله مع الآخرين تثبت إنحرافه وفقدانه الجانب الأخلاقي.

ولم يقتصر توثيق الإمام عليه السلام للمفاهيم السلبية على الأحوال الشخصية البدنية والسلوكية بل وثق الإمام عليه السلام للأساليب السياسية السلبية والتي أتبعها معاوية أيضاً واضعاً عليه السلام النقاط على أبعاد تلك السياسة، ولعل من أبرز البرامج الإعلامية التي اتبعها ذات الأهداف السياسية الكامنة هو دراسته المجتمع وانطلاقة من عقيدته، يقول عليه السلام وفق هذا المعنى في كتابه إلى معاوية: «**فَقَدْ أَتَانِي**

(١) نهج البلاغة، ص٦٢٣.

(٢) المحمودي، نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، ٤/ ٢٥٠- ٢٥١؛ دخيل، شرح نهج البلاغة، ٢٧- ٢٨/ ١٠١- ١٠٢.

كِتَابُكَ تَذْكُرُ فِيهِ اصْطِفَاءَ اللهِ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله لِدِينِهِ، وَتَأْيِيدَهُ إِيَّاهُ بِمَنْ أَيَّدَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ؛ فَلَقَدْ خَبَأَ لَنَا الدَّهْرُ مِنْكَ عَجَباً؛ إِذ طَفِقْتَ تُخْبِرُنَا بِبَلَاءِ اللهِ تَعَالَى عِنْدَنَا، وَنِعْمَتِهِ عَلَيْنَا فِي نَبِيِّنَا، فَكُنْتَ فِي ذَلِكَ كَنَاقِلِ التَّمْرِ إِلَى هَجَرَ، أَوْدَاعِي مُسَدِّدِهِ إِلَى النِّضَالِ. وَزَعَمْتَ أَنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ فِي الْإِسْلَامِ فُلَانٌ وَفُلَانٌ؛ فَذَكَرْتَ أَمْراً إِنْ تَمَّ اعْتَزَلَكَ كُلُّهُ، وَإِنْ نَقَصَ لَمْ يَلْحَقْكَ ثَلْمُهُ»[1].

من خلال هذا النص يوثق الإمام عليه السلام للمظهر الذي ظهر به معاوية وتذكيره باصطفاء الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) وتأييدهُ بالصحابة وذكر فضائل الخلفاء ليس إيمانا من معاوية بل موثقاً الإمام عليه السلام ان هناك أهداف ونوايا خفية من وراء ذلك بدليل ذكره فضائل الصحابة لأن المجتمع كان مجتمع خلافة فإن خالف ذلك إعتزله الجميع وإلا لم يكن معاوية يقيم وزناً لأحد[2] بل انه استفاد من ما هو محبب

(١) نهج البلاغة، ص٥٨٠- ٥٨١.

(٢) وربما ان خير دليل على ان معاوية كان لا يقيم وزن لأحد وان ذكر فضائل الصحابة هي نوايا خفية سياسية من أجل تأييد حكمهُ لا أكثر ولا أقل، عندما يتحدث عن عمر، حيث بعث معاوية إلى حصين بن المنذر الذهلي فدعاه وأدناه وقال له بلغني ان لك عقلاً وعلماً ورآياً في الأمور فأخبرني من فرق بين هذه الأمة وسفك دماءها وشق عصاها قال له قتل أمير المؤمنين عثمان قال ما صنعت شيئا قال الحصين مسير علي إلى عائشة وطلحة والزبير ومسير علي إليك وقتالكم بصفين والذي كان بينكم من سفك الدماء قال ما صنعت شيئا قال فأخبرني يا أمير المؤمنين فتحدث معاوية قال (فحمد الله معاوية ثم قال: إن الله أرسل رسوله بالهدى ودين الحق. فدعا الناس إلى الإسلام، فعمل رسول الله (صلى الله عليه وآله) وبكتاب الله عز وجل حتى قبضه الله، وعصمه بالوحي، ثم استخلف المسلمون أبا بكر فكان أفضل من تعلم وتعلمون، فعمل أبو بكر بكتاب الله وسنة رسوله حتى قبضه الله إليه، ثم استخلف أبو بكر على المسلمين عمر، فعمل بكتاب الله وسنة رسوله وسنة أبي بكر، حتى أصاب عمر من قضاء الله ما أصابه، فخير بين ستة فجعلها شورى، ولم تجب إلا بجعلها بينهم، وكانوا خير من يعلم على الأرض، فلما جلسوا لها، وتنازعوها دعا كل رجل منهم إلى نفسه، فقال عبد الرحمن: أيكم يخرج منها ويستخلف فأبى القوم وكان أزهدهم فيها فقلدوها إياه فاستخلف عثمان، فما زال كل رجل من أهل الشورى يطمع فيها، ويطمع له

للناس فإن خالف وطعن فيهم تحولت أنظار الناس عنه واعتزلته وإن ذكرها لم ينقص ذلك منه شيء، فذكر بعض الشارحين انه ذكر ذلك لأنه بمعزل عن هذا الأمر لأن ذكر فضيلتهم لا توجب فضله وعدم فضيلة شخص لا توجب عدم فضيلة آخرى[١] لأنه لم يكن من عشيرتها[٢]. قول الشارحين هذا صحيح لكن يمكن القول ان معاوية لا يذكر شيئاً من دون ان يستفيد منه وتكون له نوايا وأهداف من ورائه،وهناك التفاتة رائعة من ابن أبي الحديد أيده فيها بعض الشارحين بأن عمل معاوية هذا ما هو إلا سياسة أريد من ورائها ان تكون حجة عليه عند أهل الشام ويضيفه إلى ما أملاه عليهم في نفوسهم من أراقته ﷺ الدماء وقتل طلحة والزبير وأسر عائشة ولم تبق لديه سوى خصلة واحدة وهي ان يثبت عندهم انه يتبرأ من أبي بكر وعمر وينسبهما إلى مخالفة الرسول في أمر الخلافة[٣]، ان

فيها أحباؤهم حتى وثبوا على عثمان فقتلوه، واختلفوا بينهم حتى قتل بعضهم بعضاً. فهذا الذي سفك دماء هذه الأمة وشق عصاها وفرق ملأها)، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ١٩/ ١٩٧- ١٩٨، ان هذه الرواية مصداق على ان ذكر معاوية فضائل الصحابة ما هي إلا مسألة سياسية وليست عقائدية لان معاوية وكما في الرواية لا يقيم قدسية لشخص بل كان يعتبر عمر بن الخطاب هو الذي سفك دم الأمة، بل انه كان يعتبر نفسه بمستوى الصحابة ان لم يكن أعلى، فقال نحن أحق بهذا الأمر ومن يريد ان يتكلم فليطلع إلي قرنه فنحن أحق منه ومن أبيه، يريد بذلك ابن عمر، فقال ابن عمر وكان حاضر أردت ان أقول أحق به منك من ضربك عليك وأباك فخفت الفساد، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣/ ٢٢٥- ٢٢٦.

(١) ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة، ٤/ ٤٣٧؛ الخوئي، الدرة النجفية، ص٣١٣؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٤/ ٢٤- ٢٥؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٤/ ٢٣٢- ٢٣٣؛ عبده، نهج البلاغة، ٣/ ٣٤؛ الخطيب، مصادر نهج البلاغة وأسانيده، ٣/ ٢٥٥.

(٢) ألتستري، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، ٣/ ٩٠- ٩١؛ دخيل، شرح نهج البلاغة، ٢٥- ٢٦/ ٨٩.

(٣) شرح نهج البلاغة، ١٥/ ١٨٤- ١٨٥؛ وينظر: علي أنصاريان، شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار، ٣/ ٧٧- ٧٨.

ما نتوصل إليه ان الإمام عليه السلام وثق لسياسة معاوية بأنه كان يعزف على وتر العقيدة لجذب المجتمع عندما وجد السواد الأعظم يقول بأفضلية الخلفاء والصحابة .

فضلاً عن ذلك، فهناك أساليب دبلوماسية فنية ذات أهداف سياسية كان يعزف عليها معاوية عكسها الإمام عليه السلام موثقاً حقيقتها وأهداف معاوية فيها وهي قضية استلحاق زياد النسب، يقول عليه السلام في كتابة إلى زياد بن أبيه «**وَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَيْكَ يَسْتَزِلُّ لُبَّكَ وَيَسْتَفِلُّ غَرْبَكَ، فَاحْذَرْهُ، فَإِنَّمَا هُوَالشَّيْطَانُ يَأْتِي الْمَرْءَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ، وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، لِيَقْتَحِمَ غَفْلَتَهُ، وَيَسْتَلِبَ غِرَّتَهُ. وَقَدْ كَانَ مِنْ أَبِي سُفْيَانَ فِي زَمَنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَلْتَةٌ مِنْ حَدِيثِ النَّفْسِ، وَنَزْغَةٌ مِنْ نَزَغَاتِ الشَّيْطَانِ؛ لَا يَثْبُتُ بِهَا نَسَبٌ، وَلَا يُسْتَحَقُّ بِهَا إِرْثٌ، وَالْمُتَعَلِّقُ بِهَا كَالْوَاغِلِ الْمُدَفَّعِ، وَالنَّوْطِ الْمُذَبْذَبِ**»[1].

فالإمام عليه السلام يوثق في هذا النص ان معاوية كان غرضه من وراء استلحاق زياد النسب لأهداف ونوايا سياسية يتوخاها من أجل ان يسلب عقلة ويوجهه بمقتضى الباطل الذي يريده ويدرجه إلى جانبه[2]، فسياسته سياسة شيطانية يأتي

(١) نهج البلاغة، ص٦٢٩- ٦٣٠.

(٢) ونجد تلك الحقيقة في المصادر حيث ذكر ان زياد كان حسن السياسية يقف مع معاوية كلمة بكلمة فغم ذلك معاوية وأحزنه فاستشار المغيرة بن شعبة في أمر زياد فقال له ان زياد قد أقام يكش لنا كشيش الأفاعي وهو رجل ثاقب الرأي ماضي العزيمة جوال الفكر مصيب إذا رمى فكيف السبيل اليه وما الحيلة لإصلاحه، فقال له ان زياد رجل يحب الشرف والذكر وصعود المنابر فلو لاطفته وألنت له لكان إميل لك فكتب معاوية كتابة باستلحاق زياد النسب وكان من ضمن ما جاء فيه كأنك لست أخي وليس صخر بن حرب أباك وأبي وشتان ما بيني وبينك، وظهر في كتابه بمظهر العطوف الذي يبتغي فضل من الله (وقد رأيت ان اعطف عليك ولا أؤاخذك بسوء سعيك وان أصل رحمك وابتغي الثواب في أمرك ... فارجع رحمك الله إلى أصلك واتصل بقومك ولا تكن كالموصول يطير بريش غيره فقد أصبحت ضال النسب) فأستول بذلك عقل زياد واخبره ان كانت نيته صحيحة فسيلاقي المودة والقبول، الثقفي، الغارات، ٢/ ٩٢٩- ٩٣٠.

المرء من جميع الجهات ليدخل عليه بالقوة في حال كونه غافلاً مخدوعاً ومن أحب الأمور، موثقاً الإمام عليه السلام لذلك بحادثة تاريخية قديمة منذ زمن عمر بن الخطاب وهو ان أبا سفيان كانت له فلته من كلام باطل بشأن زياد حيث قال أني اعلم من وضعه في رحم أمه[1] يريد نفسه وهو كلام من دون إرادة للحقيقة والواقع وميل ونزغة من نزغات الشيطان لا يثبت بها نسب ولا يستحق بها أرث وان المتمسك بها سيدافع عنها من غير ان يصل لمراده؛ لأن نسبه لا يثبت بهذا الشكل وإنما تعلق معاوية بها أمر غير شرعي ولا صحيح وهدفه ان يصرفه عن الحق[2].

ووثق الإمام عليه السلام إلى حقيقة أخرى فيما يخص مفاهيم السلبية السياسية التي مثلها معاوية يقول عليه السلام «**فَقَدْ آنَ لَكَ أَنْ تَنْتَفِعَ بِاللَّمْحِ الْبَاصِرِ مِنْ عِيَانِ الْأُمُورِ، فَلَقَدْ سَلَكْتَ مَدَارِجَ أَسْلَافِكَ بِادِّعَائِكَ الْأَبَاطِيلَ، وَاقْتِحَامِكَ غُرُورَ الْمَيْنِ وَالْأَكَاذِيبِ، وَبِانْتِحَالِكَ مَا قَدْ عَلَا عَنْكَ، وَابْتِزَازِكَ لِمَا اخْتُزِنَ دُونَكَ، فِرَاراً مِنَ الْحَقِّ، وَجُحُوداً لِمَا هُوَأَلْزَمُ لَكَ مِنْ لُحْمِكَ وَدَمِكَ؛ مِمَّا قَدْ وَعَاهُ سَمْعُكَ، وَمُلِئَ بِهِ صَدْرُكَ، فَمَا ذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ الْمُبِينُ، وَبَعْدَ الْبَيَانِ إِلَّا اللَّبْس؟**»[3].

وهنا نجده عليه السلام يوثق لأسلوب آخر من أساليب شخصية معاوية السياسية وهو انه سار على ما سار عليه أسلافه، أي سياسة جاهلية أموية من المماراة

(١) وكان ذلك كما ذكر أمير المؤمنين (عليه السلام) في زمن عمر بن الخطاب عندما بعث زياد لإصلاح فساد وقع في اليمن فرجع من وجهه وخطب خطبة أعجب بها الناس، فقال: عمرو بن العاص لو كان هذا الغلام قرشياً لساق العرب بعصاه فرد أبو سفيان بكلاماً من غير أراده للحقيقة، و مقالته الباطل هي: إني أعلم من وضعه في رحم أمه يريد بذلك نفسه، ابن عبد البر، الاستيعاب، ٢/ ٥٢٥.

(٢) السرخسي، أعلام نهج البلاغة، ص٢٥٦- ٢٥٧؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٤/ ٤٦١- ٤٦٢؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٤/ ١٠٩- ١١٠؛ عبده، نهج البلاغة، ٣/ ٧٦- ٧٧.

(٣) نهج البلاغة، ص٦٩٧- ٦٩٨.

والخداع ومحاربة الحق ومناصرة الباطل وإدخال الأكاذيب في محل الصدق وإظهار الباطل في صورة الحق، يختلق من الأمور ما لا واقع له ولا أصل يطلب الخلافة وهو أمر ليس من أهله، ولم يأتِ هذا الكلام اعتباطياً وكان الإمام عليه السلام يريد فقط ان يتجنى على معاوية بل وثق لغرض معاوية من تلك السياسة في قوله فرار من الحق أي هرب من الحق والدين وكفرا لما هو ألزم له من لحمة ودمه مما قد سمعه إذنه واعتقده في قلبه مما صدر من النصوص على علي عليه السلام وإظهار مناقبه في المقامات المشهورة [1].

إن الإمام عليه السلام غطى تقريباً جميع الأبعاد السلبية في التوثيق التي تمثلت في معاوية بن أبي سفيان ولاسيما السياسية التي تمثل أهدافاً ملتوية نابعة من تركيبته النفسية بحيث يحسن التعاطي والإستجابة مع المستجدات في الساحة للإستفادة منها،ويضيف الإمام عليه السلام للأساليب السياسية التي اتبعها معاوية وهو أسلوب ألجلبة والتجني لإخفاء الحقيقة، يقول عليه السلام «**فَسُبْحَانَ الله! مَا أَشَدَّ لُزُومَكَ لِلْأَهْوَاءِ الْمُبْتَدَعَةِ، وَالْحَيْرَةِ الْمُتَّبَعَةِ، مَعَ تَضْيِيعِ الْحَقَائِقِ وَاطِّرَاحِ الْوَثَائِقِ، الَّتِي هِيَ لله طِلْبَةٌ، وَعَلَى عِبَادِهِ حُجَّةٌ. فَأَمَّا إِكْثَارُكَ الْحِجَاجَ على عُثْمَانَ وَقَتَلَتِهِ، فَإِنَّكَ إِنَّمَا نَصَرْتَ عُثْمَانَ حَيْثُ كَانَ النَّصْرُ لَكَ، وَخَذَلْتَهُ حَيْثُ كَانَ النَّصْرُ لَه**»[2].

ويريد الإمام علي عليه السلام هنا ان يوثق ان سياسة معاوية تقوم على ابتداع الأهواء

(١) كيذري بيهقي، حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة، ٢/ ٥٧٣- ٥٧٤؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٨/ ٢٣- ٢٤؛ ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة (الكبير)، ٥/ ٢١٣- ٢١٤؛ حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٢٠/ ٣٨٠- ٣٨١؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٥/ ١٥٢؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٤/ ٢٢٩- ٢٣٠؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٤/ ١٦٦- ١٦٧؛ الخطيب، مصادر نهج البلاغة وأسانيده، ٣/ ٤٤٦؛ دخيل، شرح نهج البلاغة، ٣١- ٣٢/ ٤١.

(٢) نهج البلاغة، ص٦٢٠- ٦٢١.

والحيرة المتبعة عن قصد وفلسفة ليوقع الناس في الجهل وتضيع الحقائق وطرح كل الإثباتات والوثائق[1]، ونجد ذلك موثقاً له الإمام عليه السلام بدعائية إعلامية لحادثة تاريخية روج لها معاوية وهي قتل عثمان واللجاجة فيها وهي مصداق لما يريد الإمام عليه السلام توثيقه حيث أكثر معاوية في قتل عثمان من أجل إخفاء حقيقة خذلانه عندما استنجد به، فمنع جيشه الذي أرسله من دخول المدينة[2] فخذله عندما كان الإنتصار لعثمان ونصره بأُدعائه المطالبة بدمه عندما كان النصر لمعاوية[3]. وعليه فإن النتيجة من ذلك ان الإمام عليه السلام برز سيرة معاوية السياسية بمدلولاتها السلبية ليس مجرد كلام بل موثق له نستدل من خلاله على نفعية هذه الشخصية واستخدامها مختلف أساليب التدليس من أجل أخفاء الحقائق.

ولم يقتصر التوثيق لسيرة معاوية السياسية والأساليب التي اتبعها بل تطرق أيضا عليه السلام للمستوى العلمي ودرجة الانفتاح الفكري ليتخذ مكانه الطبيعي من السلب أو الإيجاب يقول عليه السلام «**وَإِنَّكَ -وَاللهِ- مَا عَلِمْتُ الْأَغْلَفُ الْقَلْبِ، الْمُقَارِبُ الْعَقْلِ؛ وَالْأَوْلَى أَنْ يُقَالَ لَكَ: إِنَّكَ رَقِيتَ سُلَّماً أَطْلَعَكَ مَطْلَعَ سَوْءٍ عَلَيْكَ لَا لَكَ، لِأَنَّكَ نَشَدْتَ غَيْرَ ضَالَّتِكَ، وَرَعَيْتَ غَيْرَ سَائِمَتِكَ، وَطَلَبْتَ أَمْراً لَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ**

(١) استعمل معاوية مقتل عثمان لتحقيق أهدافه السياسية ولا سيما على أهل الشام مخفي عنهم الحقائق ولم تكن هذه سياسية معاوية بل كان يشاركه فيها عمرو بن العاص، فنصب القميص على المنبر ليبكي حوله أهل الشام، ثم قال لقد هممت أن أدعه على المنبر فقال له عمرو انه ليس بقميص يوسف إن طالوا النظر إليه بحثوا عن السبب وقفوا على ما تحب ان يقفوا عليه ولكن لذعهم بالنظر اليه في الأوقات، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٦/ ٣٢٢ وهكذا نجد ان معاوية استخدم قتل عثمان سياسة من اجل ان يعيش المجتمع في حالة صراع مضلل عليهم الحقائق.

(٢) ابن شبة، تاريخ المدينة، ٤/ ١٢٨٨- ١٢٨٩.

(٣) كيذري بيهقي، حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة، ٢/ ٤٨٣؛ الخوئي، الدرة النجفية، ص٣٢٦؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٤/ ٤٣٦- ٤٣٧.

وَلَا فِي مَعْدِنِهِ، فَمَا أَبْعَدَ قَوْلَكَ مِنْ فِعْلِكَ!! وَقَرِيبٌ مَا أَشْبَهْتَ مِنْ أَعْمَامٍ وَأَخْوَالٍ! حَمَلَتْهُمُ الشَّقَاوَةُ، وَتَمَنِّي الْبَاطِلِ، عَلَى الْجُحُودِ بِمُحَمَّدٍ- صلى الله عليه وآله وسلّم- فَصُرِعُوا مَصَارِعَهُمْ حَيْثُ عَلِمْتَ، لَمْ يَدْفَعُوا عَظِيماً، وَلَمْ يَمْنَعُوا حَرِيماً، بِوَقْعِ سُيُوفٍ مَا خَلَا مِنْهَا الْوَغَى، وَلَمْ تُمَاشِهَا الْهُوَيْنَى»[1].

يوثق الإمام عليه السلام في هذا النص وكما قلنا للمستوى العلمي لمعاوية ومدلولاته السلبية الذي يتجسد في نقصان عقلة وضعفه لا يحسن التفكير ومحجوب القلب لا يعقل شيئاً، موثقاً الإمام عليه السلام بتشخيص العوامل الموضوعية بالأدلة على ذلك التوثيق موثقاً له في أولاً: نشد غير ضالته منحرفاً بطلب ما ليس له حق فيه وهذه من نقصان العقل بأن يطالب الإنسان ما ليس له، ثانياً: رعى غير سائمته أي ظالماً للناس بأخذها كالبهائم، ثالثاً: انه طلب الولاية والخلافة وهو ليس من أهلها ولا في معدنها فلم يكن يمتلك من الرصيد التاريخي العلمي أو الإجتماعي الذي يؤهله للخلافة ومع ذلك طلبها وان دل على شيء فانه يدل على انه لا يفكر لأنه من كان جاهلاً بقدره فهو بقدر غيره أجهل، رابعاً: اختلاف أقواله عن أفعاله يظهر الحق وأفعاله الغدر وهذا يدل على تناقض شخصيته ووضعيته الفكرية ألمستمدة من سلوكه، خامساً: عدم أخذه ألعبرة من التاريخ حيث حارب أعمامه وأخواله الرسول (صلى الله عليه وآله) وحملتهم عقولهم الضعيفة غير المتفتحة ومدركة الأفضل على إنكار الإسلام فكانت النتيجة أن أصبحوا صرعى لم يدفعوا عن أنفسهم الموت كذلك معاوية كان منغلقاً فكريا لم يستفد من ما مر من تجربة بل تشبهه بهم[2]، ومن هنا نستدل ان الإمام عليه السلام وثق لمستوى عقلية معاوية ومستمداته الفكرية والثقافية التي

(١) نهج البلاغة، ص٦٩٦- ٦٩٧.

(٢) حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٤/ ٢٢٦- ٢٢٨.

طبعته بطابع عقلي خاص بحيث كان يعامل الناس كالسائمة [1].

ثم انتقل الإمام عليه السلام إلى توثيق آثار سلوكه الذي تمحور ذاته حوله بظهور بصماته واضحة على المجتمع وكان احد الأسباب التي منعت الإمام عليه السلام ان يبقيه في الولاية إذ يقول عليه السلام في ذلك «**وَحَاشَ لله أَنْ تَلِيَ لِلْمُسْلِمِينَ بَعْدِي صَدَرًا أَوْ وِرْداً، أَوْ أُجْرِيَ لَكَ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ عَقْداً أَوْ عَهْداً!! فَمِنَ الْآنَ فَتَدَارَكْ نَفْسَكَ، وَانْظُرْ لَهَا، فَإِنَّكَ إِنْ فَرَّطْتَ حَتَّى يَنْهَدَ [ينهض] إِلَيْكَ عِبَادُ الله أُرْتِجَتْ عَلَيْكَ الْأُمُورُ، وَمُنِعْتَ أَمْراً هُوَمِنْكَ الْيَوْمَ مَقْبُول**»[2] .

فهنا يقول الإمام عليه السلام من المستحيل ان يجعل معاوية على ولاية المسلمين أو يحل عقدا أو يعهد فلا يجعل له سبيلا عليهم موثقا لذلك السبب في نص آخر من نهج البلاغة «**وَأَرْدَيْتَ جِيلًا مِنَ النَّاسِ كَثِيراً؛ خَدَعْتَهُمْ بِغَيِّكَ، وَأَلْقَيْتَهُمْ فِي مَوْجِ بَحْرِكَ، تَغْشَاهُمُ الظُّلُمَاتُ، وَتَتَلَاطَمُ بِهِمُ الشُّبُهَاتُ، فَجَازوا [جاروا] عَنْ وَجْهَتِهِمْ، وَنَكَصُوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ، وَتَوَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ، وَعَوَّلُوا عَلَى أَحْسَابِهِمْ، إِلَّا مَنْ فَاءَ مِنْ أَهْلِ الْبَصَائِرِ، فَإِنَّهُمْ فَارَقُوكَ بَعْدَ مَعْرِفَتِكَ، وَهَرَبُوا إِلَى الله مِنْ مُوَازَرَتِكَ، إِذ حَمَلْتَهُمْ عَلَى الصَّعْبِ، وَعَدَلْتَ بِهِمْ عَنِ الْقَصْدِ. فَاتَّقِ اللهَ يَا مُعَاوِيَةُ فِي نَفْسِكَ، وَجَاذِبِ الشَّيْطَانَ قِيَادَكَ، فَإِنَّ الدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ عَنْكَ، وَالْآخِرَةُ قَرِيبَةٌ مِنْك**»[3].

إن رفض الإمام عليه السلام ان يكون معاوية في الخلافة موثقاً له وفق الحقيقة الواقعية للجماعة التي كان يسيطر عليهم معاوية أو كان متولياً عليهم بحيث بلغت آفاق

---

(١) أعلن معاوية عن تلك السياسية منذ اليوم الأول حيث خطب قائلا «ما قاتلتكم لتصوموا ولا لتصلوا ولا لتحجوا ولا لتزكوا، قد عرفت أنكم تفعلون ذلك، ولكن إنما قاتلتكم لآتأمر عليكم، فقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون «، ابن كثير، البداية والنهاية، ٨/ ١٤٠.

(٢) نهج البلاغة، ص٧٠٠ .

(٣) نهج البلاغة، ص٦١٤- ٦١٥.

سيطرة الأهواء لمعاوية على المجتمع حيث أهلكهم واستخدم معهم أسلوب التمويه والتضليل ألقاهم في موج أهوائه الضالة تسيطر عليهم الظلمات أي حجب إبصارهم عن أدراك الحق وتغشاهم الشبهات أي الجهل وعدم الإهتداء إلى الطريق الصحيح وتلاعبها أذهانهم، وهذا المنطلق في تعامله المنصب في مصالحه وأهوائه أدى إلى إنحرافهم عن وجهتهم وهو الحق ونكصوا أي رجعوا[1] على أعقابهم إلى الجاهلية وعولوا على البناء الإجتماعي الجاهلي الذي أساسه الأحساب والعصبية القبلية فمعاوية أعاد هذه العنصرية التي قضي عليها، إلا أصحاب البصائر أهل المعرفة الذين لم يكن معاوية مسيطراً على أفكارهم فإنهم فارقوه بعد معرفتهم وهربوا إلى الله بالتوبة والإنابة من مساعدة معاوية ومؤازرته بعد ان رأوه حملهم على الأمر الصعب خلاف الدين وسلوك طريق المهاوي والضلال بهم [2]. إن ما يريد أن يصل إليه الإمام عليه السلام هو ان رفض بقاء معاوية في الولاية ولا يعقد له أيضا ولاية على المسلمين بسبب سيطرة الأهواء وأثر ذلك على المجتمع بحيث أرداهم في الضلالة وهذه فقط جيل واحد من أهل الشام فكيف إذا أصبحت أفكاره مسيطرة على كل الأجيال.

وفي الإطار السلبي أيضا وثق الإمام عليه السلام لمفاهيم سلبية وانحرافات سلوك ليس لفرد بل لفئة ولاشك ان حقيقة الإسلام من أهم تلك المفاهيم، ومن هذه الجماعة التي وثق لها الإمام عليه السلام هي بنو أمية يقول عليه السلام «**وَلَمَّا أَدْخَلَ اللهُ الْعَرَبَ فِي دِينِهِ أَفْوَاجاً، وَأَسْلَمَتْ لَهُ هَذِهِ الْأُمَّةُ طَوْعاً وَكَرْهاً، كُنْتُمْ مِمَّنْ دَخَلَ فِي الدِّينِ: إِمَّا رَغْبَةً وَإِمَّا رَهْبَةً،**

(١) الجوهري، الصحاح، ٣/ ١٠٦٠.

(٢) ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة (الكبير)، ٥/ ٧٠- ٧١؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٤/ ٤١٩- ٤٢٠؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٤/ ٨٣- ٨٤؛ جرداق، روائع نهج البلاغة، ص١١٥؛ الخطيب، مصادر نهج البلاغة وأسانيده، ٣/ ٣٠١- ٣٠٢.

عَلَى حِينَ فَازَ [فات] أَهْلُ السَّبْقِ بِسَبْقِهِمْ، وَذَهَبَ الْمُهَاجِرُونَ الْأَوَّلُونَ بِفَضْلِهِم»[1].

وفي هذا النص يوثق الإمام ﷺ لمسألة مهمة وهي حقيقة إسلام بني أمية حيث وثق أنهم ممن دخل في الدين أما رغبة من أجل مال أو جاه أو رهبة خوفاً من قتل في حين فاز السابقون إلى الإسلام بسبقهم بهذا الشرف وذهب المهاجرون بفضلهم، أي أن بني أمية لم يكن لهم شرف السبق في الإسلام ولا فضل الهجرة بل أنهم دخلوا أما رغبة أو رهبة، وهذا الحقيقة موثقاً لها بدليل استحكام الدين الإسلامي وأصبح من القوة ودخول جميع العرب في الدين وأسلمت الأمة دخل بني أمية في الدين للاستفادة من معطيات هذا الوضع وليس من أجل الإسلام الدخول الشكلي وليس عن إيمان قلبي[2]. بل ان تلك الحقيقية موثقاً لها في موضع آخر في نهج البلاغة يقول ﷺ «**فَوَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، مَا أَسْلَمُوا، وَلَكِنِ اسْتَسْلَمُوا، وَأَسَرُّوا الْكُفْرَ، فَلَمَّا وَجَدُوا أَعْوَاناً عَلَيْهِ أَظْهَرُوهُ**»[3].

ذكر شارحون ان هذه الخطبة في صفين وفيها يوثق الإمام ﷺ ان بني أمية عموماً ومعاوية وأصحابه خصوصاً لم يسلموا عن قناعة بالإسلام كدين يحكم النفس والضمير واعتقاد بل استسلموا، ولم يكن هذا الكلام إعتباطاً بل موثقاً له بدليل أنهم ما إن وجدوا أعواناً أظهروا الكفر[4]، والخلاصة ان الإمام ﷺ يوثق ان بني أمية لم يكونوا في يوم من الأيام مسلمين بل مستسلمين.

(١) نهج البلاغة، ص٥٦٥- ٥٦٦.

(٢) ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة (الكبير)، ٤/ ٣٩٤؛ حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ١٨/ ٢٧٩- ٢٨٠؛ الخوئي، الدرة النجفية، ص٣٠٦؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٤/ ١٨٤.

(٣) نهج البلاغة، ص٥٦٤.

(٤) كيذري بيهقي، حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة، ٢/ ٤١٠؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٥/ ١١٥؛ ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة (الكبير)، ٤/ ٣٨٨؛ السرخسي، أعلام نهج البلاغة، ص٢٣٤؛ الخوئي، الدرة النجفية، ص٣٠٦؛ دخيل، شرح نهج البلاغة، ٢٥- ٢٦/ ٤٢.

أما فيما يتعلق بأثر هذه السلبية الأموية على المجتمع فيقول عليه السلام «**إِنَّ الْفِتَنَ إِذا أَقْبَلَتْ شَبَّهَتْ، وَإِذا أَدْبَرَتْ نَبَّهَتْ؛ يُنْكَرْنَ مُقْبِلَاتٍ، وَيُعْرَفْنَ مُدْبِرَاتٍ، يَحُمْنَ حَوْمَ الرِّيَاحِ، يُصِبْنَ بَلَداً وَيُخْطِئْنَ بَلَداً. أَلَا إِنَّ أَخْوَفَ الْفِتَنِ عِنْدِي عَلَيْكُمْ فِتْنَةُ بَنِي أُمَيَّةَ، فَإِنَّهَا فِتْنَةٌ عَمْيَاءُ مُظْلِمَةٌ[وظلمة]: عَمَّتْ خُطَّتُهَا، وَخُصَّتْ بَلِيَّتُهَا، وَأَصَابَ الْبَلَاءُ مَنْ أَبْصَرَ فِيهَا، وَأَخْطَأَ الْبَلَاءُ مَنْ عَمِيَ عَنْهَا... تَرِدُ عَلَيْكُمْ فِتْنَتُهُمْ شَوْهَاءَ مَخْشِيَّةً، وَقِطَعاً جَاهِلِيَّةً، لَيْسَ فِيهَا مَنَارُ هُدًى، وَلَا عَلَمٌ يُرَى**»[1].

بعد ان تطرق الإمام عليه السلام من باب التوعية والتثقيف للفتن وكيفية إقبالها بأن تكون تشبه الحق لا يبصر فيها على مواقع الخطأ وما ان تدبر حتى يرجع الإنسان اليه صوابه ويعرف أنها فتنه،تصيب بلد دون آخر شأنها شأن الرياح أي ان القائمون عليها يزرعون الفتن في الأماكن التي يرونها مناسبة لقيام الفتنة وزرع المبادئ والأفكار[2] التي تصيب منطقه دون آخرى.

بعد ذلك يوثق الإمام عليه السلام ان أخوف وأخطر هذه الفتن هي فتنة بني أمية موثقاً لذلك بسبب إنها فتنة عمياء لا يبصر فيها الحق فلا منجى منها خص بلاءها أهل الحق وليس شأن الفتن التي تشمل أهل الحق والباطل من عرف أنها فتنة وأراد النجاة منها نزل به بلاء بني أمية ومن عمى عن معرفة الفتنة لم يصبه شيء بل الأخطر إنها ترد مخوفة مرعبة يعاد فيها الجاهلية لا يوجد هناك منار يهتدى به ولا دليل يسار عليه أي ليس هناك إمام عادل وقانون يقتدى به[3]. ومما تقدم يمكن الخروج ببعض النقاط:

(١) نهج البلاغة، ص١٩٥- ١٩٦.

(٢) دخيل، شرح نهج البلاغة، ٩- ١٠/ ٥ .

(٣) ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة (الكبير)، ٢/ ٣٩١- ٣٩٣؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٢/ ٩٧- ١٠٠؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٢/ ١٢٥- ١٢٧؛ عبده، نهج البلاغة، ١/ ١٨٣- ١٨٤.

١- وضع الأساس الفكري لمواجهة الفتن.

٢- لما كانت أخطر الفتن هي فتنة بني أمية لم يعدم ان يوثق الإمام عليه السلام لسبب ذلك ويبين انعكاساتها على صعيد المجتمع فترسخ في أذهان العامة تخاطب عقول الجهلاء للتفاعل معها بحيث تصبح ثقافة شائعة ترتكز عليها السلطة.

٣- أطر بشكل علمي مواضع نشوء الفتن في الأماكن التي تكون فيها أكثرية جاهلية لتكون قاعدة يلقى عليها ما يشاء.

٤- أبرز عليه السلام بالتوثيق السمات الدقيقة لفتنة بني أمية وأبرز مكامن خوفها أو نقاط ضعفها وهم أهل البصر والمعرفة فيها لذلك يكون البلاء موجهاً إلى هذه الفئة.

وحينما عد مستوى الثقافة الدينية وانعكاساتها فيما سبق من المفاهيم الإيجابية فان عدمها يعني العكس ومن ثم ان كل المقاييس الموضوعية وعلى مختلف الأصعدة ساقطة عند بني أمية؛ لأن المتولي عليها لا علاقة له بالدين والعقيدة، وقد أثبت الأمام عليه السلام هذه الحقيقة في سيرة بني أمية يقول عليه السلام «**فَمَا احْلَوْلَتْ لَكُمُ الدُّنْيَا فِي لَذَّتِهَا، وَلَا تَمَكَّنْتُمْ مِنْ رَضَاعِ أَخْلَافِهَا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا صَادَفْتُمُوهَا جَائِلًا خِطَامُهَا، قَلِقاً وَضِينُهَا، قَدْ صَارَ حَرَامُهَا عِنْدَ أَقْوَامٍ بِمَنْزِلَةِ السِّدْرِ الْخَضُودِ، وَحَلَالُهَا بَعِيداً غَيْرَ مَوْجُودٍ، وَصَادَفْتُمُوهَا، وَاللهِ، ظِلًّا مَمْدُوداً إِلَى أَجَلٍ مَعْدُودٍ. فَالْأَرْضُ لَكُمْ شَاغِرَةٌ، وَأَيْدِيكُمْ فِيهَا مَبْسُوطَةٌ؛ وَأَيْدِي الْقَادَةِ عَنْكُمْ مَكْفُوفَةٌ، وَسُيُوفُكُمْ عَلَيْهِمْ مُسَلَّطَةٌ، وَسُيُوفُهُمْ عَنْكُمْ مَقْبُوضَةٌ**»[1].

ضمن هذا الإطار ومن خلال هذا النص يوثق الإمام عليه السلام بشكل علمي عن سبب جمال الدنيا لبني أمية[2] ونيلهم لذاتها مشبها بالناقة التي يرضع أخلافها

(١) نهج البلاغة، ص٢١٧- ٢١٨.

(٢) بيضون، تصنيف نهج البلاغة، ص٥٤٤- ٥٤٥.

بدرءهم جميع مشتهياتها ولابد من القول ان هذه الراحة والسعادة الدنيوية والترف الذي حصل عليه بنو أمية لم يأتِ عبثاً أو نتيجة عمل ومعطياته بل موثقاً الإمام ﷺ لتلك الراحة التي حصلوا عليها بتوثيق علمي أولاً: وهي ان الدنيا كانت لهم كالناقة التي لا راكب قلق وضينها أي أنهم حصلوا على الدنيا من غير تعب وإنما حصلوا عليها وهي مستعدة لإلقاء زمامها في يد أي شخص بعد ان ثبت الرسول (ﷺ) الإسلام ودان له الكثير إلا إنها كانت غير منضومة ولا مضبوطة كالناقة المهملة لقيادتها في غير أهلها ليس فيها من يمنعهم، وموثقاً له بتوثيق ديني مرة أخرى وهو لذة الحرام وسهولة الحصول عليه فبني أمية لم يمتلكوا المبادئ الدينية التي تمنعهم من ارتكاب الحرام بل كان سهلاً سائغاً لهم وهذه حال نفسية بني أمية أصبحت عندهم الدنيا سهلة لا صعوبة فيها لأنهم اسقطوا قانون الحرام من حسابهم ولا يوجد للحلال بقربهم بل بعيد كل البعد وجدوها ظلاً ممدوداً كأن الدنيا هي كل شيء بالنسبة لهم طيبت بالحرام، ومسند التوثيق أيضاً موثقاً له بتوثيق عسكري مرة ثالثة فلا يوجد من القائد أو المحامي الذي يقف في وجه بني أمية فالأرض شاغرة لأن لا يوجد من الناصر والمعين للقادة لمواجهتهم وسيوفهم مسلطة عليهم فالسلطة لهم[1]. ومما تقدم يمكن القول:

١- ان بناء بني أمية كان بناءً غير سليم قائماً على التطفل مزيناً بالحرام.

٢- ان توثيق الإمام ﷺ لتمتع بني أمية بالدنيا توثيق بدقه متناهية لكثير من ألأسباب والمعطيات الطبيعية لها واستيعاب للسيرة الأموية لا نظير له.

(١) ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة (الكبير)، ٣/ ٢٥- ٢٦؛ حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٧/ ٢١٨- ٢٢٠؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٢/ ١٤٧- ١٤٨؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٢/ ١٩١- ١٩٢؛ دخيل، شرح نهج البلاغة، ٩- ١٠/ ٤٩- ٥٠.

٣- التوعية والتثقيف عن الحرام وسهوله الحصول عليه وان دل على شيء إنما يدل على فقدان الجانب الروحي العقائدي الذي يمنع من الوصول إلى ذلك الحرام والشطط في الحياة.

٤- ان قول الإمام عليه السلام «أيديكم فيها مبسوطة؛ و أيدي القادة عنكم مكفوفة، و سيوفكم عليهم مسلّطة و سيوفهم عنكم مقبوضة» يدل على التوجه والقاعدة الفكرية والعسكرية التي حصل عليها بني أمية لأن الحرام يغري فسلطت سيوفهم على القادة.

ان كل فئة أو دولة مهما بلغت من الاتساع إذ تخللها الصراع تكون نهايتها السقوط فيوثق الإمام عليه السلام لذلك المفهوم بما يحويه من سلبية لنهاية بني أمية يقول عليه السلام «**إِنَّ لِبَنِي أُمَيَّةَ مِرْوَداً يَجْرُونَ فِيهِ، وَلَوْ قَدِ اخْتَلَفُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ ثُمَّ كَادَتْهُمُ الضِّبَاعُ لَغَلَبَتْهُم**»[١].

ومن هنا فإن الإمام عليه السلام يوثق توثيقاً مستقبلياً وهو نهاية بني أمية سيكون من الضعف بحيث لو حاربهم الضب هذا الحيوان الضعيف كما يقال أحمق من الضبع[٢] لغلبهم إذ ليس لأحد منهم القوة للدفاع موثقا لذلك القول وفق الناموس الطبيعي وهو ان بني أمية في فترة مهلة فإذا بلغوها انتفض نظامها هذا من جانب من جانب آخر هو الاختلاف الذي يصيبهم وتشتت كلمتهم[٣] تكون

(١) نهج البلاغة،ص٨٣٥.

(٢) العسكري، جمهرة الأمثال، ١/ ٤١٦؛ الزمخشري، الفايق في غريب الحديث، ٢/ ٤٤.

(٣) يمكن القول ان نظرة الإمام (عليه السلام) المستقبلية لدولة بني أمية هي عين ما حدث حيث تنازع الأمويين وكان بدء التنازع بين هشام والوليد بن يزيد حيث عمل هشام على أخذ البيعة لابنه مسلمة مخالفاً البيعة التي أخذت على ان يكون الوليد خليفة بعد هشام الطبري، تاريخ الطبري، ٥/ ٥٢١، ولم يلبث ان تولى الوليد بن يزيد بن عبد الملك الذي اشتهر بفسقه حتى خرج عليه ابن عمه يزيد بن الوليد وتمكن من قتله أبشع قتل ذبحه ونصب رأسه على سور دمشق،ولم تزل الانشقاقات قائمه بين بني أمية حيث حدث الإختلاف ما ان تولى إبراهيم بن الوليد وبين

عاملاً مساعداً للقضاء عليهم(١).

كما وثق الإمام عليه السلام لفرقة مهمة ظهرت على مسرح التاريخ وهم الخوارج موضحاً صفات هذه الفرقة التي لا تنسجم مع ما هو مألوف ومعروف تخالف العقل والدين، ولعل من أبرز صفات هذه الفرقة هو عدم النضوج الفكري والسياسي قال عليه السلام في ذلك «**فَأَنَا نَذِيرٌ لَكُمْ أَنْ تُصْبِحُوا صَرْعَى بِأَثْنَاءِ هَذَا النَّهَرِ، وَبِأَهْضَامِ هَذَا الْغَائِطِ، عَلَى غَيْرِ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ، وَلَا سُلْطَانٍ مُبِينٍ مَعَكُمْ، قَدْ طَوَّحَتْ بِكُمُ الدَّارُ، وَاحْتَبَلَكُمُ الْمِقْدَار، وَقَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ هَذِهِ الْحُكُومَةِ فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُنَابِذِينَ [الْمُخَالِفِينَ]، حَتَّى صَرَفْتُ رَأْيِي إِلَى هَوَاكُمْ، وَأَنْتُمْ مَعَاشِرُ أَخِفَّاءُ الْهَامِ، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ، وَلَمْ آتِ -لَا أَبَا لَكُمْ- بُجْراً، وَلَا أَرَدْتُ لَكُمْ ضُرّا**»(٢). وفي هذا النص يوثق الإمام عليه السلام ان الخوارج أخفّاء الهام سفهاء الأحلام، أي وكما قلنا قلة نضوجهم الفكري والسياسي سفهاء ليس لهم عقل، وهذا ليس مجرد رأي أو كلمات دون عضد وتأكيد بل موثقاً له بدليل ان الخوارج ليس لهم حجة شرعية

مروان بن محمد إلى ان تمكن من قتلة وجرت على المنوال نفسه وهذا الأخير خرج عليه سليمان بن هشام بن عبد الملك، وكانت هذه الإختلافات وكما قال أمير المؤمنين (عليه السلام) إيذاناً بنهاية دولتهم حيث ظهر أبو مسلم الخراساني بالدعوة العباسية، الدميري، حياة الحيوان الكبرى، ١/ ١٠٩- ١١٠.

(١) كيذري بيهقي، حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة، ٢/ ٧٠٥؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٢٠/ ١٨٢- ١٨٣؛ ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة (الكبير) ٥/ ٤٦١- ٤٦٢، إختيار مصباح السالكين (المتوسط)، ص٦٨٢؛ السرخسي، أعلام نهج البلاغة، ص٣١٤؛ ألقمي، شرح حكم نهج البلاغة، ص٧٨- ٨٠؛ الخوئي، الدرة النجفية، ص٣٩٣؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٥/ ٥٣٤؛ ألتستري، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، ٦/ ١١٨- ١٢٣؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٤/ ٤٧٩؛ عبده، نهج البلاغة، ٣/ ٢٦٢؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٤/ ٤٧٩؛ ألجلالي، دراسة حول نهج البلاغة، ص٢٠٢؛ بيضون، تصنيف نهج البلاغة، ص٣٧٧.

(٢) نهج البلاغة، ص٨٩- ٩٠.

ولا دليل عقلي على ما يدعونه حقاً ويقاتلون عليه فهم الذين أمروا وأصروا على التحكيم ورفضوا رأي أمير المؤمنين وأبوا إباء المخالفين وتحت ضغوطهم تم القبول ثم ما لبثوا ان غيروا وعدلوا[1] عن رأيهم [2]، مما تقدم من التوثيق نستنتج:

١- القصور الفكري وضيق الأفق الذي كان عليه الخوارج حمقى يقاتلون ويقتلون من غير سبب.

٢- دفعت بهم الدنيا إلى مهاوي الهلكة وقيدتهم فلا يستطيعون الرجوع بأفكارهم.

٣- الأبعاد المستقبلية في النص حيث أنذرهم الإمام ﷺ وبين لهم أنهم سيقتلون وشخص وعين المكان الذي سيقتلون فيه.

وفي ضمن هذا الإطار بيان عدم النضوج الفكري للخوارج وإنه ﷺ لم يحاربهم لأنهم شكلوا خطراً على حكمه أو ان له ثارات معهم بل لأنهم مرقوا عن الدين، يقول ﷺ «**فَإِنْ أَبَيْتُمْ إِلَّا أَنْ تَزْعُمُوا أَنِّي أَخْطَأْتُ وَضَلَلْتُ، فَلِمَ تُضَلِّلُونَ**

(١) عندما أصروا على التحكيم وقبول الإمام (ﷺ) به عدل الخوارج عن رأيهم وجاء أثنين منهم وهو زرعه بن البرج و حرقوص بن زهير وقالوا له تب من خطيئتك واخرج بنا إلى عدونا نقاتلهم حتى نلقى ربنا فقال لهم (ﷺ) قد أردتكم إلى ذلك لكن عصيتموني وقد كتب بيننا وبينهم كتاب وأعطيناهم العهود ولا يجوز الخروج عنها فقد قال الله عز وجل (وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ) النحل/ ٩١ وكان يعتبرون ذلك لقلة عقلهم ذنب ينبغي التوبة عليه فقال لهم (ﷺ) انه ضعف عن الفعل وعجز عن الرأي وحذرتكم فيما سبق ونهيتكم فاتقوا الله في دنيا تقاتلون عليها فخرجا من عنده يحكمان ثم أعلنوا خروجهم، الطبري، تاريخ الطبري، ٤/ ٥٢- ٥٣.

(٢) ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة (الكبير)، ٢/ ٩١- ٩٢؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ١/ ٢٨٣- ٢٨٤؛ القزويني،شرح نهج البلاغة، ٢/ ٢٩٣- ٢٩٤؛ علي أنصاريان، شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار، ١/ ١٥٤؛ عبده، نهج البلاغة، ١/ ٨٢- ٨٣؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ١/ ٢٣٥- ٢٣٦؛ الخراساني، مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة، ٦/ ١٤٧.

عَامَّةَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ، صلى الله عليه وآله، بِضَلَالِي، وَتَأْخُذُونَهُمْ بِخَطَئِي وَتُكَفِّرُونَهُمْ بِذُنُوبِي! سُيُوفُكُمْ عَلَى عَوَاتِقِكُمْ تَضَعُونَهَا مَوَاضِعَ الْبُرْءِ [البراءة] وَالسُّقْمِ، وَتَخْلِطُونَ مَنْ أذنب بِمَنْ لَمْ يُذْنِبْ. وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وآله رَجَمَ الزَّانِيَ الْمُحْصَنَ، ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهِ، ثُمَّ وَرَّثَهُ أَهْلَهُ؛ وَقَتَلَ الْقَاتِلَ [القائل] وَوَرَّثَ مِيرَاثَهُ أَهْلَهُ. وَقَطَعَ السَّارِقَ وَجَلَدَ الزَّانِيَ غَيْرَ الْمُحْصَنِ، ثُمَّ قَسَّمَ عَلَيْهِمَا مِنَ الْفَيْءِ، وَنَكَحَا الْمُسْلِمَاتِ؛ فَأَخَذَهُمْ رَسُولُ الله ﷺ بِذُنُوبِهِمْ، وَأَقَامَ حَقَّ الله فِيهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعْهُمْ سَهْمَهُمْ مِنَ الْإِسْلَامِ، وَلَمْ يُخْرِجْ أَسْمَاءَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَهْلِهِ، ثُمَّ أَنْتُمْ شِرَارُ النَّاسِ، وَمَنْ رَمَى بِهِ الشَّيْطَانُ مَرَامِيَهُ، وَضَرَبَ بِهِ تِيهَهُ!»[1].

من خلال هذا النص يوثق الإمام عليه السلام وبصورة قاطعة أنهم أصاحب فهم ساذج وجهل وسطحية فهم اعتزلوا وكفروا كل من خالف اعتقادهم يزعمون ان الإمام عليه السلام ضل الإ أنهم يضلون أمة محمد (صلى الله عليه وآله) فهم ليسوا أصحاب فكر ولا دين يقتلون من أذنب ومن لم يذنب، ولم يخرج الإمام عليه السلام في هذا السلبيات التي كان عليها الخوارج نطاق الحديث الغير ممنهج بل موثقاً الإمام عليه السلام لإنحرافهم وأكذب رأيهم بأدلة علمية منها ان الرسول (صلى الله عليه وآله) لم يخرج أحد من الإسلام أو يكفره بذنب ارتكبه بل كان يجزيه على أحكام الشريعة ويؤاخذه بعمله فالزاني لو كان كافراً لم يصلِّ عليه النبي وأعطى ميراثه لأهله بعد موته لا قبل موته فالإنسان لو كفر قسم أمواله في ورثته يوم كفره لا عند موته وكذلك القاتل فلو كان كافراً لجعل ميراثه قبل موته لا يوم ان قتل، والسارق أيضاً أقام حكم الله فيه بقطع يده ولم يكفره أيضاً، كما جعل(صلى الله عليه وآله) لأهل الذنوب نصيباً من الفيء ولم يخرجهم من

(١) نهج البلاغة، ص٢٦٩.

الإسلام ويعلن أنهم كفار ولم يمنعهم من نكاح المسلمات[1].

ومن ثم فإن هدف الإمام (عليه السلام) من التوثيق لتشخيص صفات الخوارج وتكذيب آرائهم وهم ليسوا على مسار المسلمين بل هم شاذون، ونستنتج مما تقدم:

١- ان الخوارج لم يمتلكوا من المعايير الفكرية والدينية شيء بل أنهم بفكرهم هذا يخطئون النبي (صلى الله عليه وآله).

٢- نستدل من التوثيق ان من صفات الخوارج الطيش والجهل والتسرع.

٣- ان الإمام (عليه السلام) لم يترك هذه الفئة في الجهل بل عمل على توعيتهم وتثقيفهم وبيان جهلهم.

ولعل أبرز ما يوثق له الإمام (عليه السلام) اتخاذ الشعارات الباطلة من أجل استقطاب الناس واستعمال الدين لتحقيق أهداف خاصة والذي تمثل في سيرة الخوارج أيضا يقول (عليه السلام) في ذلك لما سمع قول الخوارج لا حكم الإ لله «**كَلِمَةُ حَقٍّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ! نَعَمْ إِنَّهُ لَا حُكْمَ إِلَّا لله، وَلَكِنْ هَؤُلَاءِ يَقُولُونَ: لَا إِمْرَةَ إِلَّا لله**»[2].

يبين الإمام (عليه السلام) بالتوثيق ان شعارهم لا حكم الإ لله هو كلمة حق في ظاهرة لكنه أريد به باطل فسروه حسب طبيعة تعقيدهم،موثقاً الإمام (عليه السلام) لذلك وفق الحقيقة الواقعية والنوايا ألمبطنة لذلك الشعار وهو انه صحيح ان الحكم لله وحده

(١)ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة (الكبير)، ٣/ ١٣٤- ١٣٥؛ إختيار مصباح السالكين (المتوسط)، ص٢٨٤؛ حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٨/ ١٩٧- ١٩٩؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٢/ ٢٦٩- ٢٧٠؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٢/ ٢٤٥- ٢٤٦؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٢/ ٣٥٩- ٣٦٠؛ دخيل، شرح نهج البلاغة، ١١- ١٢/ ٦٠- ٦١؛ عبده، نهج البلاغة، ٢/ ١١؛ علي أنصاريان، شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار، ١/ ٤٢٤.

(٢) نهج البلاغة، ص.٩٣

بيده التحريم والتحليل إلا إنهم يريدون بذلك الشعار أنه لا أمره الإ لله أي لا حاجة إلى أمير ما دام القضايا منصوص عليها أما الغير منصوص عليه فلا يمكن للأمير التدخل فيه فهم ينفون الإمارة التي تتولى معالجة القضايا التي تعترض مسير الأمة وما يريدون بذلك الإ الفوضى وتعطيل دور الحياة واختلال النظام[1].

كما يوثق الإمام عليه السلام لأسباب خروجهم يقول عليه السلام وقد مر بقتلى الخوارج يوم النهروان (٣٩هـ)[2] «**بُؤْساً لَكُمْ، لَقَدْ ضَرَّكُمْ مَنْ غَرَّكُمْ، فَقِيلَ لَهُ: مَنْ غَرَّهُمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَ: الشَّيْطَانُ الْمُضِلُّ، وَالْأَنْفُسُ الْأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ، غَرَّتْهُمْ بِالْأَمَانِيِّ، وَفَسَحَتْ لَهُمْ بِالْمَعَاصِي، وَوَعَدَتْهُمُ الْإِظْهَارَ فَاقْتَحَمَتْ بِهِمُ النَّارَ**»[3] فالتوثيق هنا في قول الإمام عليه السلام ان الذي ضرهم وأخرجهم هو الشيطان المضل والأهواء النفسية السيئة أي الطمع والطموح، موثقاً عليه السلام لهذا القول بدليل أنها فسحت لهم المعاصي ووعدتهم بالظهور والإرتقاء والغلبة على من يقاتلهم فكانت نتيجة ان اقتحمت بهم النار وأردتهم المهالك[4] ويمكن القول مما تقدم:

١- أراد الإمام عليه السلام ان يصل بالتوثق لسيرة الخوارج السلبية والصفات النفسية السلوكية المتمثلة بالطمع وحب الظهور وهذه الصفات هي نتيجة سيطرة الشيطان والنفس الأمّارة.

(١) الموسوي، شرح نهج البلاغة، ١/ ٣١١.

(٢) النهروان بالعراق، وبها أوقع علي بن أبي طالب (عليه السلام) بالخوارج، البكري، معجم مااستعجم، ٤/ ١٣٣٦- ١٣٣٧.

(٣) نهج البلاغة، ص٨٠١.

(٤) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٩/ ٢٣٥؛ ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة (الكبير)، ٥/ ٤٠٤؛ حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٢١/ ٤١٢؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٤/ ٤١٨- ٤١٩؛ دخيل، شرح نهج البلاغة، ٣٥- ٣٦/ ٩٣- ٩٤؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٤/ ٤٠٩.

٢- التوعية والتثقيف ان خروجهم ليس حق بل هو نتيجة رأي فاسد وشبهه علقت في العقول.

كما نال التوثيق للمفاهيم السلبية واهما الجهل الديني والتردي الأخلاقي التي قد تطبع بلداً كاملاً بذلك المفهوم ونعني بذلك بلاد الشام صحيح أنها قد تكون لا تشمل الأسباب كلها إلا أنها مثلت جزءاً مهماً كافياً لإطلاق ذلك المدلول، يقول عليه السلام «**جُفَاةٌ طَغَامٌ، وَعَبِيدٌ أَقْزَامٌ، جُمِعُوا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ، وَتُلُقِّطُوا مِنْ كُلِّ شَوْبٍ، مِمَّنْ يَنْبَغِي أَنْ يُفَقَّهَ وَيُؤَدَّبَ، وَيُعَلَّمَ وَيُدَرَّبَ، وَيُوَلَّى عَلَيْهِ، وَيُؤْخَذَ عَلَى يَدَيْهِ. لَيْسُوا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَلَا مِنَ الَّذِينَ تَبَوَّؤُا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ**»[١].

يريد عليه السلام هنا التوثيق بالوصف الدقيق عن سبب كون أهل الشام من شرار الناس أغلاظ جهلاء بحاجة إلى أن يعلموا وأن يفقهوا في الدين ويدربوا على العادات الحسنة فهم ليس لديهم الرشد والكمال، موثقاً عليه السلام لذلك السبب ونتيجة لأنهم ليسوا من أهل السوابق فهم ليسوا من المهاجرين الذين تركوا ديارهم من أجل الإسلام وما يعمله الإسلام والهجرة في صقل الشخصية ولا من الأنصار الذين تداعوا إلى نصرة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولا من أصحاب الدار الصالحة والإيمان أي ليسوا من أهل المدينة الذين سكنوها واسلموا قبل مجيء الرسول (صلى الله عليه وآله)، فهذه المميزات كان لها دور كبير في صقل وتهذيب شخصيات المسلمين ولم يكن لأهل الشام نصيب منها[٢] . إن هدف الإمام عليه السلام من التوثيق تشخيص رداءة أخلاق الشاميين هو نتيجة طبيعية

(١) نهج البلاغة، ص ٥٤٠- ٥٤١ .

(٢) كيذري بيهقي، حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة، ٢/ ٣٧٢؛ ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة (الكبير)، ٤/ ٣٢٩- ٣٣٠؛ السرخسي، أعلام نهج البلاغة، ص٢٢٣- ٢٢٤؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٤/ ١٠٣- ١٠٤؛ دخيل، شرح نهج البلاغة، ٢٣- ٢٤/ ٨٥- ٨٦؛ عبده، نهج البلاغة، ٢/ ٢٥٨؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٣/ ٣٦١.

لعدم معرفتهم مبادئ الإسلام الذي جاء بمشروع متكامل على مستوى السعة من عقيدة، أخلاق، وسياسية ...الخ، فلم تعمر قلوبهم به ولم يأخذ مأخذه في نفوسهم وقد يتساءل البعض ان هذا لا يتناسب مع ما هو معروف ان أهل الشام من المسلمين فكيف يصح هذا؟ إن الإمام ﷺ لم يترك مجالاً للتساؤل دون جواب موثق يقول ﷺ: «**وَأَقْرِبْ بِقَوْمٍ مِنَ الْجَهْلِ بِاللهِ قَائِدُهُمْ مُعَاوِيَةُ! وَمُؤَدِّبُهُمُ ابْنُ النَّابِغَةِ**[1]**!**»[2].

إن الإمام ﷺ في هذا النص يوثق لسبب جهل أهل الشام وإسلامهم الهش الصوري لأن القيادة التي تولت ذلك لم تكن قيادة مثقفة متشبعة بالدين فقائدهم معاوية المعروف إسلامه ومتى أسلم ومؤدبهم ابن النابغة عمرو بن العاص رئيس المنافقين والجهال فكيف يكون تلاميذه؟! فإذا كان الرئيس والقائد من الجهل والفجور فماذا يكون هم[3]؟!

ولو نأتي إلى صفة أخرى من صفاتهم وهي الظلم نجدان الإمام ﷺ يوثق لها بقوله ﷺ «**اسْتَعِدُّوا لِلْمَسِيرِ إِلَى قَوْمٍ حَيَارَى عَنِ الْحَقِّ لَا يُبْصِرُونَهُ، وَمُوزَعِينَ بِالْجَوْرِ لَا يَعْدِلُونَ بِهِ، جُفَاةٍ عَنِ الْكِتَابِ، نُكُبٍ عَنِ الطَّرِيقِ**»[4].

فيوثق أنهم تائهون عن الحق مولعون بالظلم لا يعدلون عنه إلى الحق، ولم يأتِ هذا الكلام مجرداً بل موثقاً له بشكل علمي مختصر وذلك لأنهم كانوا بعيدين عن الكتاب لا يأخذون بحكمة ولا يعملون بما جاء فيه تركوا طريق الإستقامة وسلكوا طريق الباطل [5].

(١) مقصود به عمر بن العاص، ينظر: نهج البلاغة، ص١٥٢- ١٥٣.

(٢) نهج البلاغة، ص٣٨٥.

(٣) ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة (الكبير)، ٣/ ٣٧٨- ٣٧٩؛ حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ١٠/ ٢٨٦؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٣/ ١٨.

(٤) نهج البلاغة، ص٢٦٧.

(٥) الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٢/ ٣٥٢- ٣٦٣؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٢/ ٢٣٨.

كما تكلم الإمام عليه السلام في مناسبة أخرى في كتابه إلى عامله على المدينة عن صفات أخرى لأهل الشام يقول عليه السلام: «**أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ عَيْنِي -بِالْمَغْرِبِ- كَتَبَ إِلَيَّ يُعْلِمُنِي أَنَّهُ وُجِّهَ إِلَى الْمَوْسِمِ أُنَاسٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ الْعُمْيِ الْقُلُوبِ، الصُّمِّ الْأَسْمَاعِ، الْكُمْهِ الْأَبْصَارِ، الَّذِينَ يَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ، وَيُطِيعُونَ الْمَخْلُوقَ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ، وَيَحْتَلِبُونَ الدُّنْيَا دَرَّهَا بِالدِّينِ، وَيَشْتَرُونَ عَاجِلَهَا بِآجِلِ الْأَبْرَارِ الْمُتَّقِينَ**»[1].

فأهل الشام عمي القلوب لا يبصرون الحق الإعتقاد القلبي ولا يسمعونه الكمهِ الإبصار يرون الحق ولا يبصرونه لوجود الحاجز عليها وهذه الصفات لسيرة الشاميين المطبوعة بطابع السلبية ليست فلسفة أو استنتاجات أو فرضيات بل موثقاً لها لأنهم كانوا يلبسون الحق بالباطل حتى يموهوا الحقيقة يطيعون معاوية فيما يوجههم من الشر والفساد ويعصون الله ويتخذون من الدين وسيلة لنيل المنافع الدنيوية يشترون الدنيا عكس الأبرار المتقين الذين يشترون الآخرة[2].

وفي الوقت ذاته يكشف الإمام عليه السلام عن سبب طاعتهم لمعاوية وقد تكون خصلة إيجابية في ذاتها لأنها طاعة الحاكم أو القائد إلا أن السلبية تكمن في سيرتهم المتمثلة بالطاعة المطلقة من غير وعي متفتح يميز بين الحق والصواب يقول عليه السلام لما أغلبوا على شريعة الفرات ومنعوهم من الماء بصفين «**أَلَا وَإِنَّ مُعَاوِيَةَ قَادَ لُمَّةً مِنَ الْغُوَاةِ وَعَمَسَ عَلَيْهِمُ الْخَبَرَ، حَتَّى جَعَلُوا نُحُورَهُمْ أَغْرَاضَ الْمَنِيَّةِ**»[3].

وثق الإمام عليه السلام لتلك الطاعة التي جعلتهم يقدمون نحورهم للقتل، موثقاً

(١) نهج البلاغة، ص٦١٥ .

(٢) الراوندي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٣/ ١٢٢- ١٢٣؛ ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة (الكبير)، ٥/ ٧٢- ٧٣؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٤/ ٤٢٢- ٤٢٣؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٤/ ٨٥- ٨٦ .

(٣) نهج البلاغة، ص١٠٣.

بتوثيق وفق الصفات التي كان يتمتعون بها وهي الضلال هذا من جهة، ومن جهة أخرى السياسية التي اتبعها معاوية معهم وهي أخفاء الحقائق حيث أبهم عليهم الخبر وجعله مظلماً عليهم[1].

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٣/ ٢٤٤- ٢٤٥ .

الفصل الثالث

التوثيق التـاريخي المرتبط بالأبعاد الدينية

يدرس هذا الفصل مواضيع تقع في الإطار التاريخي المرتبط بالأبعاد الدينية قائمة وفق منهج البحث الذي أطلقنا عليه التوثيق، ومن المعلوم ان اغلب المواضيع التاريخية ذات الإرتباطات الدينية تتمركز وتتمحور حول البعثة بشكل خاص والأنبياء بشكل عام.

لقد تعامل الإمام ﷺ وفق أسس علمية كما قلنا وليس من منطلق عاطفي أيديولوجي لتوثيق فلسفة المشروع الإسلامي، فضلاً عن ما يمكن الخروج به من أساسيات ترسخ المبادئ الإسلامية لاستنهاض الإنسان نحو الصلاح ونقصد بذلك الأثر التربوي في الدين والتاريخ، كما لا يعدم هذا الفصل من وجود موضوع تاريخي صرف وهو التوثيق المستقبلي الذي له الإرتباطات السابقة نفسها.

المبحث الأول

تجليات التاريخ وارتباطاته الدينية

أولاً: توثيق أبعاد وإنعكاسات البعثة النبوية

إن كلام الإمام ﷺ عن البعثة ليس من تلك الكتابات التقريرية أو نظرات شخصية وإنما نصوص متناثرة في نهج البلاغة ترتبط بمفهوم علمي فكري ولا يتعلق من قريب أو بعيد بالعشوائية ذات هيكلية تتناسب مع طبيعة الطرح الإلهي، وعند جمعها وبيان التوثيق فيها وما موثق له تتوضح لنا أبعاد ومعطيات البعثة وما أحدثته من ثوره هائلة في المجتمع، ويتمحور التوثيق للبعثة في:

١- منظومة المجتمع الجاهلي المتداعية والتي استدعت تدخل العناية الإلهية،ومعطيات البعثة النبوية.

٢- الصدق والمثالية والتفاعل مع العقيدة.

٣- انعكاسات البعثة وظهور بصماتها واضحة في المكاسب التي تم الحصول عليها.

أما فيما يخص منظومة المجتمع الجاهلي يمكن القول ان مدار المجتمع الجاهلي تخلف وتفسخ في مختلف أنظمته ومنظوماته فكانت سبباً في تدخل العناية الإلهية والبعثة النبوية فحدث التغيير والتحول بأن رفعت هذا المجتمع الجاهلي من مستوى التخلف إلى مستوى الحضارة، لذلك فهي أهم مرحلة تاريخية لكونها غيرت جذرياً وأصلحت كل ما هو خاطئ من الأسس والمنطلقات، والإمام ﷺ يوثق لحالة العرب خلال الفترة الجاهلية ولعل المستوى الثقافي والفكري للمجتمع الجاهلي من أهم

المسائل المطروحة في هذا الميدان يقول عليه السلام: «**بَعَثَهُ وَالنَّاسُ ضُلَّالٌ فِي حَيْرَةٍ، وَحَاطِبُونَ [خابطون] فِي فِتْنَةٍ، قَدِ اسْتَهْوَتْهُمُ الْأَهْوَاءُ، وَاسْتَزَلَّتْهُمُ الْكِبْرِيَاءُ، وَاسْتَخَفَّتْهُمُ الْجَاهِلِيَّةُ الْجَهْلَاءُ؛ حَيَارَى فِي زِلْزَالٍ مِنَ الْأَمْرِ، وَبَلَاءٍ [بلبال] مِنَ الْجَهْلِ، فَبَالَغَ صلى الله عليه وآله فِي النَّصِيحَةِ، وَمَضَى عَلَى الطَّرِيقَةِ، وَدَعَا إِلَى الْحِكْمَةِ، وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ**»[1].

ولا ريب ان العرب عند بعثة الرسول (صلى الله عليه وآله) وكما مرّ كان الفساد والجهل مخيماً ومستشرياً فيهم فيوثق الإمام عليه السلام في هذا النص لتلك الحالة بأنهم لا يهتدون إلى طريق الصواب في حيرة من أمرهم حركاتهم على غير نظام في ضلال وبدع يجمعون بين الغث والسمين والصواب والخطأ مما يؤكد السبب الطبيعي موثقاً له الإمام عليه السلام في عوامل لما يريد توثيقه وهي سيطرة الأهواء والكبرياء والجهل الفكري والحيرة والاضطراب،فكل منهم جذبته واستهوته الأهواء وقاده الكبرياء واضعف عقولهم الجهل وفقدوا الرؤية السلمية وكان الجهل هو سبب بلائهم ومصائبهم فالأمة الواعية المثقفة تواجه بما تمتلكه من عقول فضلاً عن ان خطواتها تكون صحيحة غير متخبطة، وهدف الإمام عليه السلام الذي يمحوره من خلال التوثيق ان أهل الجاهلية ضلوا وإنحرفوا بسبب عوامل الجهل وهو العامل الأساس في سبب بلائهم وعوامل أخرى مساعدة وهي الكبرياء والعصبية والأهواء فضلاً عن الاضطراب، فكانت بعثة الرسول (صلى الله عليه وآله) لإصلاح هذه الأوضاع فبالغ وجهد الرسول (صلى الله عليه وآله) في النصيحة لم يخالف عمله ما شرعه وسنه ونطق به دعا بالحكمة والموعظة وليس بالسيف [2].

ويمكن القول مما سبق:-

(١) نهج البلاغة، ص١٩٩- ٢٠٠.

(٢) - ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة (الكبير)، ٢/ ٣٩٩- ٤٠٠؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٢/ ١٣٥- ١٣٦؛ علي أنصاريان، شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار، ١/ ٣٢٣.

١- الأهواء والجهل والكبرياء هي عوامل اتصف بها المجتمع الجاهلي شخصها الإمام (عليه السلام) لتكون آليات تدعم ما يريد توثيقه للفراغ الذي كان عليه هذا المجتمع ومخلفاته السلبية لعدم الإستقرار الأمني وبسب التحلل الإجتماعي.

٢- نستدل من خلال التوثيق أنهم كانوا (و استخفّتهم الجاهليّة الجهلاء) في أدنى مستوى ثقافي وفقدان عوامل إثراء العقل وإحلال عوامل التخلف بدل قواعد و أدوات الفكر العلمي كقاعدة يمكن الإنطلاق والمواجهة من خلالها.

٣- أبعاد البعثة التي تمثلت في القضاء على هذه الثوابت الجاهلية بالجهد الكبير الذي بذله الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).

٤- مع جفاء المجتمع الجاهلي إلا أن الأسلوب والنمط الذي اتبعه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) هو الأسلوب الهادئ بالحكمة والموعظة.

وفي الإطار نفسه من شدة أمورهم عند البعثة ما يوثق له الإمام (عليه السلام) من ان أمور معاشهم صعبة شديدة وكذلك أفكارهم مضطربة في حيرة لا يهتدون إلى الصواب «**وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ابْتَعَثَهُ وَالنَّاسُ يَضْرِبُونَ فِي غَمْرَةٍ، وَيَمُوجُونَ فِي حَيْرَةٍ. قَدْ قَادَتْهُمْ أَزِمَّةُ الْحَيْنِ، وَاسْتَغْلَقَتْ عَلَى أَفْئِدَتِهِمْ أَقْفَالُ الرَّيْنِ**»[1] فهم في معادهم ومعاشهم صعوبة في غمرة وحيرة من الشدائد، وهذا الكلام موثقاً له بقول ان أزمة الحين هي التي قادتهم إلى الهلاك والموت لما كان يجري بينهم من المنازعات والغارات كما ان كثرة المعاصي غطت على قلوبهم فلم تجد للهداية سبيل لأن قلوبهم مقفلة على الباطل[2].

(١) نهج البلاغة، ص٤٢٢- ٤٢٣.

(٢) ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة (الكبير)؛ ٤/ ٢١٨- ٢١٩؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٣/ ٢٧٧- ٢٧٨؛ دخيل، شرح نهج البلاغة، ١٩- ٢٠/ ٦.

واختلف الخوئي عن الشارحين بالقول ان المقصود بذلك الهلاك الأخروي وليس الدنيوي[1] لكن يمكن القول ان ما يريد الإمام عليه السلام توثيقه إنهم يموجون في الحيرة الدنيوية بسبب قيادة أزمة الهلاك،بالمحصلة النهائية غرض الإمام عليه السلام من ذلك التوثيق بيان أبعاد البعثة وفيوضات النبي (صلى الله عليه وآله) في القضاء على مصاعب المجتمع الجاهلي.

على ان أهم أبعاد البعثة النبوية هو إنقاذ المنظومة الدينية والبيئة الإجتماعية للمجتمع الجاهلي الذي كان مجتمع منحط في القيم الأخلاقية والثوابت الإيمانية والتردي في الحالة الإقتصادية، يقول عليه السلام فيما يخص تلك النقلة: «**إِنَّ اللهَ بَعَثَ مُحَمَّداً صلى الله عليه و اله ... وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ، وَفِي شَرِّ دَارٍ، مُنِيخُونَ بَيْنَ حِجَارَةٍ خُشْنٍ، وَحَيَّاتٍ صُمٍّ تَشْرَبُونَ الْكَدِرَ، وَتَأْكُلُونَ الْجَشِبَ، وَتَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ، وَتَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ. الْأَصْنَامُ فِيكُمْ مَنْصُوبَةٌ، وَالْآثَامُ بِكُمْ مَعْصُوبَةٌ**»[2].

فنماذج الفكر والعبادة في الجاهلية تنبثق من حقيقة وواقع عقليتهم والنموذج الإقتصادي نابع من طبيعة جغرافيتهم، من هذه الوجهة يوثق الإمام عليه السلام خلال النص المتقدم أنهم كانوا على شر دين وفي شر دار، والدليل المعتمد أو المقياس على هذا الكلام بأنهم في شر دار وشر دين موثقاً له عليه السلام بتوثيق جغرافي فهم في شر دار إذ ساهمت الطبيعة في مصاعب حياتهم فطبيعتهم الجغرافية لبعدها عن الماء وقربها من خط الاستواء تكون طبيعة صخرية مما زادت في مصاعبهم، وما نريده هو ما يخص ما يريد الإمام عليه السلام توثيقه من أنهم في شر دار مجدبة لم ينالوا فيها سوى المصاعب، وعلى شر دين لما اتسمت عقيدتهم الدينية من البؤس والتعاسة

(١) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ١١/ ٢٤٩.
(٢) نهج البلاغة، ص٦٧- ٦٨.

لعبادتهم الأصنام منصوبة فهم يتضرعون إليها بالعبادة واختلال النظام الإجتماعي والأخلاقي وشيوع الهمجية بسفكهم الدماء فليست هناك عقيدة دينية تمنحهم الإستقرار والقيمة التنظيمية في الحياة[1]. ولكي نفهم أبعاد البعثة النبوية ومنظومة المجتمع الجاهلي فيما وثق له الإمام ﷺ يمكن الإلتفات إلى الملاحظات الآتية:-

١- وثق لنا الإمام ﷺ ان دين الجاهلية (توجههم بعبادة الأصنام) كانت من أسباب إفلاسهم.

٢- يمكننا الخروج بنتيجة مهمة من كلام الإمام ﷺ الموثق حول أبعاد البعثة النبوية على التغلب على المصاعب الجغرافية خلال الفترة الجاهلية ولا يعني ان هناك انقلابات حدثت في البيئة وإنما بفضل البعثة النبوية والإسلام انتشروا في الأرض واستبدلوا بأماكنهم الحارة الصعبة أريافاً وقدوم الثروة عليهم.

٣- هناك عملية ترابط منطقي بين عقاب البيئة الطبيعية والفساد المنتشر.

٤- معطيات البعثة وأبعادها في رفع الوعي وتصعيده من وحشية وهمجية وعبادة أصنام إلى فكر ووعي منفتح.

٥- من خلال جميع ما مر أمكننا الحصول على فكرة حول المعتقد الجاهلي وسلسلة الأخطار والمتاعب من أوضاع حياتية إلى ديانة فاسدة ومن ثم الانقلاب الإيجابي في المثل الدينية والأخلاقية وحتى الحياتية نتيجة تدخل العناية الإلهية وحصول البعثة النبوية.

كما نجد ان الإمام ﷺ تطرق في مناسبة أخرى للدور التغيري الكبير بتوثيق أبعاد البعثة في المنظومة الدينية للمجتمع الجاهلي مع تفاصيل هذه المنظومة، يقول

---

(١) القزويني، شرح نهج البلاغة، ٢/ ١١٩؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ١/ ٢١٣- ٢١٤؛ عبده، نهج البلاغة، ١/ ٦٢ .

عليه السلام في ذلك: «**إِلَى أَنْ بَعَثَ اللهُ سُبْحَانَهُ مُحَمَّداً رَسُولَ الله صلى الله عليه و آله وسلم إِنْجَازِ عِدَتِهِ، وَتمام نُبُوَّتِهِ، مَأْخُوذاً عَلَى النَّبِيِّينَ مِيثَاقُهُ، مَشْهُورَةً سِمَاتُهُ، كَرِيماً مِيلَادُهُ. وَأَهْلُ الْأَرْضِ [الأرضين] يَوْمَئِذٍ مِلَلٌ مُتَفَرِّقَةٌ، وَأَهْوَاءٌ مُنْتَشِرَةٌ وَطَرَائِقُ [طوائف] مُتَشَتِّتَةٌ، بَيْنَ مُشَبِّهٍ لله بِخَلْقِهِ، أَوْ مُلْحِدٍ فِي اسْمِهِ، أَوْ مُشِيرٍ إِلَى غَيْرِهِ، فَهَدَاهُمْ بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ، وَأَنْقَذَهُمْ بِمَكَانِهِ مِنَ الْجَهَالَةِ**»[1] .

إذن ببعثة الرسول (صلى الله عليه وآله) اهتدوا وابتعدوا عن ضلالة الإنحراف عن الجادة وأنقذهم من الجهالة وهذا هو الذي يوثق له الإمام عليه السلام على ان هذا التوثيق الهدف منه الوصول لغاية ذات درجة كبيرة من الأهمية وهو انتفاع الخلق ببعثة الرسول(صلى الله عليه وآله) وفضيلة شرعه موثقاً له وفق الحقيقة الواقعية التي كانوا عليها في الجاهلية من تشتت الآراء وتفرق الأديان بين مشبه لله في خلقة كاليهود والنصارى إذكانوا مشبهة ومجسمة[2] ومنهم ملحد في اسمه[3] وهي الديانة التي كان عليها بعض العرب ومنهم عبدوا الأصنام وهم المشيرون إلى غيره[4] سبحانه[5] .

ومن ثم فإن العناية الإلهية اقتضت بعثة الرسول (صلى الله عليه وآله) لما وثق له الإمام عليه السلام

(١) نهج البلاغة، ص٢٧- ٢٨.

(٢) ينظر قوله تعالى ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ الله وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ المائدة / ١٨، وقوله ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ الله وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ الله﴾ التوبة/ ٣٠ .

(٣) ينظر قوله تعالى ﴿وَلله الَأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الأعراف / ١٨٠.

(٤) ينظر قوله تعالى ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ الله مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاَءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ الله﴾ يونس / ١٨ .

(٥) بيهقي خراساني، معارج نهج البلاغة، ص٧٢؛ ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة (الكبير)، ١/ ٢٠٥- ٢٠٦؛ القزويني، شرح نهج البلاغة، ١/ ٨٩- ٩١؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ١/ ٤٧- ٤٨؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ١/ ٤٠- ٤١.

لما كانوا عليه من التشتت والكفر والإلحاد برسالة عالمية عامة لا تختص بأمه دون أخرى بدل من الضلال وتشتت الأديان الذي كان سائداً في الجاهلية .

على ان الهرج والفوضى والفساد ليس فقط في هذه الجوانب بل حتى في الجوانب الإجتماعية الذي يعد ثمرة نموذجية لمجتمع فقد الجانب الأخلاقي والديني الذي تمخض عنه هذا الخلل وأشار الإمام ﷺ إلى هذا المعنى بالقول: «**فَالْأَحْوَالُ مُضْطَرِبَةٌ، وَالْأَيْدِي مُخْتَلِفَةٌ، وَالْكَثْرَةُ مُتَفَرِّقَةٌ؛ فِي بَلَاءِ أَزْلٍ، وَأَطْبَاقِ جَهْلٍ! مِنْ بَنَاتٍ مَوْؤُدَةٍ، وَأَصْنَامٍ مَعْبُودَةٍ، وَأَرْحَامٍ مَقْطُوعَةٍ، وَغَارَاتٍ مَشْنُونَةٍ**»[1].

نستطيع ان نتعرف على الواقع الحقيقي للمجتمع الجاهلي من الشكل الخارجي فيوثق الإمام ﷺ ان هذا الشكل قائم على الإضطراب على غير نظام أيدي متفرقة غير متفقين على التناصر وغير متآلفين وجهل مطبق عليهم وهذا ليس قولاً مفتعلاً معزولاً عن بيئته بل وثّق بتوثيق يدل على تلك الحقيقة بتوثيق إجتماعي مره بوأدهم البنات ودفنهن أحياء[2] وقطعهم أرحامهم فكان القتل بينهم على غير سبب وعبادتهم الأصنام، وهذه كلها مستندات موثقه لما يريد توثيقه ﷺ بأن الجهل والهرج مطبق عليهم، وبتوثيق سياسي عسكري مرة ثانية الذي تمثل بالغارات التي تشنها القبائل وما يتبع ذلك من عمليات سلب ونهب وان دلت على شيء وإنما تدل على ذلك التدهور والإضطراب وعدم التالف و التناصر الذي يوثق له الإمام ﷺ[3]. ومما تقدم يتبين ما يأتي:-

---

(١) نهج البلاغة، ص٤٤٧.

(٢) ينظر قوله تعالى ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ التكوير/ ٨- ٩.

(٣) ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة (الكبير)، ٤/ ٢٩٩- ٣٠٠؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٣/ ٣٣٤-٣٣٥.

١- القاعدة العملية المستشفة من التوثيق كون التشتت والتفرقة موجبة للذل التي كانت عليها الجاهلية في المقابل تغير المفهوم بالبعثة النبوية بترسيخ معنى الأخوة والإرتقاء بمكانة الفرد.

٢- الظواهر اللا عقلية والعادات والتقاليد الفاسدة من قتل الأبناء إلى عبادة أصنام.

٣- نستنتج الأوضاع السياسية المتدهورة التي كان عليها المجتمع الجاهلي بسبب حالات السلب والنهب الدائمة فلا يوجد استقرار.

٤- دور الإسلام الذي تمثل بالبعثة في اكتساب قيم جديدة وبعثة نحو الهدوء والإستقرار ووثق الإمام عليه السلام لأحوال المجتمع الجاهلي لتشخيص ما أحدثته البعثة من ثوره في هذا الميدان ولا سيما مكانة المرأة.

ولعل اكبر نقلة للإنسان تمثل في البعثة النبوية بمعطياتها بأنها ارتقت بهم حتى في الأطعمة[1]، فحياتهم كانت تدور في حلقة مفرغة لا محل فيها سوى القتل والخوف ولعل مصداق ذلك ما يوثق له الإمام عليه السلام في هذا النص يقول عليه السلام «**أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَطُولِ هَجْعَةٍ مِنَ الْأُمَمِ، وَاعْتِزامٍ مِنَ الْفِتَنِ، وَانْتِشَارٍ مِنَ الْأُمُورِ، وَتَلَظٍّ [تلظى] مِنَ الْحُرُوبِ، وَالدُّنْيَا كَاسِفَةُ النُّورِ، ظَاهِرَةُ الْغُرُورِ؛ عَلَى**

(١) ومهما نقل في فضائل البعثة والعناية الإلهية فإننا لا نوصف بالغلو ودور الرسول (صلى الله عليه وآله) فيها يفوق الإجلال، ونجد ذلك في قول بعض الشخصيات وهو المغيرة بن شعبة الذي خرج لملك الفرس ليعرفه على المسلمين والإسلام وما كانوا عليه في الجاهلية يضعنا أمام حقائق الفساد ألمعاشي في الجاهلية في مقابل إرتقاء الإسلام من ضمن قوله له:نحن ناس من العرب كنا في شقاء شديد وبلاء طويل نمص الجلد والنوى من الجوع ونلبس الوبر والشعر ونعبد الشجر والحجر فبينا نحن كذلك إذ بعث رب السموات ورب الأرض إلينا نبياً من أنفسنا نعرف أباه وأمه فأمرنا نبينا رسول ربنا صلى الله عليه وسلم أن نقاتلكم حتى تعبدوا الله وحده أو تؤدوا الجزية...، البخاري، صحيح البخاري، ٤/ ٦٣- ٦٤؛ البيهقي، السنن الكبرى، ٩/ ١٩١ .

حِينِ اصْفِرَارٍ مِنْ وَرَقِهَا، وَإِيَاسٍ مِنْ ثَمَرِهَا، وَاغْوِرَارٍ مِنْ مَائِهَا، قَدْ دَرَسَتْ مَنَارُ الْهُدَى، وَظَهَرَتْ أَعْلَامُ الرَّدَى، فَهِيَ مُتَجَهِّمَةٌ لِأَهْلِهَا، عَابِسَةٌ فِي وَجْهِ طَالِبِهَا. ثَمَرُهَا الْفِتْنَةُ، وَطَعَامُهَا الْجِيفَةُ، وَشِعَارُهَا الْخَوْفُ، وَدِثَارُهَا السَّيْف»[1].

فالتوثيق في قوله ﷺ هي متجهمة لأهلها، عدم صفائها عابسة في وجه طالبها مشوبة بالكدر وحلاوتها ممزوجة بالمرارة حتى وان أغدقت عليهم لا تؤنسهم وهذا الكلام وثّق له الإمام ﷺ بتوثيق علمي نفسي مرة ما يعمله الخوف بالإنسان من اضطراب البدن فيكون شاملاً له فهم في خوف دائم بسبب الغارات، وتوثيق أمني مرة أخرى بأن يكون بعد الخوف السيف أي بعد ان شنت عليهم الغارة والخوف الذي يحصل بسبب ذلك فإنهم يردفون ذلك بشن غارة تغدق عليهم فدثارهم السيف[2] وثمار الجاهلية الفتن أي الضلال وكما ان الثمر هو غاية الشجرة فان كانت الثمرة فاسدة تضر أكثر مما تنفع فكذلك غاية الدنيا لديهم الفتن التي تهلكهم، وموثقاً له بتوثيق علمي صحي مرة ثالثة بان طعامهم الجيفة الحيوانات الميتة النتنة[3] فخبث أكلها وسوء طعمها لأنها متعفنة أو غير المذكى

---

(١) نهج البلاغة، ص١٦٢- ١٦٣.

(٢) ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة (الكبير)، ٢/ ٣١٣ .

(٣) وهناك أقوال تعد كشواهد تاريخية مصداق على قول الإمام (عليه السلام) منها حديث جعفر بن أبي طالب مع نجاشي الحبشة عندما سألهم عن سبب عدم الدخول في ديانة أهل الحبشة فإجابة جعفر بجواب يستدل من خلاله على فساد أحوال الجاهلية وقمة الرسالة قال في ذلك:كنا قَوْمًا أَهل جاهِلِيّة نعْبُدُ الْأَصنَام وَنأْكل الْمَيتَةَ ونأتي الفواحش وَنقطَع الْأَرحام وَنُسيء الجوار يأكل القوي منال الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث اللهُ إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فَدعانا إِلَى الله لنوحّده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا مِن دونه مِن حجارة و الأوثان وأمرنا بصدقَ الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيا...ً، ابن هشام، السيرة النبوية، ١/ ٢٢٣- ٢٢٤؛ أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ١/ ٢٠٢.

عليها ومما لا شك فيه إنها تعمل على إلحاق الضرر قد يكون مادي ومعنوي[1]. ومن ثم ان هذه جميعها موثقة لما يريد توثيقه عليه السلام بأن الجاهلية متجهمة على أهلها عابسة سرورها مشوب بالكدر وتعطي بيد وتأخذ بأخرى للأسباب التي ذكرت كموثق .ومن التوثيق نستدل على منظومة المجتمع الجاهلي وطبيعة المعقدة في مقابل انقلابات حدثت بالبعثة والتي يمكن أدراجها بما يلي:-

١- من أكل الجيفة والميتة إلى نظام غذائي صحي قائم على مفهوم إسلامي وعلمي بالدرجة الأساس مستمد من القرآن الكريم.

٢- من غارات مشنونة إلى نظام ثقافي عسكري قائم على حملات عسكرية منظمة.

٣- إقتصاد غير مستقر قائم على السلب والنهب إلى قوة إقتصادية ثابتة تؤمن دخل الفرد.

٤- من كيان داخلي فارغ قائم على الخوف وما يتبع ذلك من آثار صحية إلى عقيدة تمنح القوة وتنبذ الخوف.

وقد يطرح سؤال عن سبب تداعي منظمات المجتمع الجاهل والوصول إلى هذه المرحلة من التدني والإمام عليه السلام لم يدع مجالاً للتساؤل بل وثق لذلك «**إِنَّ اللهَ بَعَثَ مُحَمَّداً صلى الله عليه و اله، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَاباً، وَلَا يَدَّعِي نُبُوَّةً، فَسَاقَ النَّاسَ حَتَّى بَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ، وَبَلَّغَهُمْ مَنْجَاتَهُمْ، فَاسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ، وَاطْمَأَنَّتْ صَفَاتُهُم**»[2].

(١) ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة (الكبير)، ٢/ ٣١٢- ٣١٣؛ حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٦/ ٢٦٤- ٢٦٥؛ ألتستري، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، ٢/ ١٧٩ .
(٢) نهج البلاغة، ص٨٣.

ان العرب عند بعثة الرسول (ﷺ) انتظمت أمورهم ودولتهم وجعلهم أمة لها قيمة فطمأنت صفاتهم بعد أن كانوا مضطربين متزلزلين وهذه النجاح في الحضارة الذي تمثل ببعث الرسول (ﷺ) وبناء الإنسان على مختلف الأصعدة كان عند بعثة الرسول (صلى الله عليه و آله وسلم) ولم يكن في الجاهلية وسبب ذلك موثقاً له الإمام ﷺ وفق الحقيقة الواقعية التي كانوا عليها قبل البعثة بعدم وجود مرشد سواء كتاب سماوي ينظم قوانين حياتهم فلا أحد يقرأ كتاباً من الكتب السماوية[1] وعدم وجود نبي[2]، ومن ثم فهذه أسباب للتدني والإنحطاط الذي كانوا عليه.

لكن أبعاد البعثة لم تقتصر على ما أحدثته من إعادة هندسة وهيكلة المجتمع الجاهلي والبلوغ به إلى مستوى الحضارة بل ان فيوض النبي (ﷺ) طغت على كل سكنات المجتمع ونقصد بذلك المسلمين في الصدق والمثالية لديهم إذبدء المجتمع يفكر كيف يخدم الناس والإسلام، والمبرهن على هذه المقدمة البسيطة ما يوثق له الإمام ﷺ في بعض النصوص في ذلك يقول ﷺ: «**وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا وَالْآخَرُ**

(١) وقال بعض الشارحين بأن المقصد من ليس أحد يقرأ كتاباً يعني أن المجتمع مجتمع أمّي من إذالعلم والثقافة، لا يحسنون القراءة الموسوي، شرح نهج البلاغة، ١/ ٢٦٣؛ الخراساني، مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة، ٦/ ٤؛ نعم صحيح انه مجتمع متخلف أمّي لكن المقصود من قول الإمام (عليه السلام) أمية الفكر الديني أي أميون لعدم وجود كتاب سماوي لأن بعضهم كانت لدية ثقافة من أهل الكتاب وبعض لديه معرفة بالنجوم ومن دون شك لا نعني بذلك الصفة الغالبة بل هناك القليل منهم ومن هذه القلة لا نستطيع ان نضفي صفة الأمية على العرب بل كونهم أميين لعدم وجود كتاب كما قلنا وهذه هي الصفة الغالبة.

(٢) ابن ميثم البحراني، إختيار مصباح السالكين (المتوسط)، ص١٤٠- ١٤١؛ شارح من القرون الثامن، شرح نهج البلاغة، ص٤١٠- ٤١١؛ حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٤/ ٦٢- ٦٣؛ القزويني، شرح نهج البلاغة، ٢/ ٢٣٧؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ١/ ١٧٦- ١٧٧؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ١/ ٢٢٠- ٢٢١؛ علي أنصاريان، شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار، ١/ ١٤٤- ١٤٥.

مِنْ عَدُوِّنَا يَتَصَاوَلَانِ تَصَاوُلَ الْفَحْلَيْنِ، يَتَخَالَسَانِ أَنْفُسَهُمَا، أَيُّهُمَا يَسْقِي صَاحِبَهُ كَأْسَ الْمَنُونِ، فَمَرَّةً لَنَا مِنْ عَدُوِّنَا، وَمَرَّةً لِعَدُوِّنَا مِنَّا، فَلَمَّا رَأَى اللهُ صِدْقَنَا أَنْزَلَ بِعَدُوِّنَا الْكَبْتَ، وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا النَّصْرَ، حَتَّى اسْتَقَرَّ الْإِسْلَامُ مُلْقِياً جِرَانَهُ، وَمُتَبَوِّئاً [مبوّيا] أَوْطَانَه»[1].

ليس هناك من شك ان الرسول لم يستطع نشر وتثبيت الإسلام لوحده بل استدعى وجود مسلمين منسجمين مع الأفق الفكري للرسول (ﷺ) ومتفاعلين مع الهدف من وراء البعثة فتوثيق الإمام ﷺ خلال النص المتقدم في هذا الإطار بتشخيص أبعاد البعثة في قوله ﷺ استقر الإسلام ملقياً جرانه كناية عن التمكن والإستقرار ومتبوئاً أوطانه في قلوب المؤمنين وتوطيد أركانه في الأرض، ولم يأتِ هذا التمكن والإستقرار عبثاً أو نتيجة تأييد إلهي فقط للرسول (ﷺ) أو نظرية فكرية تقبع في زوايا الدماغ معتمدة على العوامل والشروط المادية المحقق للنصر، بل أن سبب ذلك موثق له ﷺ في تحقق أبعاد البعثة بامتلاك المسلمين عقيدة قوية واتجاه رسالي فكان كل منهم يندفع من هذا المنطلق بالقوة في معركة إنهاء الوجود يطلب المسلم بما يمتلكه من عقيدة روح الكافر والكافر بما لديه من عصبية يطلب روح المسلمين فكان الصدق والمثالية متوفر لديهم بما يمتلكون من يقين وعقيدة التي تمنحهم المدد المعنوي فلما كان هذا الصدق (وإن لم يكن من كل المسلمين) في الجهاد سواء كانت الغلبة لهم أو عليهم نتيجة العقيدة جاء دور الإمداد الغيبي بإنزال النصر عليهم والخذلان والكبت لعدوهم[2]، ويمكن الخروج مما تقدم بما يلي:-

(١) نهج البلاغة، ص١٠٧- ١٠٨.

(٢) الموسوي، شرح نهج البلاغة، ١/ ٣٦٦- ٣٦٧؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ١/ ٢٣٥؛ عبده، نهج البلاغة، ١/ ١٠٠؛ دخيل، شرح نهج البلاغة، ٥- ٦/ ١٠- ١١؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ١/ ٣٠٤؛ الخطيب، مصادر نهج البلاغة وأسانيده، ٢/ ٢٤؛ الميرجهاني، مصباح البلاغة في مشكاة الصياغة، ٢/ ٦٢٣- ٦٢٤.

١- يوثق الإمام عليه السلام لحقيقة ان الإسلام لم ينتشر ويستقر إلا نتيجة الصدق والمثالية لدى بعض المسلمين التي غيرت مجرى التاريخ وبدلت معالم الحضارة.

٢- المسألة المهمة التي نخرج بها من التوثيق ان التأييد الإلهي والإمداد الغيبي لم يحدث إلا بعد الصدق القلبي والإصلاح الداخلي للمسلمين.

٣- هذه الكلام وجهه الإمام عليه السلام لأصحابه في صفين، ومن ثم فإن الهدف هو التوعية والتثقيف وخلق وعياً تاريخياً لديهم ليبين تقصيرهم في الجهاد.

٤- من كل ما مر نستخلص ان الهدف من التوثيق لتشخيص أبعاد البعثة النبوية في تكوين الشخصية العقائدية التي تتمتع بعقلية هادفة من الشخصية الجاهلية المتذبذبة.

ومن الأبعاد الأخرى للبعثة وانعكاساتها على المجتمع بظهور بصمات واضحة في النعم التي أغدقت عليهم وهذا ما يطالعنا عليه الإمام عليه السلام بالتوثيق إذ رسم هيكليه تكاد تكون متكاملة الصورة عن معطيات البعثة النبوية من ذلك يقول عليه السلام: «**فَانْظُرُوا إِلَى مَوَاقِعِ نِعَمِ اللهِ عَلَيْهِمْ حِينَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا، فَعَقَدَ بِمِلَّتِهِ طَاعَتَهُمْ، وَجَمَعَ عَلَى دَعْوَتِهِ أُلْفَتَهُمْ؛ كَيْفَ نَشَرَتِ النِّعْمَةُ عَلَيْهِمْ جَنَاحَ كَرَامَتِهَا، وَأَسَالَتْ لَهُمْ جَدَاوِلَ نَعِيمِهَا، وَالْتَفَّتِ الْمِلَّةُ بِهِمْ فِي عَوَائِدِ بَرَكَتِهَا، فَأَصْبَحُوا فِي نِعْمَتِهَا غَرِقِينَ، وَفِي خُضْرَةِ عَيْشِهَا فَكِهِينَ [فاكهين]. قَدْ تَرَبَّعَتِ الْأُمُورُ بِهِمْ، فِي ظِلِّ سُلْطَانٍ قَاهِرٍ، وَآوَتْهُمُ الْحَالُ إِلَى كَنَفِ عِزٍّ غَالِبٍ، وَتَعَطَّفَتِ الْأُمُورُ عَلَيْهِمْ فِي ذُرَى مُلْكٍ ثَابِتٍ. فَهُمْ حُكَّامٌ عَلَى الْعَالَمِينَ، وَمُلُوكٌ فِي أَطْرَافِ الْأَرَضِينَ. يَمْلِكُونَ الْأُمُورَ عَلَى مَنْ كَانَ يَمْلِكُهَا عَلَيْهِمْ، وَيُمْضُونَ الْأَحْكَامَ فِيمَنْ كَانَ يُمْضِيهَا فِيهِمْ! لَا تُغْمَزُ لَهُمْ قَنَاةٌ، وَلَا تُقْرَعُ لَهُمْ صَفَاةٌ!**»[1].

(١) نهج البلاغة، ص٤٤٧- ٤٤٨ .

يوثق الإمام عليه السلام ان النعم ببركة الرسول (صلى الله عليه وآله) سالت على المسلمين جناح كرامتها وأسالت جداول نعيمها فأحاطت النعم بهم وشملتهم في سائر أمورهم المادية والمعنوية في نشوه من ذلك النعيم مسرورين فرحين بلا اضطراب وخلل فالأمور كلها مستقيمة وأدخلتهم استقامته حالهم إلى حجر العز الذي لا يضام بل الغالب الذي لا يقهر، على ان هذه النتائج أو المعطيات وهذا الحكم على طابعها وقيمتها لا يفتقر إلى التوثيق وإنما موثقاً في العوامل الكامنة وراء هذه السيل من النعم في إنهم بفضل الإسلام أصبحوا ملوكاً في الأرض حتى على من كان يملكها عليهم وهم الفرس والروم وغدت الأحكام الإسلامية تنفذ على أهلها بعد ان كانت العكس لا تغمز لهم قناة ولا تقرع لهم صفاة أي أعزاء ولا يطمع في جانبهم لعزتهم وقوتهم [1]. أصبح من المنطقي القول ان ما نستدل عليه على ظهور أبعاد البعثة ببصمات واضحة فالجداول والغرق في النعم وخضرة العيش تدل على الإزدهار لأنهم أصبحوا حكاماً على العالمين مع إقبال السعادات الدنيوية والأخروية في مقابل شقاء الجاهلية ورذالة العيش بأكل الميتة ووأد البنات، وبشأن ما وثق له الإمام عليه السلام يمكن الإلتفات إلى عدة أمور:

١- وضع الإمام عليه السلام يده على حقيقة بالتوثيق لها بأن قدرة المسلمين على البناء والحركة ومن ثم فالنعم التي حصلوا عليها نتيجة تحريرهم من الإستبداد السياسي والتسلط اللامشروع.

٢- العملية الإستدلالية أو الحقيقية العلمية الموثقة بأنهم أصبحوا حكام على العالمين لعقدهم الطاعة للرسول(صلى الله عليه وآله) وجمعوا على دعوته الفتهم فالتقدم والإرتقاء هو نتيجة التلاحم الذي كانوا عليه بفضل الإسلام وهي في الوقت

(١) الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٣/ ٣٣٥- ٣٣٧.

ذاته توعية وتثقيف عن طريق الإعتبار بالتاريخ بأن التناحر هو آفة الإنحطاط والإنهيار والعكس صحيح.

٣- ومن الأبعاد المهمة للبعثة هو الرفاهية الإقتصادية التي حصلت كنتيجة لإنتشار الإسلام.

وإلى جانب توثيق الإمام عليه السلام لأبعاد البعثة في سيل النعم عليهم فانه يوثق كذلك على أبعاد هذه البعثة في الحياة الإجتماعية على أواصر القرابة والجماعة حينما يقول «**فَصَدَعَ بِمَا أُمِرَ بِهِ، وَبَلَّغَ رِسَالَاتِ رَبِّهِ، فَلَمَّ اللهُ بِهِ الصَّدْعَ وَرَتَقَ بِهِ الْفَتْقَ، وَأَلَّفَ بِهِ الشَّمْلَ بَيْنَ ذَوِي الْأَرْحَامِ، بَعْدَ الْعَدَاوَةِ الْوَاغِرَةِ فِي الصُّدُورِ، وَالضَّغَائِنِ الْقَادِحَةِ فِي الْقُلُوبِ**»[1] فالتوثيق في قوله عليه السلام الم الله به (صلى الله عليه وآله) الصدع وإلف به الشمل بين ذوي الأرحام أي ان الرسول (صلى الله عليه وآله) أعاد بناء أو تشكيل الأواصر وهذا الكلام موثق له وفق الحقيقة الواقعية التي كانوا عليها من العداوة المتوقدة[2] والضغائن[3]. ومما تقدم ما يأتي:-

١- تحقيق أبعاد البعثة على الحياة الإجتماعية بتشكيل هوية إجتماعية جديدة بدلاً من مشاعر الكراهية المقيتة والتعصب.

٢- توعية وتثقيف بدور العقيدة في إطفاء مشاعر الكراهية التي تتوهج في الصدور.

(١) نهج البلاغة، ص٥٣٥ .

(٢) ولا سيما الأوس والخزرج فما كانوا يضعون سلاح فألف بينهم الإسلام، مرتضى العاملي، الصحيح من سيرة النبي الأعظم، ٤/ ١٢٠.

(٣) كيذري بيهقي، حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة، ٢/ ٢٦٠؛ ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة (الكبير)،٤/ ١١٠؛ دخيل، شرح نهج البلاغة، ٢٣- ٢٤/ ٧٣- ٧٤؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٣/ ٤٠٤؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٤/ ٨٤ .

وفضلاً عما وثق له الإمام عليه السلام لعموميات أبعاد البعثة في الحياة الإجتماعية فإنه لم يعدم من التعرج على الجزئيات لمظاهر البعثة في الرقي بالحياة الإجتماعية تمثلت في قوله عليه السلام: «**وَقَدْ بَلَغْتُمْ مِنْ كَرَامَةِ اللهِ تَعَالَى لَكُمْ مَنْزِلَةً تُكْرَمُ بِهَا إِمَاؤُكُمْ وَتُوصَلُ بِهَا جِيرَانُكُمْ، وَيُعَظِّمُكُمْ مَنْ لَا فَضْلَ لَكُمْ عَلَيْهِ، وَلَا يَدَ لَكُمْ عِنْدَهُ، وَيَهَابُكُمْ مَنْ لَا يَخَافُ لَكُمْ سَطْوَةً، وَلَا لَكُمْ عَلَيْهِ إِمْرَة**»[1].

يريد عليه السلام أن يوثق لفضل الإسلام وكرامة الله سبحانه أن تم البلوغ والوصول إلى منزلة عظمية لم يحصلوا عليها فيما سبق، ومن غير المعقول أن يقول الإمام عليه السلام ذلك من غير أن تكون هناك نتيجة تسند ذلك التوثيق لكن وكما مرّ ان الإمام عليه السلام لا يبتعد في الكلام عن المنهجية غير العلمية التي لا تستند على قانون علمي من دون ان يكون هناك توثيق وقد عرفنا التوثيق في النص إما ما وثق له فكان وفق النظرة الواقعية والنظرة الإصلاحية للإصلاحات الإجتماعية التي حصلت بالإسلام تمثلت في الرقي بمكانة الإماء والعبيد والمماليك إذأكرمهم الاسلام واحترمهم بعد ان كانوا يعاملون معاملة الإقطاع لا قيمة لهم، كما حدث تطور في علاقات الجوار[2] سواء جار السكن أو الجار المستجير من معاهد أو ذمي[3] لأن لها المعنى نفسه وكذلك الرقي بالفرد المسلم إذأصبح له هيبة واحترام حتى من القوي، لا من رهبة أو رغبة بل لأنه يراهم أهلا للتعظيم نتيجة مبادئ الإسلام[4]

(١) نهج البلاغة، ص٢٢٢.

(٢) ولم يكن هذا التطور شكلي بل كان هناك قانون نص على علاقات الجوار تضمن في دستور المدينة تجلى في قول الرسول (صلى الله عليه وآله) (إن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم)، ابن كثير، البداية والنهاية، ٣/ ٢٧٦.

(٣) ينظر قوله تعالى ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الأنفال / ٢٦.

(٤) مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٢/ ١٢٥؛ الخطيب، مصادر نهج البلاغة وأسانيده، ٢/ ٢١٣؛ دخيل، شرح نهج البلاغة، ٩- ١٠/ ٦٠؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٢/ ٢٠٣.

وليس نتيجة الأساطير والحكايات التي ذكرها الشارحين من استجابة دعوا المسلمين والتأييد الإلهي المستمر بالملائكة[1].

ثانياً: مقاييس ومنطلقات توثيق أفضلية الرسول (ﷺ).

من دون شك أن أفضلية نبينا محمد (ﷺ) لم تكن أفضلية اعتباطية بل كانت قائمة وفق مقاييس ومنطلقات ولا شك أنها ليست فقط أفضلية على البشر بل حتى على الأنبياء ولاسيما ان مشروعية القول بالأفضلية نالت حيزاً كبيراً في القرآن كما في قوله تعالى ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾[2]، وقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾[3].

يمكن القول ان للجميع فضل فالرسالة في حد ذاتها فضيلة لكن هناك اختلاف في المقامات وتفضيل في الدرجات[4] وأفضلية النبي محمد (ﷺ) قائمه على الأعمال التي استحق بها الفضيلة ومما ينير هذا الرأي معالجة النهج لفكرة الأفضلية معالجة نموذجية موثقاً لها بحيث لا يترك أي منفذ يتسرب منه الاضطراب والجدل وحين تتبع ذلك في النهج لا بالتعامل بالقلب والروح فقط وإنما بالفكر والقواعد العلمية أيضاً فإننا نستملك شيئاً من الرؤى التي تثبت وبشكل قاطع تلك الأفضلية.

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٧/ ١٧٧؛ ينظر حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٧/ ٢٧١- ٢٧٢؛ علي أنصاريان، شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار، ١/ ٣٦٨-٣٦٩.

(٢) البقرة/ ٢٥٣.

(٣) الإسراء/ ٥٥.

(٤) الطباطبائي، تفسير الميزان، ٢/ ٣١٠.

وأول تلك الأفضلية التي يوثق لها الإمام عليه السلام هي أفضلية النسب ولا نعني بتلك الأفضلية ميزه انفرد بها الرسول (صلى الله عليه وآله) عن الأنبياء بل على العكس هي ميزه مشتركة لكن الميزة والأفضلية تمثلت بأن الرسول (صلى الله عليه وآله) جمع في نسبة كل الأنبياء وليس فضيلة نبي أو اثنين وهي في الوقت ذاته أفضلية مؤهلة للنبوة والرسالة ويتجلى ذلك في قول الإمام عليه السلام «**فَاسْتَوْدَعَهُمْ فِي أَفْضَلِ مُسْتَوْدَعٍ، وَأَقَرَّهُمْ فِي خَيْرِ مُسْتَقَرٍّ، تَنَاسَخَتْهُمْ [تناسلتهم] كَرَائِمُ الْأَصْلَابِ إِلَى مُطَهَّرَاتِ الْأَرْحَامِ؛ كُلَّمَا مَضَى مِنْهُمْ سَلَفٌ، قَامَ مِنْهُمْ بِدِينِ اللهِ خَلَفٌ. حَتَّى أَفْضَتْ كَرَامَةُ اللهِ سُبْحَانَهُ وتعالى إِلَى مُحَمَّدٍ، صلى الله عليه وآله؛ فَأَخْرَجَهُ مِنْ أَفْضَلِ الْمَعَادِنِ مَنْبِتاً، وَأَعَزِّ الْأُرُومَاتِ مَغْرِساً؛ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي صَدَعَ مِنْهَا أَنْبِيَاءَهُ، وَانْتَجَبَ [انتخب] مِنْهَا أُمَنَاءَهُ. عِتْرَتُهُ خَيْرُ الْعِتَرِ، وَأُسْرَتُهُ خَيْرُ الْأُسَرِ، وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ الشَّجَرِ؛ نَبَتَتْ فِي حَرَمٍ؛ وَبَسَقَتْ فِي كَرَمٍ؛ لَهَا فُرُوعٌ طِوَالٌ، وَثَمَرَةٌ لَا يُنَالُ**»[1].

ينبغي القول ان النص المتقدم عبارة عن سياق تاريخي متصل يبدأ بطهارة نسب نبينا آدم عليه السلام وينتهي بالنبي محمد (صلى الله عليه وآله) إما ما يخص الرسول (صلى الله عليه وآله) فيوثق الإمام عليه السلام له بقوله انه أخرج من أفضل المعادن منبتاً وأعز الأرومات مغرساً فهو (صلى الله عليه وآله) من أفضل المعادن وأعز الأصول.

إما يخص آراء الشارحين يمكن القول انه من المواضيع التي اختلفت فيها الآراء فقد أشار البعض ان الإمام عليه السلام أراد بأفضل المعادن وأعز الأصول مكة وقال آخر قبيلته أو عشيرته[2]، لكن الإمام عليه السلام لم يدع مجال لاختلاف الآراء بل موثقاً

(١) نهج البلاغة، ص١٩٧- ١٩٨.

(٢) كيذري بيهقي، حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة، ١/ ٤٨١؛ حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٧/ ١٠٤- ١٠٥؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٢/ ١٣١؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٢/ ٦٣.

لذلك بتوثيق علمي بأن أفضل المعادن وأعز الأصول لأنه من طينة النبوة (ومن دون شك ان أخذ الشيء من نفس مادته الأصلية أفضل من لو دخلت فيه مواد أخرى كما يقال مادة خام) وهي مادة القريبة منهم فهو (ﷺ) من الشجرة التي صدع منها أنبياءه وأمناءه على رسالته وكان ابن ميثم البحراني من المختلفين عن آراء الشارحين ومن القائلين بهذا القول[1] .

ان الهدف من التوثيق هو أفضلية طهارة نسب النبي (ﷺ) لأنها من الشجرة التي صدع منها الأنبياء الذين تناسختهم كرائم الأصلاب إلى مطهرات الأرحام لأن ذلك أمر بالغ الوضوح وان لم تكن الموافقة العقلية للبعض لا تتقبل ذلك فكفى بقوله تعالى ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾[2] مصداق على ما وثق له الإمام عليه السلام. ونجد ان الإمام عليه السلام كرر وبالألفاظ نفسها تقريباً لكن هذه المرة استخدم مبدأ التخصيص للتوثيق لأفضلية نسب الرسول (ﷺ) يقول عليه السلام «**مُسْتَقَرُّهُ خَيْرُ مُسْتَقَرٍّ، وَمَنْبِتُهُ أَشْرَفُ مَنْبِتٍ، فِي مَعَادِنِ الْكَرَامَةِ، وَمَمَاهِدِ السَّلَامَةِ. قَدْ صُرِفَتْ نَحْوَهُ أَفْئِدَةُ الْأَبْرَارِ، وَثُنِيَتْ إِلَيْهِ أَزِمَّةُ الْأَبْصَارِ، دَفَنَ اللهُ بِهِ الضَّغَائِنَ، وَأَطْفَأَ بِهِ الثَّوَائِرَ، أَلَّفَ بِهِ إِخْوَاناً[3]، وَفَرَّقَ بِهِ أَقْرَاناً، أَعَزَّ بِهِ الذِّلَّةَ، وَأَذَلَّ بِهِ الْعِزَّةَ. كَلَامُهُ بَيَانٌ، وَصَمْتُهُ لِسَان**»[4] .

ومما لاريب وكما قلنا ان التوثيق هنا هو جنس مما ذكر سابقا فالمقطع الأول ورد سابقاً في الحديث عن الأنبياء عموماً بأنه أقرهم في خير مستقر أي في أرحام نساء

(١) شرح نهج البلاغة (الكبير)، ٢/ ٣٩٦- ٣٩٧.

(٢) الشعراء/ ٢١٩.

(٣) وينظر قوله تعالى ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ آل عمران/ ١٠٣.

(٤) نهج البلاغة، ص٢٠٠ - ٢٠١.

مطهرات غير مشركات[1] والتوثيق هنا في قول الإمام ﷺ بشأن الرسول (ﷺ) اقره في خير مستقر وأنبته في خير منبت ولا يعني بذلك مستقره في مكة ومنبته المدينة أو العكس كما فهم بعض الشارحين[2] . ان المقصود خير مستقر وأشرف منبت طهارة نسب آبائه سواء من الكفر والشرك أو السفاح فهو (ﷺ) في الأرحام الطاهرة والأصلاب الشامخة، ولم يكن هذا الكلام إعتباطاً بل موثقاً له ﷺ بتوثيق علمي بالقول ان مستقره ومنبته في معادن الكرامة أي في أصله ومبتدأه[3] إذن هو (ﷺ) منبته من معدن أصيل كريم وليس لئيم النسب وفي مماهد السلامة، والمهد المكان أو الأرض[4] الحسنة التي يكون زرعها جيداً إن كانت للزراعة أو الحسنة للإستقرار بريء من العيوب[5]، النتيجة من التوثيق ان المماهد السالمة البريئة والمعادن الأصيلة هي توثيق لما يريد الإمام ﷺ توثيقه بأن مستقره في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة،ومما تقدم يمكن القول:-

١- المقياس الذي اعتمد عليه الإمام ﷺ للتوثيق لأفضلية طهارة نسب الرسول (ﷺ) هو المقياس العلمي وهو المعدن والأرض ووجه الشبه ان المعدن الجيد لا ينتج إلا الجيد وكذا الأرض الجيدة تنتج زرع جيد فهكذا بالنسبة

(١) حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٧/ ١٠١؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٢/ ١٠٣؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٢/ ١٣١، وينظر قوله تعالى ﴿وَهُوَالَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ الأنعام/ ٩٨.

(٢) ابن ميثم البحراني، إختيار مصباح السالكين (المتوسط)، ص٢٣٧؛ ألتستري، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، ٢/ ١٩٧؛ الخوئي، الدرة النجفية، ص١٥١؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٢/ ١٣٨؛ علي أنصاريان، شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار، ١/ ٣٢٤؛حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٢/ ١٠٨ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٢/ ٦٩.

(٣) ألفراهيدي، العين، ٢/ ٤٢.

(٤) ألفراهيدي، العين، ٤/ ٣١- ٣٢؛ ابن منظور، لسان العرب، ٣/ ٤١٠.

(٥) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٧/ ٦٨؛ دخيل، شرح نهج البلاغة، ٩- ١٠/ ١٦.

لطهارة نسب الرسول (ﷺ).

٢- طهارة نسب الرسول (ﷺ) ليس والدية فقط وإنما الطهارة في الأجداد أيضاً.

٣- عصمة الرسول (ﷺ) فصمته حجة الصمت الناطق وكلامه بيان عن وحي الهي.

٤- قول الإمام (عليه السلام) دفن به الضغائن وألف به إخواناً هي من صفات الكمال والعظمة التي تحققت بفضل النبي (ﷺ) وربما لم تحدث لأحد من الأنبياء من قبل.

٥- نستنتج أيضا من خلال النص ان قول الإمام (عليه السلام) (أعزّ به الذّلّة، و أذلّ به العزّة) يدل على حدوث تغيرات في السلم الإجتماعي بلإرتفاع بأشخاص كانوا في أسفل السلم بفضل الإسلام والسقوط ببعضهم، وان دلت على شيء إنما تدل على حنكة الرسول (ﷺ) ومقدرته.

ان منطق الأفضلية قائم أولاً وقبل كل شيء على طهارة النسب وقد جعلت من الرسول (ﷺ) أفضل الخلق وليس هناك شك في ذلك وهو على درجة من الأهمية لكونه في الوقت ذاته حجة دامغة على من يكفر آباء الرسول (ﷺ)، لكن هناك حقيقة موثقه قد تكون أكثر أهمية مما سبق تثبت أفضلية الرسول (ﷺ) حتى على الرسل والأنبياء قائمة على مقاييس ومنطلقات علمية أو يمكن القول حقيقية عقائدية، وهناك نص في نهج البلاغة يثبت هذه المقدمة يقول الإمام (عليه السلام) في ذلك «**وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَسَيِّدُ عِبَادِهِ، كُلَّمَا نَسَخَ اللهُ الْخَلْقَ فِرْقَتَيْنِ جَعَلَهُ فِي خَيْرِهِمَا، لَمْ يُسْهِمْ فِيهِ عَاهِرٌ، وَلَا ضَرَبَ فِيهِ فَاجِرٌ**»[1].

(١) نهج البلاغة، ص٤٩٦.

من خلال هذا النص يوثق الإمام (عليه السلام) لمغزىً سامٍ بأن الرسول (صلى الله عليه وآله) سيد العباد ليس في السياق التاريخي أو الزمن التاريخي الذي ظهر فيه بل سيد على العباد جميعاً، ولا يعني ذلك قضية خيالية انبثقت منها هذه الرؤى بل أن الإمام (عليه السلام) وثق لذلك بدليل ان الله سبحانه وتعالى كلما نسخ الخلق ونقلهم عن أصولهم بالتناسل منذ نبينا آدم (عليه السلام) جعل الرسول (صلى الله عليه وآله) في أفضل فرقة[1] فيكون سيدها[2] ومن ثم فهو سيد الخلق جميعاً.

ويلفت الإمام (عليه السلام) فيما تقدم بالتوثيق إلى نقطة أساسية وهي أفضلية الرسول (صلى الله عليه وآله) على الكل كون قوة روحية موجودة قبل الخلق متقدمة على الأنبياء والرسل كما توجد حقائق أخرى بعيدة عن النسب ذات قيمة في ذاتها وبمقدار فيما أداه من أعمال أعطت تلك القيمة لتكون صورة ذهنية واضحة لتلك الأفضلية على أن الأفضلية وكما قلنا فيما سبق ليس هو الأمر المخيف لأنه بحد ذاته من الله سبحانه وتعالى ولكون هناك أعمال ومواقف استحق بها الرسول (صلى الله عليه وآله) أن يكون متقدماً وتجلى ذلك في هذه النصوص التي يوثق فيها الإمام (عليه السلام) لهذا المنطلق يقول (عليه السلام): **«أَرْسَلَهُ بِالضِّيَاءِ، وَقَدَّمَهُ فِي الِاصْطِفَاءِ، فَرَتَقَ بِهِ الْفَاتِقَ، وَسَاوَرَ بِهِ الْمُغَالِبَ، وَذَلَّلَ**

(١) ولعل ذلك ورد على لسان الرسول (صلى الله عليه وآله) الذي لا ينطق عن الهوى ذلك إذقال (كنت وآدم في الجنة في صلبه وركب بي السفينة في صلب أبي نوح وقذف بي في النار في صلب إبراهيم لم يلتقِ أبواي قط على سفاح ولم يزل الله ينقلني في الأصلاب إلى الأرحام الطاهرة صفي مهدي لا يتشعب شعبتان ألا كنت في خيرهما ...)، المتقي الهندي، كنز العمال، ١١/ ٤٢٧- ٤٢٨.

(٢) ابن ميثم البحراني، إختيار مصباح السالكين (المتوسط)، ص٤٠٣؛السرخسي، أعلام نهج البلاغة، ص١٨٢؛ حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ١٤/ ٩١- ٩٣؛ دخيل، شرح نهج البلاغة، ٢١- ٢٢/ ٧١؛ عبده، نهج البلاغة، ٢/ ٢٢٠؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٣/ ٣٢٣- ٣٢٤؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٣/ ٤٨٤- ٤٨٥؛ الخطيب، مصادر نهج البلاغة وأسانيده، ٣/ ١٠٩.

بِهِ الصُّعُوبَةَ، وَسَهَّلَ بِهِ الْحُزُونَةَ، حَتَّى سَرَّحَ الضَّلَالَ، عَنْ يَمِينٍ وَشِمَال»[1] .

وربما يكون هذا النص أكثر دلالة ولاسيما ان الإمام عليه السلام يوثق وبصراحة ان الرسول (صلى الله عليه وآله) أرسل بالضياء ومقدم في الإصطفاء على سائر الأنبياء بالفضيلة ومما لاشك فيه ان هذا التقديم لم يأتِ اعتباطاً ولم يكن كلام الإمام عليه السلام دون هدف وليس بذاك الكلام غير الممنهج والمناقض للأسس العلمية بل قائم على مقاييس ومنطلقات تسند ذلك التوثيق في دور الرسول (صلى الله عليه وآله) في خلق نظام عالمي مؤحد برتق المفاتق والقضاء على الفساد وجمع الأمة بقيادته ولاسيما إذا علمنا ان الفترة التي عاش فيها الرسول (صلى الله عليه وآله) لنشر الدعوة ليس بالفترة المعتد بها ولكن مع ذلك استطاع ان يجمع الأمة وينشر الإسلام وهذا ان دل على شي وإنما يدل على مقياس ومنطلق ما يوثق له الإمام عليه السلام من تقديم الرسول (صلى الله عليه وآله) لأنه لم يكن هناك من استطاع ان يفعل ذلك سواء من الأنبياء والرسل أو البشر، من جانب آخر ما يسند ذلك التوثيق موثقاً له في قدرة الرسول (صلى الله عليه وآله) في تذليل الصعوبة فمع ما كان صعبا من آهل الجاهلية سواء من العقول المتحجرة أو من الوضع الفاسد لكنه (صلى الله عليه وآله) استطاع أن يذلل هذه الصعوبة وفي الوقت ذاته بقدرته (صلى الله عليه وآله) سهل الحزونة في الطريق إلى الله[2] وهذا من الأعمال التي تستند إلى سبب الإصطفاء الإلهي للرسول (صلى الله عليه وآله) .

وفي الإطار نفسه يوجد نص آخر في النهج موثق لما سبق أيضا لسبب تقديم الرسول (صلى الله عليه وآله) وأفضلية على الأنبياء والرسل يقول عليه السلام: «**وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، خَاضَ إِلَى رِضْوَانِ اللهِ كُلَّ غَمْرَةٍ، وَتَجَرَّعَ فِيهِ كُلَّ غُصَّةٍ. وَقَدْ تَلَوَّنَ لَهُ**

(١) نهج البلاغة، ص٤٩٦.

(٢) ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة، ٤/ ٣٠؛ الموسوي، شرح نهج بلاغة، ٣/ ٤٨٠- ٤٨١ .

الْأَدْنَوْنَ، وَتَأَلَّبَ عَلَيْهِ الْأَقْصَوْنَ، وَخَلَعَتْ إِلَيْهِ الْعَرَبُ أَعِنَّتَهَا، وَضَرَبَتْ إِلَى مُحَارَبَتِهِ بُطُونَ رَوَاحِلِهَا، حَتَّى أَنْزَلَتْ بِسَاحَتِهِ عَدَاوَتَهَا، مِنْ أَبْعَدِ الدَّارِ، وَأَسْحَقِ الْمَزَارِ»[1].

فالتوثيق كما قلنا تقديم الرسول (ﷺ) في الإصطفاء والأفضلية أما الموثق له فهو هذا النص موثق لذلك بتوثيق تاريخي من خلال حوادث تاريخية مترادفة الزمن فسبب تقديم الرسول (ﷺ) لما عاناه الرسول (ﷺ) في سبيل الدعوة من تألب البعيد والقريب تنوعوا في قتاله فضربت العرب بطون دوابها لقتاله جاءوا فرساناً وركباناً من أبعد دار وهي مكة وأقصى مزار خاض كل شدة وتقحم كل هول وارتكب كل مهلكة من أجل رضاه سبحانه وتجرع كل غصة لكنه كظم الغيظ[2]،على ان بيت القصيد في ذلك والهدف من التوثيق أن الرسول (ﷺ) مع هذه المصاعب والشدة وتكذيب الجميع لكنه لم يدعوا على قومه كما في حال الأنبياء بل على العكس كان يدعُ لهم، ومن ثم فإن هذا مقياس موضوعي في سبب الإصطفاء الإلهي[3] والتفضيل، ونستدل من التوثيق ما يلي:-

(١) نهج البلاغة، ص٤٥٩- ٤٦٠.

(٢) كيذري بيهقي، حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة، ٢/ ١٣٩؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٠/ ١٦٤- ١٦٥؛ ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة (الكبير)، ٣/ ٤٢٧؛ حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ١٢/ ١٧٤- ١٧٥؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٣/ ٢٤٥- ٢٤٦؛ دخيل، شرح نهج البلاغة، ١٩- ٢٠/ ٨٨؛ علي أنصاريان، شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار، ٢/ ٣٧٢.

(٣) وقد يسأل سائل أين الإصطفاء والأفضلية في ذلك لكن يمكنا القول ان الأفضلية بأن جميع ألأنبياء والرسل عندما يصل إلى مرحلة أو نهاية طريق مع قومه يطلب العون الإلهي ويدعو عليهم أو يتخلى ماعدا الرسول محمد (ﷺ) فإنه تحمل ولم يدعُ على قومه ولم يتخل عنهم، ولكي نثبت ذلك القول نأتِ بأدلة من القرآن الكريم فمثلاً نبي الله نوح عليه السلام عندما كذبةُ قومه دعا عليهم فقال: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ* فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ *ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ﴾ الشعراء/ ١١٧- ١١٩

١- المقياس الذي اعتمد عليه الإمام(عليه السلام) في التوثيق لأفضلية الرسول(صلى الله عليه وآله) هو المقياس التاريخي منطلقاً من الحوادث التاريخية ذاتها.

٢- مع المواقف المتشددة التي واجهت الرسول (صلى الله عليه وآله) فإنه تداركها بالإيمان الداخلي المؤيد بالرؤى التي منحها القرآن الكريم.

٣- ان تلك المحاولات من المشركين لم تصب الرسول(صلى الله عليه وآله) بالإحباط لتثنيه عن دوره بل على العكس ان كل المحاولات كانت تزيد الرسول(صلى الله عليه وآله) قوة ليبلغ أوج الكمال «**وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، دَعَا إِلَى طَاعَتِهِ، وَقَاهَرَ أَعْدَاءَهُ جِهَاداً عَنْ دِينِهِ؛ لَا يَثْنِيهِ عَنْ ذَلِكَ اجْتِمَاعٌ عَلَى تَكْذِيبِهِ، وَالْتِمَاسٌ لِإِطْفَاءِ نُورِهِ**»[1]، وهي في الوقت ذاته مصداق موثق لأفضلية الرسول (صلى الله عليه وآله).

ان الذي تقدم من التوثيق يدل على أن أحد مقاييس الأفضلية قائم على قوة

فطلب العذاب لقومه ما عدا أهله الذين آمنوا، وكذلك نبي الله موسى عليه السلام ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ يونس/ ٨٨ فطلب العذاب أيضا أما نبي الله هود عليه السلام فإنه أيضا قد وصل إلى مرحلة مع قومه تخلى عنهم ﴿قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ * إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ هود/ ٥٤- ٥٦ إما لوط ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ * قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ * رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ * فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾ الشعراء/ ١٦٧- ١٩٦ فطلب النجاة له ولأهله فقط، أما نبي الله عيسى(عليه السلام) فإنه اتخذ جماعة فقط عن قومه ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ آمَنَّا بِاللهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ آل عمران/ ٥٢، وفيما تقدم مصداق على تفضيل الرسول (صلى الله عليه وآله) وتقديمه في الإصطفاء بل على العكس فإن الرسول (صلى الله عليه وآله) مع التكذيب والمشاقة والألم الذي لاقاه منهم كان يقول (ربي اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون) أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ١/ ٤٣٢؛ البخاري، صحيح البخاري، ٤/ ١٥١؛ مسلم، صحيح مسلم، ٥/ ١٧٩.

(١) نهج البلاغة، ص٤١٨.

التحمل في سبيل ما مكلف في أدائه وقد فاق الرسول (ﷺ) الجميع في ذلك، ومن المقاييس الأخرى التي وثق لها الإمام (عليه السلام) مقياس الكمال في الأداء يقول (عليه السلام) «**وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ الـهَ إِلَّا اللهُ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَنَجِيبُهُ وَصَفْوَتُهُ. لَا يُؤَازَى فَضْلُهُ، وَلَا يُجْبَرُ فَقْدُهُ. أَضَاءَتْ بِهِ الْبِلَادُ بَعْدَ الضَّلَالَةِ الْمُظْلِمَةِ، وَالْجَهَالَةِ الْغَالِبَةِ، وَالْجَفْوَةِ الْجَافِيَةِ؛ وَالنَّاسُ يَسْتَحِلُّونَ الْحَرِيمَ، وَيَسْتَذِلُّونَ الْحَكِيمَ] الحليم[؛ يَحْيَوْنَ عَلَى فَتْرَةٍ، وَيَمُوتُونَ عَلَى كَفْرَةٍ!**»[1].

وهنا يصب الإمام (عليه السلام) التوثيق بأن الرسول (ﷺ) لا يوازي أحد فضله ولا يسد مسده فلا يجبر فقده في عبارة تتميز بالدقة والإبتعاد عن الإلتواء فليس فيها ما يدل على انه إغراق في المدح البعيد عن الواقع بل وثّق لذلك وفق الحقيقية الواقعية والقدرة الشخصية للرسول(ﷺ) وكمال أدائه، فبجهاده أضيئت البلاد بعد الظلمة بنور الرسالة و الهداية على الرغم من صعوبة البيئة الجاهلية وعاداتها القاسية الغلظة والشدة ولا يوجد هناك محرم يرتدعون عنه بل أن الحكيم الذي يحاول التصدي ويحرم بعض العادات القبيحة ولا يخوض معهم فيها يستذلونه فيحيون على فترة خالية من الرسل والكتب السماوية ويموتون على الكفر والإلحاد لكن مع كل هذه التعقيدات والصعوبة إلا أنه (ﷺ) تغلب عليها[2]. ويمكن إدراج بعض الملاحظات مما تقدم:

(١) نهج البلاغة، ص٣٠٦.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٩/ ١٣٨- ١٣٩؛ الخوئي، منهاج البراعة، ٩/ ١٦٢- ١٦٣؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٢/ ٤٧١- ٤٧٢؛ عبده، نهج البلاغة، ٢/ ٤٩- ٥٠؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٢/ ٣٣٦؛ علي أنصاريان، شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار، ٢/ ٦٥؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٢/ ٣٦٢- ٣٦٣؛ ألتستري، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، ٢/ ٢١٩- ٢٢٢؛ دخيل، شرح نهج البلاغة، ١٣- ١٤/ ٥٠- ٥١؛ الخطيب، مصادر نهج البلاغة وأسانيده، ٢/ ٣٣٤ .

١- تفضيل الرسول (ﷺ) لم يأتِ إعتباطاً بل وكما نستدل من التوثيق القائم وفق مقياس كمال الرسول(ﷺ) في الأداء بحيث حول تعقيد الجاهلية إلى نور أضاء به كل البلاد.

٢- من خلال النص نتعرف على الوضع أو التقبل العلمي في المجتمع الجاهلي الذي اتصف بإهانة واستذلال الحكماء أو العلماء.

٣- قول الإمام (عليه السلام) يحيون على فترة أي فترة انقطاع الوحي إلى مجيء الرسول (ﷺ) لكن ذلك لا يعدم من وجود مرشد وهو الذي أشار إليه الإمام (عليه السلام) (يستذلّون الحكيم) أي الحكيم أو العالم أو الحجة الذي يصحح مسارهم.

لقد ذكرنا آنفا ان الإمام (عليه السلام) عالج فكرة أفضلية الرسول (ﷺ) معالجة نموذجية بإذلم يترك أي منفذ يتسرب منه الإضطراب أو الجدل أو حتى التشكيك إذ ثبت وبشكل قاطع تلك الأفضلية، فأصبح من غير المعقول القول ان الرسول (ﷺ) لم يستخلف أو ينص على من سيلي أمر الأمة لأن هذا الأمر مكمل لذلك، ولأن تنازع المسلمين والإختلافات التي حدثت تناقض تلك الأفضلية، فضلاً عن ان كل خليفة نص على الخليفة الذي بعدة وبعبارة أخرى ان الخلفاء أو الخليفة الذي نص على الذي بعدة يكون عالماً بالشخص الأصلح للخلافة إذ نص عليه والرسول (ﷺ) ليس من المخصوصين بنيل تلك المرتبة لأنه لم ينص على الذي بعده، وهذا من الاستحالة لأن الرسول محمد(ﷺ) ثبتت أفضليته في كل الجوانب ومنها الإمامة أو النص على الخلافة.

ان ما تقدم ليس خوضاً في مسألة النص أو الخلافة، بقدر ما هو مقدمة للقول بأفضلية الرسول(ﷺ) في مسألة النص أولاً، واصطفاء عترته والحث لإتباعهم ثانياً، وبهذا لا بد من القول انه يجب ان تكون ثمة صفات متأصلة ومزايا خاصة

تعد بمثابة المؤهلات التي ينبغي توفرها لمن خصه الرسول (ﷺ) بصفتي الإتباع والدعوة إلى الله[1]، أي مقاييس توثق أفضلية أهل البيت (عليهم السلام) التي هي في الوقت ذاته تُكون منظومة متكاملة الجوانب للمقاييس والمنطلقات التي توثق أفضلية الرسول (ﷺ) عند اصطفاء عترته.

ولأهمية هذا الموضوع فإن الإمام عليه السلام يوثق له من ناحية علمية فضلاً عن انه يركز تلك المقاييس كشروط للإمام واصطفاء للعتره بحيث لا يوجد من يمتلكها، يقول عليه السلام من هذا المنطلق «**لَا يُقَاسُ بِآلِ مُحَمَّدٍ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَحَدٌ، وَلَا يُسَوَّى بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِ أَبَداً. هُمْ أَسَاسُ الدِّينِ، وَعِمَادُ الْيَقِينِ. إِلَيْهِمْ يَفِيءُ الْغَالِي، وَبِهِمْ يلحق التَّالِي. وَلَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ الْوِلَايَةِ، وَفِيهِمُ الْوَصِيَّةُ وَالْوِرَاثَةُ، الْآنَ إِذْ رَجَعَ الْحَقُّ إِلَى أَهْلِهِ، وَنُقِلَ إِلَى مُنْتَقَلِهِ!**»[2].

فيوثق الإمام عليه السلام هنا وبشكل قطعي انه لا يوجد في هذه الأمة من يقاس بآل محمد (ﷺ) كما لا يساوي بهم من جرت نعمتهم عليه من الخلق، أي أفضلية العترة على كل الأمة كما ان تلك الأفضلية لا يمكن لأحد من الخلق الوصول إليها، بيد ان تخصيص وحصر الإمام عليه السلام لم يكن مجرد كلمات أو فكرة من غير دليل أنما موثقاً لها في الأسباب الواقعية والمعرفية والعقائدية في قوله عليه السلام بأنهم (عليهم السلام) أساس الدين فهم أصل الدين وأساسه وأهله ورعاته وهم عماد اليقين إذ رسخت العقيدة في نفوسهم فكانوا عماد اليقين في إزالة الشبهات أمام الناس إليهم يرجع من غلا وتجاوز وبهم يلحق من فرط لكونهم على الصراط السوي والمنهج القويم فضلاً عن الأسباب الأخرى والتي جعلتهم (عليهم السلام) لا يقاس بهم

(١) عادل عبد الله مجيلس، الله والإمام بحوث فكرية في الأسلوب الإلهي لإقامة الدين في الأرض، ١/ ٨٩ .

(٢) نهج البلاغة، ص٣٢- ٣٣ .

أحد هي خصائص الولاية، أي ان الشروط والمواصفات التي يجب ان تتوفر في ولي أمر الأمة مخصوصة بهم (عليهم السلام) ولا تتعدى إلى غيرهم وكذلك وصية الرسول (صلى الله عليه وآله) فيهم أي نص للرسول (صلى الله عليه وآله) عليهم وحدهم دون غيرهم ومن ثم هذا من ميزات الأفضلية لكون الرسول (صلى الله عليه وآله) لم ينص على أحد سواهم[1]. بالنتيجة من التوثيق كونهم نموذج لا يمكن الوصول اليه للمؤهلات التي تميزوا بها عن سائر الخلق.

إذن، وكما تقدم فإن أفضلية واصطفاء عترة الرسول (صلى الله عليه وآله) لكونهم مثلوا أو ممثلين للدين، بل ان استمرار الدين وحفظة بعد النبي محمد (صلى الله عليه وآله) والتمكن من البقاء في الزمان والحياة يقتصر عليهم وحدهم، فيوثق الإمام عليه السلام لتلك الخصوصية في قولة «**هُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ، وَمَوْتُ الْجَهْلِ. يُخْبِرُكُمْ حِلْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ، وَظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ، وَصَمْتُهُمْ عَنْ حِكَمِ مَنْطِقِهِمْ. لَا يُخَالِفُونَ الْحَقَّ وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ. وهُمْ دَعَائِمُ الْإِسْلَامِ، وَوَلَائِجُ الِاعْتِصَامِ. بِهِمْ عَادَ الْحَقُّ إِلَى نِصَابِهِ، وَانْزَاحَ الْبَاطِلُ عَنْ مَقَامِهِ، وَانْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ مَنْبِتِهِ. عَقَلُوا الدِّينَ عَقْلَ وِعَايَةٍ وَرِعَايَةٍ، لَا عَقْلَ سَمَاعٍ وَرِوَايَةٍ. فَإِنَّ رُوَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ، وَرُعَاتَهُ قَلِيلٌ**»[2].

فعندما يوثق الإمام عليه السلام خلال هذا النص بالقول ان عترة الرسول (صلى الله عليه وآله) هم عيش العلم وموت الجهل، وعلمهم بحلمهم، وصمتهم عن منطقهم الحكيم كما أنهم لا يخالفون الحق ولا يختلفون فيه أيضاً، سواء عند الفرد منهم أو فيما بينهم بل أنهم كلٌّ واحد، وهم دعامة الإسلام المبينون لأحكامه، والإعتصام بهم يمنع من الإنحراف والزلل، ويوثق لهذا الكلام بتوثيق علمي معرفي في قولة أنهم عقلوا الدين عقل وعاية ورعاية أي أنهم حفظوا وأتقنوا الدين

(١) ابن ميثم البحراني، إختيار مصباح السالكين (المتوسط)، ص٨٨- ٨٩؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ١/ ٧٠- ٧١.

(٢) نهج البلاغة، ص٥٤٢ .

وليس عقل سماع للأحكام ورواية عن الرسول (ﷺ) بدون فهم وتدبر فهم ليسوا كغيرهم حملوا الرواية وتركوا الدراية[1]. بالمحصلة كون بقاء الدين واستمراره مقتصر عليهم وحدهم لأنهم أتقنوه وحفظوه وتدبروا أحكامه ولم يحصل هذا لأحد، ومن ثم فإن ذلك مقياس ومنطلق لأفضليتهم إلى أعلى من مستوى الناس.

ويوثق الإمام (عليه السلام) في نص آخر للمنطلقات نفسها وهي بأن بقاء الدين واستمراره مقتصر عليهم، وأفضلية الرسول (ﷺ) في اصطفاء العترة ومقاييس أفضليتهم، في كتابه لمعاوية «**فَأَرَادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِيِّنَا، وَاجْتِيَاحَ أَصْلِنَا، وَهَمُّوا بِنَا الْهُمُومَ وَفَعَلُوا بِنَا الْأَفَاعِيلَ، وَمَنَعُونَا الْعَذْبَ، وَأَحْلَسُونَا الْخَوْفَ، وَاضْطَرُّونَا إِلَى جَبَلٍ وَعْرٍ، وَأَوْقَدُوا لَنَا نَارَ الْحَرْبِ، فَعَزَمَ اللهُ لَنَا عَلَى الذَّبِّ عَنْ حَوْزَتِهِ، وَالرَّمْيِ مِنْ وَرَاءِ حُرْمَتِهِ. مُؤْمِنُنَا يَبْغِي بِذَلِكَ الْأَجْرَ، وَكَافِرُنَا يُحَامِي عَنِ الْأَصْلِ. وَمَنْ أَسْلَمَ مِنْ قُرَيْشٍ خِلْوٌ [خلق] مِمَّا نَحْنُ فِيهِ بِحَلْفٍ يَمْنَعُهُ، أَوْ عَشِيرَةٍ تَقُومُ دُونَهُ، فَهُوَ مِنَ الْقَتْلِ بِمَكَانِ أَمْنٍ. وَكَانَ رَسُولُ الله -صلى الله عليه وآله- إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ [الناس]، وَأَحْجَمَ النَّاسُ، قَدَّمَ أَهْلَ بَيْتِهِ فَوَقَى بِهِمْ أَصْحَابَهُ حَرَّ السُّيُوفِ وَالْأَسِنَّةِ، فَقُتِلَ عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ يَوْمَ بَدْرٍ، وَقُتِلَ حَمْزَةُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَقُتِلَ جَعْفَرٌ يَوْمَ مُؤْتَةَ. وَأَرَادَ مَنْ لَوْ شِئْتُ ذَكَرْتُ اسْمَهُ مِثْلَ الَّذِي أَرَادُوا مِنَ الشَّهَادَةِ، وَلَكِنْ آجَالُهُمْ عُجِّلَتْ، وَمَنِيَّتُهُ أُخِّلَتْ. فَيَا عَجَباً لِلدَّهْرِ! إِذْ صِرْتُ يُقْرَنُ بِي مَنْ لَمْ يَسْعَ بِقَدَمِي، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ كَسَابِقَتِي الَّتِي لَا يُدْلِي [يُدنى] أَحَدٌ بِمِثْلِهَا، إِلَّا أَنْ يَدَّعِيَ مُدَّعٍ مَا لَا أَعْرِفُهُ، وَلَا أَظُنُّ اللهَ يَعْرِفُهُ. وَالْحَمْدُ للهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ**»[2].

(١) حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٣/ ٤١٨- ٤١٩؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٤/ ١٠٧- ١٠٩؛ دخيل، شرح نهج البلاغة، ٢٣- ٢٤/ ٨٨- ٩٠.

(٢) نهج البلاغة، ص٥٥٤- ٥٥٦.

فاصطفاء الرسول (ﷺ) لم يأتِ إعتباطاً هذا من ناحية ومن ناحية أخرى أنهم ليسوا فقط ممن تدبر وحفظ الدين بل لهم الأولوية القطعية في الدفاع عنه، وهذا ما يوثق له الإمام (عليه السلام) بتوثيق تاريخي مستعيناً بالحوادث التاريخية التي تثبت أفضلية أهل بيته فهم أول من آمن وصدق وصبروا على مجاهدة أعدائه التي اقتصرت عليهم وحدهم دون غيرهم من المسلمين الذين كانوا امنين من العذاب أو القتل، فمنهم من كان له حلف يمنعه ومنهم من كان له عشيرة تدافع عنه هذا فضلاً عن انه عند احمرار البأس وإحجام المسلمين فإن الرسول (ﷺ) كان يقدم أهل بيته يدفع ويقي بهم أصحابه، ومن ثم ان هذه مقاييس توثق أفضلية أهل البيت (عليهم السلام) ولا يمكن لأحد أدعاء مثل هذه الفضائل [1]. ويمكن ان نستنتج جملة أمور:

١- يشير الإمام (عليه السلام) إلى حصار الشعب والموقف المأساوي الذي عاشوه وحقد قريش عليهم.

٢- يؤكد الإمام (عليه السلام) إلى ان الحصار حصار قبلي وليس ضد المسلمين جميعا فكل بني هاشم حصروا مسلم وكافر .

٣- يؤكد أيضا ان النبي (ﷺ) كان يقدم آهل بيته عند الحرب في بدر قدم عبيدة الله بن الحارث في احد حمزة وفي مؤتة جعفر .

٤- يشير (عليه السلام) إلى الفضائل التي اختلقت لغيرة من دعوى السابقة والشجاعة .

المقياس الآخر الذي يوثق له الإمام (عليه السلام) هو أفضلية النسب يقول واصفاً الرسول(ﷺ): «**عِتْرَتُهُ خَيْرُ الْعِتَرِ، وَأُسْرَتُهُ خَيْرُ الْأُسَرِ، وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ الشَّجَرِ؛ نَبَتَتْ**

(١) ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة، ٤/ ٣٦٣- ٣٦٨؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٤/ ١٤٧- ١٤٩؛ عبده، نهج البلاغة، ٣/ ١٠- ١١.

فِي حَرَمٍ؛ وَبَسَقَتْ فِي كَرَمٍ؛ لَهَا فُرُوعٌ طِوَالٌ، وَثَمَرَةٌ لَا يُنَالُ»[1]. التوثيق يتجلى في قول الإمام عليه السلام ان عترة الرسول (صلى الله عليه وآله) خير العتر، ولاشك ان الإمام عليه السلام عندما يطرح ذلك القول ويخص عترة الرسول (صلى الله عليه وآله) بالأفضلية لابد ان يكون هناك مقياس موضوعي يسند ذلك القول فوثق له بأفضلية النسب وزكاة الأصل أو في حرم يعني مكة أولاً، والعلوم والأخلاق المتفرعة عنهم ولشرفها وعلوها لا يمكن ان ينالها أحد ثانياً[2]، فكونها خير العتر لمؤهلات ومقاييس تلك الأفضلية.

إن القضية المستفادة من ما تقدم، ان فلسفة اصطفاء الرسول (صلى الله عليه وآله) لعترته والدعوة إلى إتباعهم قائم على المميزات والمؤهلات التي تمتعوا بها والتي في مقدمتها الرعاية والتبحر في الدين، فضلاً عن مميزات أفضلية النسب، كما يوثق الإمام عليه السلام لمؤهلات ومقاييس أخرى تثبت تلك الأفضلية أولاً وكشروط للإمامه ثانياً، وهي بأنهم ممثل للقران والسنة، فيوثق الأمام عليه السلام لذلك في قوله «**الْيَمِينُ وَالشِّمَالُ مَضَلَّةٌ، وَالطَّرِيقُ الْوُسْطَى هِيَ الْجَادَّةُ، عَلَيْهَا بَاقِي الْكِتَابِ وَآثَارُ النُّبُوَّةِ، وَمِنْهَا مَنْفَذُ السُّنَّةِ، وَإِلَيْهَا مَصِيرُ الْعَاقِبَةِ**»[3].

يقول عليه السلام اليمين والشمال مضلة والطريق الوسطى أي أهل بيت الرسول (صلى الله عليه وآله) هي الجادة الوحيدة التي سلوكها أو إتباعها يبعد عن الإنحراف، ولابد من القول ان كثيراً من الشراح لم يتطرقوا لبيان ما المقصود بالجادة الوسطى ما عدا الخوئي الذي قال بأن الطريق الوسطى هم الإمام علي عليه السلام وأهل بيته[4]،

(١) نهج البلاغة، ص١٩٨.

(٢) ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة، ٢/ ٣٩٧؛ حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٧/ ١٠٨- ١١٠؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٢/ ١٣٢؛ الخطيب، مصادر نهج البلاغة وأسانيده، ٢/ ١٧٩.

(٣) نهج البلاغة، ص٥٢ .

(٤) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٣/ ٢٣٦.

وهنا هي النقطة الأساسية التي يوثق لها الإمام ﷺ وهذا يدعوا للتساؤل كيف يكون ذلك الطريق المثال والنموذج البعيد عن الإنحراف؟ إلا أنه يمكن الإجابة على ذلك السؤال من خلال توثيق الإمام ﷺ أي عندما يقول الإمام ﷺ بأن الطريق الوسطى المتمثل بعترة الرسول (ﷺ) هي الطريق المستقيم موثقاً له بتوثيق عقائدي في قوله بأن هذا الطريق عليه باقي الكتاب وآثار النبوة ومنه منفذ الرسالة وإليه مصير العاقبة في الدنيا والآخرة أو يمكن القول بشكل أكثر دقة بأن علوم القرآن ومضمون السنة النبوية والتجسيد العملي لهما في القضاء على الاختلاف في تفسير القرآن بل وفهم أسراره وفهم الأحاديث النبوية من خصائص أهل البيت (عليهم السلام)[1].

بالنتيجة فإن الثراء الفكري والعقائدي مقياس لأفضلية أهل البيت (عليهم السلام) دون غيرهم من البشر وشرط مهم من شروط الإمامة.

ثم ينتقل الإمام ﷺ للتوثيق لميزة أخرى اختص بها أهل البيت (عليهم السلام) بكونهم أولياء أمر الأمة ومدبري شؤونها بعد الرسول (ﷺ) إلى يوم الساعة، يقول «**﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾؟ وَ﴿أَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾! وَالْأَعْلَامُ قَائِمَةٌ، وَالْآيَاتُ وَاضِحَةٌ، وَالْمَنَارُ مَنْصُوبَةٌ، فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ! وَكَيْفَ تَعْمَهُونَ وَبَيْنَكُمْ عِتْرَةُ نَبِيِّكُمْ! وَهُمْ أَزِمَّةُ الْحَقِّ، وَأَعْلَامُ الدِّينِ، وَأَلْسِنَةُ الصِّدْقِ! فَأَنْزِلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ الْقُرْآنِ، وَرِدُوهُمْ وُرُودَ الْهِيمِ الْعِطَاشِ. أَيُّهَا النَّاسُ خُذُوهَا عَنْ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّهُ يَمُوتُ مَنْ مَاتَ مِنَّا وَلَيْسَ بِمَيِّتٍ، وَيَبْلَى مَنْ بَلِيَ مِنَّا وَلَيْسَ بِبَالٍ)[2] فَلاَ تَقُولُوا بِمَا لاَ تَعْرِفُونَ، فَإِنَّ أَكْثَرَ الْحَقِّ فِيمَا تُنْكِرُونَ، وَاعْذِرُوا**

(١) حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٣/ ٢٣٩- ٢٤١.

(٢) وربما ان الإمام (عليه السلام) يشير بذلك إلى حديث الثقلين لعدم ورود نص هذا الحديث على لسان النبي (ﷺ) .

مَنْ لَا حُجَّةَ لَكُمْ عَلَيْهِ -وَهُو أَنَا- أَلَمْ أَعْمَلْ فِيكُمْ بِالثَّقَلِ الْأَكْبَرِ! وَأَتْرُكْ فِيكُمُ الثَّقَلَ الْأَصْغَرِ!»[1].

ما يريد ان يوثق له الإمام (عليه السلام) خلال النص انه لا يمكن الضلال والغي والإنحراف والجهل مع وجود عترة النبي وقيامهم بين الناس، مما يترتب على ذلك نظرياً الربط المنطقي بين عدم الإنحراف على مدى الزمن وبين وجود العترة، وربما ان هذه القضية أو الفكرة التي يوثق لها الإمام (عليه السلام) تدعوا إلى التساؤل كيف يمكن تطبيق مضمونها وتحقيقها على أرض الواقع؟ إلا أن الإمام (عليه السلام) لا يطرح فكرة من دون ان يوثق لها فيوثق الإمام (عليه السلام) هنا بحديث أو قول على لسان الرسول (صلى الله عليه وآله) يثبت ما يريد توثيقه وهو انه يموت من مات من أهل البيت (عليهم السلام) وليس بميت ويبلي من بلى وليس ببال أي الإستمرار للأئمة واحد بعد آخر إلى يوم القيامة حتى وان فقد شخصه هذا من جانب، ومن جانب آخر انتقال علم الإمام إلى الإمام الذي بعده ثانياً، إما بخصوص آراء الشارحون فقد اختلفوا كثيراً وكانت لهم عدة آراء.

الرأي الأول: يرى أنه يريد (عليه السلام) بقوله مفاد الآية الكريمة ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[2].

الرأي الثاني: إن أهل البيت أحياء بآثارهم[3].

الرأي الثالث: إنهم أحياء بأجسادهم المثالية، إذ ينتزع الله الأجزاء الأصلية من أبدان الأنبياء و الأوصياء فيرفعها إليه بعد أن يخلق لها من الأجزاء الفاضلة عنها

(١) نهج البلاغة، ص١٥٩- ١٦٠ .

(٢) كيذري بيهقي، حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة، ١/ ٤١٩؛ ابن ميثم البحراني، إختيار مصباح السالكين (المتوسط)، ص٢١٠؛ دخيل، شرح نهج البلاغة، ٧- ٨/ ٢٣؛ الخطيب، مصادر نهج البلاغة وأسانيده، ٢/ ١٢٧.

(٣) حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٢/ ٢١؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ١/ ٤٣٩.

نظير ما كان لها في الدار الأولى[١].

الرأي الرابع: إنهم أحياء بأجسادهم الأصلية التي كانوا عليها[٢].

ولا نركز كثيراً على الجدل والإختلاف بين الشراح، لكن يمكن القول ان ما توصلنا إليه بالتوثيق وما أراد الإمام ﷺ الوصول اليه ان وجود العترة بين الناس يوثقها قوله يموت من مات منا وليس بميت أي وكما قلنا فيما سبق استمرار الأئمة بين الناس أولا وهذا متحقق فعلاً إبتداءً من الإمام علي ﷺ إلى الإمام المهدي (عج)، وثانياً ان هذا الإستمرار للأئمة يكون على الكمال نفسه والعصمة والعلم، وهذا الكلام يوثقه قول الإمام ﷺ في نفس النص «أَلَمْ أَعْمَلْ فِيكُمْ بِالثَّقَلِ الْأَكْبَرِ! وَأَتْرُكْ فِيكُمُ الثَّقَلَ الْأَصْغَر» و قد عمل الإمام بالثقل الأكبر و هو القرآن الكريم فبين حلاله و حرامه وترك الثقل الأصغر ذرية رسول الله تركهما بعده في الأمة يديران شؤونها و يدبران أمرها[٣]، ومما تقدم يمكن القول:

١- وثق الإمام ﷺ لخصوصية انفردوا بها عن الخلق.

٢- لما حث الإمام ﷺ على أتباع أهل البيت (ﷺ) والإنقياد لأوامرهم أعطى توثيقاً أو دليلاً على عصمتهم في قوله: (هُمْ أَزِمَّةُ الْحَقّ، وَأَعْلَامُ الدِّينِ، وَأَلْسِنَةُ الصِّدْقِ) فلسف فيه سبب الإنقياد المطلق لهم، ومن دون شك ان ذلك من مقياس آخر لأفضلية أهل البيت (ﷺ) على جميع البشر.

وفي المعنى والمنطلق نفسه يقول ﷺ في موضع آخر: «**وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ غَيْرُه، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ... وَخَلَّفَ فِينَا رَايَةَ الْحَقِّ، مَنْ تَقَدَّمَهَا مَرَقَ، وَمَنْ تَخَلَّفَ**

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٦/ ٣٧٨.

(٢) حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٦/ ٢٠٩.

(٣) الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٢/ ٣٣ .

عَنْهَا زَهَقَ، وَمَنْ لَزِمَهَا لَحِقَ، دَلِيلُهَا مَكِيثُ الْكَلَامِ، بَطِيءُ الْقِيَامِ، سَرِيعٌ إِذَا قَامَ. فَإِذَا أَنْتُمْ أَلْنْتُمْ لَهُ رِقَابَكُمْ، وَأَشْرْتُمْ إِلَيْهِ بِأَصَابِعِكُمْ، جَاءَهُ الْمَوْتُ فَذَهَبَ بِهِ، فَلَبِثْتُمْ بَعْدَهُ مَا شَاءَ اللهُ حَتَّى يُطْلِعَ اللهُ لَكُمْ مَنْ يَجْمَعُكُمْ وَيَضُمُّ نَشْرَكُمْ، فَلَا تَطْمَعُوا [تطعنوا] فِي غَيْرِ [عين] مُقْبِلٍ، وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ مُدْبِرٍ، فَإِنَّ الْمُدْبِرَ عَسَى أَنْ تَزِلَّ بِهِ إِحْدَى قَائِمَتَيْهِ [قدميه]، وَتَثْبُتَ الْأُخْرَى، فَتَرْجِعَا حَتَّى تَثْبُتَا جَمِيعاً. أَلَا إِنَّ مَثَلَ آلِ مُحَمَّدٍ، صلى الله عليه وآله، كَمَثَلِ نُجُومِ السَّمَاءِ: إِذَا خَوَى نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ، فَكَأَنَّكُمْ قَدْ تَكَامَلَتْ مِنَ اللهِ فِيكُمُ الصَّنَائِعُ، وَأَرَاكُمْ [اتاكم] مَا كُنْتُمْ تَأْمُلُونَ»[1].

فعندما يقول الإمام عليه السلام ان الرسول (صلى الله عليه وآله) خلف بين المسلمين راية الحق وهي كتاب الله وعترته فمن تقدمها خرج من الدين ومن تخلف هلك مع دلائل العصمة لهذه الراية، يوثق لها في قولة ان آل محمد (صلى الله عليه وآله) كنجوم السماء كلما خوى نجم طلع آخر يحل محله[2].

بالمحصلة النهائية والنتيجة المستفادة مما تقدم ان وجود إمام في كل الفترات الزمنية يحافظ على الدين هو مقياس يوثق أفضلية أهل البيت (عليهم السلام) على كل البشر كما انه يثبت أفضلية الرسول (صلى الله عليه وآله) على الأنبياء بإضافة الولاية بحيث توفى الرسول (صلى الله عليه وآله) إلا أن رسالته والدين مستمر بوجود المعصوم لأداء مهماته الهادية.

كما ان هناك مسألة أخرى يوثق لها الإمام عليه السلام وهي التكامل بين اصطفاء الرسول (صلى الله عليه وآله) لأهل بيته والقول بإتباعهم، والاصطفاء الإلهي بأن جعلت الولاية من الإيمان، ويمكن التعرف على ذلك من توثيق الإمام عليه السلام يقول عليه السلام «**وَإِنَّمَا الْأَئِمَّةُ**

(١) نهج البلاغة، ص٢٠٧- ٢٠٨.

(٢) حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٧/ ١٥٨- ١٦١.

قُـوَّامُ الله عَـلَى خَلْقِـهِ، وَعُرَفَـاؤُهُ عَـلَى عِبَـادِهِ؛ وَلَا يَدْخُـلُ الْجَنَّـةَ إِلَّا مَـنْ عَرَفَهُـمْ وَعَرَفُـوهُ، وَلَا يَدْخُـلُ النَّـارَ إِلَّا مَـنْ أَنْكَرَهُـمْ وَأَنْكَـرُوه»[1].

فعندما يقول الإمام (عليه السلام) ان الأئمة القوام على الخلق والعرفاء على العباد ليس اعتباطاً، أي من غير الممكن ان يقول الإمام (عليه السلام) أنهم قوام على كل الخلق من دون أن يثبت ويسند ذلك التوثيق بل وكما قلنا مراراً ان الإمام (عليه السلام) لا يضرب المنهج العلمي بل ان كل فكرة يطرحها يوثق لها والموثق له هنا الذي يثبت تلك الفكرة هو التوثيق القاعدي في قوله انه لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه أي أنهم قائمون من طرفه سبحانه على الخلق وكون معرفتهم من حقائق الإيمان هي التي توثقها قاعدة انه لا يدخل الجنة من أنكرهم ولا يدخل النار من عرفهم فمعرفة الإمامة واجبة وإنكارها تستلزم النار[2]، ومن ثم فإن النتيجة التي نصل إليها بالتوثيق أن اصطفاء الرسول (صلى الله عليه وآله) هو ذاته الإصطفاء الإلهي إذ أصبحوا (عليهم السلام) قوام للخلق. مما تقدم يمكن ان نبين بعض الأمور:

١- توثيق الإمام (عليه السلام) لا يعني الحصر كما لا يشمل الجانب المادي فقط فدخول الجنة أو النار تحمل في طياتها الجانب المعنوي أيضا الذي يتمثل في عدم معرفة تعاليمهم التي هي تعاليم السماء وكونهم (عليهم السلام) استمرار للنبوة فالإبتعاد عن هذه التعاليم بإنكارهم أو عدم الإقتداء بهم تستلزم النار بجانبها المادي والمعنوي أيضا لأنه قد يوجد هناك من لا ينكرهم لكنه بعيد عن الإقتداء بهم أو إتباع تعاليمهم.

٢- التكامل بين الإصطفاء الإلهي ومن ثم اصطفاء الرسول (صلى الله عليه وآله).

(١) نهج البلاغة، ص٣١١.

(٢) كيذري بيهقي، حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة، ١/ ٦٦٤/ ٦٦٥؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٩/ ١٥٤- ١٥٥؛ ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة (الكبير)، ٣/ ٢٣٥- ٢٣٧؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٢/ ٣٧٧- ٣٧٨؛ دخيل، شرح نهج البلاغة، ١٣- ١٤/ ٦٢.

إن توثيق الإمام عليه السلام المتقدم بأن الأئمة قسماء بين الجنة والنار تعني أمراً مهماً آخر وهو انه يوجد في طرف مؤمن وفي الطرف الآخر كافر أو منافق فيوثق الإمام عليه السلام لأحقية القول بهذا التقسيم في قوله عليه السلام: «**لَوْ ضَرَبْتُ خَيْشُومَ الْمُؤْمِنِ بِسَيْفِي هَذَا عَلَى أَنْ يُبْغِضَنِي مَا أَبْغَضَنِي؛ وَلَوْ صَبَبْتُ الدُّنْيَا بِجَمَّاتِهَا عَلَى الْمُنَافِقِ عَلَى أَنْ يُحِبَّنِي مَا أَحَبَّنِي. وَذَلِكَ أَنَّهُ قُضِيَ فَانْقَضَى عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ أَنَّهُ قَالَ: يَا عَلِيُّ، لَا يُبْغِضُكَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يُحِبُّكَ مُنَافِقٌ**[1]»[2].

يوثق الإمام عليه السلام هنا ان المؤمن لا يمكن أن يبغضه وإن ضرب على خيشومه، ومن المعلوم ان الضرب عليه اشد لأنه إدماء فلا يبغضه في اشد الظروف والأحوال، والمنافق لو صبت الدنيا بجليلها على أن يحبه ما أحبه وهذا الكلام موثق له بحديث على لسان النبي(صلى الله عليه وآله) حسم الموقف فيه إذ قال يا علي لا يبغضك مؤمن ولا يحبك منافق[3]، إذاً من علامات المؤمن حب علي عليه السلام ومن علامات المنافق بغضة كما ان المؤمن يستحال أن يبغضه والعكس.

وقد يعترض معترض أو قد يتفلسف بعضهم، كيف حب عترة الرسول (صلى الله عليه وآله) وإتباعهم توجب الجنة أو علامة المؤمن، لكن يمكن الإجابة على ذلك من خلال توثيق الإمام عليه السلام يقول «**إِنَّ أَمْرَنَا صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ، لَا يَحْمِلُهُ إِلَّا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ امْتَحَنَ اللهُ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ، وَلَا يَعِي حَدِيثَنَا إِلَّا صُدُورٌ أَمِينَةٌ، وَأَحْلَامٌ رَزِينَةٌ**»[4].

التوثيق هنا في قول الإمام عليه السلام ان أمرنا صعب مستصعب موثقاً لذلك بتوثيق عقائدي وهو الإختبار الذي يحدث للمؤمن الذي يتبع ويشايع أهل البيت

(١) ينظر أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ٦/ ٢٩٢؛ المتقي الهندي، كنز العمال، ١١/ ٦٢٢.
(٢) نهج البلاغة، ص٧٢٩- ٧٣٠ .
(٣) الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٥/ ٢٤١؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٤/ ٢٨٢.
(٤) نهج البلاغة، ص٤١٧.

(عليهم السلام)[1] فلم يطلق عليه مؤمن إلا نتيجة الإختبارات التي تعرض لها عند إتباعهم.

ويوثق عليه السلام في موضع آخر من نهج البلاغة قال عليه السلام بعد وفاة سهل بن حنيف الأنصاري[2] بعد مرجعة من صفين وكان أحب الناس إليه «**لَوْ أَحَبَّنِي جَبَلٌ لَتَهَافَت**»[3]، وقوله «**مَنْ أَحَبَّنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فَلْيَسْتَعِدَّ لِلْفَقْرِ جِلْبَابا**»[4]، فمن أحب أهل البيت (عليهم السلام) تراكمت عليه المصائب[5] هي موثقاً لكون أتباعهم من علامات المؤمن.

ثالثاً: توثيق البعد التربوي في الدين:

من دون شك إن الآثار التربوية التي تستشف سواء من الدين أو التاريخ على حد سواء بمقدورها ان تؤثر بشكل عميق على تطور الإنسان ومن ثم المجتمع وفي مختلف النواحي ولا سيما في جانب العلاقة مع الله، على ان أهم تلك الأبعاد التربوية تتجلى في حياة الأنبياء وهي من دون شك قبل ان تكون أبعاد تربوية هي حقائق توثق حياة الأنبياء نستشف منها تلك الأبعاد التربوية وقد ذكر الإمام علي عليه السلام بهذا الخصوص عدد من الأنبياء وأبعاد حياتهم الإجتماعية، والشيء الملفت للنظر ان الإمام عليه السلام لم يذكر جميع الأنبياء من جانب ولم يشمل جميع جوانب حياتهم من جانب آخر إلا أن جمع هذه النصوص تحقق الشمولية سواء ما نستفيد منه في موضوعنا أو لفهم مفهوم النبوة بشكل عام.

(١) ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة (الكبير)، ٤/ ١٩٨- ١٩٩؛ دخيل، شرح نهج البلاغة، ١٧- ١٨/ ٩٤- ٩٦؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٣/ ٩٠؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٣/ ٢٥٩.

(٢) سهل بن حنيف بن وهب الأنصاري الأوسي، صحابي، من السابقين. شهد بدراً وثبت يوم أحد وشهد المشاهد كلها ثم شهد مع علي (عليه السلام) صفين توفي في الكوفة سنة ثمان وثلاثين فصلى عليه. السيوطي، إسعاف المبطأ برجال الموطأ، ٤٤- ٤٥.

(٣) نهج البلاغة، ص٧٤٤- ٧٤٥.

(٤) نهج البلاغة، ص٧٤٥.

(٥) مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٤/ ٢٨٥.

ولعل أول الجوانب التربوية التي نلمسها في حياة الأنبياء هي البساطة في العيش والتعامل مع الدنيا كوسيلة وليست غاية وقد تمثل هذا في حياة عدد من الأنبياء منهم الرسول محمد (ﷺ) «**فَتَأَسَّ بِنَبِيِّكَ الْأَطْيَبِ الْأَطْهَرِ -صلى الله عليه وآله- فَإِنَّ فِيهِ أُسْوَةً لِمَنْ تَأَسَّى، وَعَزَاءً لِمَنْ تَعَزَّى. وَأَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَى اللهِ الْمُتَأَسِّي بِنَبِيِّهِ، وَالْمُقْتَصُّ لِأَثَرِهِ ... وَلَقَدْ كَانَ -صلى الله عليه وآله وسلم- يَأْكُلُ عَلَى الْأَرْضِ، وَيَجْلِسُ جِلْسَةَ الْعَبْدِ، وَيَخْصِفُ بِيَدِهِ نَعْلَهُ، وَيَرْقَعُ بِيَدِهِ ثَوْبَهُ، وَيَرْكَبُ الْحِمَارَ الْعَارِيَ، وَيُرْدِفُ خَلْفَهُ، وَيَكُونُ السِّتْرُ عَلَى بَابِ بَيْتِهِ فَتَكُونُ فِيهِ التَّصَاوِيرُ فَيَقُولُ: (يَا فُلَانَةُ -لِإِحْدَى أَزْوَاجِهِ- غَيِّبِيهِ عَنِّي، فَإِنِّي إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ ذَكَرْتُ الدُّنْيَا وَزَخَارِفَهَا)**»[1][2].

التوثيق في هذا النص في قول الإمام (عليه السلام) يجب التأسي والاقتداء بالنبي (ﷺ) أخذ أثرة في العمل والتطبيق ومن تأسى بالنبي (ﷺ) مثل الشخصية ان لم نقل كمالية وإنما شخصية مثالية تكون من أحب العباد إلى الله، ولم يعط الإمام (عليه السلام) توثيق من غير أن يكون هناك موثقاً له يسند به التوثيق قائم على أسس منهجية وحقيقة واقعية تمثل الواقع، والموثق له هنا هو تلك الحقائق الواقعية في حياة الرسول (ﷺ) التي كونت الشخصية المثالية للإقتداء والتأسي بها في قول الإمام (عليه السلام) بأن الرسول (ﷺ) عاش الحياة البسيطة في ابسط صورها وهي العيشة أو البساطة المثالية تعامل مع كل أغراض الحياة كوسيلة وليست غاية فهو (ﷺ) يأكل على الأرض، ويجلس جلسة العبد المتواضع على الرغم من أن العالم أصبح بين يديه معتمداً على نفسه ليس له الخدم فيخصف نعله بيده ويخيط مدرعته ويركب أبسط

(١) ان المخاطبة من زوجات الرسول (ﷺ) هي عائشة إذ ذكر انه كان لها ستر فيه تمثال طائر فقال الرسول صلى الله عليه وسلم يا عائشة حوليه فإني كلما دخلت فرأيته ذكرت الدنيا، أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ٦/ ٢٤١، مسلم، صحيح مسلم، ٦/ ١٥٨؛ النسائي، سنن النسائي، ٨/ ٢١٣.

(٢) نهج البلاغة، ص٣٣٢- ٣٣٣.

الوسائل ويردف خلفه[1] وإذا رأى الستر فيه الصور فإنه يقول لزوجاته يا فلانة غيبيه[2]. لئلا يذكره بالدنيا وزخارفها[3]. بالمحصلة ان الآثار التربوية المستفادة من حياة الرسول (ﷺ) توجب التأسي والإقتداء به، كما يمكن أن نستشف العديد من الأبعاد التربوية فضلاً عن ملاحظات أخرى:-

١- ان الإمام (عليه السلام) أمر بالإقتداء بالنبي والتأسي به (صلى الله عليه وآله وسلم) كمصدر للتربية موثقاً لذلك ان هذا المصدر من التربية ليس قائم على مبادئ نظرية لا صله لها بالواقع أو مجرد أفكار تكون ذات طرفين سلبي وايجابي بل أبرزت مفعولها على أرض الواقع.

(١) هناك العديد من الأحاديث التي وردت في المصادر تؤيد ما قاله الإمام (عليه السلام) عن الرسول منها قول الرسول (ﷺ) (أنا عبد بن عبد، أجلس جلسة العبد، وأكل أكل العبد، إني قد أوحي إلي أن تواضعوا، ولا يبغي أحد على أحد، إن يد الله مبسوطة في خلقه، فمن رفع نفسه وضعه الله، ومن وضع نفسه رفعه الله، ولا يمش امرؤ على الأرض شبرا يبتغي به سلطان الله إلا كبه الله)، المتقي الهندي، كنز العمال، ٣/ ٥٣٩، وعن أنس بن مالك قال (كان النبي صلى الله عليه -وآله- وسلم يردف خلفه ويضع طعامه في الأرض ويجيب دعوة المملوك ويركب الحمار)، الحاكم النيسابوري، المستدرك، ٤/ ١١٩، وعن عائشة وقد قيل لها ما كان يصنع رسول الله قالت (كما يصنع أحدكم يخصف نعله ويرقع ثوبه)، أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ٦/ ١٠٦.

(٢) وكان تعليل ابن ميثم البحراني فيه ركه إذ يرى ان سبب ذلك هو محافظة من حركة الوسواس الخناس، شرح نهج البلاغة (الكبير)، ٣/ ٢٨٦ حاشا رسول الله ﷺ ذلك حتى وان كان ابن ميثم البحراني قوله هذا غير متعمد لكن يمكن القول حتى التفكير في ذلك لا يصح لأنه لا ينطق عن الهوى،و لن يمنع من وجود من هو الكفء للرد عليه إذ أجاب الخوئي بأنه من المستحيل ان يكون ذلك في النبي (ﷺ) وهو رأي فيه من السخافة والركاكة والسذاجة فلا يمكن أن توجد حركة الوسواس الخناس مع وجود ملكة العصمة، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٩/ ٣٧٩.

(٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٩/ ٢٣٤؛ حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٩/ ٣٧٣،٣٧٦ - ٣٧٩؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٣/ ٤٣- ٤٥؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٢/ ٤٣٢، ٤٣٤- ٤٣٥؛ عبده، نهج البلاغة، ٢/ ٧٤- ٧٥؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٢/ ٤٣٧؛ دخيل، شرح نهج البلاغة، ١٥- ١٦/ ١٥- ١٧.

٢- ان الموثق له وهي صفات النبي (ﷺ) وسلوكياته إن تم الإلتزام بها تحقق التقدم والتطور وهو الذي يريد ان يثبته التوثيق ولا سيما في جانب العلاقة مع الله سبحانه.

٣- من خلال التوثيق والموثق له نستشف بعض الأبعاد التربوية وهي في الوقت ذاته تعليمية ومنها البعد الأخلاقي في الجلوس ليست كجلسة الملوك والأمراء بل كجلوس العبيد مهما كان نوع المنصب الذي ناله الإنسان لأن القيمة بالشخص وليس في جلوسه، من جانب ومن جانب آخر تواضع للآخرين الذين هم أدنى مرتبة.

٤- البعد التربوي الآخر هو البعد الاقتصادي في الدين أو من حياة الرسول (ﷺ) في الإكتفاء الذاتي وتشجيع صور الإعتماد على النفس ولاسيما في الأمور التي لا تحتاج إلى التكافل مع الآخرين.

٥- أكل الرسول (ﷺ) على الأرض لا شك انه ذا أثر تربوي تجلى في التواضع وبساطة العيش ومما لا شك فيه أيضا انه ذو بعد صحي؛ لأن الرسول (ﷺ) فعله وتقريره حجة.

٦- على أن أهم بعد تربوي نستشفه هو الزخارف والرسومات أي الأشياء التي تدل على البذخ والترف تؤدي إلى التعلق بالدنيا والإنشداد إليها.

٧- التعامل مع الأشياء في الحياة الدنيا كوسيلة لتحقيق غاية قد تكون إدامة حياة أو من أجل الوصول إلى هدف.

٨- هناك بعد تربوي آخر وهو البعد العقائدي بالنظر إلى الدنيا بأنها دار فانية.

وقد يسأل سائل ان الرسول (ﷺ) أو غيره من الأنبياء هم مصطفون، ومن يمكن ان يكون مثلهم؟ ثم من، من البشر يستطيع أو له القدرة على ان يفعل

تلك الأشياء أو يغير ذاته وطبيعته فإنه يحتاج إلى مقدرة ومن مصاب بداء حب الدنيا وأي علاج قادر على التداوي به لكن يمكن القول ان ما تجلى فيما تقدم بالتوثيق من الأبعاد التربوية كبساطة العيش من الممكن أن تتخذ وان يتبع فيها هدي الرسول (ﷺ). أما فيما يخص حب الدنيا فإن الإمام (عليه السلام) يوثق لحياة الرسول (ﷺ) فيها البعد التربوي والعلاج لذلك المرض يقول (عليه السلام): «**فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيَا بِقَلْبِهِ، وَأَمَاتَ ذِكْرَهَا مِنْ نَفْسِهِ، وَأَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ، لِكَيْلَا يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشاً، وَلَا يَعْتَقِدَهَا قَرَاراً، وَلَا يَرْجُوَ فِيهَا مُقَاماً، فَأَخْرَجَهَا مِنَ النَّفْسِ، وَأَشْخَصَهَا عَنِ الْقَلْبِ، وَغَيَّبَهَا عَنِ الْبَصَرِ، وَكَذَلِكَ مَنْ أَبْغَضَ شَيْئاً أَبْغَضَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ، وَأَنْ يُذْكَرَ عِنْدَه**»[1].

من خلال هذا النص يوثق الإمام (عليه السلام) ان الرسول (ﷺ) أعرض عن الدنيا بقلبه فأعراض القلب تتحول النظرة القلبية إلى نظرة مجانبة وأمات ذكرها عن نفسه فأي شيء من الدنيا لم يعد يخطر بباله وكل زينه منها غيبها عن عينه موثقاً للغرض من ذلك لكي لا يتخذ منها لباساً فاخراً يكون سبب للتعلق بها ويحول بينه وبين النظر إلى الله أو يرجوا فيها مقام[2]. ومما مر من التوثيق يمكن استخلاص العلاج لمرض حب الدنيا من خلال توثيق الأثر التربوي بالتعامل معها ليس بالقلب بل بالعقل فإن أشخصت عن القلب والنظر إليها ليس بنظر المتعلق بها وإخراجها من النفس تتحول بعد ذلك النظرة إلى الدنيا مجرد طريق انتقال إلى دار أسمى لأن من أبغض شيئاً أبغض أن يذكر عنده أو ينظر إليه.

الجانب التربوي الآخر الذي يوثق له الإمام (عليه السلام) عدم الإغترار بالدنيا وان الإنسان مهما بلغ من العظمة فإن مصيره مفارق ملكة والإنتقال إلى دار الآخرة

(١) نهج البلاغة، ص٣٣٣- ٣٣٤.

(٢) الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٢/ ٢٤٤- ٢٤٥.

سنة إلهية وناموس طبيعي على الكل وهذا الهدف التربوي يتجلى في أبعاد حياة نبي الله سليمان يقول الإمام ﷺ «**أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللهِ بِتَقْوَى اللهِ ... فَلَوْ أَنَّ أَحَداً يَجِدُ إِلَى الْبَقَاءِ سُلَّماً، أَوْ لِدَفْعِ الْمَوْتِ سَبِيلًا، لَكَانَ ذَلِكَ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ عليه السلام، الَّذِي سُخِّرَ لَهُ مُلْكُ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، مَعَ النُّبُوَّةِ وَعَظِيمِ الزُّلْفَةِ. فَلَمَّا اسْتَوْفَى طُعْمَتَهُ، وَاسْتَكْمَلَ مُدَّتَهُ، رَمَتْهُ قِسِيُّ الْفَنَاءِ بِنِبَالِ الْمَوْتِ، وَأَصْبَحَتِ الدِّيَارُ مِنْهُ خَالِيَةً، وَالْمَسَاكِنُ مُعَطَّلَةً، وَوَرِثَهَا قَوْمٌ آخَرُون، ...**»[1].

التوثيق هنا يكمن في قول الإمام ﷺ بأن لو أحد استطاع ان يجد إلى البقاء سلماً أو لدفع الموت سبيلاً لكان ذلك نبي الله سليمان، موثقاً بتوثيق ديني وهي المعاجز والآيات التي كانت لسليمان ﷺ إذ سخر له ملك الجن والإنس فضلاً عن الأعظم من ذلك وهو القرب من الله لامتلاكه النبوة أي له السعادة الدينية والدنيوية لكن مع كل هذا عندما استكمل مدته رمته قسي الفناء بنبال الموت أي أسباب الموت من مرض أو هم أو نحو ذلك من الأسباب فلم يستطع مع عظيم ما أوتي ان يدفع عن نفسه الموت أو سببه [2].

النتيجة من ذلك ان الإمام ﷺ حث الناس على التخلص من مرض حب الدنيا والتزهيد و الترغيب في الآخرة فوثق لذلك بنبي الله سليمان الذي كان أقوى سلطان في العالم لأنه يحكم الجن والأنس مع النبوة لكنه لا ملك دفع عنه الموت ولا النبوة، ومن ثم ان لكل قدر مقدر لا يردع عنه ملك أو قوة لأن الدنيا دار فناء وليست بقاء.

(١) نهج البلاغة، ص٣٩١- ٣٩٢.

(٢) ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة (الكبير)، ٣/ ٣٨٩- ٣٩٠؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٣/ ٩٧- ٩٨؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٣/ ١٨٧- ١٨٨؛ المحمودي، نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، ٢/ ٦٢٧.

يمكن القول أن الأبعاد التربوية المرتبطة بالدين المستشفة من التاريخ تنوعت في نهج البلاغة ومن تلك الأبعاد أثر الترف على الإنسان يقول عليه السلام فيما يخص ذلك في كتابه لمعاوية «... **وَإِلَّا تَفْعَلْ أُعْلِمْكَ مَا أَغْفَلْتَ مِنْ نَفْسِكَ، فَإِنَّكَ مُتْرَفٌ قَدْ أَخَذَ الشَّيْطَانُ مِنْكَ مَأْخَذَهُ، وَبَلَغَ فِيكَ أَمَلَهُ، وَجَرَى مِنْكَ مَجْرَى الرُّوحِ وَالدَّمِ**»[1].

هذا الكلام وان كان متجهاً نحو وعظ أو تعريف معاوية بنفسه وان تجاوزنا هذه الواجهة الخاصة لكلام الإمام عليه السلام نجد لها ولا شك واجهه تربوية عامة لا تختص بمعاوية فقط، فقول الإمام عليه السلام قد جرى منك الشيطان مجرى الروح والدم وأخذ مأخذه أي تسلط الشيطان على معاوية من كل جنب حتى أصبح جندياً من جنوده من شدة قربه انه يجري معه في البدن والروح واخذ مأخذه في سلب العقل وبلغ أمله في إضلال الناس فكل ما يريده يتناوله ببساطة ومن جميع السبل لأنه جزء منه على ان هذه الحالة المعقدة التي تبدوا للولهة الأولى نتيجة فقط الإبتعاد عن الدين وانه مقتصر على معاوية ولا يمكن أن يصل إليها أحد لكن الإمام عليه السلام يوثق ان هذا التسلط والهيمنة الكاملة للشيطان على معاوية كمثال حي وعلى أي إنسان آخر مثل صفته ولم يترك عليه السلام التوثيق من غير ان يوثق لمكمن ذلك الخلل والإنحراف ولضمان وصول الرسالة التربوية للآخر فوثق له بدليل مادي لأنه مترف طغت عليه النعمة، ومن ثم فإن آثار طغيان النعم على الإنسان يتسلط الشيطان ويصبح مصدر ورافد لسلوكه الشيطاني فكل ما ازداد في الملذات كلما تحكم وتسلط الأهواء والشيطان[2]. وفي ضوء ما تقدم يمكن إدراج ما يلي:

(١) نهج البلاغة، ص٥٥٧.

(٢)حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ١٨/ ٤٥- ٤٦؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٣/ ٤٤٥؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٣/ ٤٠٥.

١- البعد التربوي في التوثيق الذي يتمثل في أثر النعم بسلب عقل الإنسان وحلول العقل الشيطاني محله.

٢- البعد السياسي بما ان الكلام موجه إلى معاوية بأنه لا يمكن أن يتولى بسبب سيطرة النعم المادية وهناك التفاتة جميلة لأويس القرني بتصنيف هذه الخطبة ضمن الخطب التي تتناول الظواهر غير المرضية في الأجهزة الإدارية[١].

٣- البعد الإرشادي بانتهاج الوسطية الإقتصادية لأنه كلما طغت المادة كلما ابتعد الإنسان عن الله.

فالنعمة إلى درجة الطغيان تؤدي إلى الآثار التي وصلنا إليها بالتوثيق ومن ضمنها الإخراج من الدائرة الإلهية إلى دائرة الشيطان، كما ان هناك قضية تاريخية ذات ارتباطات دينية يوثق لها الإمام عليه السلام نستشف منها بعد تربوي في غاية الأهمية تؤدي إلى نفس النتيجة السابقة يقول عليه السلام في توثيق تلك الحادثة التاريخية وهي رفض إبليس السجود لأدم عليه السلام «... ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾[٢] **اعْتَرَضَتْهُ الْحَمِيَّةُ فَافْتَخَرَ عَلَىٰ آدَمَ بِخَلْقِهِ، وَتَعَصَّبَ عَلَيْهِ لِأَصْلِهِ. فَعَدُوُّ اللهِ إِمَامُ الْمُتَعَصِّبِينَ، وَسَلَفُ الْمُسْتَكْبِرِينَ، الَّذِي وَضَعَ أَسَاسَ الْعَصَبِيَّةِ، وَنَازَعَ اللهَ رِدَاءَ الْجَبَرِيَّةِ، وَادَّرَعَ لِبَاسَ التَّعَزُّزِ، وَخَلَعَ قِنَاعَ التَّذَلُّلِ. أَلَا تَرَوْنَ كَيْفَ صَغَّرَهُ اللهُ بِتَكَبُّرِهِ، وَوَضَعَهُ بِتَرَفُّعِهِ، فَجَعَلَهُ فِي الدُّنْيَا مَدْحُوراً، وَأَعَدَّ لَهُ فِي الْآخِرَةِ سَعِيراً؟! ... فَاعْتَبِرُوا بِمَا كَانَ مِنْ فِعْلِ اللهِ بِإِبْلِيسَ إِذْ أَحْبَطَ عَمَلَهُ الطَّوِيلَ، وَجَهْدَهُ الْجَهِيدَ**]الجميل[**وَكَانَ قَدْ عَبَدَ اللهَ سِتَّةَ آلَافِ سَنَةٍ؛ لَا يُدْرَى أَمِنْ سِنِي الدُّنْيَا أَمْ مِنْ سِنِي الْآخِرَةِ، عَنْ كِبْرِ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ»**[٣].

(١) المعجم الموضوعي، ص٣٨٩.

(٢) ص/ ٧٤.

(٣) نهج البلاغة، ص٤٢٨- ٤٢٩ .

الإمام ﷺ من خلال هذا النص يوثق ان إبليس قد عبد الله ست آلالف سنة لا يعرف هذه السنين هل هي بحساب سنين الدنيا أم الآخرة لكن ليس هذه القضية التي يحاول التركيز عليها الإمام ﷺ إنما أشار لعدد السنين لتكون مدخل للنقطة الجوهرية التي يريد التوثيق لها وهي التكبر فإبليس قد عبد الله هذا السنين لكن حبط عمله نتيجة تكبر ساعة واحد، فهنا هو التوثيق أي أحبط الله عمل إبليس وعبادته كل هذه السنين لمجرد تكبره موثقاً للغاية من ذلك بتوثيق عقائدي وهو ان إبليس نازع الله رداء الجبروت والكبرياء بسبب رفضه السجود لآدم والتكبر وافتخاره عليه بسبب أصلة، ومن ثم فإن التكبر يؤدي إلى منازعة الله في خلقه أولاً كما ان التكبر يؤدي إلى تصغير الله ووضعه بالترفع ثانياً فأحبط العمل الطويل والجهد الجهيد، كما ان العصبية والكبر هن من لوازم إبليس لأنه بتكبره ذلك عد إمام المتعصبين[1].

فضلاً عن ما تقدم يمكن القول ان الإمام ﷺ أراد ان يقول من خلال التوثيق ان البعد التربوي في ذلك هو ان التكبر من الرذائل الأخلاقية ونتيجته ان تؤدي بالإنسان إلى منازعة الله في خلقه لاعتقاده بأنه اشرف أبناء زمانه كما حدث مع إبليس أو على محيطة الإقليمي الضيق، على ان هذا التكبر على أنواع كما فصل في ذلك بيهقي خراساني في شرح ما تقدم والقول بأنواع التكبر تكبر على الله كما حدث مع إبليس ونمرود وفرعون وتكبر على الرسول (ﷺ) كتكبر كفار قريش أو على عباد الله والنظر إليهم بالتحقير وهذا يؤدي إلى النتيجة نفسها التي وصل إليها الإمام ﷺ وهي منازعة الله تعالى، لقوله تعالى ﴿لَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْض[2]﴾[3].

---

(١) ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة (الكبير)، ٤/ ٢٣٥، ٢٣٩، ٢٤٥- ٢٤٧؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٣/ ١٧٨- ١٨٠.

(٢) يونس/ ٧٨.

(٣) معارج نهج البلاغة، ٣٥٧- ٣٥٨؛ كيذري بيهقي، حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة، ٢/ ٣٤٣.

إذ كان الإمام ﷺ يرفض التكبر لأنه كما قلنا منازعة الله في ملكة، فإنه أيضاً من صفات الجاهلية فضلاً عن الصفات الجاهلية الأخرى وهي العصبية والأحقاد فهي صفات جاهلية غير مراعيه لموازين الحق ومن ثم إذ كانت جاهلية فهي من خطرات الشيطان «**فَأَطْفِئُوا مَا كَمَنَ فِي قُلُوبِكُمْ مِنْ نِيرَانِ الْعَصَبِيَّةِ، وَأَحْقَادِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَإِنَّمَا تِلْكَ الْحَمِيَّةُ تَكُونُ فِي الْمُسْلِمِ مِنْ خَطَرَاتِ الشَّيْطَانِ وَنَخَوَاتِهِ، وَنَزَغَاتِهِ وَنَفَثَاتِهِ ... وَلَا تَكُونُوا كَالْمُتَكَبِّرِ عَلَى ابْنِ أُمِّهِ مِنْ غَيْرِ مَا فَضْلٍ جَعَلَهُ اللهُ فِيهِ سِوَى مَا أَلْحَقَتِ الْعَظَمَةُ بِنَفْسِهِ مِنْ عَدَاوَةِ الْحَسَدِ [الحسب]، وَقَدَحَتِ الْحَمِيَّةُ فِي قَلْبِهِ مِنْ نَارِ الْغَضَبِ، وَنَفَخَ الشَّيْطَانُ فِي أَنْفِهِ مِنْ رِيحِ الْكِبْرِ الَّذِي أَعْقَبَهُ اللهُ بِهِ النَّدَامَةَ، وَأَلْزَمَهُ آثَامَ الْقَاتِلِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»[1].

وهذا الحصر أو الأساس للقاعدة للعصبية والتكبر من الجاهلية في قول الإمام ﷺ في النص المتقدم لم يكن تجنياً بل موثق له بحادثة تاريخية وهي المتكبر على أبن أمة ويعني قابيل الذي قتل أخاه هابيل، قتل أخاه ليس لفضل خصه الله بأحد منهما دون الآخر وإنما نتيجة العظمة في النفس والغضب والحسد والكبر ومن ثم ان الإمام ﷺ من التوثيق بهذه الحادثة التاريخية يوصل البعد التربوي بأن الإنسان المتكبر يكون كمثل قابيل حسد أخاه بدون مبرر[2] وإنما نتيجة التكبر وبواعثه الإعتزاز بالنفس والإعجاب بها[3].

ومن الأبعاد التربوية الأخرى الموثق لها التي يمكن أن نستشف فيها أبعاد تربوية في غاية الأهمية وهو مؤثر الإعتداد بالرأي ودور أهل الخبرة، يقول ﷺ من

(١) نهج البلاغة، ص٤٣٢.

(٢) السرخسي، أعلام نهج البلاغة، ص٢١١؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٣/ ١١٦- ١١٧؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٣/ ١٨٥- ١٨٧؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٣/ ٢٩٦- ٢٩٧.

(٣) القرني، المعجم الموضوعي لنهج البلاغة، ص٣٢٦.

هذا المنطلق: «**الْحَمْدُ لله وَإِنْ أَتَى الدَّهْرُ بِالْخَطْبِ الْفَادِحِ، وَالْحَدَثِ الْجَلِيلِ... أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ مَعْصِيَةَ النَّاصِحِ الشَّفِيقِ الْعَالِمِ الْمُجَرِّبِ تُورِثُ الْحَسْرَةَ، وَتُعْقِبُ النَّدَامَةَ. وَقَدْ كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ فِي هَذِهِ الْحُكُومَةِ أَمْرِي، وَنَخَلْتُ لَكُمْ مَخْزُونَ رَأْيِي، لَوْ كَانَ يُطَاعُ لِقَصِيرٍ أَمْرٌ! فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُخَالِفِينَ الْجُفَاةِ، وَالْمُنَابِذِينَ الْعُصَاةِ، حَتَّى ارْتَابَ النَّاصِحُ بِنُصْحِهِ، وَضَنَّ الزَّنْدُ بِقَدْحِهِ، فَكُنْتُ أَنَا وَإِيَّاكُمْ كَمَا قَالَ أَخُو هَوَازِنَ: أَمَرْتُكُمْ أَمْرِي بِمُنْعَرِجِ اللِّوَيفَلَمْ تَسْتَبِينُوا النُّصْحَ [الرّشد] إِلَّا ضُحَى الْغَدِ**»[1].

لا ريب أن الإعتداد بالرأي خصوصاً إذا كان خطأ قد يؤدي إلى أضرار فادحة بل ان الضرر يكون أفدح إذا كان هذا الإعتداد ورفض آراء أهل الخبرة لا يقع على المستوى الشخصي وإنما على مستوى إجتماعي، وخلال النص المتقدم فإن توثيق الإمام عليه السلام من جنس هذه المقدمة إذ يقول في التوثيق ان معصية الناصح الشفيق البعيد عن التعصب والعالم المجرب ذي الخبرة فإن خلاف هذا الإنسان الذي تميز بتلك الصفات الخبرة والإطلاع تورث الحسرة وتعقبها الندم على ان تسويق هذه الرؤى ذات الأبعاد التربوية موثقاً لها بحادثة تاريخية وهي حادثة التحكيم تثبت أن معصية الناصح وذا الخبرة آخرها حسرة وندامة، إذ أمرهم أمره وصفى وغربل لهم رآيه حتى الرأي المخزون فإنه أخلصه لهم أي عرضه للتصفية واختار منه الأحسن بالإستمرار على القتال لكنهم أبوا إباء المخالفين العصاة ومن ثم فإن النتيجة فشل الأمر الذي أصروا عليه ولم يعرفوا فساد رأيهم إلا بعد الفشل، وهذا التوثيق من باب خاطبوهم على قدر عقولهم فقد اثبت لهم فشل إصرارهم نتيجة عصيان رآيه بحادثة تاريخية قديمة بقوله لو

(١) نهج البلاغة، ص٨٨- ٨٩.

يطاع قصير[1]، ولكي يعطي للتوثيق ثقلًا إضافياً وبعداً علمياً ويترك أثراً في نفوسهم فإنه ﷺ استعمل احد الوسائل الإعلامية في ذلك الوقت وهو التمثل بشعر دريد بن ألصمة انه أمرهم أمره لكنهم لم يستبينوا النصح[2] إلا بعد أن أوقع بهم وقتلهم[3] . وهذا الكلام يوحي بما يلي:

(١) تذكر المصادر أن قصير بن سعد بن عمرو اللخمي كان ذا رأي ودهاء، أديباً ومن خلصاء جذيمة الابرش ناصحاً له قريباً منه وجذيمة ملك العراق أيام ملوك الطوائف وهو الذي قتل ابن حسان ملك الجزيرة والد الزباء ويقال لها نائلة التي تولت ملك الجزيرة من الفرات إلى تدمر بعد ولدها وعملت على الإنتقام من جذيمة وكان جنودها بقايا العماليق فبعثت له تظهر له الرغبة في زواجها به وضم ملكها إلى ملكة لأنها لن تجد لنفسها وملكها كفؤا غيره فشاور جذيمة أصحابه الذين استحسنوا الفكرة إلا قصير فإنه حذره من غدرها وقال رأي فاتر وعدو حاضر وان كانت صادقة اكتب إليها لتقبل هي لك لكنه لم يطع نصحه وخالف جذيمة رأي قصير فقال «لا يطاع لقصير أمر» فسار لها في وجوه أصحابه فاستقبلته بالهدايا فقال له كيف ترى يا قصير قال خطر يسير وخطب كبير فإن سرت أمامك فإن المرأة صادقة وان أخذت بجنبك وأحاطت بك فإن القوم غادرون فاركب العصا،فرس جذيمة، فسارت به الخيول حتى دخل على الزباء التي أحكمت حيلتها وقتلته،وأصبح ذلك مثلا يضرب به، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١/ ٣٤٥- ٣٤٨؛ الزركلي، الأعلام، ٥/ ١٩٩.

(٢) ذكر دريد بن الصمة هذه الأبيات في رثاء أخيه عبد الله يوم اللوى الذي غزا غطفان فظفر بهم وساق أموالهم ولما كان منهم بغير بعيد قال انزلوا بنا فحذره ونصحه أخوه دريد ان لا ينزل لأن غطفان غير غافلة عن أموالها إلا أنه أقسم إلا أن يأخذ مرباعة،نصيبه وينحر فيأكل ويقسم البقية بين أصحابه، إلى أن أقبل القوم وتمكن رجل من عبس قتل عبد الله بن الصمة فقال دريد تلك القصيدة والتي مطلعها، أرث جديد الحبل من أم معبد، إلى أن يقول أمرتكم أمري بمنعرج اللّوى فلم تستبينوا الرّشد إلّا ضحى الغد، أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ١٠/ ٢٤٤- ٢٤٦.

(٣) كيذري بيهقي، حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة، ١/ ٢٦٦- ٢٦٩؛ ابن ميثم البحراني، إختيار مصباح السالكين (المتوسط)، ١٤٣- ١٤٤؛ حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٤/ ٨٦- ٨٨؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة ١/ ١٨٥- ١٨٨؛ الغروي، الأمثال والحكم المستخرجة من نهج البلاغة، ص٤٢٢- ٤٢٤؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ١/ ٢٧٥- ٢٧٧.

١- النقطة المحورية التربوية التي يركز عليها الإمام ﷺ في التوثيق هي مخالفة الآراء الصائبة القائمة على خبرة ومعرفة في الأمور تكون نهايتها دائما الندم.

٢- قراءة ثلاثة أحداث تاريخية في هذه الخطبة مختلفة الأزمان والأماكن والأشخاص إلا أنها تحمل النتيجة نفسها.

٣- المعرفة التاريخية للإمام ﷺ لحوادث بعيدة زمنياً وغير متعايش معها.

أن الأبعاد التربوية المستشفة من نصوص نهج البلاغة وكما قلنا أنها متنوعة في مواضيع مختلفة وعند جمعها تحقق لنا شمولية يمكن أن يسير عليها الإنسان نحوى التطور والبناء وتعرفنا على تلك الأبعاد المختلفة فيما سبق من التوثيق وما نحن بصدده الآن من الأثر التربوي الآخر وهو الإرتباط الفكري والعاطفي بجماعة من الناس على أن دلالة لفظ ومعنى الإمام ﷺ لا يحمل فقط الإرتباط الإيجابي وإنما الإرتباط السلبي أيضاً، يقول ﷺ لما ظفر بأصحاب الجمل: «**وَقَدْ قَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: وَدِدْتُ أَنَّ أَخِي فُلَاناً كَانَ شَاهِدَنَا لِيَرَى مَا نَصَرَكَ اللهُ بِهِ عَلَى أَعْدَائِكَ فَقَالَ لَهُ عليه السلام: أَهَوَى أَخِيكَ مَعَنَا؟ فَقَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَقَدْ شَهِدَنَا، وَلَقَدْ شَهِدَنَا فِي عَسْكَرِنَا هَذَا أَقْوَامٌ [قوم] فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ، وَأَرْحَامِ النِّسَاءِ، سَيَرْعَفُ بِهِمُ الزَّمَانُ، وَيَقْوَى بِهِمُ الْإِيمَانُ**»[1].

فعندما يقول الإمام ﷺ لذلك الرجل من أصحابه ان أخاه الذي لم يكن حاضراً معركة الجمل انه شهدنا كأنه حاضر المعركة على الرغم من أنه لم يكن موجوداً وهذا الكلام لم يكن اعتباطاً بل وثق له وفق قاعدة من أحب عمل قوم حشر معهم[2] فهذا الرجل هواه مع الإمام ﷺ لذلك وان لم يكن موجوداً فهو

(١) نهج البلاغة، ص٤٧.

(٢) ينظر حديث الرسول (ﷺ)، الحاكم النيسابوري، المستدرك، ٣/ ١٨؛ وبلفظ آخر ينظر، أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ٤/ ٤٠٥؛ البخاري، صحيح البخاري، ٧/ ١١٣؛ مسلم، صحيح مسلم، ٨/ ٤٣.

مشارك معهم ليس المشاركة المادية بل المشاركة المعنوية، المحبة[1].

(١) بيهقي خراساني، معارج نهج البلاغة، ص٩٣- ٩٤؛ كيذري بيهقي، حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة، ١/ ١٩٤ ١٩٣؛ ابن ميثم البحراني، إختيار مصباح السالكين (المتوسط)، ص١٠٥- ١٠٦؛ السرخسي، أعلام نهج لبلاغة، ص٥٦- ٥٧؛ شارح من القرن الثامن، شرح نهج البلاغة، ص١٦١- ١٦٢؛ حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٣/ ١٨٢؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ١/ ٩٣؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ١/ ١٤٣- ١٤٤؛ دخيل، شرح نهج البلاغة، ٢/ ٣٤؛ الخراساني، مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة، ٤/ ١٣٤.

المبحث الثاني

الأبعاد الفلسفية والمستقبلية للتوثيق

أولاً: نموذج الفكر الفلسفي من التوثيق التاريخي المرتبط بالأبعاد الدينية.

يتناول هذا المبحث الأفكار الفلسفية الخاصة بالدين وهي على المستوى المنطقي تؤكد العلاقة بين الفكرة والواقع لتكون فلسفة، ومعظم الأبعاد الفلسفية في هذا الموضوع تتعلق بالنبوة والرسالة مع نصوص قليلة أخرى متفرقة موثقة لفلسفة في مواضيع هنا وهناك.

فالنماذج الفلسفية الفكرية من التوثيق ليست قائمة على استنتاجات بل مستخلصة من فكر المعصوم ذي العلم اللدني، وعندما نقول ذلك يتجلى لنا هذا القول فيما بعد بوضوح من التوثيق لأن ما طرحه الإمام ﷺ وما وثق له من فلسفة كفلسفة النبوة أو اصطفاء الإسلام وحتى الأهمية الجغرافية للبيت الحرام ليس بمقدور أحد إدراكه ما عدا النبي أو وصيه هذا من جانب. الجانب الآخر هو جانب التعايش مع النبوة مما يبرز لنا تلك التفاصيل التي قد تكون بعيدة أو غائبة عن أفكار الباحثين والمؤرخين وقد تكون غائبة حتى عن مجتمع النبوة نفسه الذي قرر فيما سبق انه بعيد عن النبوة بشكل عام فكيف بهذه الجزئيات، ويمكن دراسة هذا الموضوع كوحدة ويتضمن في أثنائه ما يلي:

١- توثيق فلسفة أسباب البعثة سواء بعثة الأنبياء عموماً أو النبوة الخاتمة خصوصاً.

٢- توثيق فلسفة أهداف البعثة والإقتداء بالرسول (ﷺ).

٣- توثيق فلسفة أبعاد حياة الأنبياء وموضع البيت الحرام.

٤- فلسفة اصطفاء الدين الإسلامي الكامل على سائر الشرائع.

٥- الفرق التي ظهرت وتوثيق أبعاد اختلافها.

هناك حقيقية لا تقبل الشك أن إرسال الرسل يعني صراعاً بين الكفر والإيمان على أن هذه حقيقية لا غبار عليها وليست هي المستفيد فقط من عملية إرسال الرسل بل ان هناك أسباباً وفلسفة أخرى لذلك، يوثق لها الإمام عليه السلام في كلامه المجموع في نهج البلاغة سواء للنبوة بشكل عام أو فيما يخص فلسفة إرسال النبي محمد (صلى الله عليه وآله) بشكل خاص، ومن هنا فإن أول سبب للبعثة هو لإلقاء الحجة على العباد، يوثق الإمام عليه السلام لذلك في قوله «**فَلَمَّا مَهَدَ أَرْضَهُ، وَأَنْفَذَ أَمْرَهُ، اخْتَارَ آدَمَ، عليه السلام، خِيرَةً مِنْ خَلْقِهِ، وَجَعَلَهُ أَوَّلَ جِبِلَّتِهِ، وَأَسْكَنَهُ جَنَّتَهُ، وَأَرْغَدَ فِيهَا أُكُلَهُ، وَأَوْعَزَ إِلَيْهِ فِيمَا نَهَاهُ عَنْهُ، وَأَعْلَمَهُ أَنَّ فِي الْإِقْدَامِ عَلَيْهِ التَّعَرُّضَ لِمَعْصِيَتِهِ، وَالْمُخَاطَرَةَ بِمَنْزِلَتِهِ؛ فَأَقْدَمَ عَلَى مَا نَهَاهُ عَنْهُ -مُوَافَاةً [موافقة] لِسَابِقِ عِلْمِهِ- فَأَهْبَطَهُ بَعْدَ التَّوْبَةِ لِيَعْمُرَ أَرْضَهُ بِنَسْلِهِ، وَلِيُقِيمَ الْحُجَّةَ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ**»[1].

إن الله سبحانه اهبط آدم بعد التوبة[2] إلى الأرض وهنا هو التوثيق الذي يريد الإمام عليه السلام من هذا النص فالله سبحانه تاب على آدم عليه السلام فلماذا اهبطه إلى الأرض، ما الفلسفة من ذلك الهبوط بعد التوبة فوثق له الإمام عليه السلام بتوثيق عقائدي في قوله لإقامة الحجة على العباد لكي يقطع العذر على عباده عند عبادتهم غير الله سبحانه، فكيف يقيم الله سبحانه الحجة على العباد سواء من أولادة أو من الذين أتوا بعده ان لم يكن هناك حجة وآدم في الجنة وكذلك السبب الآخر ليعمر الأرض

(١) نهج البلاغة، ص١٨٧.

(٢) ينظر قوله تعالى﴿فَتَلَقَّى آَدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَالتَّوَّابُ الرَّحِيمُ) البقرة/ ٣٧، وقوله (وَعَصَى آَدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى * ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ طه/ ١٢١- ١٢٢.

بنسله[1]، ومما تقدم:

١- من التوثيق نستدل ان فلسفة هبوط آدم عليه السلام بعد التوبة ليعمر الأرض وليقيم الحجة على العباد.

٢- قوله عليه السلام «فلمّا مهد أرضه ...اختار آدم، عليه السّلام، خيرة من خلقه»أي ان الله سبحانه أهل الأرض للمعيشة قبل اختيار آدم عليه السلام، كما ان قوله خيرة من خلقه لا يبتعد عن فلسفة اصطفاء الأنبياء[2].

٣- جعل النبي آدم حجة يعني عصمته في الأرض لأن الخطيئة إنما كانت في الجنة.

وفي الإطار نفسه من التوثيق وهو إقامة الحجة على العباد يقول عليه السلام: «**بَعَثَ الله رُسُلَهُ بِمَا خَصَّهُمْ بِهِ مِنْ وَحْيِهِ، وَجَعَلَهُمْ حُجَّةً لَهُ عَلَى خَلْقِهِ، لِئَلَّا تَجِبَ الْحُجَّةُ لَهُمْ بِتَرْكِ الْإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ، فَدَعَاهُمْ بِلِسَانِ الصِّدْقِ إِلَى سَبِيلِ الْحَق**»[3] وإذا كان التوثيق السابق هو إقامة الحجة على الأرض فإن هذا النص يوثق لفلسفة بعث الأنبياء وخصهم بالوحي أي فلسفة وجود الحجة على الخلق، موثقاً لذلك بتوثيق عقائدي في قوله لئلا تجب الحجة لهم[4] للمتعللين بعدم وصول الأحكام والتكاليف فتكون لهم الحجة بترك الأعذار على الإهمال لوجود الشاهد على ذلك[5]، ومن ثم فإن

(١) حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٧/ ٤١- ٤٢؛الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٢/ ١٠٧- ١٠٨؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة،٢/ ٧٩- ٨٠، ألتستري، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، ١/ ٥٩٥- ٥٩٧.

(٢) ينظر قوله تعالى ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آَدَمَ وَنُوحًا وَآَلَ إِبْرَاهِيمَ وَآَلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ آل عمران/ ٣٣.

(٣) نهج البلاغة، ص٢٩٢- ٢٩٣.

(٤) ينظر قوله تعالى ﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ النساء/ ١٦٥.

(٥) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٩/ ٨٤- ٨٥؛ حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٩/ ١٨- ١٩؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٢/ ٤٣٠؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٢/ ٣٣١؛ دخيل، شرح نهج البلاغة، ١٣- ١٤/ ٢١- ٢٢.

الهدف من التوثيق ليصل لحقيقية وهي قطع الحجة على العباد منذ اللحظة الأولى لوجود الإنسان على الأرض لوجود الدليل، وقد أفرز هذا النص ما يأتي:

١- قطع العذر على البشر في محكمة القضاء الإلهي لوجود الشاهد المعصوم.

٢- مكافحة الإنحراف وعدم التوازن بإرسال الحجة.

٣- تطبيق الرسول (ﷺ) النظرية الإسلامية في مجال الحياة والدعوة إلى الحق وهي الصدق.

كما وثق الإمام (عليه السلام) وفي المجال نفسه إقامة الحجة على الخلق لكن هذه المرة وثق ليس من ناحية فلسفة وجود الحجة وإنما لاستمرار وجود الحجة في الأرض يقول (عليه السلام) في ذلك: «... **وَلَمْ يُخْلِهِمْ بَعْدَ أَنْ قَبَضَهُ، مِمَّا يُؤَكِّدُ عَلَيْهِمْ حُجَّةَ رُبُوبِيَّتِهِ، وَيَصِلُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَعْرِفَتِهِ، بَلْ تَعَاهَدَهُمْ بِالْحُجَجِ عَلَى أَلْسُنِ الْخِيرَةِ مِنْ أَنْبِيَائِهِ، وَمُتَحَمِّلِي وَدَائِعِ رِسَالَاتِهِ، قَرْناً، فَقَرْناً**»[1].

فالله سبحانه لم يخلِ العباد بعد نبينا آدم (عليه السلام) من نبي يؤكد الحجة عليهم، أي يمكن ان نصيغ التوثيق بسؤال كيف ان الله لا يخلي الأرض في كل وقت من وجود من يؤكد حجة ربوبيته أي تأكيد للحجة السابقة كما يقول الإمام (عليه السلام)؟ لكنه (عليه السلام) موثقاً لذلك التوثق بدليل ان الله تعاهد الخلق أي جدد العهد بالحجج على لسان الأنبياء حجة بعد أخرى منبها الغافلين فلا يقتصر على العباد بالعقل بل لابد من وجود حجة جيلاً بعد جيل لا يكاد يخلو جيل من وجوده بدليل القول قرناً فقرناً[2].

---

(١) نهج البلاغة، ص١٨٧- ١٨٨.

(٢) كيذري بيهقي، حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة، ١/ ٤٦٩؛ ابن أبي حديد، شرح نهج البلاغة، ٧/ ٦- ٧؛ ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة (الكبير)، ٢/ ٣٨٠؛ حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٧/ ٤٢؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٢/ ٨٠؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٢/ ١٠٨؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٢/ ٤٠- ٤١.

وفي ضوء ما تقدم من توثيق فأننا نحصل على نتيجتة ان فلسفة أسباب إرسال الرسل لإقامة الحجة على العباد كما أن هناك أسباباً أخرى يوثق لها الإمام عليه السلام في قوله «**وَهُوَالَّذِي أَسْكَنَ الدُّنْيَا خَلْقَهُ، وَبَعَثَ إِلَى الْجِنِّ وَالْإِنْسِ رُسُلَهُ، لِيَكْشِفُوا لَهُمْ عَنْ غِطَائِهَا، وَلِيُحَذِّرُوهُمْ مِنْ ضَرَّائِهَا، وَلِيَضْرِبُوا لَهُمْ أَمْثَالَهَا، وَلِيُبَصِّرُوهُمْ عُيُوبَهَا، وَلِيَهْجُمُوا عَلَيْهِمْ بِمُعْتَبَرٍ مِنْ تَصَرُّفِ مَصَاحِّهَا وَأَسْقَامِهَا، وَحَلَالِهَا وَحَرَامِهَا، وَمَا أَعَدَّ اللهُ سُبْحَانَهُ لِلْمُطِيعِينَ مِنْهُمْ وَالْعُصَاةِ مِنْ جَنَّةٍ وَنَارٍ، وَكَرَامَةٍ وَهَوَان**»[1].

التوثيق هنا يكمن في قوله عليه السلام اسكن الدنيا خلقة وبعث إلى الجن والإنس رسله، بمعنى ان الله سبحانه اسكن البشر الأرض ثم بعث لهم صفوة وهم الأنبياء، فلماذا؟ بعث الله سبحانه هذه الصفوة من البشر وهم الأنبياء؟ وهو ما يريد ان يصل له الإمام بالتوثيق فوثق له بتوثيق تكليفي ان صح ذلك أي الأمور التي كلف هذه الصفوة المختارة من الأنبياء أو توثيق تعليمي يسند بها التوثيق وهو دور الأنبياء في التعليم والإرشاد ليكشفوا للبشر عن غطاء الدنيا وحقيقتها بالتذكير من أنها دار تعب ووجدت للتعمير والعمل لدار أرحب وهي الآخرة فكشفوا عن غطائها لئلا يغتر بها، السبب الآخر التحذير من إضرارها الثقيلة في الدنيا والآخرة فضلاً عن ضرب الأمثال للإعتبار بأن هناك سنة كونية وناموساً طبيعياً فإن عدم الإعتبار سيؤدي إلى المصير نفسه، فيؤتوهم بمعتبر من التذكير والتخويف والإرشاد فضلاً عن التبصير بعيوبها وإيقاظ غفلة البشر بأن الدنيا دار تبدل وتغير بديل الصحة والسقم وإنها ابتلاء من الله سبحانه ولتحريم الخبائث والأمور المحرمة الأخرى وبيان الحلال منها والتكريم الإيجابي الذي سيحصل

(١) نهج البلاغة، ص٣٩٥.

عليه المطيعين أو العكس للعصاة [1]. يمكن الخروج من التوثيق بعدد من النقاط نستدل بها على فلسفة وأسباب البعثة:

١- توفير معرفة تاريخية بضرب الأمثال وبيان الغرض من ذلك للإعتبار إذ كان سلبياً والإقتداء إذ كان إيجابياً.

٢- معرفة علمية بتبدل أحوال الإنسان من الصحة والسقم وهدف هذا التغير للإبتلاء.

٣- توفير ثقافة ومعرفة دينية سواء ما يخص الدنيا من حلال وحرام أو الآخرة بمعرفة الجنة والنار وعتاد كل منهما فترغب بالأولى وترهب من الثانية.

ثم انتقل الإمام (عليه السلام) لاستكمال توثيق أسباب أخرى للبعثة[2] لكن هذه المرة على المستوى الخاص وليس البعثة عموماً ونقصد بذلك بعثة الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) يقول (عليه السلام): «**فَبَعَثَ اللهُ مُحَمَّداً، صلى الله عليه وآله، بِالْحَقِّ لِيُخْرِجَ عِبَادَهُ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ إِلَى عِبَادَتِهِ، وَمِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ إِلَى طَاعَتِهِ، بِقُرْآنٍ قَدْ بَيَّنَهُ وَأَحْكَمَهُ، لِيَعْلَمَ الْعِبَادُ رَبَّهُمْ إِذْ جَهِلُوهُ، وَلِيُقِرُّوا بِهِ بَعْدَ إِذْ جَحَدُوهُ، وَلِيُثْبِتُوهُ بَعْدَ إِذْ أَنْكَرُوهُ. فَتَجَلَّى لَهُمْ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا رَأَوْهُ بِمَا أَرَاهُمْ مِنْ قُدْرَتِهِ، وَخَوَّفَهُمْ مِنْ سَطْوَتِهِ، وَكَيْفَ مَحَقَ مَنْ مَحَقَ بِالْمُثُلَاتِ. وَاحْتَصَدَ مَنِ احْتَصَدَ بِالنَّقِمَاتِ!**»[3].

---

(١) كيذري بيهقي، حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة، ٢/ ١٢٣؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٣/ ٢٠٠- ٢٠١؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٣/ ١٠٥- ١٠٦؛ دخيل، شرح نهج البلاغة، ١٧- ١٨/ ٣٩- ٤٠؛ عبده، نهج البلاغة، ٢/ ١٣٢- ١٣٣؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٣/ ٤٠.

(٢) ينظر، حميد سراج جابر، الجودة وفلسفة إتقان العمل في فكر الإمام علي(عليه السلام)، ص١١٢- ١٣١.

(٣) نهج البلاغة، ص٢٩٧- ٢٩٨.

فمحور التوثيق الذي يريد ان يصل اليه الإمام ﷺ هو فلسفة بعث النبي محمد (ﷺ) بالحق فما هي الفلسفة والغاية من ذلك؟ وبما أن الإمام ﷺ يريد ان يصل تلك الفكرة بالتوثيق فوثق لها بتوثيق ديني عقائدي أولاً لإرشاد الناس والخروج بهم من عبادة الأوثان إلى التوحيد ومن طاعة الشيطان إلى طاعة الله سبحانه هذا أولاً، ثانيا لتعليم العباد بعد جهلهم والإقرار بالربوبية، على ان ذلك الإرشاد الديني للعباد من قبل الرسول (ﷺ) مصحوب بقرآن قد أحكمة ليتجلى للعباد الله سبحانه بذاته وصفاته من خلال الكتاب من غير رؤية، بدليل رؤيته لصنوف قدرته وتخويفهم من سطوته بما له من أمثلة من محق بالعقوبات[1]. ويمكن الإشارة إلى:

١- هدف الإمام ﷺ من التوثيق لتأكيد ان أسباب البعثة لتحرير الإنسان من عبادة وثن لا يضر ولا ينفع إلى التوحيد.

٢- توفير مصدر علمي محكم غير قابل للشك والطعن لمعرفة صفات الله وذاته.

إن الإضمحلال النهائي للدين وطمس آثاره بشكل تام هي النقطة الأخرى التي وثق لها الإمام ﷺ لفلسفة إرسال الرسول (ﷺ) بالرسالة والنبوة يقول ﷺ فيما يتعلق بذلك «**وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ وَأَعْلَامُ الْهُدَى دَارِسَةٌ، وَمَنَاهِجُ الدِّينِ طَامِسَةٌ، فَصَدَعَ بِالْحَقِّ؛ وَنَصَحَ لِلْخَلْقِ، وَهَدَى إِلَى الرُّشْدِ، وَأَمَرَ بِالْقَصْدِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم**»[2].

(١) حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٢/ ٣٤١- ٣٤٢؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٢/ ٤٤٤- ٤٤٥.

(٢) نهج البلاغة، ص٤٦٣.

النقطة المهمة هي ان الإمام عليه السلام يوثق في النص ان الوضع استدعى إرسال الرسول (صلى الله عليه وآله) موثقاً للفلسفة من ذلك الإرسال بتوثيق ديني وهو ان أعلام وأئمة الدين الهادين إلى سبيل الله وقوانين الشريعة والأحكام التي تدل على الأصول كلها طمست واضمحلت[1] فالمحصلة النهائية والهدف من التوثيق ان فلسفة إرسال الرسول (صلى الله عليه وآله) موثقاً في اندراس واضمحلال الدين وقواعد الشريعة الذي استدعى ذلك الإرسال ومما مر يمكن الخروج ببعض الملاحظات:-

١- ان الإمام عليه السلام يلفت انتباهنا إلى نقطة مهمة وهي ان بعض قوانين الشريعة والأحكام كانت موجودة وان لم تكن بجزئياتها إلا أنها أصيبت بالإنطماس والإضمحلال وما تقدم هو موثق لما أراد الإمام عليه السلام الوصول اليه وهو فلسفة إرسال الرسول (صلى الله عليه وآله).

٢- النقطة الأخرى التي تلفت الإنتباه وهي قول الإمام عليه السلام (وأعلام الهدى دارسة) أي ان هناك إعلاماً غير الأنبياء طمست آثارهم وهم الأئمة الهاديون إلى أمر الدين وليس الأنبياء كما فهم بعض الشارحين[2].

كما هناك فلسفة توثق أسباب أخرى سنشير إليها إشارة لأنها لا تضيف شيئاً جديداً لما سبق منها ما يوثق له الإمام عليه السلام من ان الفلسفة من ذلك إزاحة للشبهات من العقائد والمذاهب الفاسدة والإحتجاج على الخلق بالبينات والتحذير والتخويف بالعقوبات «**وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالدِّينِ الْمَشْهُورِ، وَالعلم الْمَأْثُورِ، وَالْكِتَابِ الْمَسْطُورِ، وَالنُّورِ السَّاطِعِ، وَالضِّيَاءِ اللَّامِعِ،**

(١) ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة (الكبير)، ٣/ ٤٣٣- ٤٣٤، إختيار مصباح السالكين (المتوسط)، ص٣٦٨؛ الخوئي، منهاج البراعة في نهج البلاغة، ١٢/ ١٨٨- ١٨٩؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٣/ ٢٥١ .

(٢) الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٣/ ٣٨٢؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٣/ ١٨١- ١٨٢.

وَالْأَمْرِ الصَّادِعِ، إِزَاحَةً لِلشُّبُهَاتِ، وَاحْتِجَاجاً بِالْبَيِّنَاتِ، وَتَحْذِيراً بِالْآيَاتِ، وَتَخْوِيفاً بِالْمَثُلَاتِ، وَالنَّاسُ فِي فِتَنٍ انْجَذَمَ [انحذم] فِيهَا حَبْلُ الدِّينِ، وَتَزَعْزَعَتْ سَوَارِي الْيَقِينِ، وَاخْتَلَفَ النَّجْرُ، وَتَشَتَّتَ الْأَمْرُ، وَضَاقَ الْمَخْرَجُ، وَعَمِيَ الْمَصْدَرُ، فَالْهُدَى خَامِلٌ، وَالْعَمَى شَامِلٌ. عُصِيَ الرَّحْمَنُ، وَنُصِرَ الشَّيْطَانُ، وَخُذِلَ الْإِيمَانُ، فَانْهَارَتْ دَعَائِمُهُ، وَتَنَكَّرَتْ مَعَالِمُهُ [اعلامه]، وَدَرَسَتْ سُبُلُهُ، وَعَفَتْ شُرُكُهُ. أَطَاعُوا الشَّيْطَانَ فَسَلَكُوا مَسَالِكَهُ، وَوَرَدُوا مَنَاهِلَهُ، بِهِمْ سَارَتْ أَعْلَامُهُ، وَقَامَ لِوَاؤُهُ، فِي فِتَنٍ دَاسَتْهُمْ بِأَخْفَافِهَا، وَوَطِئَتْهُمْ بِأَظْلَافِهَا، وَقَامَتْ عَلَى سَنَابِكِهَا، فَهُمْ فِيهَا تَائِهُونَ حَائِرُونَ جَاهِلُونَ مَفْتُونُونَ، فِي خَيْرِ دَارٍ، وَشَرِّ جِيرَانٍ. نَوْمُهُمْ سُهُودٌ [سهاد]، وَكُحْلُهُمْ دُمُوعٌ، بِأَرْضٍ عَالِمُهَا مُلْجَمٌ، وَجَاهِلُهَا مُكْرَمٌ»[1].

كان هناك تلازم بين بعثة الرسول (ﷺ) وأحوال جاهلية التي استدعت ذلك فتجلت عظمة الرسول (ﷺ) بأن اخترق كل صعوبات ذلك المجتمع الذي كان في أشرف بقعة وهي مكة لكنهم شر جيران [2].

فضلاً عن الأسباب الواقعية مثل الكفر والتغير الذي حصل في الناس بعبادة الأصنام والتخليص من تلك الرواسب الجاهلية يقول عليه السلام **«وَاصْطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءَ أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ، وَعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ [ايمانهم]، لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرُ خَلْقِهِ عَهْدَ اللهِ إِلَيْهِمْ فَجَهِلُوا حَقَّهُ، وَاتَّخَذُوا الْأَنْدَادَ مَعَهُ، وَاجتالتهم الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ، وَاقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ»**[3] فاصطفى الله سبحانه الأنبياء أي اختار أنبياء يتميزون بالعصمة أخذ عليهم الميثاق[4] والأمانة لتبليغ الرسالة، فهذا

(١) نهج البلاغة، ص٣٠- ٣٢.

(٢) مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ١/ ٧٧.

(٣) نهج البلاغة، ص٢٦.

(٤) ينظر قوله تعالى (وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ) الأحزاب/ ٧.

هو الهدف المستحصل من التوثيق فالتعاقب التاريخي للأنبياء لم يأتِ من فراغ وسدى بل كما وثق له الإمام عليه السلام بتوثيق ديني بعد التبدل الديني الذي حصل من البشر باتخاذ الأنداد مع الله سبحانه بعد عهد ميثاق الفطرة الذي اتخذ عليهم[1] بالتوحيد[2].

إما فيما يخص أهدف البعثة فإن الإمام عليه السلام يقدم خلفية معرفية فلسفية تسهم في إيجاد نقطة انطلاق وإضاءة للبعثة، وعلى ضوء ذلك يقدم أمير المؤمنين عليه السلام مجموعه من النصوص تتضمن تلك الأهداف، منها الإرتقاء في الدين ببعديه التشريعي والتطور الحضاري فيقول عليه السلام: «**وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الصَّفِيُّ [المصطفى]، وَأَمِينُهُ الرَّضِيُّ، -صلى الله عليه وآله- أَرْسَلَهُ بِوُجُوبِ الْحُجَجِ، وَظُهُورِ الْفَلَجِ، وَإِيضَاحِ الْمَنْهَجِ؛ فَبَلَّغَ الرِّسَالَةَ صَادِعاً بِهَا، وَحَمَلَ عَلَى الْمَحَجَّةِ دَالًّا عَلَيْهَا، وَأَقَامَ أَعْلَامَ الِاهْتِدَاءِ وَمَنَارَ الضِّيَاءِ، وَجَعَلَ أَمْرَاسَ الْإِسْلَامِ مَتِينَةً، وَعُرَا الْإِيمَانِ وَثِيقَةً**»[3].

وعلى القواعد العملية نفسها التي اعتمدها الإمام عليه السلام فالتوثيق يتجلى في قوله عن الرسول (صلى الله عليه وآله) بلغ الرسالة صادعاً ببيان الأحكام التكليفية دالاً على المحجة ملزماً الناس بها فأقام حضارة مقيما رايات هدى لا تضل تهدي إلى السبيل وأبرز ذلك المعطيات الإيجابية بأن أصبح الإسلام قوة من حيث الأصول والأخلاق كما ان وثائق الإيمان جعلها وثيقة محكمة من عمل بها أوجبت له الجنة، على أن الأسباب الكامنة من وراء ذلك العمل الذي قام به الرسول (صلى الله عليه وآله) من الهندسة

(١) ينظر قوله تعالى ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الروم/ ٣٠.

(٢) حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ١/ ٣٥- ٣٦.

(٣) نهج البلاغة، ص٤٠١ .

والهيكلة التي شيدها لم تأتِ من فراغ بل وثق لها الإمام ﷺ بتوثيق فلسفي تمثل في قوله أرسله بوجوب الحجج وظهور الفلج وإيضاح المنهج، ومن ثم ان الهندسة والهيكلة التي قام بها الرسول (ﷺ) هي نتيجة طبيعية لفلسفة أهداف البعثة وإرسال الرسول (ﷺ) بوجوب إتمام وإنفاذ الحجج والفوز والظفر بالإسلام وإعلاء كلمة الدين وإيضاح منهج الدين الطريق المستقيم لله وشريعته[١]، فيتضح لنا ان هدف البعثة للإرتقاء بالإسلام سواء ارتقاء عقائدي روحي إذ رفض ما سواه أو الإرتقاء المادي الحضاري بالفوز على سائر الشرائع وتكوين حضارة الاسلام، كما ان الإرتقاء الفكري من الأهداف الأخرى للبعثة التي وثق لها الإمام ﷺ بقوله «...**فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَهُ، وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ، وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ، وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ، وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ وَيُرُوهُمْ آيَاتِ المقدرة: مِنْ سَقْفٍ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ، وَمِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ، وَمَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ، وَآجَالٍ تُفْنِيهِمْ، وَأَوْصَابٍ تُهْرِمُهُمْ، وَأَحْدَاثٍ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ**»[٢].

فالإمام ﷺ يؤسس لبناء تكاملي للبعثة لا يقتصر فيه على الجانب الديني منها كما في هذا النص فيوثق إنه تم بعث الرسل وأوتروا بالانبياء فعملية الإرسال وبالتواتر[٣] لابد ان يقابلها هدف وهذا الكلام موثقاً له الإمام ﷺ ومسند ذلك التوثيق هدف البعثة بأهداف وأسباب مر بعضها فيما سبق كالإحتجاج على الخلق وتأدية ميثاق الفطرة والتذكير بضروب النعم الإلهية لكن الجديد هنا هو الهدف

(١) ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة، ٤/ ١٢٧- ١٢٩؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٣/ ١١٩- ١٢٠؛ عبده، نهج البلاغة، ٢/ ١٣٨- ١٣٩؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٣/ ٥٦ .

(٢) نهج البلاغة، ص٢٦- ٢٧.

(٣) ينظر قوله تعالى ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا﴾ المؤمنون/ ٤٤.

العلمي يتمثل بإثارة العقول أي تفعيل اله العلم وهو العقل وإظهار كنوز من المعرفة العقلية المخفية من القدرات والاستعدادات المعرفية لمعرفة الذات والقدرة الإلهية إلى جانب إظهار العجز البشري في مقابل القدرة الإلهية[1] .

ولا تقتصر أهداف البعثة على الحياة الدنيا إنما هدفها الأساس هو الآخرة بل ان معطياتها في الحياة الدنيا لتكون حجة على الخلق في الآخرة فيوثق عليه السلام لذلك في قوله **«أَرْسَلَهُ دَاعِياً إِلَى الْحَقِّ وَشَاهِداً عَلَى الْخَلْقِ، فَبَلَّغَ رِسَالَاتِ رَبِّهِ غَيْرَ وَانٍ وَلَا مُقَصِّرٍ، وَجَاهَدَ فِي اللهِ أَعْدَاءَهُ غَيْرَ وَاهِنٍ وَلَا مُعَذِّرٍ. إِمَامُ مَنِ اتَّقَى، وَبَصِرَ [بصيرة] مَنِ اهْتَدَى»**[2].

فالتوثيق هو أسلوب وطريقة الرسول (صلى الله عليه وآله) في الرسالة من التبليغ بغير تقصير أو كسل فأنفذ كل حكم وتكليف وجاهد الأعداء من غير ضعف فلم يترك مجالاً للإنحراف يميناً أو يساراً وسبب ذلك وثّقهُ الإمام عليه السلام بتوثيق مستقبلي وهو الشهادة على الخلق[3] من الطاعة أو العصيان، وبتوثيق عقائدي وهو الدعوة إلى الحق[4]. النتيجة التي يمكن الخروج بها ان الهدف الآخر الذي يضيفه الإمام عليه السلام لأهداف البعثة هو الهدف المستقبلي بالشهادة على الخلق سواء بالكفر أو الإيمان لأنه لم يدع منفذاً في الوصول للأولى وتجنب الثانية إلا وطرقه بالتوضيح والإرشاد.

---

(١) حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ١/ ٣٦- ٣٨.

(٢) نهج البلاغة، ص٢٥٢- ٢٥٣.

(٣) ينظر قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ الأحزاب/ ٤٥- ٤٦، وقوله تعالى ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا * يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثًا﴾ النساء/ ٤١- ٤٢، وقول نبي الله عيسى ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ المائدة/ ١١٧.

(٤) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٧/ ٢٧٦- ٢٧٧؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٢/ ٣٠٨- ٣٠٩.

وهناك أهداف أخرى للبعثة وثّق لها الإمام (عليه السلام) ومنها التبشير والإنذار يقول (عليه السلام): «**حَتَّى بَعَثَ اللهُ مُحَمَّداً، صلى الله عليه وآله، شَهِيداً، وَبَشِيراً، وَنَذِيراً، خَيْرَ الْبَرِيَّةِ طِفْلًا، وَأَنْجَبَهَا كَهْلًا، أَطْهَرَ الْمُطَهَّرِينَ شِيمَةً، وَأَجْوَدَ الْمُسْتَمْطَرِينَ دِيمَةً**»[1]، فالتبشير بالجنة لمن أطاع والإنذار بالنار لمن عصى واستمر على ما كان عليه آباؤه هو موثق للغاية التي يريد إيصالها الإمام (عليه السلام) من فلسفة إرسال الرسول (صلى الله عليه وآله) مع التأكيد على أنه خير البشر من مولده إلى كهولته لم يقترف إثماً[2] وطاب خلقاً وكرما[3].

وفي المعنى نفسه أيضا قوله «**إِنَّ اللهَ بَعَثَ مُحَمَّداً صلّى الله عليْهِ و اِلِه وسلم نَذِيراً لِلْعَالَمِينَ، وَأَمِيناً عَلَى التَّنْزِيلِ**»[4] فالمعنى الأول درس فيما سبق وهو إرسال الرسول (صلى الله عليه وآله) من أجل إنذار أصحاب الكفر والمعاصي والسبب الآخر أمينا على التنزيل الإلهي من القران والوحي بدون زيادة أو نقصان[5]، المستفاد من ذلك ان الأمانة أو بالمعنى النقل والأداء والوساطة بين العناية الإلهية والبشر موثقاً لفلسفة إرسال الرسول (صلى الله عليه وآله).

كما وثق الإمام (عليه السلام) لأبعاد أخرى فلسفية دينية في غاية الروعة قائمة على الربط الدقيق بين المفاهيم والتعبير عن المسائل الفلسفية أو ما نعبر عنه في دراستنا بين الموثق والموثق له ومن هذه الأبعاد هو عمر النبي (صلى الله عليه وآله) فلماذا عمر الرسول (صلى الله عليه وآله) هذه المدة؟ ثم لماذا قبض إلى الرفيق الأعلى؟ ومن هنا يوثق الإمام (عليه السلام) لتلك

(١) نهج البلاغة، ٢١٧.

(٢) ينظر قوله تعالى (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) القلم/ ٤.

(٣) ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة (الكبير)، ٣/ ٢٤- ٢٥؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٢/ ١٤٦- ١٤٧؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٢/ ١٩٠- ١٩١؛ دخيل، شرح نهج البلاغة، ٩- ١٠/ ٤٨.

(٤) نهج البلاغة، ص٦٧ .

(٥) حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ١/ ١٤٤.

التساؤلات الفلسفية يقول عليه السلام: «**وَعَمَّرَ فِيكُمْ نَبِيَّهُ أَزْمَاناً، حَتَّى أَكْمَلَ لَهُ وَلَكُمْ -فِيمَا أَنْزَلَ مِنْ كِتَابِهِ- دِينَهُ الَّذِي رَضِيَ لِنَفْسِهِ؛ وَأَنْهَى إِلَيْكُمْ -عَلَى لِسَانِهِ- مَحَابَّهُ مِنَ الْأَعْمَالِ وَمَكَارِهَهُ، وَنَوَاهِيَهُ وَأَوَامِرَهُ، وَأَلْقَى إِلَيْكُمُ الْمَعْذِرَةَ، وَاتَّخَذَ عَلَيْكُمُ الْحُجَّةَ، وَقَدَّمَ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ، وَأَنْذَرَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذابٍ شَدِيد**»[1].

وهنا يوثق الإمام عليه السلام ان الرسول (صلى الله عليه وآله) عمر أزماناً، وقد يسأل سائل ان عمر الرسول (صلى الله عليه وآله) ولاسيما عند قيامه بالدعوة ثلاث وعشرون سنة ليس بالعمر المعتد فلماذا عمر الرسول (صلى الله عليه وآله) هذه المدة ولماذا أطلق عليه الإمام عليه السلام بأنه (صلى الله عليه وآله) عمر أزماناً؟

لكن يمكن القول ان الإمام عليه السلام موثقاً لفلسفة عمر الرسول (صلى الله عليه وآله) ولماذا أطلق عليه أزماناً موثقاً في انه (صلى الله عليه وآله) قد أكمل الدين فيما نزل من الكتاب والأحكام المنزلة فيه وأوصل إلى الخلق على لسانه(صلى الله عليه وآله) جميع الأعمال المحللة التي يحبها الله سبحانه وتعالى والأمور الأخرى المحرمة والمكروهة وأبلغ (صلى الله عليه وآله) جميع الأوامر والنواهي التي لا جدال فيها، ويمكن القول ان المحاباة أعم من الأوامر لأنها تشمل الأمور الواجبة والمستحبة وهذه جميعها بواجبها ومستحبها قد ابلغها الرسول (صلى الله عليه وآله) فقطع العذر وألقى الحجة بأن المخالفة لما ما بين يديه توجب العذاب الشديد[2].

ويمكننا أن نلتمس الأبعاد الفلسفية في الدين فيما تقدم من التوثيق بما يأتي:-

١- البعد الأول ما وثق له الإمام عليه السلام لمدة أجل النبي (صلى الله عليه وآله) بقوله انه عمر أزماناً ليس العمر المادي لأنه كعمر مادي قليل بل العمر المعنوي أزماناً، موثقاً للفلسفة من ذلك القول لأنه (صلى الله عليه وآله) أنهى جميع الأحكام الواردة في القرآن الكريم

(١) نهج البلاغة، ص١٥٥- ١٥٦.

(٢) حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٦/ ١٣١؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٢/ ٧- ٨؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٢/ ١٣- ١٤.

والسنة النبوية المتممة لذلك فجعل (عليه السلام) إكمال الدين هو القاعدة أو الفلسفة للقول بأنه عمر أزماناً، ومن ثم فإن البعد ليس في المقدار الزمني لعمر لنبي (صلى الله عليه وآله) لأنها قليلة بل ان الأعمال هي التي أعطت هذا التضخيم لمدة أجل النبي.

٢- البعد الثاني الذي نستدل عليه من التوثيق ان مدة أجل النبي (صلى الله عليه وآله) حجة على العباد لأنه تم استنفاذ جميع الأحكام.

٣- ان قول الإمام (عليه السلام) «أنزل من كتابه- دينه ... و أنهى إليكم -على لسانه- محابّه من الأعمال» يدل على ان الأحكام لم ترد جميعها في القرآن أو التفاصيل والمستجدات ليس في القرآن بل ان السنة النبوية هي المتممة له.

ويوثق الإمام (عليه السلام) لأبعاد فلسفية أخرى في الدين تمثلت في التأسي والإقتداء بالنبي (صلى الله عليه وآله) لكن هذه المرة ليس من جانب تربوي وإنما من جانب فلسفي، قال (عليه السلام) «**فَتَأَسَّى مُتَأَسٍّ بِنَبِيِّهِ، وَاقْتَصَّ أَثَرَهُ، وَوَلَجَ مَوْلِجَهُ، وَإِلَّا فَلَا يَأْمَنُ الْهَلَكَةَ، فَإِنَّ اللهَ جَعَلَ مُحَمَّداً -صلى الله عليه وآله- عَلَماً لِلسَّاعَةِ، وَمُبَشِّراً بِالْجَنَّةِ، وَمُنْذِراً بِالْعُقُوبَةِ. خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا خَمِيصاً، وَوَرَدَ الْآخِرَةَ سَلِيماً. لَمْ يَضَعْ حَجَراً عَلَى حَجَرٍ، حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ، وَأَجَابَ دَاعِيَ رَبِّهِ. فَمَا أَعْظَمَ مِنَّةَ اللهِ عِنْدَنَا حِينَ أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِهِ سَلَفاً نَتَّبِعُهُ، وَقَائِداً نَطَأُ عَقِبَه!**»[1].

في هذا النص يوثق الإمام (عليه السلام) أو يخبر انه لابد من التأسي والإقتداء بالنبي (صلى الله عليه وآله) والدخول مدخلة و الإ فلا منجاة من الهلاك الأخروي موثقاً لسبب ذلك القول أولاً لأن الله جعل الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) علماً للساعة[2] فمن خالفه يقدم

(١) نهج البلاغة، ص٣٣٤- ٣٣٥.

(٢) ينظر قوله تعالى ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ الأحزاب/ ٦٣.

على هلاك نفسه مع قرب الساعة، وثانياً مبشراً بالجنة لمن أطاع واقتدى وأخيراً العقوبة لمن كفر وعصى[1]، ومن ثم فإن فلسفة الاقتداء بالرسول (ﷺ) هو الأمان من الهلاك لأن بين يديه التبشير بالجنة لمن اتبع وبالنار لمن عصى، ويمكن القول:-

١- ان الإمام (عليه السلام) أراد ان يصل إلى حقيقية بالتوثيق لها ان عدم تقصي وإتباع ومخالفة سيرة الرسول (ﷺ) توجب الهلكة.

٢- أبعاد حياة الرسول (ﷺ) الاجتماعية التي تمثلت بأنه (ﷺ) لم يأكل الأطعمة الفاخرة ولم يسكن القصور بل خرج خميصاً ولم يضع حجر على حجر، النتيجة من ذلك ان الأكل والسكن ليس هدفاً بحد ذاته بل هو نتيجة .

٣- الهدف التربوي بالإقتداء بالنبي (ﷺ) وعدم الركون إلى الدنيا .

ولعل ما وثق له الإمام (عليه السلام) عن فلسفة الإقتداء بالنبي وفق مبادئ وضوابط تتعلق بأسلوب وطريقة النبي (ﷺ) بالدرجة الأساس ولا نعني بذلك ان النبوة أو الوحي هو الذي أكسبه وطبعة بهذه الصفات ولم يكن للرسول (ﷺ) نصيب منها بل على العكس من ذلك، وبعد هذه المقدمة البسيطة فالإمام (عليه السلام) يوثق في نص آخر من نهج البلاغة للإقتداء بالنبي (ﷺ) ولكن هذه المرة ليس بصيغة الأمر ولا لأمان من الهلكة بل لأن صفات الرسول (ﷺ) هي التي استحقت ذلك يقول(عليه السلام): «**فَهُوَإِمَامُ مَنِ اتَّقَى، وَبَصِيرَةُ مَنِ اهْتَدَى، سِرَاجٌ لَمَعَ ضَوْؤُهُ، وَشِهَابٌ سَطَعَ نُورُهُ وَزَنْدٌ بَرَقَ لَمْعُهُ؛ سِيرَتُهُ الْقَصْدُ، وَسُنَّتُهُ الرُّشْدُ، وَكَلَامُهُ الْفَصْلُ، وَحُكْمُهُ الْعَدْل**»[2]. وأبرز ما في هذا الطرح هو قول الإمام (عليه السلام) أن الرسول (ﷺ) هو إمام

(١) ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة (الكبير)، ٣/ ٢٨٧- ٢٨٨؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٢/ ٤٣٨؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٣/ ٤٥- ٤٦؛ دخيل، شرح نهج البلاغة، ١٥- ١٦/ ١٨- ١٩؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٢/ ٤٣٨.

(٢) نهج البلاغة، ص١٩٨.

لمن يتقي وبصيرة لمن يهتدي فهو قدوة للمتقين وتبصره للمهتدين والتوثيق هو هذا القول على ان هذا التوثيق موثق له في الفلسفة من ذلك القول فالرسول (ﷺ) سيرته القصد والإعتدال ليس في طرف الإفراط أو التفريط، وسنته الرشد لاغي فيها وكلامه فصل قاطع بين الحق والباطل لا تردد فيه وحكمة العدل لا ظلم أو انحراف فيها ولا يجور[1] .

يتضح ان فلسفة الإمام (عليه السلام) من ذلك التوثيق هي لبيان ان من يتبع سيرة الرسول (ﷺ) مما لاشك فيه فإنه يتبع الكمال بكل معنى لاستقامته (ﷺ) في كل أموره فمن اقتفى أثره فقد أصبح أهلاً لوراثته فالقاضي يرث العدل النبوي والقائد يرث الحنكة العسكرية والملكة الحربية والمعلم يرث التربية والسلوك والأمير تؤهله للعدل في حكمة والكاتب يرث البلاغة والعامل يرث النزاهة والدأب والعالم يرث الفقه والعلم وهكذا [2].

وبعد ما تقدم ننتقل إلى عنصر مهم وهو أبعاد الأطروحة الإلهية في بساطة حياة الأنبياء فلابد ان يكون وراء ذلك مدى لا يتسنى إدراكه أو قد يكون مغيب عن الفكر، فيعرفنا بالتوثيق الإمام (عليه السلام) على حكمة هذا السر الغيبي والقرار الإلهي ومما لاشك وإضافة إلى الحكمة والفلسفة الإلهية فيه فإن تلك الخصاصة من أجل تربية الإنسان المؤمن على الخلق الإسلامي برفض أسباب الترف والدعة وبهذا نجد التكامل بين ما تقدم وبين تقتير رزق الأنبياء، وأول ما ابتدأ به الإمام

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٧/ ٦٤؛ ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة (الكبير)، ٢/ ٣٩٧- ٣٩٨؛ حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٧/ ١١٠- ١١١؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٢/ ١٠٤- ١٠٥؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٢/ ١٣٢؛ دخيل، شرح نهج البلاغة، ٩- ١٠/ ١٢ .

(٢) البدراني، حقيقة الإسلام، ص١٠٣- ١٠٤ .

عليه السلام التوثيق بحادثة تاريخية وهي قصة نبي الله موسى وفرعون كنموذج وعينية تحتوي باقي الأنبياء لكن تناولها على المستوى الضيق فطبيعتها تتسع لتنطبق على الجميع[١]، يقول عليه السلام « **...فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ الْمُسْتَكْبِرِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ بِأَوْلِيَائِهِ الْمُسْتَضْعَفِينَ فِي أَعْيُنِهِمْ. وَلَقَدْ دَخَلَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ وَمَعَهُ أَخُوهُ هَارُونُ -عليهما السلام- عَلَى فِرْعَوْنَ، وَعَلَيْهِمَا مَدَارِعُ الصُّوفِ، وَبِأَيْدِيهِمَا الْعِصِيُّ، فَشَرَطَا لَهُ -إِنْ أَسْلَمَ- بَقَاءَ مُلْكِهِ، وَدَوَامَ عِزِّهِ [سلطانه]؛ فَقَالَ: (أَلَا تَعْجَبُونَ مِنْ هَذَيْنِ يَشْرُطَانِ لِي دَوَامَ الْعِزِّ، وَبَقَاءَ الْمُلْكِ؛ وَهُمَا بِمَا تَرَوْنَ مِنْ حَالِ الْفَقْرِ وَالذُّلِّ، فَهَلَّا أُلْقِيَ عَلَيْهِمَا أَسَاوِرُ مِنْ ذَهَبٍ)؟ إِعْظَاماً لِلذَّهَبِ وَجَمْعِهِ، وَاحْتِقَاراً لِلصُّوفِ وَلُبْسِهِ!**»[٢].

من خلال النص المتقدم فإن هذه الحادثة التاريخية التي يذكرها الإمام عليه السلام وهي دخول موسى بن عمران وأخيه هارون على فرعون وما هم عليه من ملبس الصوف وفي أيديهما العصي[٣] واستهزاء فرعون بهما لأنه كان يمثل الثروة في مقابل الفقر والرصيد العسكري وموسى لا يمتلك سوى أخيه وعصاه في يده فاستكباره

(١) ومن الأمثلة نبينا محمد صلى الله عليه وآله التي هي تماما كقصة نبي الله موسى باستهزاء قومه به ما عدا اختلاف الزمن والأشخاص إذ قالوا له ما ينبغي لرسول رب العالمين أن يكون بشراً مثلنا يأكل ويشرب ويمشي في الأسواق فهذا ملك الروم وملك الفرس لا يبعثان رسولاً إلا كثير المال عظيم الحال له قصور ودور وعبيد وخدام وفساطيط وخيام بشر وما أنت إلا رجل مسحور ولست بنبي ولو أراد الله ان يبعث لبعث من أكثر فينا مالاً وأحسن حالاً فهل انزل هذا القرآن الذي تزعم على رجل من القريتين إما الوليد بن المغيرة بمكة أو عروة بن مسعود الثقفي بالطائف، الطبرسي، الاحتجاج، ١/ ٢٦- ٢٧، والمثال الآخر قوم ثمود وهم كذلك النموذج نفسه من الإستهزاء لأن التقييم كان لدى هؤلاء الأقوام المال والقوة فكذبوا نبي الله صالحاً بقولهم ﴿فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ * أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾ القمر/ ٢٤- ٢٥ فهو شخص مثلنا ليست له أي امتيازات ليصبح زعيماً وقائداً نطيعه فلا يمتلك مالاً وفيراً ولا نسباً رفيعاً،مع وجود شخصيات أكثر قوة، الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ١٧/ ٣٢٤- ٣٢٥.

(٢) نهج البلاغة، ص٤٣٦- ٤٣٧.

(٣) ينظر في ذلك الطبري، تاريخ الطبري، ١/ ٢٨٥- ٢٨٦.

وتعجبه من الشرط بدوام العزة والملك بإسلامه لاعتقاده ان مبدأ التمكن من ذلك الشرط والوفاء به الثروة فاحتقرهما، فهذه هي الأفكار التي يوثق لها الإمام ﷺ فمما لاشك فيه ان هناك دوافع وعوامل إلهية في المقام الأول حددت له الإتجاهات وجعلته يتحرك نحوى فرعون قبل خلق قاعدة وهذا ما يوثق له الإمام ﷺ بتوثيق عقائدي وهو الإختبار[1] فالله سبحانه يختبر عبادة المستكبرين بأوليائه المستضعفين في أعين هؤلاء المستكبرين[2]، أي المستفاد من ذلك ان الأبعاد الإلهية في ما كان عليه نبي الله موسى من الفقر من أجل اختبار المستكبرين ولا يمكن ان يتحقق ذلك إذ كان موسى ﷺ في الدرجة نفسها من الثراء فيبطل شرط الإبتلاء والإختبار، ويمكن القول بالإضافة إلى ما سبق:

١- ان أبعاد الأطروحة الإلهية بفقر الأنبياء وتقتير أرزاقهم وما هم عليه من الضعف في أعين الآخرين الذين الذهب معيارهم، وإلّا هم ليسوا كذلك لأنهم أولياء الله، من أجل الإختبار.

٢- يلاحظ ان الرسالات السماوية عندما يأتي بها نبي لم تقضِ على الزعامات والرئاسات السياسية لكن في المقابل تضع لديها قاعدة ان دوام تلك الرئاسة مشروط بالإسلام.

---

(١) إن الإختبار شرط ضروري ومكمل للإيمان بل من أجل التمحيص وما ذكره الإمام (عليه السلام) عن أنواع الإختبارات إنما هي نماذج معينة، كما الإختبارات لا تقتصر على فترة زمنية وقد عبر القرآن عن ذلك بالفتنة ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ العنكبوت/ ٢- ٣ فلأتحد بزمن فمجتمع الرسول (صلى الله عليه وآله) تعرض للعديد من الاختبارات وكذا بقية الأزمان وينبغي الإشارة إلى إنا اليوم كذلك في زمن اختبار، اختبار الغيبية.

(٢) ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة (الكبير)، ٤/ ٢٧٢- ٢٧٣؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٣/ ٣٠٨- ٣٠٩.

٣- الأبعاد التربوية التعليمية في النص بعدم الإنخداع أو الإستهانة بالمظاهر إذ لا الفقر دليل الذلة ولا الغنى دليل العزة.

٤- منظار المستكبرين منظار ضيق قائم على العنصر المادي لذلك فإن أول عمل للأنبياء هو تفسيخ تلك المفاهيم واستبدالها بقيم السماء.

ومن ملاحظة ما تقدم من التوثيق يبدو وبصورة واضحة إن ما كان عليه موسى(عليه السلام) من زي الفقراء لأجل تحقيق هدف الإختبار الذي هو هدف أساس وخصيصة لكل نبي وجوهر القضية في تحركاتهم وكل عمل تغيري وهو طريق التكامل بين الدنيا والآخرة وفق موازين العدالة الإلهية، فضلاً عن الهدف الاخر وهو التفضيل بين البشر. يقول الإمام ﷺ في هذا المنطلق: «**وَلَوْ أَرَادَ اللهُ سُبْحَانَهُ لِأَنْبِيَائِهِ إِذ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ الذِّهْبَانِ، وَمَعَادِنَ الْعِقْيَانِ، وَمَغَارِسَ الْجِنَانِ، وَأَنْ يَحْشُرَ مَعَهُمْ طُيُورَ السَّمَاءِ وَوُحُوشَ الْأَرْضِ لَفَعَلَ، وَلَوْ فَعَلَ لَسَقَطَ الْبَلَاءُ، وَبَطَلَ الْجَزَاءُ، وَاضْمَحَلَّتِ الْأَنْبَاءُ، وَلَمَا وَجَبَ لِلْقَابِلِينَ أَجُورُ الْمُبْتَلَيْنَ، وَلَا اسْتَحَقَّ الْمُؤْمِنُونَ ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ، وَلَا لَزِمَتِ الْأَسْمَاءُ مَعَانِيَهَا. وَلَكِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ رُسُلَهُ أُولِي قُوَّةٍ فِي عَزَائِمِهِمْ، وَضَعَفَةً فِيمَا تَرَى الْأَعْيُنُ مِنْ حَالَاتِهِمْ، مَعَ قَنَاعَةٍ تَمْلَأُ الْقُلُوبَ وَالْعُيُونَ غِنًى، وَخَصَاصَةٍ تَمْلَأُ الْأَبْصَارَ وَالْأَسْمَاعَ أَذًى. وَلَوْ كَانَتِ الْأَنْبِيَاءُ أَهْلَ قُوَّةٍ لَا تُرَامُ، وَعِزَّةٍ لَا تُضَامُ، وَمُلْكٍ تَمْتَدُّ نَحْوَهُ أَعْنَاقُ الرِّجَالِ، وَتُشَدُّ إِلَيْهِ عُقَدُ الرِّحَالِ، لَكَانَ ذَلِكَ أَهْوَنَ عَلَى الْخَلْقِ فِي الِاعْتِبَارِ، وَأَبْعَدَ لَهُمْ مِنَ الِاسْتِكْبَارِ [الاستكثار]، وَلَآمَنُوا عَنْ رَهْبَةٍ قَاهِرَةٍ لَهُمْ، أَوْ رَغْبَةٍ مَائِلَةٍ بِهِمْ، فَكَانَتِ النِّيَّاتُ مُشْتَرَكَةً، وَالْحَسَنَاتُ مُقْتَسَمَةً. وَلَكِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ الِاتِّبَاعُ لِرُسُلِهِ، وَالتَّصْدِيقُ بِكُتُبِهِ، وَالْخُشُوعُ لِوَجْهِهِ، وَالِاسْتِكَانَةُ لِأَمْرِهِ، وَالِاسْتِسْلَامُ لِطَاعَتِهِ، أُمُوراً لَهُ خَاصَّةً، لَا تَشُوبُهَا مِنْ غَيْرِهَا شَائِبَةٌ وَكُلَّمَا كَانَتِ الْبَلْوَى وَالِاخْتِبَارُ أَعْظَمَ كَانَتِ الْمَثُوبَةُ وَالْجَزَاءُ أَجْزَلَ**»[1].

(١) نهج البلاغة، ص٤٣٧- ٤٣٨.

فالتوثيق الذي يريده هذا النص هو ان الله سبحانه بعث الأنبياء من ضعف وخصاصة ولو أراد الله لجعل لهم الثروة والملك وان فعل ذلك سقط البلاء فلم يعد هناك امتحان للخلق وسقط جزاء الإتباع عن صدق نية واضمحلت الإنباء السماوية سواء بالوعيد أو التزهيد في الدنيا والترغيب بالآخرة كما قال بعض الشارحين أو إخبار الأنبياء كما قال القسم الآخر ولم يعد هناك ثواب وتفضيل بين المبتلين الممتحنين المعذبين والقابلين والمؤمنين والمحسنين، فهذه الأسباب من سقوط البلاء والأجر والتكريم، المرتبطة بالانبياء أو بالأدق بفقر الأنبياء هي مقصد التوثيق الذي يريد أن يصل إليه الإمام ﷺ لذلك أتى بالموثق له وهو التوثيق الفلسفي فلو كان الأنبياء أهل عزة وملك لآمن الناس إما عن رهبة من القوة والسطوة أو رغبة وطمعاً في نيل المكاسب فتكون النية واحدة عند الصنفين والحسنات مشتركة أيضا بدون تفضيل كما تكون أقل تأثيراً في الإعتبار وأبعد في الإستكبار أي لم يتحقق شرط الإختبار لعدم وجود المستكبرين فكلما كان الإبتلاء أعظم كلما كان الإيمان أشكل والثواب أجزل[1]. ومن ثم فالنتيجة من ذلك ان سبب انتفاء الإبتلاء في حال كون الأنبياء من القوة المادية كما في الموثق له لأن الناس ستؤمن إما رغبة في تلك الثروة أو رهبة وينبغي بذلك التفضيل بينهم.

كما يوثق لنا الإمام ﷺ لجانب من جوانب الإمتنان الإلهي على البشر باستثمار الحسنات أو توازن الكفة الإقتصادية في المجتمعات ذات الفوارق الطبقية ونقصد بذلك فلسفة الحج والأهمية الجغرافية لوجود البيت الحرام في مكة، يقول الإمام

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٣/ ١٥٣- ١٥٥؛ السرخسي، إعلام نهج البلاغة، ص٢١٤؛ حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ١١/ ٣٣٤- ٣٣٨؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٣/ ١٩٤- ١٩٧؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٣/ ٣٠٩- ٣١١؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٣/ ١٢٥- ١٢٧.

عـلي عليه السلام: «أَلَا تَـرَوْنَ أَنَّ اللهَ سُـبْحَانَهُ، اخْتَـبَرَ الْأَوَّلِـينَ مِـنْ لَـدُنْ آدَمَ صلـوات الله عليـه، إِلَى الْآخِرِيـنَ مِـنْ هَـذَا الْعَـالَمِ؛ بِأَحْجَـارٍ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَـعُ، وَلَا تُبْصِرُ وَلَا تَسْـمَعُ فَجَعَلَهَـا (بَيْتَـهُ الْحَـرَامَ الَّـذِي جَعَلَـهُ لِلنَّـاسِ قِيَامـاً). ثُـمَّ وَضَعَـهُ بِأَوْعَـرِ بِقَـاعِ الْأَرْضِ حَجَـراً، وَأَقَـلِّ نَتَائِـقِ الدُّنْيَـا مَـدَراً، وَأَضْيَـقِ بُطُـونِ الْأَوْدِيَـةِ قُطْـراً. بَـيْنَ جِبَـالٍ خَشِـنَةٍ، وَرِمَـالٍ دَمِثَـةٍ، وَعُيُـونٍ وَشِـلَةٍ، وَقُـرًى مُنْقَطِعَـةٍ؛ لَا يَزْكُـو بِهَـا خُـفٌّ، وَلَا حَافِـرٌ وَلَا ظِلْـفٌ. ثُـمَّ أَمَـرَ آدَمَ عليه السلام وَوَلَـدَهُ أَنْ يَثْنُـوا أَعْطَافَهُـمْ [اغطافهم] نَحْـوَهُ، فَصَـارَ مَثَابَـةً لِمُنْتَجَـعِ أَسْـفَارِهِمْ، وَغَايَـةً لِمُلْقَـى رِحَالِهِـمْ. تَهْـوِي إِلَيْـهِ ثِمَـارُ الْأَفْئِـدَةِ مِـنْ مَفَـاوِزِ قِفَـارٍ سَـحِيقَةٍ، وَمَهَـاوِي فِجَـاجٍ عَمِيقَـةٍ، وَجَزَائِـرِ بِحَـارٍ مُنْقَطِعَـةٍ، حَتَّـى يَهُـزُّوا مَنَاكِبَهُـمْ ذُلُـلًا يُهَلِّلُـونَ [يهلـون] لله حَوْلَـهُ، وَيَرْمُلُـونَ عَـلَى أَقْدَامِهِـمْ شُـعْثاً غُـبْراً لَـهُ. قَـدْ نَبَـذُوا السَّرَابِيـلَ وَرَاءَ ظُهُورِهِـمْ، وَشَـوَّهُوا بِإِعْفَـاءِ الشُّـعُورِ مَحَاسِـنَ خَلْقِهِـمُ، ابْتِـلَاءً عَظِيـماً، وَامْتِحَانـاً شَـدِيداً، وَاخْتِبَـاراً مُبِينـاً، وَتَمْحِيصـاً بَلِيغـاً، جَعَلَـهُ اللهُ سَـبَباً لِرَحْمَتِـهِ، وَوُصْلَـةً إِلَى جَنَّتِـه»[1].

فيوثـق الإمـام عليه السلام للفلسـفة وجـود بيـت الله الحـرام في مكـة في قولـه وضعـه بأوعـر بقـاع الأرض حجـراً وأقـل مـدراً وأضيـق قطـراً أي في بيئـة جغرافيـة صعبـة جـداً، قليلـة الأمطـار قليلـة الـزرع الأرض وعـرة بـين جبـال خشـنة أو رمـال حتـى ان طـرق المواصـلات آنـذاك لا تنفـع بهـا صعبـة الحركـة والعمـل كـما ان حيواناتهـا لا تنمـو وتسـمن وقـرى بعيـدة بعضهـا عـن الأخـرى[2] التي قـد توفـر الدعـم للحجـاج، فـما هـي الفلسـفة مـن ذلـك؟ والغايـة مـن تلـك العبـادة الصعبـة؟ ولابـد مـن القـول وكـما تعرفنـا فيـما سـبق ان الإمـام عليه السلام لا يعطـي التوثيـق مـن غـير ان يكـون هنـاك توثيـق لـه يدعمـه ويفلسـف السـبب والموثـق لـه في هـذا النـص الـذي يقدمـه الإمـام عليه السلام هـو اختبـار الله سـبحانه العبـاد مـن آدم عليه السلام إلى يـوم النـاس بالحـج الـذي جعلـه قيامـاً أي

(١) نهج البلاغة، ص٤٣٨- ٤٤٠.

(٢) ينظر حميد سراج جابر، الفكر الاختباري، ص٢٣٥- ٢٣٦.

مقيماً لأحوالهم في الآخرة بعد الإختبار، ومقيما لأحوالهم الدنيوية المادية والمعنوية فالإمام ﷺ هدف من التوثيق الذي هو العملية الصعبة في أداء تلك العبادة التي في حقيقتها أصل من أصول الدين موثقاً لها بتوثيق عقائدي وهو الإختبار فالعناية الإلهية تختبر وتمتحن وتمحص العباد بتلك البيئة الجغرافية الصعبة [١]. ومن المفهوم المتقدم ومن مفهوم النص يمكن الخروج بعدة جوانب:

١- الجانب العقائدي وهو المحور الذي قام عليه التوثيق ففلسفة الحج وفلسفة تلك البيئة من أجل إختبار العباد، أيضا ان البيئة الجغرافية تكون جزء من عمليات اختبار المسلم.

٢- الجانب التاريخي في النص وهو تاريخ أماكن العبادة وتاريخ بنيان الكعبة والبدايات الأولى للحج منذ زمن نبينا آدم ﷺ [٢] .

٣- الجانب العلمي الذي يتمثل بالتقرير الجغرافي المفصل لمكة سواء من حيث الموارد الطبيعية آو البيئة[٣].

٣- الجانب الفقهي الأحكام والمسائل المنتخبة واجبات ومستحبات الحج التي ذكرها الإمام ﷺ «يهزّوا مناكبهم ... يهلّلون لله حوله ... يرملون على أقدامهم ... نبذوا السّرابيل ... و شوّهوا بإعفاء الشّعور محاسن خلقهم» .

---

(١)ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة، ٤/ ٢٧٨- ٢٨١؛ حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ١١/ ٣٣٩- ٣٤٠؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٣/ ٣١٥- ٣١٦؛ دخيل، شرح نهج البلاغة، ١٩- ٢٠/ ٣٨- ٣٩.

(٢)ورد في المصادر التاريخية ان الله سبحانه أهبط آدم إلى الأرض ثم قال له ابن لي بيتاً ثم احفف كما رأيت الملائكة تحف في السماء، فبنى آدم البيت، ابن إسحاق، السير والمغازي، ص٧٢؛ الصنعاني، المصنف، ٥/ ٩٢؛ ألأزرقي، إخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ١/ ٣٦؛ ابن أبي شيبة، كتاب العرش، ص٧٠؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١/ ٣٨.

(٣) حميد سراج جابر، الفكر الاختباري، ص٢٣٤- ٢٣٩.

٤- قول الإمام عليه السلام (مثابة لمنتجع أسفارهم) يدل على دور العناية الإلهية بتعويض تلك البيئة الجغرافية الصعبة بمورد اقتصادي.

وقد يسأل سائل ما هي الفلسفة من ذلك الإختبار بتلك الأحجار التي قيمتها المعنوية فاقت القيمة المادية؟ فيوثق الإمام عليه السلام لذلك التساؤل، فبما ان الإيمان بالأنبياء هو لتفضيل البشر فإن الفلسفة من الإختبار بتلك الأحجار لمضاعفة التفضيل، يقول عليه السلام **«أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ، اخْتَبَرَ الْأَوَّلِينَ مِنْ لَدُنْ آدَمَ صلوات الله عليه، إِلَى الْآخِرِينَ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ؛ بِأَحْجَارٍ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَا تُبْصِرُ وَلَا تَسْمَعُ ... وَلَوْ أَرَادَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَضَعَ بَيْتَهُ الْحَرَامَ، وَمَشَاعِرَهُ الْعِظَامَ، بَيْنَ جَنَّاتٍ وَأَنْهَارٍ، وَسَهْلٍ وَقَرَارٍ، جَمِّ الْأَشْجَارِ، دَانِي الثِّمَارِ، مُلْتَفَّ الْبُنَى،مُتَّصِلِ الْقُرَى، بَيْنَ بُرَّةٍ سَمْرَاءَ، وَرَوْضَةٍ خَضْرَاءَ، وَأَرْيَافٍ مُحْدِقَةٍ، وَعِرَاصٍ مُغْدِقَةٍ، وَرِيَاضٍ نَاضِرَةٍ، وَطُرُقٍ عَامِرَةٍ، لَكَانَ قَدْ صَغَّرَ قَدْرَ الْجَزَاءِ عَلَى حَسَبِ ضَعْفِ الْبَلَاءِ. وَلَوْ كَانَتِ الْإِسَاسُ الْمَحْمُولُ عَلَيْهَا، وَالْأَحْجَارُ الْمَرْفُوعُ بِهَا، بَيْنَ زُمُرُّدَةٍ خَضْرَاءَ، وَيَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ، وَنُورٍ وَضِيَاءٍ، لَخَفَّفَ ذَلِكَ مُصَارَعَةَ[مضارعة] الشَّكِّ فِي الصُّدُور، وَلَوَضَعَ مُجَاهَدَةَ إِبْلِيسَ عَنِ الْقُلُوبِ، وَلَنَفَى مُعْتَلَجَ الرَّيْبِ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنَّ اللهَ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ بِأَنْوَاعِ الشَّدَائِدِ، وَيَتَعَبَّدُهُمْ بِأَنْوَاعِ الْمَجَاهِدِ، وَيَبْتَلِيهِمْ بِضُرُوبِ الْمَكَارِهِ، إِخْرَاجاً لِلتَّكَبُّرِ مِنْ قُلُوبِهِمْ، وَإِسْكَاناً لِلتَّذَلُّلِ فِي نُفُوسِهِمْ، وَلِيَجْعَلَ ذَلِكَ أَبْوَاباً فُتُحاً إِلَى فَضْلِهِ، وَأَسْبَاباً ذُلُلًا لِعَفْوِه»**[1].

في هذا النص تفصيلاً للفلسفة من ذلك الإختبار بتلك العبادة إذ يوثق الإمام عليه السلام ان الله سبحانه اختبر بأحجار لا تضر ولا تنفع ولو أراد الله سبحانه ان يضع البيت الحرام في أجمل الأماكن لفعل لكن لو فعل ذلك لم يكن هناك جزاء

(١) نهج البلاغة، ص٤٣٨، ٤٤٠- ٤٤١.

بضعف البلاء ولم تكن هناك عملية جهاد مع إبليس فالله سبحانه يختبر بأنواع الشدائد تلك التي كانت تقاس في سبيل الحج ويبتلي بضروب المكاره، والإمام ﷺ بذلك يريد ان يثبت فكرة من هذا التوثيق أو ثقافة ان هذا الإختبار له هدف في أطروحة العناية الإلهية موثقاً له بتوثيق علمي نفسي وهو إخراج التكبر من نفوسهم بالمعنى ان الشدائد والإختبارات التي تقاس ويتعرض لها المسلم في سبيل الحج تخرج التكبر من النفوس وبتوثيق ديني مرة أخرى ليكون ذلك باباً لفضله وسبباً للعفو عن السيئات فهذه السلسلة من تلك الإختبارات والتحمل تكون نتيجتها العفو والفضل من الله سبحانه[1].

بالنتيجة ان الأهداف الكامنة من وراء ذلك التوثيق ان الإمام ﷺ أصل لفكرة ان فلسفة الحج والغاية من الإختبارات من اجل تصحيح القاعدة الأخلاقية للفرد وأبعاد تأثيرها على المجتمع وتحويل الإدراك العقلي إلى إدراك وجداني بحيث يسكن التذلل في النفوس، والهدف الآخر الذي يرسخه الإمام ﷺ هو وسيلة العلاج للخطايا الذي يمثله الحج بإختباراته وهذا كله يؤدي إلى زيادة فضيلة الإنسان.

النموذج الفلسفي التاريخي الآخر المرتبط بالأبعاد الدينية الذي يوثقه له هو الدين الإسلامي وتفضيله على سائر الشرائع على ان الأفضلية من الله سبحانه وليس من البشر[2] ومما لا شك فيه ولا جدل ان سبب تلك الأفضلية من أجل مصلحة الإنسان في المقام الأول والأخير، يقول ﷺ انطلاقاً من ذلك: «**أَرْسَلَهُ بِحُجَّةٍ كَافِيَةٍ، وَمَوْعِظَةٍ شَافِيَةٍ، وَدَعْوَةٍ مُتَلَافِيَةٍ. أَظْهَرَ بِهِ الشَّرَائِعَ الْمَجْهُولَةَ، وَقَمَعَ بِهِ الْبِدَعَ الْمَدْخُولَةَ، وَبَيَّنَ**

(١) ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة، ٤/ ٢٨٢- ٢٨٣؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٣/ ٣١٧- ٣١٨.

(٢) ينظر قوله تعالى ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلاَمُ﴾ آل عمران/ ١٩ وقوله تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ المائدة/ ٣.

بِهِ الْأَحْكَامَ الْمُفْصُولَةَ، فَ﴿مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً﴾[1] تَتَحَقَّقْ شِقْوَتُهُ، وَتَنْفَصِمْ عُرْوَتُهُ، وَتَعْظُمْ كَبْوَتُهُ، وَيَكُنْ مَآبُهُ إِلَى الْحُزْنِ الطَّوِيلِ وَالْعَذَابِ الْوَبِيلِ [الشديد]»[2].

يوثق الإمام عليه السلام لقانون مستمد من القرآن غير قابل للمناقشة أو التغير وهو اتخاذ الإسلام ديناً ومن يتبع غير الإسلام ديناً تتحقق شقوته في الدنيا والآخرة وتفصم عروته محل استمساكه وتعظم سقطاته في مشكلات الحياة ويكون مصيره مع كل ذلك حزن طويل لا انقضاء له وعذاب وبيل، غير ان تلك الحقيقية الإلهية التي يوثق لها الإمام عليه السلام وهي عدم سعادة البشرية إلا بمنهج الإسلام[3] عالجها من جذورها التاريخية في الموثق له الذي يسند ذلك التوثيق فجاء عليه السلام بالموثق له التاريخي وهو إرسال رسول بأدلة وبراهين أولاً وثانياً ان بذلك الإرسال قمع كل البدع التي أدخلت على باقي الشرائع واظهر عدم صلاحيتها لأنها ليست الديانة الأصلية إنما محرفة واظهر الشريعة المجهولة والتي تبشر بالإسلام، ثالثاً أنه بين جميع الأحكام المفصولة غير الموجود في بقية الشرائع ففصلها جميعها في الدين الإسلامي ونسخ بعضها[4]، ومن التوثيق نخرج بما يلي:

١- إتباع غير الدين الإسلامي يؤدي إلى فساد في المنظومة الإجتماعية وفي مختلف جوانبها السياسية والإجتماعية والثقافية والروحية وما إلى ذلك لأن الله شرع في الدين الإسلامي أحكاماً وقائية للمجتمع.

٢- أظهر الإسلام الشرائع المجهولة وبين الإنحرافات التي أدخلت عليها.

(١) آل عمران/ ٨٥ .

(٢) نهج البلاغة، ص٣٣٦.

(٣) القرني، المعجم الموضوعي لنهج البلاغة، ص٢٨ .

(٤) الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٣/ ٥٢- ٥٣؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٢/ ٤٤١- ٤٤٢؛ دخيل، شرح نهج البلاغة، ١٥- ١٦/ ٢١- ٢٢؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٢/ ٤٤١- ٤٤٢.

ونجد ان الإمام (عليه السلام) وثق لموضوع آخر في نهج البلاغة لا يخرج عن إطار عنواننا على أن هذا الموضوع من أخطرها وهو الفرق التي ظهرت وربما نجد أن الإمام (عليه السلام) وضع يده على حقيقية أو أبعاد لفلسفة اختلاف هذه الفرق يقول (عليه السلام): «**فَيَا عَجَباً! وَمَا لِيَ لَا أَعْجَبُ مِنْ خَطَإِ هَذِهِ الْفِرَقِ عَلَى اخْتِلَافِ حُجَجِهَا فِي دِينِهَا! لَا يَقْتَصُّونَ أَثَرَ نَبِيٍّ، وَلَا يَقْتَدُونَ بِعَمَلِ وَصِيٍّ، وَلَا يُؤْمِنُونَ بِغَيْبٍ، وَلَا يَعِفُّونَ عَنْ عَيْبٍ، يَعْمَلُونَ فِي الشُّبُهَاتِ، وَيَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ. الْمَعْرُوفُ فِيهِمْ مَا عَرَفُوا، وَالْمُنْكَرُ عِنْدَهُمْ مَا أَنْكَرُوا، مَفْزَعُهُمْ فِي الْمُعْضِلَاتِ إِلَى أَنْفُسِهِمْ، وَتَعْوِيلُهُمْ فِي الْمُهِمَّاتِ [المبهمات] عَلَى آرَائِهِمْ، كَأَنَّ كُلَّ امْرِئٍ مِنْهُمْ إِمَامُ نَفْسِهِ، قَدْ أَخَذَ مِنْهَا فِيمَا يَرَى بِعُرًى ثِقَاتٍ [وثيقات وموثقات]، وَأَسْبَابٍ مُحْكَمَاتٍ**»[1].

التوثيق في هذا النص لفرق دينية[2] ظهرت في زمن الإمام (عليه السلام) أو قد تكون قبله يوثق فيها الإمام (عليه السلام) انه لا يمكن التعجب من خطإ واختلاف هذه الفرق مع

---

(١) نهج البلاغة، ص١٦٢.

(٢) ان هناك عدداً من الخلافات والحوادث كانت بداية التصدع والفرق بين المسلمين حدد نشوءها منذ زمن الرسول (صلى الله عليه وآله) تمثل أول خلاف عند عدم الإمتثال لأوامر الرسول (صلى الله عليه وآله) عندما قال ائتوني بدواة وقلم، الخلاف الثاني التخلف عن جيش أسامة، ويعد الشهرستاني هذين الإختلافين ليست خلافات مؤثرة في أمر الدين كما ان غرضها إقامة مراسم الشرع، الملل والنحل، ١/ ٢٢-٢٣ لكن يمكن القول لو كتب الرسول (صلى الله عليه وآله) كتاب لم يحدث الإختلاف في السقيفة، ومن ثم كيف يمكن عدها خلافات غير مؤثرة في الدين، فضلاً عن خلافات أخرى متتابعة كالاختلاف في الإمامة وتنصيص على عمر والشورى وحرب الجمل وصفين والخوارج، وان هذه الخلافات جميعها تمخض عنها مواقف ومعتقدات كان لها الدور الفاعل في نشوء الفرق، ومن الفرق التي برزت كفرقة لها مرتكزاتها الخاصة وليس مجرد قاعدة قامت عليها فرق فيما بعد ظهرت في زمن الإمام (عليه السلام) منهم الروافض ولا سيما السبئية الذين ظهروا في زمان الإمام (عليه السلام) الذين ألهوا علياً (عليه السلام) فحرق قسم منهم ونفى رئيسهم ابن سبأ إلى المدائن،الفرقة الأخرى هي الخوارج الذين افترقوا فيما بعد إلى عشرين فرقة كل واحدة تكفر سائرها،البغدادي، الفرق بين الفرق، ص١٩-٢٨.

مختلف المسميات والحجج التي اتخذتها وقد يتساءل عن سبب ذلك هذه التفرقة والتناقض فيها لكن الإمام ﷺ مسند هذا التوثيق وموثقاً له بتوثيق علمي وهو عدم وجود أساس وقاعدة علمية تتخذها هذه الفرق فلا يقتصون أثر نبي ولا يقتدون بعمل وصي ولم تكن لهم قاعدة إيمانية تردعهم فهم لا يؤمنون بالغيب سلوكهم الطرائق المعقدة التي لا يعلم حلالها من حرامها تسيرهم شهواتهم فقدانهم ميزان الحق والباطل وهو الميزان الشرعي واستخدموا ميزان الذات والشهوات المرجع العلمي الذي يرجعون إليه عند المعضلات أنفسهم وليس قانون الشريعة لا يمتلكون ثقافة الحوار وتبادل الآراء بل ان في المبهمات يعتمدون على آرائهم وعقولهم الفاسدة كان كل منهم لديه نصوص جلية وظواهر واضحة لايضل من تمسك بها فهم كل منهم إمام نفسه ليس له مرجع يرجع إليه ويقتدي بقوله[1]. وبعد التعرف على التوثيق والموثق له يمكن ان طرح بعض النقاط:-

١- يوثق الإمام ﷺ للتناقض والإختلاف والخطأ للفرق التي ظهرت موثقاً للأبعاد الفلسفية من ذلك الإختلاف لأنهم لا يهتدون بأثر نبي ولا يقتصون عمل وصي.

٢- ان السمات العامة لهذه الفرق ليس لديها قاعدة واستقرار فكري أو عقائدي.

٣- الإنغلاق الفكري على أنفسهم واعتمادهم على عقليتهم الفاسدة ولاسيما إذا علمنا ان أمور الدين ثابتة وقطعية في الكتاب والسنة وعمل الوصي الذي يستمد شرعيته من الموصي به.

---

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٦/ ٣٨٦؛ ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة (الكبير)، ٢/ ٣٠٧-٣٠٩؛ حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٦/ ٢٤٧- ٢٤٩؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة ٢/ ٣٩- ٤١؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٢/ ٢٥- ٢٦؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ١/ ٤٤٥- ٤٤٦.

وهناك أمر آخر نال نصيباً من التوثيق في نهج البلاغة هو فلسفة البدع التي ظهرت ودورها في الإنقسام[1] ومدى انسجامها مع المعطيات التي نادى بها، الإسلام يقول عليه السلام «**إِنَّ اللهَ بَعَثَ رَسُولًا هَادِياً بِكِتَابٍ نَاطِقٍ وَأَمْرٍ قَائِمٍ، لَا يَهْلِكُ عَنْهُ إِلَّا هَالِكٌ. وَإِنَّ الْمُبْتَدَعَاتِ الْمُشَبَّهَاتِ هُنَّ الْمُهْلِكَاتُ إِلَّا مَا حَفِظَ [عصم] اللهُ مِنْهَا**»[2].

فالإمام عليه السلام يرسم في هذا النص موثق ان البدع التي استحدثت بعد الرسول (صلى الله عليه وآله) التي ألبست بلباس ديني هي المهلكة، وهنا لابد من القول ان الإمام عليه السلام لا يتكلم بكلام غير علمي من غير ان يكون هناك قاعدة أو مرتكز تسند ما يريد أن يصل إليه بالتوثيق فوثق له بدليل ان العناية الإلهية أرسلت رسولاً هادياً أي من أجل هداية البشر والإصلاح ومما لا شك فيه ان كل مبتدع لم يكن قد سنه الرسول (صلى الله عليه وآله) يكون خارجاً عن تلك الدائرة ينتفي فيه غرض الإصلاح ولا جدل أن نقيض الإصلاح الهلاك، ومن ثم فهذا الموثق يسند التوثيق وهو البدع التي استحدثت هي المهلكات هذا دليل، الدليل العلمي الآخر الذي يسند التوثيق هو ان العناية الإلهية عندما أرسلت رسولاً أرسلت معه كتاباً ناطقاً أي ليس جامداً وإنما ناطق بكل شيء وأمر قائم لجميع جميع جوانب الحياة ومن ثم فليس هناك حاجة للإبتداع وكل مبتدع لم يرد في السنة ولم يأمر به الكتاب يكون مهلكاً[3].

ثانياً: التوثيق المستقبلي

إن الإمام عليه السلام ينطلق فيما يطرحه بخصوص تلك الأحداث المستقبلية من العلم النبوي والعلم أللدني لذلك ليس من الغريب ان نجد تلك الأمور

(١) القرني، المعجم الموضوعي لنهج البلاغة، ٥١.
(٢) نهج البلاغة، ص٣٦١.
(٣) حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٣/ ٣٢- ٣٣.

المستقبلية المذكورة في النهج، وينبغي القول قبل الولوج في الموضوع ان هذه الأخبار المستقبلية اتخذت حجة لعدم نسبتها إلى الإمام ﷺ لكونها حدثت في أزمان بعيدة عن زمن الإمام ﷺ لكن كما قلنا إنما ينطق عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي ينطق عن الله[١] وقد قال ﷺ مجيباً على عقول المشككين انه ليس علم الغيب إنما هو تعلم من ذي علم[٢].

وقال ﷺ أيضا في موضع آخر من النهج «**وَالله لَوْ شِئْتُ أَنْ أُخْبِرَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَخْرَجِهِ وَمَوْلِجِهِ وَجَمِيعِ شَأْنِهِ لَفَعَلْتُ، وَلَكِنْ أَخَافُ أَنْ تَكْفُرُوا فِيَّ بِرَسُولِ الله صلى الله عليه وآله. أَلَا وَإِنِّي مُفْضِيهِ إِلَى الْخَاصَّةِ مِمَّنْ يُؤْمَنُ ذَلِكَ مِنْهُ. وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ، وَاصْطَفَاهُ عَلَى الْخَلْقِ، مَا أَنْطِقُ إِلَّا صَادِقاً، وَلَقَدْ عَهِدَ إِلَيَّ بِذَلِكَ كُلِّهِ، وَبِمَهْلَكِ مَنْ يَهْلِكُ، وَمَنْجَى مَنْ يَنْجُو، وَمَآلِ هَذَا الْأَمْرِ. وَمَا أَبْقَى شَيْئاً يَمُرُّ عَلَى رَأْسِي إِلَّا أَفْرَغَهُ فِي أُذُنَيَّ وَأَفْضَى بِهِ إِلَيَّ**»[٣] فالتفاصيل الشخصية لكل فرد التي قد لا يعلمه إلا الشخص ذاته يقسم الإمام ﷺ بأنه يخبرها ولا بعيد من ذلك لأن العلم الذي عنده عهده له رسول الله (ﷺ) وأعطاه إياه[٤].

وفي نص آخر «**أَيُّهَا النَّاس، لا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقاقِي، وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ عِصْيَانِي، وَلَا تَتَرَامَوْا بِالْأَبْصَارِ عِنْدَ مَا تَسْمَعُونَهُ مِنِّي. فَالذي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، إِنَّ الَّذِي أُنَبِّئُكُمْ بِهِ عَنِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ صلى الله عليه وآله، مَا كَذَبَ الْمُبَلِّغُ، وَلَا جَهِلَ السَّامِعُ**»[٥] ومن ثم فليس هناك تشكيك بعد ان صرح الإمام ﷺ وفي أكثر من مناسبة ان كل

(١) ألجلالي، دراسة حول نهج البلاغة، ص٦٦- ٦٧ .
(٢) نهج البلاغة، ص٢٧٢.
(٣) نهج البلاغة، ص٣٧١ .
(٤) الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٣/ ١٣٣
(٥) نهج البلاغة، ص٢٠٩

حدث مستقبلي الذي يخبر به إنما هو من عند النبي (ﷺ) فلا حاجة للترامي بالأبصار والإنكار بالألسن. وتميز كلام الإمام ﷺ الموثق عن الأخبار المستقبلية بما يلي:

١- تحقق بعض هذه الأخبار المستقبلية في مدة ليست ببعيدة عن الإمام ﷺ.

٢- تحمل الأخبار المستقبلية الأخرى صفة الإستمرارية من حيث التطبيق على أرض الواقع وما تزال تثبت استمرارها.

٣- الترابط الدقيق بين الأخبار التي تنبأ بها الإمام ﷺ وبين التطبيق بعد ان كانت نظرياً.

ويمكن القول ان هناك مجموعة كبيرة من الحوادث المستقبلية التي أشار إليها الإمام ﷺ لكن ما موثق لها قليل[1]، وقبل كل شيء فالإمام ﷺ قدم دراسة شخصت أسباب الخلل بين المسلمين وقدم طرائق العلاج في قوله ﷺ: «**أَيُّهَا النَّاسُ، لَوْ لَمْ تَتَخَاذَلُوا عَنْ نَصْرِ الْحَقِّ، وَلَمْ تَهِنُوا عَنْ تَوْهِينِ الْبَاطِلِ، لَمْ يَطْمَعْ فِيكُمْ مَنْ لَيْسَ مِثْلَكُمْ، وَلَمْ يَقْوَ مَنْ قَوِيَ عَلَيْكُمْ. لَكِنَّكُمْ تِهْتُمْ مَتَاهَ بَنِي إِسْرَائِيلَ. وَلَعَمْرِي،**

(١) منها استشراف سياسية معاوية (أما إنّه سيظهر عليكم بعدي رجل رحب البلعوم، مندحق البطن، يأكل ما يجد و يطلب ما لا يجد، فاقتلوه، و لن تقتلوه! ألا و إنّه سيأمركم بسبّي و البراءة منّي؛ أمّا السّبّ فسبّوني، فإنّه لي زكاة، و لكم نجاة؛ و أمّا البراءة فلا تتبرّأوا منّى، فإنّي ولدت على الفطرة، و سبقت إلى الإيمان و الهجرة) نهج البلاغة، ص١٠٨- ١٠٩، كذلك الخوارج ومصيرهم (مصارعهم دون النّطفة، و الله لا يفلت منهم عشرة، و لا يهلك منكم عشرة) نهج البلاغة، ص١١٠ فلم يقتل من أصحاب أمير المؤمنين سوى تسعة إما الخوارج فما كانت إلا ساعة حتى قتلوا بأجمعهم وكانوا أربعة الإلف ما فلت منهم إلا تسعة نفر تفرقوا في بقاع مختلفة،ا بن أعثم، الفتوح، ٤/ ٢٧١- ٢٧٢،٢٧٤ وكذلك المراحل التطورية للخوارج والعمليات العسكرية التي تجري عليهم (...إنهم نطف في أصلاب الرّجال، و قرارات النّساء، كلّما نجم منهم قرن قطع، حتّى يكون آخرهم لصوصاً سلّابين) نهج البلاغة، ص١١٠- ١١١وغير ذلك من الخطب.

لَيُضَعَّفَنَّ لَكُمُ التِّيهُ مِنْ بَعْدِي أَضْعَافاً بِمَا خَلَّفْتُمُ الْحَقَّ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ، وَقَطَعْتُمُ الْأَدْنَى، وَوَصَلْتُمُ الْأَبْعَدَ. وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِنِ اتَّبَعْتُمُ الدَّاعِيَ لَكُمْ، سَلَكَ بِكُمْ مِنْهَاجَ الرَّسُولِ، وَكُفِيتُمْ مَئُونَةَ الِاعْتِسَافِ، وَنَبَذْتُمُ الثِّقْلَ الْفَادِحَ عَنِ الْأَعْنَاقِ»[1].

فالدراسة التي قدمها الإمام ﷺ في هذا النص هي إزدياد التيه من التشتت والإضطراب والإختلال بتقادم الزمن بصورة أكبر من زمن القول وهو زمن الإمام ﷺ وهذا التوثيق موثق له بتوثيق ديني يثبت ذلك التيه وهو تركهم الأمور المكلفين بها والمفروضة عليهم من نصر الحق فقد تركوه وراء ظهورهم وقطعهم الأقرب الإمام الشرعي ووصلهم الأبعد وهو معاوية أو غيره من بني أمية أو قد يكون بني العباس أو غيرهم، وتحدد فكر الشارحين بأن محور هذا التيه المستقبلي فقط في زمن معاوية [2]. لكن الإمام علياً ﷺ لم يحدد الزمن بل كان الكلام مطلق غير مقيد أولاً وثانياً ان التيه بوصل الأبعد وترك الأدنى الإمام الشرعي حدث في كل زمن وتحديداً بدأ من زمنه ويتوسع يشمل الأئمة ألاثني عشر المعصومون (عليهم لسلام)، إلا أن الخوئي كان له التفاتة بالقول ان التيه ممتد إلى ظهور ألدولة ألقائمية[3]، فالنتيجة المستحصلة من التوثيق أن ترك الحق والإعراض عنه ووصل الأبعد وترك الأدنى الإمام الشرعي المستمد شرعيته من الرسول (ﷺ) هي موثق لذلك التيه الذي منيت به البشرية على إمتداد الزمن.

(١) نهج البلاغة، ص٣٥٧- ٣٥٨.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٩/ ٢٨٧؛ ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة (الكبير)، ٣/ ٣١٧؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٣/ ٢٤- ٢٥؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٣/ ٩٥؛ علي أنصاريان، شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار، ٢/ ١٤٧؛ ألتستري، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، ٣/ ٤٧٤.

(٣) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ١٠/ ٨٠ .

في الوقت ذاته بعد ان شخص الإمام ﷺ أسباب الخلل قدم طرائق العلاج بإتباع الداعي وهو الإمام الذي سيسلك بهم منهج الرسول (ﷺ) ولا تلحق المصاعب في الأمور الدنيوية والدينية لأن المنهج الإسلامي الذي سيطبقه الداعي كفيل بحل جميع مشكلات الإنسان [1] فلو تصحح الخلل في زمن الإمام ﷺ لم يحدث ذلك التيه ولو اتبع الدعاة فيما بعد الإمام لم يزدد التيه إضعافاً. ومما مر من التوثيق يمكن الخروج بعدة ملاحظات بارزة فضلاً عن ملاحظات يمكن الخروج بها من النص:-

١- الترابط الوثيق بين ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وترك إتباع المفوض عن الرسول (ﷺ) وبين الإضطراب الذي حدث الذي يحدث في المجتمعات.

٢- الأثر القهري من ترك الحق.

٣- قول الإمام ﷺ (لم يطمع فيكم من ليس مثلكم) أي لا يملك رصيداً قانونياً ليتسلط بل هو كأحد الناس.

وهناك بعض التوثيقات المستقبلية في نهج البلاغة والتي طرحها الإمام ﷺ بصور عدة وكما يأتي:-

الفساد الوضعي في البعد المستقبلي:

من القضايا المستقبلية الموثقة في نهج البلاغة هي قضية تبدل وفساد الأحوال الوضعية الدينية والدنيوية في الدولة الأموية لأنه من دون شك ان التطور والتغير الإيجابي في المجتمع حتى فيما يخص الدين يتأثر بالسلطة السياسية القائمة التي

(١) حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٣/ ٢٥.

تتولى رعاية القضيتين الدينية والدنيوية وعلى هذا الأساس فالإمام عليه السلام أخبر عن ذلك الزمن وحالة الناس فيه بقوله: عليه السلام «**وَاللهِ لَا يَزَالُونَ حَتَّى لَا يَدَعُوا للهِ مُحَرَّماً إِلَّا اسْتَحَلُّوه، وَلَا عَقْداً إِلَّا حَلُّوهُ، وَحَتَّى لَا يَبْقَى بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا دَخَلَهُ ظُلْمُهُمْ وَنَبَا بِهِ سُوءُ رَعْيِهِمْ]رعيتهم[، وَحَتَّى يَقُومَ الْبَاكِيَانِ يَبْكِيَانِ: بَاكٍ يَبْكِي لِدِينِهِ، وَبَاكٍ يَبْكِي]يشكي] لِدُنْيَاهُ، وَحَتَّى تَكُونَ نُصْرَةُ أَحَدِكُمْ مِنْ أَحَدِهِمْ كَنُصْرَةِ الْعَبْدِ مِنْ سَيِّدِهِ، إِذَا شَهِدَ أَطَاعَهُ، وَإِذَا غَابَ اغْتَابَهُ، وَحَتَّى يَكُونَ أَعْظَمُكُمْ فِيهَا عَنَاءً [غنا- غناء] أَحْسَنَكُمْ بِاللهِ ظَنّاً، فَإِنْ أَتَاكُمُ اللهُ بِعَافِيَةٍ فَأَقْبِلُوا، وَإِنِ ابْتُلِيتُمْ فَاصْبِرُوا، فَإِنَّ ﴿الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾**[1]»[2].

ونلاحظ هنا أن الإمام عليه السلام يوثق الحالة الزمنية الوضعية للمجتمع في أحداث المستقبل تتمثل بجو يسوده صنفان من المجتمع أحدهما يبكي لدينه والآخر يبكي لدنياه أي أن الإنحراف في الدولة الأموية ينال الدين والدنيا ولم يكن هذا مجرد كلام لا أساس له من الصحة في المستقبل أو ستكون مجرد مشكلات دينية ودنيوية شكلية لا تقدم ولا تؤخر في حياة الإنسان لا تستدعي هذه الحالة من المجتمع بل ان الإمام عليه السلام وثق لذلك بأحداث تاريخية ودينية وقعت بالفعل تسند ذلك التوثيق وتحكي صدق هذا النبأ فيما جرى على الأمويين وهي أنهم استحلوا المحرمات فكل محرم استعملوه استعمال الحلال غير مبالين بذلك ولعل أصدق مثال ما حدث في وقعة الحرة فضلاً عن الأمور الأخرى التي استحلوها منها إحكام الدين وقوانين الشرع التي حلوها بعدم العمل بها، وعم البلاء بيوت المدر و بيوت الوبر أي شمل المناطق البدوية والحضرية[3] فيهجروا

(١) هود/ ٤٩.

(٢) نهج البلاغة، ص٢٠٤- ٢٠٥.

(٣) من أبرز المحرمات التي قام بها بنو أمية وقعة الحرة حيث استبيحت المدينة لثلاثة أيام وقع

أماكنهم من الظلم الذي يحل بهم[1]، ما ذكر فيما سبق من إخبار الإمام عليه السلام عن الإنحراف المستقبلي في الدولة الأموية قد تحقق وبحذافيره فباكي يبكي على دينه لما لاستحلال الأحكام الدينية التي أخذت على الناس فاستحلوا نكاح الأخوات وشرب الخمر وتغير الصلاة وغيرها من المفاسد التي وقت في الدولة الأموية وباكي يبكي على دنياه لما ناله من البلاء ولم يخل منه أحد.

فيها من المفاسد ما لا يعد وأخذت البيعة على أنهم عبيد قن ليزيد: اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢/ ٢٥٠- ٢٥١ كذلك قذفهم الكعبة بالمنجنيق فاحرقوها وهم يرتجزون خطارة مثل الفنيق المزبد * نرمي بها أعواد هذا المسجد، الطبري، تاريخ الطبري، ٤/ ٣٨٢- ٣٨٣ واستحلالهم المحرمات الأخرى فكان يزيد رجل يشرب الخمر ويعمل بالمحرمات وينكح الأمهات والأخوات والبنات على الرغم من تصريح القرآن بتحريم ذلك ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ﴾ النساء/ ٢٣ ويدع الصلاة، ابن سعد، البقات الكبرى، ٥/ ٦٦؛ وادخل المغنين لمكة والمدينة وأفتتح الملاهي وأباح شرب الخمر، المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ٣/ ٦٧، ووصل الأمر إلى الدين فقام الباكي يبكي على دينه قال الزهري دخلت على انس بن مالك بدمشق وهو يبكي فقلت له ما يبكيك قال لا أعرف شيأً مما أدركت إلا هذه الصلاة وهذه الصلاة قد ضيعت، البخاري، صحيح البخاري، ١/ ١٣٤ وكان الحجاج عاملهم يميت الصلاة حتى تصفر الشمس ويقول انا والله ما نصلي للشمس إنما نصلي لرب الشمس أفلا تقولون يا عدو الله ان لله حقا في النهار لا يقبله في الليل وان لله حقا في الليل لا يقبله بالنهار وكيف تقولون ذلك وعلى رأس كل رجل علج قائم بالسيف، البلاذري، أنساب الأشراف، ١٣/ ٤٢٥، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٥/ ٢٤١ وغيرها من معالم التحريف في الدين، التي حدثت في ألدوله الأموية، واستحل معاوية أيضا بيع الربا، الصنعاني، المصنف،٨/ ٣٤ وأخذ بني مروان الجزية ممن اسلم من آهل الذمة لأنهم يرون أنها بمنزلة الضريبة فلا يسقط إسلام العبد ضريبته، الجصاص، أحكام القرآن، ٣/ ١٣١ وكانت أدواتهم الأخرى المساعدة لهم على الظلم منهم خالد ألقسري الذي كان يولي النصارى والمجوس على المسلمين ويأمر بضربهم ووصل به درجة التهتك والإستهزاء بالدين ان خطب قائلا: إلى كم يغلب باطلنا حقكم إما آن لربكم ان يغضب لكم، أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ٢٢/ ٢٨١ .

(١) ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة (الكبير)،٢/ ٤٠٩- ٤١٠؛ حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٧/ ١٣٥- ١٣٦؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٢/ ١٥٢.

توثيق الإنهيار الأموي:

من الأخبار المستقبلية التي وثق لها الإمام ﷺ هو زوال ملك بني أمية[١] التي كانت تنظر إلى الكون بأنه ملك لها تتصرف به ما تشاء فكانت علاقتها مع الناس علاقة سيادة وألوهية وليس أميناً على أمانة[٢]، ومع هذه النظرة الطاغوتية المتكبرة فقد أخبر الإمام ﷺ بأنها مهما كانت نظرتهم وما جسدت نفسها به فهي ليست إلا فترة يتمتعون بها يقول ﷺ «**حَتَّى يَظُنَّ الظَّانُّ أَنَّ الدُّنْيَا مَعْقُولَةٌ عَلَى بَنِي أُمَيَّةَ؛ تَمْنَحُهُمْ دَرَّهَا، وَتُورِدُهُمْ صَفْوَهَا، وَلَا يُرْفَعُ عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَوْطُهَا وَلَا سَيْفُهَا، وَكَذَبَ الظَّانُّ لِذَلِكَ. بَلْ هِيَ مَجَّةٌ مِنْ لَذِيذِ الْعَيْشِ يَتَطَعَّمُونَهَا بُرْهَةً، ثُمَّ يَلْفِظُونَهَا جُمْلَةً!**»[٣].

هذه الصيغة المنتزعة من قراءة ما يدور في أذهان الناس في المستقبل وما سيفكرون به من أن الدنيا بكل ما فيها من منافع وخيرات ستدوم لبني أمية وليس هناك من يعكر عليهم دنياهم وينهي حكمهم ويرفع الظلم عن الأمة بأن الظّان لذلك كاذب، وهذا هو التوثيق الذي يريده الإمام ﷺ موثقاً له بدليل ان تكذيب ظن الضان لأن مدة إمارتهم ستكون قليلة تصفى لهم وتروق مدة ثم

---

(١) بيضون، تصنيف نهج البلاغة، ص٣٦٨؛ شمس الدين، دراسات في نهج البلاغة، ص١٨٢؛ الريشهري، موسوعة علي بن أبي طالب في الكتاب والسنة والتاريخ، ١١/ ١٢٣ .

(٢)نستدل على مظاهر التسلط والظلم من المقولات التي ظهرت في هذا العهد مثل (قاتلتكم لأتآمر عليكم) ابن كثير، البداية والنهاية، ٨/ ١٤٠، ومقولة خليفة الله في الأرض، ما أخذت لي وما تركت بالفضل مني، البلاذري، انساب الأشراف، ٥/ ٢٠ و(خليفة المرء خير من رسوله) ابن عقيل، النصائح الكافية، ص١٠٦ و (السلطان ظل الله في الأرض) البلاذري، أنساب الأشراف، ٧/ ١١١ وغيرها من المقولات .

(٣) نهج البلاغة، ص١٦١.

تخرج من أيديهم بالجملة فلا تقوم لهم دولة[١] فيحرمون من لذة ما تمتعوا به وانتصارهم واستغلاهم الناس[٢]، ومما تقدم يمكن القول:

١- معايشة الأفكار المستقبلية التي تدور في أذهان الناس بدوام ملك بني أمية موثقاً لمستقبل هذه الأفكار.

٢- قد يسأل سائل ان قول الإمام عليه السلام ان الملك يخرج من ايديهم بالجملة يتعارض مع قيام الدولة الأموية في الأندلس، لكن يمكن القول ان توثيق الإمام عليه السلام بتكذيب ظن الظّان في الدولة الموجودة فعلاً والتي ستنتهي بلا قيام في ألبقعة الجغرافية نفسها وليس ظن الظّان في الدولة التي ستقام فيما بعد في بقعة جغرافية أخرى.

٣- ان التوثيق لقصر مدة بني أمية بقوله عليه السلام هي مجة يتطعمونها برهة ثم يلفظونها جملة يحمل حقيقة علمية تتمثل في آلية تكوين العسل من النحل[٣]،ولابد من القول ان في هذا القول حدث اختلاف بين الشارحين ولم نركز عليه فيما سبق من التوثيق؛ لأن الغاية ليست الإختلاف وبيان الأصح وإنما النتيجة المستحصلة هو قصر هذه ألمجة.

وفي الحيثيات المستقبلية نفسها وهو نهاية الدولة الأموية يقول عليه السلام «...**فَمَكَّنْتُمُ الظَّلَمَةَ مِنْ مَنْزِلَتِكُمْ، وَأَلْقَيْتُمْ إِلَيْهِمْ أَزِمَّتَكُمْ، وَأَسْلَمْتُمْ أُمُورَ اللهِ فِي أَيْدِيهِمْ، يَعْمَلُونَ**

(١) ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة (الكبير)، ٢/ ٣٠٤؛ حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٦/ ٢٣٨- ٢٣٩؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٢/ ٣٥- ٣٦؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٢/ ٢٣؛ دخيل، شرح نهج البلاغة، ٧- ٨/ ٢٥؛ علي أنصاريان، شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار، ١/ ٢٤٣؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ١/ ٤٤١- ٤٤٢.

(٢) شمس الدين، التاريخ وحركة التقدم البشري ونظرة الاسلام، ص١٨٩ .

(٣) حميد سراج جابر، الفكر الإختباري، ص٢٩٧.

بِالشُّبُهَاتِ، وَيَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ، وَأَيْمُ اللهِ، لَوْ فَرَّقُوكُمْ تَحْتَ كُلِّ كَوْكَبٍ، لَجَمَعَكُمُ اللهُ لِشَرِّ يَوْمٍ لَهُمْ !»[1] .

إن ثمرة ما يمكن الخروج به من هذا النص هو قسم الإمام ﷺ بأن السياسة الأموية في الأحداث المستقبلية مهما فعلت ومارست من فنون في السياسة الإدارية تجاه المجتمع سواء تفريق أو نفي تحت كل كوكب فإن الله سيجمعهم لشر يوم لبني أمية، موثقاً لذلك وفق قاعدة إهلاك الظالم وإحلال من يسكن محله[2] فهم يعملون في الشبهات بدون حق يسيرون في الشهوات والمآرب فمنطقهم مخالفة الحق والسير في الباطل وكل من هو كذلك فإن يحقق أسباب هلاكهم من جنس سياستهم .

واختلف شارحون في نسبة الكلام فقال أصحاب الرأي الأول ان ذلك ينطبق تماماً على ثورة التوابين والثورات الأخرى التي حدثت[3]، في حين رأى أصحاب الرأي الثاني ان ذلك إشارة إلى دولة الإمام المهدي (عج)[4] إما الرأي الأخير وهو الرأي الأقرب للصحة وفق قاعدة التوثيق الذي يرى أن المقصود من ذلك ثورة أبي مسلم حين اجتمعت الكلمة على حرب الأمويين بعد خروج الدعاة العباسيين والشعار الذي رفع الرضا من آل محمد[5] وثورة المسودة وانتقامها من أهل الشام وبني أمية[6].

---

(١) نهج البلاغة، ص٢٢٢- ٢٢٣.

(٢) ينظر قولة تعالى ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ * وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ * وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ إبراهيم / ١٣- ١٥.

(٣) حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٢/ ١٦٢

(٤) دخيل، شرح نهج البلاغة، ٩- ١٠/ ٦٢.

(٥) الراوندي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ١/ ٤٥٦؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٢/ ٢٠٤- ٢٠٥؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٢/ ١٢٦ .

(٦) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٧/ ١٧٨؛ حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٧/ ٢٧٣ كما أيد أيضا الرأي الثاني الذي يرى ان ذلك إشارة إلى الأمام المهدي (عج).

وهناك نص مستقبلي آخر وثق فيه تفصيلاً وافياً لنهاية الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية قال عليه السلام في ذلك: «**افْتَرَقُوا بَعْدَ أُلْفَتِهِمْ، وَتَشَتَّتُوا عَنْ أَصْلِهِمْ. فَمِنْهُمْ آخِذٌ بِغُصْنٍ أَيْنَمَا مَالَ، مَالَ مَعَهُ. عَلَى أَنَّ اللهَ تَعَالَى سَيَجْمَعُهُمْ لِشَرِّ يَوْمٍ لِبَنِي أُمَيَّةَ، كَمَا تَجْتَمِعُ قَزَعُ الْخَرِيفِ يُؤَلِّفُ اللهُ بَيْنَهُمْ، ثُمَّ يَجْعَمَهُمْ رُكَاماً كَرُكَامِ السَّحَابِ؛ ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَاباً. يَسِيلُونَ مِنْ مُسْتَنَارِهِمْ كَسَيْلِ الْجَنَّتَيْنِ، إذ لَمْ تَسْلَمْ عَلَيْهِ قَارَّةٌ، وَلَمْ تَثْبُتْ [تنبت] عَلَيْهِ أَكَمَةٌ، وَلَمْ يَرُدَّ سَنَنَهُ رَصٌّ طَوْدٍ، وَلَا حِدَابُ أَرْضٍ. يُذَعْذِعُهُمُ اللهُ فِي بُطُونِ أَوْدِيَتِهِ، ثُمَّ يَسْلُكُهُمْ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ، يَأْخُذُ بِهِمْ مِنْ قَوْمٍ حُقُوقَ قَوْمٍ، وَيُمَكِّنُ لِقَوْمٍ فِي دِيَارِ قَوْمٍ. وَايْمُ اللهِ، لَيَذُوبَنَّ مَا فِي أَيْدِيهِمْ بَعْدَ الْعُلُوِّ وَالتَّمْكِينِ، كَمَا تَذُوبُ الْأَلْيَةُ عَلَى النَّارِ**»[1].

فالإمام عليه السلام وثق في كلامه الراقي هذا معالم مستقبل الدولة الأموية ونهايتها وهي لم تتكون بعد وأعطى وزناً لذلك الخبر بالقسم ان ما في أيديهم من الملك والرياسة يزول منهم، كما تذوب الإلية الشحمة إذا وضعت على النار إلى أن تزول تماماً ولا يبقى منها شيء، ولم يضرب الإمام عليه السلام طبيعة البحث العلمي التي تؤكد على مصاديق لإثبات هذا التوثيق فعمل عليه السلام على ان يوثق له وفق طبيعة ثقافته وعلمه أللدني الذي ساعد على الإتيان بأكثر من مثال لإيصال الفكرة فوثق له بتوثيق علمي إذ يجتمع المسلمين كقزع الخريف القطع المتفرقة من السحاب التي تجتمع ثم يجعله ركاماً بعضها على بعض ووجه الشبه ان المسلمين بعد تفرقهم يجتمعون كاجتماع قزع الخريف ثم يؤلف الله بينهم لمحاربة الأمويين وهذه المرحلة الأولى التي تمثلت ببدء الدعوة العباسية[2]،

(١) نهج البلاغة، ص٣٥٦- ٣٥٧.

(٢) استندت الدعوة العباسية إلى وصية اعتمدوا فيها على جمع الأتباع أو ما تسمى بالصحيفة الصفراء التي يزعمون أنها أتتهم من جهة محمد بن الحنفية من الإمام علي (عليه السلام)والتي فيها علم رايات خراسان السواد ومتى تكون وابتداء أمرها ورجالها وصفتهم، مؤلف مجهول، أخبار ألدولة

ثم موثقاً بتوثيق تاريخي إذ استعان بحادثة تاريخية قديمة لإيصال ما يريد توثيقه وهي سيل العرم[1] الذي لم تسلم منه حجارة صلبة ولا تل ولم يغير وجهته تلاصق جبل أو مرتفع أرض[2] وهذه المرحلة الثانية فشبهه هذه الحادثة بانبعاث المسلمين الذين تتهيأ لهم وسائل الإنقضاض على بني أمية فلا يقف أمامهم شيء يتفرقون في بطون الأودية كل منهم يختبئ بأرض ثم يسلكوا ينابيع في الأرض أي تأتي مرحلة الإعلان والظهور بالقضاء النهائي على الأمويين بعد أن ذوبوا ملكهم جزءاً فجزءاً فيمكن الله لقوم وهم بنو العباس في ديار قوم وهم بنو أمية ويؤخذ منهم حقوق قوم وهم الهاشميون[3] فينتهي الملك الأموي ليبدأ العباسي .

العباسية،ص ١٨٤- ١٨٥ وجه العباسيين دعتهم في سنة مائة إلى خراسان والى العراق فاستجاب لهم من القوم وكتبت الكتب بمن استجاب وأرسلت إلى محمد بن علي القائم بأمر الدعوة ليعرفوه بهم، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٥/ ٥٣ وكانت دعوتهم الرضا من آل محمد وإذا سئلوا عن اسمه قالوا أمرنا بكتمان اسمه حتى يظهر، مؤلف مجهول، أخبار ألدولة العباسية، ١٩٣ص- ١٩٤ إلا أن الدعوة انتظمت أكثر على أبي مسلم فانضم إليها العديد من الناس من مختلف المدن ولاسيما كور خراسان وكان الدعاة في زي تجار تمويها على السلطة الأموية فاستتب الأمر له، الدينوري، الأخبار الطوال، ص٣٤٣ فكانت هذا البداية الأولى من الدعوة والتي تميزت بخلوها من العنف، فقط جمع الناس من كل مكان والدعاة متظاهرين بالتجارة والحج، علي شيري، الإمامة والسياسة، ٢/ هامش ص١٤٩.

(١) ينظر قوله تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ* فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ سبأ/ ١٥- ١٦.

(٢) وللتفاصيل عن النعم الإلهية في سبأ وتدمير السيل هذه النعم بسبب جحود أهلها، المدينة الراقية التي أضاعها الكفران ينظر: مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ١٣/ ٤٢٥ - ٤٣٤.

(٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٩/ ٢٨٤- ٢٨٦؛ ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة (الكبير)، ٣/ ٣١٦- ٣١٧؛ السرخسي، أعلام نهج البلاغة، ص١٦٠؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٣/ ٢٢- ٢٤؛ ألتستري، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، ٦/ ٧٧- ٨٢؛ عبده، نهج البلاغة، ٢/ ٩٥- ٩٦؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٣/ ٩٤- ٩٥؛ دخيل، شرح نهج البلاغة، ١٥-

التسلط في البعد المستقبلي:

من محطات المستقبل التي رسم الإمام ﷺ ملامحها هي محطة التسلط والتنكيل الذي طال الأمة على يد الحجاج بن يوسف الثقفي[١]، يقول ﷺ «**أَمَا وَاللهِ، لَيُسَلَّطَنَّ عَلَيْكُمْ غُلَامُ ثَقِيفٍ الذَّيَّالُ الْمِيَّالُ؛ يَأْكُلُ خَضِرَتَكُمْ، وَيُذِيبُ شَحْمَتَكُمْ، إِيهِ أَبَا وَذَحَةَ!**»[٢].

هذا النص يحتوي على التوثيق وهو بتحديد مسار التسلط والظلم المستقبلي على الحجاج الذيال والموثق له الذي درس بنية هذا التسلط وتشكيلاته إذ ثبت حقيقته الذي تمثل في أكله الخضرة ويذيب الشحم، وقد اختلف شارحون في توضيح هذا القول اختلافاً في الألفاظ إلا أنها تصب في المعنى نفسه وهو أن تسلطه كان على الأموال والأنفس، فنهب ثرواتهم وأذلهم وقضى على هيبتهم فأخذ الأموال وعذب الأبدان[٣]، وهدف التوثيق هو توضيح بأن تسلط الحجاج

١٦/ ٥٥- ٥٦؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٢/ ٤٨٢- ٤٨٣.

(١) الحجاج بن يوسف بن الحكم بن عقيل الثقفي، امه فارغة بنت همام تولى الحجاز ثلاث سنين وولى العراق عشرين سنة، ابن عبد البر، التمهيد، ١٠/ ٦، من أهل الطائف كان معلماً للغلمان قدم دمشق فكان عند روح بن زنباغ مستشار عبد الملك ثم تولى أمر الجيوش لما عرف من شدته فكان لا يتأخر أحد من الجند في النزول والرحيل إلا وضربت عنقه. ابن كثير البداية والنهاية، ٩/ ١٣٧ آباؤه يعملون في حفر الآبار وينقلون الصخور على ظهورهم في المناهل، ابن كثير البداية والنهاية، ٩/ ١٥٤.

(٢) نهج البلاغة، ص٢٥٤.

(٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٧/ ٢٧٨؛ ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة (الكبير)، ٣/ ١٠٨؛ حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٨/ ٩٤؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٢/ ٢٣٢؛ علي أنصاريان، شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار، ١/ ٤٠٠؛ عبده، نهج البلاغة، ١/ ٢٢٩؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٢/ ٢٠٢- ٢٠٣؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٢/ ٣١٠- ٣١١.

تسلط كامل لأنه في الأموال والأنفس أي تسلط بكل معنى الكلمة[١].

ومن المؤكد ان سياسة الحجاج التسلطية مستمدة ومثال للسلطة العليا فحكومة الحجاج ما هي إلا حكومة مصغرة من الدولة الأموية ويمكن دراسة واستيضاح ذلك فيما وثق له الإمام عليه السلام من التسلط الأموي على رقاب الناس يقول عليه السلام **«وَايْمُ الله لَتَجِدُنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَكُمْ أَرْبَابَ سَوْءٍ بَعْدِي، كَالنَّابِ الضَّرُوسِ: تَعْذِمُ بِفِيهَا، وَتَخْبِطُ بِيَدِهَا، وَتَزْبِنُ بِرِجْلِهَا، وَتَمْنَعُ دَرَّهَا، لَا يَزَالُونَ بِكُمْ حَتَّى لَا يَتْرُكُوا [لا يكون] مِنْكُمْ إِلَّا نَافِعاً لَهُمْ، أَوْ غَيْرَ ضَائِرٍ بِهِمْ. وَلَا يَزَالُ بَلَاؤُهُمْ عَنْكُمْ حَتَّى لَا يَكُونَ انْتِصَارُ أَحَدِكُمْ مِنْهُمْ إِلَّا كَانْتِصَارِ الْعَبْدِ مِنْ رَبِّهِ، وَالصَّاحِبِ مِنْ مُسْتَصْحِبِهِ، تَرِدُ عَلَيْكُمْ فِتْنَتُهُمْ شَوْهَاءَ مَخْشِيَّةً، وَقِطَعاً جَاهِلِيَّةً، لَيْسَ فِيهَا مَنَارُ هُدًى، وَلَا عَلَمٌ يُرَى. نَحْنُ أَهْلَ الْبَيْتِ مِنْهَا بِمَنْجَاةٍ [نجاة]، وَلَسْنَا فِيهَا بِدُعَاةٍ، ثُمَّ يُفَرِّجُهَا اللهُ عَنْكُمْ كَتَفْرِيجِ الْأَدِيمِ: بِمَنْ يَسُومُهُمْ خَسْفاً، وَيَسُوقُهُمْ عُنْفاً، وَيَسْقِيهِمْ بِكَأْسٍ مُصَبَّرَةٍ لَا يُعْطِيهِمْ إِلَّا السَّيْفَ، وَلَا يُحْلِسُهُمْ إِلَّا الْخَوْفَ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَوَدُّ قُرَيْشٌ -بِالدُّنْيَا وَمَا فِيهَا- لَوْ يَرَوْنَنِي مَقَاماً وَاحِداً، وَلَوْ قَدْرَ جَزْرِ جَزُورٍ، لَأَقْبَلَ مِنْهُمْ مَا أَطْلُبُ الْيَوْمَ بَعْضَهُ فَلَا يُعْطُونَنِيهِ!»**[٢].

---

(١) ان ما قام به الحجاج من المظالم وتسلطه على الناس ما لا يعد ولا يحصى،وقد أحصي ما قتله صبراً فبلغ مائة إلف وعشرين إلف وأطلق من أسره واحد وثمانون ألفاً وكان فيه ثلاثون ألف امرأة وأحصيت السجون من بعده فوجدوا فيها ثلاثة وثلاثين ألفاً لم يجب على احد منهم قطع ولا صلب، ابن كثير، البداية والنهاية، ٩/ ١٥٦ وكان حبسه حائراً لا شيء يحميهم من حر ولا برد ويسقيهم الماء مشوباً بالرماد، المسعودي، التنبيه والأشراف، ص٢٧٥، ويطعمهم خبز الشعير مخلوطاً بالملح وإذا أوى الأسارى إلى الحائط يستظلون به رمتهم الحرس بالحجارة فكان لا يلبث الرجل يسير حتى يسود كأنه زنجي، ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ٦/ ٣٤٢ وكان يأخذ الزكاة بغير حقها، ابن كثير، البداية والنهاية، ٩/ ١٥٦،كما نقص عطاء أهل العراق، الطبري، تاريخ الطبري، ٥/ ٤٦، وكان يأخذ الجزية ممن أسلم من أهل الذمة، ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص٢٧٢ أذل أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) وختم أعناقهم بخواتيم من الرصاص، اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢/ ٢٧٢.

(٢) نهج البلاغة، ص١٩٥- ١٩٧.

لابد من القول أولاً أن الإمام ﷺ استعمل خلال النص قضايا علمية بالتوثيق لإيصال حقيقية بني أمية المستقبلية فالتوثيق يتمثل ان في البعد الزمني سيكون بني أمية أرباب سوء كالناب الضروس وهي النوق المسنة السيئة الخلق، وهذه الصفة للناقة المسنة بأنها عديمة الفائدة ذات أثر سيئ موثقاً لها بتوثيق علمي بدليل إنها شرسة تعض بفيها وتركل برجلها وتخبط بيدها وتمنع حليبها بالمعنى إنها تستعمل جميع وسائلها الهجومية فضلاً عن الشغب الذي تحدثه إذ تخبط بيدها كما لا يمكن الإستفادة منها لأنها تمنع لبنها فهذه الصفات جميعها هي موثقاً لكونها سيئة الخلق، ومن خلال هذا التقرير العلمي نصل للبعد التاريخي الذي أراد الإمام ﷺ أن يرسم صورته في الأذهان بذلك التقرير العلمي وهو أن بني أمية سيكونون كتلك الناب الضروس متسلطين على الأمة قادة سوء بدليل ما يلحقونه بالخلق من الأذى والقتل والتصرف ببيت المال والهدف من ذلك النموذج الإداري السيئ لأجل أن يكون المجتمع صنفين صنفاً عاملاً يصب في مصلحتهم نافع لهم وصنفاً جامداً خاملاً غير ضار بهم [1]، و يمكننا الخروج من النص بأمرين:

١- ان أهل البيت (ﷺ) لا تؤثر عليهم مؤثرات بني أمية ولا نقصد المؤثر المادي بل المؤثر المعنوي من تغير أفكار وما إلى ذلك لذلك قدمهم الإمام ﷺ كمصدر علاج لذلك الوضع .

٢- تخريج السبب المتعلق بتغير فكر الأمويين تجاه الإمام ﷺ، بتمنيهم لو يعود علي بن أبي طالب لظهور من يسوقهم عنفاً بالقتل والتشريد والحادثة قول مروان آخر الحكام الأمويين عندما مر به عبد الله بن محمد العباسي لوددت أن

(١) ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة (الكبير)، ٢/ ٣٩٢؛ حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٧/ ٨٩- ٩٠؛ دخيل، شرح نهج البلاغة، ٩- ١٠/ ٦- ٧ .

عليّاً ابن أبي طالب تحت هذه الرايات من هذا الفتى[١].

الكوفة والبصرة في إحداثيات المستقبل:

من الأخبار المستقبلية الأخرى التي وثق لها الإمام ﷺ هي الأحداث التي تطرأ على مدينة الكوفة، ويمكن القول قبل ذلك ان ما تقدم من الأخبار التي وثق لها الإمام ﷺ تختلف من حيث الهدف لكن تشترك في صفة بعدم اقتصارها فقط على إثبات حقيقتها الموضوعية على الواقع بل تمتد إلى التغيرات العلمية التي هي نتيجة لها، ولا يكاد الأمر يختلف عند استقراء التوثيق للأحداث التي تطول مدينة الكوفة، يقول ﷺ «**كَأَنِّي بِكِ يَا كُوفَةُ تُمَدِّينَ مَدَّ الْأَدِيمِ الْعُكَاظِيِّ، تُعْرَكِينَ بِالنَّوَازِلِ، وَتُرْكَبِينَ بِالزَّلَازِلِ، وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّهُ مَا أَرَادَ بِكِ جَبَّارٌ سُوءاً إِلَّا ابْتَلَاهُ اللهُ بِشَاغِلٍ، أَوْ رَمَاهُ بِقَاتِلٍ!**»[٢].

التوثيق في هذا النص تمثل في قول الإمام ﷺ كأني بك يا كوفة تمدين مد الأديم العكاظي[٣] أي كأني أرى وأشاهد حالة الكوفة المستقبلية تجري عليها عمليات ظلم شديدة تلتوي وتتعسر فيها من شدة ما يقع عليها، وهذا الكلام موثقاً له بتوثيق علمي إذ استعان بقضية علمية وهي الزلزال و حالات الإضطراب والخلل

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٧/ ٥٧.

(٢) نهج البلاغة، ص٩٩.

(٣) وعكاظ من أعظم أسواق العرب في الجاهلية سميت بذلك؛ لأن العرب كانت تعكظ بعضها بعضاً بالفخار أي يخصمه بالحجج،تجتمع فيه العرب في كل سنة يتفاخرون بها ويحضرها شعراؤهم،فضلاً عن أهميته كسوق من الناحية الإقتصادية إذ تعرض فيه السلع و الأهمية الأدبية فانه هناك صفة أخرى له وهو كونه ساحة من ساحات الحرب إذ أقامت أيام الفجار به، والأديم العكاظي هو ما يحمل إليها فيباع فيها، الحموي، معجم البلدان، ٤/ ١٤٢، وأديم عكاظي أي تعكظ أمره، التوى وتعسر، الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ٢/ ٣٩٦.

الذي يصيب الأرض نتيجته ليثبت شدة عمليات الظلم التي تجري على الكوفة ومن ثم فإن الإمام ﷺ استعمل صورة علمية وهي شدة الزلازل وما يتبعها من تخريب وتدمير وثقت شدة عمليات الظلم التي تجري على الكوفة، كما تدلك بالشدائد التي تهلكهم وتنهكهم[١].

واختلف الشارح الخراساني بالقول ان المقصود من ذلك إزدياد مساحتها وعظمتها؛ لأن الجلد بعد الدباغة يصبح أوسع أو ترقيها بعد كسادها، كما واستفاد أيضا من ضرب المثل بالأديم العكاظي كونه كان مشهوراً في ذلك السوق إلى أن انتهت أهميته فكلاهما لا بقاء له من حيث ألشهرة[٢]، وفي قوله وجهة نظر لكن التوثيق يثبت عكس هذا القول كونه موثق له بأن هذا لا يقصد منه التوسع الجغرافي للكوفة كما هو التوسع الذي يحدث للجلد بل القصد شدة العلميات التي تحدث على الأديم العكاظي استعاره لعمليات الظلم التي تحدث للكوفة الذي أثبته الموثق له بالزلازل والشدائد، وبعد ان استكملنا ما نحاول دراسته في هذا النص يمكن القول:

١- استحضار الإمام ﷺ المستقبل وتمثيله أمام عينة.

٢- قوله ﷺ (كأني بك) أي ان القول واقع لا محالة ووقوعه شاهد بعين اليقين[٣].

٣- كان الكلام ولاسيما التوثيق من باب خاطبهم على قدر عقولهم فرسم الحدث بجزئياته بتمثيله لهم بصورة معروفة لديهم.

---

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٣/ ١٩٧- ١٩٨؛ ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة (الكبير)، ٢/ ١٢٤؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ١/ ٢١٥- ٢١٦ .

(٢) مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة،٦ / ٥٠٥- ٥٠٧.

(٣) حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٤/ ٢٦٦ .

٤- يمكن القول ان نص التوثيق للظلم الذي تناله الكوفة من النصوص التي أخبر بها الإمام ﷺ المستقبلية والتي لا تقتصر على فتره زمنية معينة بل تحمل صفة الاستمرارية.

أما فيما يتعلق بالإحداثيات المستقبلية التاريخية لمدينة البصرة فإن الإمام ﷺ لم يهمل أن يوثق لما يجري عليها من أحداث لكن ليس نتيجة البشر وإنما نتيجة عقاب الطبيعة الجغرافية، قال ﷺ «كأنّي بمسجدكم كجؤجؤ سفينة قد بعث الله عليها العذاب من فوقها و من تحتها، و غرق من في ضمنها» وفي رواية «**وَايْمُ الله لتغرقن بَلْدَتُكُمْ حَتَّى كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَسْجِدِهَا كَجُؤْجُؤِ سَفِينَةٍ، أَوْ نَعَامَةٍ جَاثِمَةٍ** (وَفِي رِوَايَةٍ): **كَجُؤْجُؤِ طَيْرٍ فِي لُجَّةِ بَحْرٍ**»[1].

من الملاحظ ان الإمام ﷺ هنا يستخدم بالتوثيق ثلاث صور علمية كتشبيهات للقلة الباقية من الشيء ووجه الشبه إضرار ومشاكل كبيرة تلحق بالبصرة لا تبقي شيء، وهذا الكلام موثقاً له بحوادث تاريخية طبيعية وهي الفيضانات التي تحدث في البصرة[2] في قوله ﷺ بعث الله عليها العذاب من فوقها ومن تحتها و لتغرقن بلدتكم[3].

العمران في البصرة:

من أجمل الأخبار التي أخبر عنها الإمام ﷺ هو التوثيق الدقيق للحالة العمرانية المتطورة التي أصبحت عليها البصرة وهي وصف دقيق مشابه لما هي عليه الآن ليس التطور الكلي بل الجزئي الذي يتمثل في دورها ولا نلتزم به من حيث التوثيق كبناء مادي بل من حيث الدلالة على الرفاه الإقتصادي، يقول

(١) نهج البلاغة، ص٤٨.

(٢) ذكر ابن أبي الحديد البصرة تعرضت للغرق مرتين مرة في أيام الخليفة العباسي القادر بالله وأخرى في أيام القائم بأمر الله، شرح نهج البلاغة، ١/ ٢٥٣.

(٣) الموسوي، شرح نهج البلاغة، ١/ ١٤٩- ١٥٠ .

عليه السلام «**وَيْلٌ لِسِكَكِكُمُ الْعَامِرَةِ وَالدُّورِ الْمُزَخْرَفَةِ الَّتِي لَهَا أَجْنِحَةٌ كَأَجْنِحَةِ النُّسُورِ، وَخَرَاطِيمُ كَخَرَاطِيمِ الْفِيَلَةِ، مِنْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَا يُنْدَبُ قَتِيلُهُمْ، وَلَا يُفْقَدُ غَائِبُهُمْ. أَنَا كَابُّ الدُّنْيَا لِوَجْهِهَا، وَقَادِرُهَا بِقَدْرِهَا، وَنَاظِرُهَا بِعَيْنِهَا**»[1].

فالتوثيق يتمثل بأن الحالة الإقتصادية في البصرة تتحسن وخير دليل على تلك الرفاهية الإقتصادية هو أن دورهم تكون مرتفعة طويلة كخراطيم الفيلة عريضة كأجنحة النسور مزخرفة كما ان السكك تكون عامرة فيكونوا غير زهاد في الدنيا، ويمكن القول ان كثيراً من الشارحين أخفقوا في بيان أن الرفاهية الإقتصادية في البصرة تتضح في أبنيتها وآثار ذلك العمران بل كان توضيحهم للقول منحصراً على ثورة الزنج وما أحدثته من خراب ومن شجاعتهم وضراوتهم إذ لا يفتقد قتيلهم أو غير ذلك من الأقوال[2].

وهذا التوثيق للرفاهية الإقتصادية وآثارها أعقبه الإمام عليه السلام بقوله في تحقير الدنيا موثقاً له في إحدى حكمه قال عليه السلام لرجل من عماله بنى بناء فخماً: «**أَطْلَعَتِ الْوَرِقُ رُؤُوسَهَا! إِنَّ الْبِنَاءَ يَصِفُ لَكَ الْغِنَى**»[3]، ومن ثم فإن فخامة البناء تدل على ان صاحبه غني ثري[4]، النتيجة المستحصلة من التوثيق أو الهدف بيان الرفاه الإقتصادي

---

(١) نهج البلاغة، ص٢٧١ – ٢٧٢ .

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٨/ ١٢٥- ١٢٦؛ ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة (الكبير)، ٣/ ١٣٨؛ السرخسي، أعلام نهج البلاغة، ص١٢٥- ١٢٦؛ حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٨/ ٢٠٦ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٢/ ٢٧٦؛ ألتستري، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، ٥/ ٥٣٦- ٥٣٦؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٢/ ٣٦٥- ٣٦٦؛ علي أنصاريان، شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار، ١/ ٤٢٧؛ دخيل، شرح نهج البلاغة، ١١- ١٢/ ٦٦؛ عبده، نهج البلاغة، ٢/ ١٣.

(٣) نهج البلاغة، ص٨٠٧ .

(٤) الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٥/ ٤٦٤.

لمدينه البصرة الذي يتجلى في الأبنية نتيجة الغنى وليس كما شرح شارحون.

التوثيق المستقبلي العقائدي

المحور المستقبلي الثاني الذي وثق له الإمام ﷺ هو المحور المستقبلي الديني العقائدي الذي يتجلى في دولة العدل الإلهي التي تتحقق على الإمام المهدي (عج) إذ يسلط الإمام ﷺ الضوء على قضايا الغيبة والظهور، ليرسخ دعائمها ويبني الأسس العقائدية السليمة ومن أجل التوعية والتثقيف ليزيد الإرتباط بالقائم (عج) ليكون الإيمان به ليس كنموذج غيبي وإنما قيادة إلهية روحية فكرية، وفي الوقت ذاته يزيد ويطور البناء الفكري للمجتمع تجاه هذه القضية بعد البناء الذي شيده ووضع أساسة الرسول (ﷺ)[1].

(١) وردت العديد من الأحاديث النبوية بشأن الإمام المهدي (عج) منها (المهدي من عترتي من ولد فاطمة)، (لو لم يبق من الدهر إلا يوم لبعث الله رجلا من أهل بيتي يملؤها عدلا كما ملئت جورا) السجستاني، سنن أبي داود، ٢/ ٣١٠، الخ من الأحاديث التي بلغت حد التواتر إلا انه مع ذلك يوجد بعض من يشكك ويرفض وجود الإمام ويزعم برجوع معاني وليس أشخاصاً وإنها عقيدة خاصة بالشيعة على الرغم من أصالة هذه العقيدة لا تختص بفريق الشيعة فقط وإنما عند الفريقين بدليل الأحاديث التي رووها، ومن هذه النماذج ابن خلدون الذي يقول ان المشهور بين كافة من أهل الإسلام على مر الإعصار انه لابد من آخر الزمان من خروج رجل من أهل البيت ...الخ كما انه يقول بعد ذلك ان هذه الأحاديث ما للمنكرين فيها من المطاعن، ابن خلدون، تاريخ بن خلدون، ١/ ٣١١ (أو المقدمة) وينظر ما بعدها من الأحاديث التي خرجها وما في حق رجالها من الجرح والتعديل، وينظر أيضا عن المشككين في تلك العقيدة وفي مقدمتهم ابن خلدون ومن جرى على منواله وكذلك ثبوت المهدي عند علماء العامة وصحة هذه الأحاديث سند ومتنا ينظر، الكوراني، عصر الظهور، ص٢٨٧- ٣٠٤ النموذج الثاني أحمد أمين الذي يرى أن تلك الأحاديث القول بالمهدي انتشرت بين الشيعة خاصة وسبب التشكيك عنده ان البخاري ومسلم لم يرويا شيئاً منها مما يدل على عدم صحتها ويؤيد (أحمد أمين) قول مصعب رغماً عن حجة أبي الفرج بأن حديث السفياني رواه أهل البيت، لأن بعض أهل البيت كما يرى كان قد يسره كل الأخبار التي تضعف من شأن البيت الأموي وانقسامه وإنما وضع خالد بن يزيد هذا الحديث عندما غلب مروان بن الحكم

ومما لاشك فيه ان الإمام علي ﷺ منظاره في كثير من الأمور والقضايا والأفكار ليس منظاراً آنياً لمعالجة قضية أو للتوعية والتثقيف فقط وإنما له أبعاد مستقبلية ونقصد بذلك زمن الخطبة أو العصر الذي تكلم فيه الإمام ﷺ فكثير من هذه الخطب لها أبعاد مستقبلية، وقضية الغيبة والظهور والمهدي من ضمن هذه القضايا التي ينظر إليها الإمام ﷺ بمنظار ومعالجة مستقبلية.

على الحكم فوضع حديث السفياني عندما سمع بحديث المهدي لكنه اختار إسماً أموياً وهو السفياني إشاره إلى جده أبي سفيان ثم وضعت الأحاديث، (حسب رأي احمد أمين) من الشيعة بأن المهدي إذ خرج سيقابل السفياني، ثم يفلسف أسباب فكرة المهدي فيرى ان هذه الفكرة فشت بين العلويين وكانوا هم البادئين باختراعها وذلك بعد خروج الخلافة من ايديهم وانتقالها إلى معاوية وما تلى عقب ذلك من أحداث، فخافوا أن يذوب حزبهم وكان منهم بعيدو النظر فبدوأ يبشرون بأن الحكم سيرجع إليهم وأن بني أمية سيهزمون، ضحى الاسلام، ٣/ ٢٣٧- ٢٣٩، ٢٤١- ٢٤٢ إلا ان الدليل ومنهج البحث العلمي يرفض هذا القول فقد وردت العديد من الأحاديث وكما قلنا فيما سبق عن الرسول (ﷺ) وأهل البيت بشأن الإمام المهدي (عج) وكونه من أهل البيت والتي رويت عند الفريقين فضلاً عن حديث أن الخلفاء أثنا عشر أو أن الائمة من بعدي اثنا عشر إماماً بلغ رواياته أكثر من مائتين وسبعين رواية والبخاري ومسلم من ضمن أولئك الذين رووا هذا الحديث مع ملاحظة ان البخاري معاصر للإمام الجواد والإمامين الهادي والعسكري (ﷺ) ولهذا برهان ومغزى بأن هذا الحديث سجل عن النبي (ﷺ) قبل أن تتحقق فكرة الأئمة ألإثني عشر وقبل ان يتحقق المضمون ولا يعني أيضا ان هذا الحديث متأثر بالواقع الإمامي ألإثني عشري وهو انعكاس له بل سجل قبل أن يتحقق المضمون ومن ثم فهذا دليل على وجود إمام ثاني عشر وهو التطبيق المعقول إبتدء من الإمام علي إلى الإمام المهدي، محمد باقر الصدر، بحث حول المهدي (عج)، ص١٠٤- ١٠٧ الدليل الثاني هو الغيبة الصغرى والتي استمرت سبعين عاماً فليس من المعقول أن أكذوبة ممكن أن تعيش هذه المدة ويتفاعل معها الناس، محمد باقر الصدر، بحث حول المهدي (عج)، ص ١٠٨- ١١١، فضلاً عن أن هناك أقدم من البخاري المتوفى ٢٥٦، ذكروا هذه الأحاديث منهم ابن أبي شيبة ت ٢٣٥، ينظر ٨/ ٦٧٨ وما بعدها واحمد بن حنبل ت٢٤١ مثلا ينظر ٣/ ٣٦كما ان هناك العديد من الخطب للإمام علي ﷺ فكيف يمكن تفسير هذه الخطب التي جمعها الشريف الرضي والتي أثبتت،ومن غير الممكن إلا القول إنما تلك الخطب هي إمتداد لأحاديث الرسول(ﷺ) وجزء لا يتجزأ منها وكل من يرفض ذلك إنما هو رفض لقول الرسول (ﷺ) الذي لا ينطق عن الهوى.

وبما ان في كل عصر وفي كل مرحلة تاريخية ادعت جماعات وبشرت ان المهدي منها ليس فقط المسلمين بل ان الطوائف الأخرى تدعي أيضاً أن الإمام الغائب الذي سيملك الأرض ويملؤها عدلاً سيكون منهم، إلا أن الإمام (عليه السلام) لم تغب عنه هذه المسألة المستقبلية لأنه وكما قلنا انه ينظر بالمنظار المستقبلي فأسس بالتوثيق قاعدة ان الإمام الغائب وحكم الأرض سيكون لأهل البيت (عليهم السلام) دون غيرهم، يقول الإمام: (عليه السلام) «**لَتَعْطِفَنَّ الدُّنْيَا عَلَيْنَا بَعْدَ شِمَاسِهَا عَطْفَ الضَّرُوسِ عَلَى وَلَدِهَا. وَتَلَا عَقِيبَ ذَلِكَ ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾**[1]»[2].

فهنا ومن خلال هذا النص يوثق (عليه السلام) لتلك القضية الحتمية التي لابد منها وهي التوجه العالمي أو القيادة العالمية لأهل البيت (عليهم السلام) تمثل في قوله لتعطفن الدنيا علينا بعد شماسها أي بعد المنع والجموح، فإن الدنيا ستتوجه باتجاه أهل البيت كما تعطف الناقة السيئة الخلق على ولدها وإن أبت على الحالب، فهي تدفع حالبها لتحتفظ بحليبها لابنها عطفاً منها عليه فالدنيا ستنقاد بعد جموحها وتلين بعد خشونتها[3].

وبما ان هذا الكلام لم يتحقق فيما مضى في زمن الأئمة (عليهم السلام) فلم يكن هناك توجه لكل الأمة بعد المنع فإن الكلام ذا بعد وهدف مستقبلي وهو دولة الإمام المهدي (عج) ولم يكن كلام الإمام (عليه السلام) الذي يريد التوثيق لها وهو التوجه العالمي الذي سيتحقق على المهدي (عج) والحكم بعد الإستضعاف كلام غير ممنهج أو اعتباطي بل وكما تعودنا فإن كل فكرة يطرحها (عليه السلام) يوثق لها حتى لا

(١) القصص/ ٥.

(٢) نهج البلاغة، ص٧٦٩- ٧٧٠ .

(٣) ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة (الكبير)، ٥/ ٣٤٩.

تفقد قيمتها العلمية فطرح (عليه السلام) الفكرة بتشبيه حال أهل البيت (عليهم السلام) بالفرس الذي يمنع ان يركب على ظهرهم فحال الدنيا تجاههم كذلك ستعطف الدنيا عليهم بعد هذا المنع وإعدادها لتمكنهم من الحكم كما تعطف الناقة الضروس على ولدها ووجه الشبه شدة العطف [1] وهنا بيت القصيد والفكرة أو النقطة المهمة التي يوثق لها (عليه السلام) .

وكما مر فإن هذا الكلام لم يكن شكلياً بل موثقاً له فجاء بتوثيق قرآني الذي تمثل في الآية القرآنية ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ﴾ أي ان الذين استضعفوا في الأرض سيمن الله عليهم بجعلهم أئمة وجعلهم الوارثين للأرض بعد الإستضعاف[2] فهذه الآية القرآنية هي موثقة لعطف الدنيا لأهل البيت والتي تثبت ذلك التوجه العالمي بوراثة الإمام المهدي (عج) الأرض فكل الدنيا تميل إليهم وتتحول لصالحهم[3].

واختلف الشارح محمد جواد مغنيه بالقول ان الكلام لا يخص الحكم الذي سيتأتى لأهل البيت (عليهم السلام) على الإمام المهدي (عج) بل ان دولة الأمويين والعباسيين ستنكل وتفعل فعلها بأهل البيت ثم تزول ويعلن الولاء لهم وتنتشر علومهم وفضائلهم في شرق الأرض وغربها[4] لكن ما توصلنا إليه بالتوثيق يخالف هذا القول ويثبت عكس ذلك فعطف الدنيا كما تعطف الناقة يوثقه قولة سبحانه بالجعل الإلهي والوراثة للأرض، ولاسيما ان جعلهم أئمة ووارثين وردت عند

(١) ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة (الكبير)، ٥/ ٣٤٩ .

(٢) مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ١٢/ ١٧٣ .

(٣) الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٥/ ٣٧١؛ ألتستري، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، ٣/ ٤٩٥- ٤٩٧؛ عبده، نهج البلاغة، ٣/ ١٩٩- ٢٠٠؛ دخيل، شرح نهج البلاغة، ٣٥- ٣٦/ ١٣ .

(٤) مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٤/ ٣٤٣- ٣٤٤ .

المفسرين بهذا المعنى وهو الحكم وليس نشر العلوم والفضائل فعن قتادة قال: وقوله نريد ان نجعلهم أئمة أي ولاة وملوكاً وقوله ونجعلهم الوارثين يرثون الأرض بعد مهلكهم[١] وعن ابن عباس قادة ورؤساء في الخير يقتدى بهم[٢] وإذ كان هذا يعني نشر العلوم والفضائل كما فهم محمد جواد مغنية فإن هناك العديد من المناطق التي لم تنشر فيها تلك العلوم والفضائل ومن ثم لم يتحقق معنى وراثة الأرض وأيضاً كما قلنا ان ما توصلنا إلية بالتوثيق يدل على منُ الله عليهم بوراثة الأرض بالحكم والقيادة.

وبعد ما تقدم أمكن القول:

١- ان الهدف والغاية من التوثيق لتثبيت فكرة ان المهدي (عج) من أهل البيت (عليهم السلام) وإنهم هم من يحكموا في الأرض دون غيرهم.

٢- من خلال التوثيق وخصوصاً قوله «لتعطفنّ الدّنيا علينا بعد شماسها» والموثق لها في الآية القرآنية ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ﴾ صحح الإمام عليه السلام بعض المفاهيم الخاطئة في تفسير بعض مفاهيم هذه الآية القرآنية بإثبات ان المستضعفين الذين سيمن الله عليهم هم أهل البيت (عليهم السلام) وليس بني إسرائيل[٣] أو المستضعفين الذين يضطهدهم الأقوياء في كل عصر[٤] كما فسره البعض.

---

(١) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القران، ٢٠/ ٣٦ .

(٢) الطبرسي، تفسير مجمع البيان، ٧/ ٤١٤.

(٣) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القران، ٢٠/ ٣٥- ٣٦؛ الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القران، ٧/ ٢٣٢- ٢٣٣. الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ص١٦٥؛ ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ٦/ ٨٧؛ الشيرازي، تقريب القرآن إلى الأذهان، ٤/ ٣٤.

(٤) مغنية، التفسير الكاشف، ٦/ ٤٨- ٤٩.

٣- كما ان قولة لتعطفن الدنيا علينا بعد المنع أي على جميع أهل البيت ومن ثم فإن الإمام ﷺ رسم حال أهل البيت (ﷺ) في كل عصر .

إذن الثابت والقطعي ان الإمام الغائب الذي سيملأ الأرض عدلاً من أهل البيت (ﷺ) وهو الإمام الثاني عشر (عج) لكن متى لا يمكن علم ذلك، إلا أنه عند النظر لهذه القضية من خلال النهج والأسلوب العلمي فيه والتثبت من المعلومة نجد ان هناك ظروفاً وعوامل موضوعية مساعدة أو أرضية ملائمة للرجعة وخروج الإمام (عج)، يقول الإمام علي ﷺ: «**وَطَالَ الْأَمَدُ بِهِمْ لِيَسْتَكْمِلُوا الْخِزْيَ، وَيَسْتَوْجِبُوا الْغِيَرَ؛ حَتَّى إِذَا اخْلَوْلَقَ الْأَجَلُ، وَاسْتَرَاحَ قَوْمٌ إِلَى الْفِتَنِ، وَأَشْتَالُوا عَنْ لِقَاحِ حَرْبِهِمْ، لَمْ يَمُنُّوا عَلَى اللهِ بِالصَّبْرِ، وَلَمْ يَسْتَعْظِمُوا بَذْلَ أَنْفُسِهِمْ فِي الْحَقِّ؛ حَتَّى إِذَا وَافَقَ وَارِدُ الْقَضَاءِ انْقِطَاعَ مُدَّةِ الْبَلَاءِ، حَمَلُوا بَصَائِرَهُمْ عَلَى أَسْيَافِهِمْ، وَدَانُوا لِرَبِّهِمْ بِأَمْرِ وَاعِظِهِمْ**»[1] .

فالتوثيق خلال النص المتقدم أو الفكرة التي يريد ان يوثق لها الإمام ﷺ هي طول الأمد فعندما يقول الإمام ﷺ وطال الأمد بهم فهنا هو الهدف والغاية من التوثيق فالأمد الطويل الذي يسبق عملية ظهور القائم له غاية محددة تتم بذلك الأمد، وهذا الكلام موثق بتوثيق عقائدي وهو الحجة على العباد أو الإختبار في قول الإمام ﷺ ليستكملوا الخزي ويستوجبوا التغير فالإمتحان والإبتلاء باستحكام الخزي وبلوغ الغاية القصوى من الذل والمهانة التي تستوجب تغير النعم مع استراحة واعتياد الناس هي موثق لذلك الأمد الطويل وفي تلك الغاية منه.

أما بخصوص رأي الشارحين فقد انقسموا قسمين: أصحاب الرأي الأول اتفقوا على ان المقصود من ذلك أحوال الجاهلية الذي دانوا لهُ هو الرسول (ﷺ)

(١) نهج البلاغة، ص٣٠٤- ٣٠٥.

[1] وهو الرأي الخاطئ البعيد جداً عن سياق الكلام الذي تركز أكثر في المعاصرين، أما الرأي الثاني الذي يقول بأن هذا الكلام يتصل بكلام قبله لم يذكره الشريف الرضي وهو وصف فئة ضالة قد استولت وملكت واستراح القوم إلى فتن وضلالة هذه الفئة ورفعوا أيديهم وسيوفهم عن محاربتهم مهادنة لها سلماً وكراهية للقتال أما تقية أو شبهة دخلت عليهم ثم أنهض الله العارفين وأطلعهم على أسرار ملكوته كي ينهوا قضاء الله وقدرة في انقضاء مدة تلك الفئة[2] .

وانفرد عن ذلك الخوئي وهو الرأي الأصح الذي يقول: ان المقصود من كلام الإمام المهدي (عج) وليس النبي (صلى الله عليه وآله) والجاهلية أو الفئة الضالة والعارفين بدلالة وقرينة (دانوا لربهم بأمر واعظهم) إشارة إلى الإمام القائم (عج)،أما طول المدّة كما يرى سبباً لتماديهم في الغيّ و الغفلة و فعلهم للآثام و المعاصي وسوء اختيارهم، وبما ان فعل المعاصي يستوجب الخزي و المترتب عليه أيضا تغيّر النّعم فأصبحوا بفعلهم للمعاصي بمنزلة الطّالبين لكمال الخزي ثمّ ترتّب على استكمال الخزي طول الأمد فبطول بقائهم في الدنيا ركبوا الذنوب والمعاصي فاستحقوا بذلك الخزي[3]، وهو الرأي الذي يتناسب مع التوثيق ومن ثم فالغاية للإختبار وإلقاء الحجة بعد أن يستكملوا الخزي وتتغير النعم فتصبح الأرضية والأجواء النفسية مساعدة على ظهور القائم (عج). النتيجة النهائية والعملية الهادفة من التوثيق يمكن ان تلخص في النقاط الآتية:

(١) حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٢/ ٣٦٢- ٣٦٣؛ عبده، نهج البلاغة، ٢/ ٤٨؛ علي أنصاريان شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار، ٢/ ٦٣.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٩/ ١٣٠- ١٣١؛ ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة، ٣/ ٢١٦ - ٢١٧؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٢/ ٤٦٣- ٤٦٤ .

(٣) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٩/ ١٣٨.

١- إحدى علامات ظهور الإمام المهدي (عج) استحكام الجور وانطباقه من كل الجوانب، ومن ثم ظهور بوادر الإصلاح .

٢- النتيجة من استحكام الجور وعملية التهاون والإستراحة إلى الفتن من الناس تؤدي لتغير النعم النتيجة الطبيعية لذلك الجور وتلك الفتن أو مساهمة الطبيعية في العقاب.

٣- الهدف من التوثيق والفكرة المحكمة بالأسس العلمية المتمثلة في طول الأمد لبلوغ الغاية القصوى من الخزي بإذلم يعد ما هو أسوء من تلك الحالة فكلما طال الأمد كلما إزدادت المعاصي وهذا الأمد يعد عملية اختبار وامتحان.

بعد أن وضع الإمام ﷺ بداية للأرضية الملائمة لظهور المهدي (عج)، فيمكن القول أن من الطبيعي ان لكل فعل أو حركة تدعو إلى الخير تكون في المقابل جهة عكس ذلك لأنها دائماً تكون بعيدة عن الدين وبانتصاره سيقضى على كل امتيازاتها، لذلك فإن الفتن التي تظهر في آخر الزمان وأهمها فتنة السفياني لا تختلف كثير عن تلك الحركات البعيدة عن الدين ونظراً لأهميتها ليس كحركة بناء وإعمار وإنما كهدم وتشويه وتحريف للدين فإنها نالت نصيباً من التوثيق في النهج ومحاولة الإمام ﷺ بل وممارسة دورة في القضاء عليها من خلال التعريف والتوعية والتثقيف.

يقول ﷺ فيما يخص تلك الفتنه والحركة الهادمة: «...**وَتَثَبَّتُوا فِي قَتَامِ الْعِشْوَةِ، وَاعْوِجَاجِ الْفِتْنَةِ عِنْدَ طُلُوعِ جَنِينِهَا، وَظُهُورِ كَمِينِهَا، وَانْتِصَابِ قُطْبِهَا، وَمَدَارِ رَحَاهَا. تَبْدَأُ فِي مَدَارِجَ خَفِيَّةٍ، وَتَؤُولُ إِلَى فَظَاعَةٍ جَلِيَّةٍ. شِبَابُهَا كَشِبَابِ الْغُلَامِ، وَآثَارُهَا كَآثَارِ السَّلَامِ، يتوَارَثُهَا الظَّلَمَةُ بِالْعُهُودِ! أَوَّلُهُمْ قَائِدٌ لِآخِرِهِمْ، وَآخِرُهُمْ مُقْتَدٍ بِأَوَّلِهِمْ؛ يَتَنَافَسُونَ فِي دُنْيَا دَنِيَّةٍ، وَيَتَكَالَبُونَ [يتكالمون] عَلَى جِيفَةٍ مُرِيحَةٍ. وَعَنْ**

قَلِيلٍ يَتَبَرَّأُ التَّابِعُ مِنَ الْمَتْبُوعِ، وَالْقَائِدُ مِنَ الْمَقُودِ، فَيَتَزَايَلُونَ بِالْبَغْضَاءِ، وَيَتَلَاعَنُونَ عِنْدَ اللِّقَاءِ [البقاء]. ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ طَالِعُ الْفِتْنَةِ الرَّجُوفِ، وَالْقَاصِمَةِ الزَّحُوفِ [الزجوف]، فَتَزِيغُ قُلُوبٌ بَعْدَ اسْتِقَامَةٍ، وَتَضِلُّ رِجَالٌ بَعْدَ سَلَامَةٍ؛ وَتَخْتَلِفُ الْأَهْوَاءُ عِنْدَ هُجُومِهَا، وَتَلْتَبِسُ الْآرَاءُ عِنْدَ نُجُومِهَا. مَنْ أَشْرَفَ لَهَا قَصَمَتْهُ، وَمَنْ سَعَى فِيهَا حَطَمَتْهُ؛ يَتَكَادَمُونَ فِيهَا تَكَادُمَ الْحُمُرِ فِي الْعَانَةِ! قَدِ اضْطَرَبَ مَعْقُودُ الْحَبْلِ، وَعَمِيَ وَجْهُ الْأَمْرِ. تَغِيضُ فِيهَا الْحِكْمَةُ، وَتَنْطِقُ فِيهَا الظَّلَمَةُ، وَتَدُقُّ أَهْلَ الْبَدْوِ بِمِسْحَلِهَا، وَتَرُضُّهُمْ بِكَلْكَلِهَا! يَضِيعُ فِي غُبَارِهَا الْوُحْدَانُ، وَيَهْلِكُ فِي طَرِيقِهَا الرُّكْبَانُ؛ تَرِدُ بِمُرِّ الْقَضَاءِ، وَتَحْلُبُ عَبِيطَ الدِّمَاءِ، وَتَثْلِمُ مَنَارَ الدِّينِ، وَتَنْقُضُ عَقْدَ الْيَقِينِ. يَهْرُبُ مِنْهَا الْأَكْيَاسُ، وَيُدَبِّرُهَا الْأَرْجَاسُ. مِرْعَادٌ مِبْرَاقٌ، كَاشِفَةٌ عَنْ سَاقٍ! تُقْطَعُ فِيهَا الْأَرْحَامُ، وَيُفَارَقُ عَلَيْهَا الْإِسْلَامُ! بَرِيئُهَا سَقِيمٌ، وَظَاعِنُهَا مُقِيمٌ!»[1].

قبل أن نبدأ بالتوثيق لابد من القول ان هذه الخطبة قد اختلف شارحون حولها كثيراً ولاسيما الفتن الواردة فيها فبعضهم نسبها إلى الفتنة العباسية ورواياتهم السود القادمة من خراسان[2] ومنهم من قال إنها فتنة التتار[3]، وثالث يرى إنها تخص الفتن في آخر الزمان[4] وذهب آخر إلى تأييد الرأيين[5] إلا انه يمكن القول أنها تخص وتنطبق على الفتن في آخر الزمان أكثر من انطباقها على فتن العباسين أو التتار فالإمام عليه السلام في بداية النص حذر من الفتنة التي يتوارثها الظلمة بالعهود

(١) نهج البلاغة، ص٣٠٦- ٣٠٨.

(٢) ألتستري، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، ٦/ ١٣٩.

(٣) ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة (الكبير)، ٣/ ٢٢٤؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٢/ ٣٦٦.

(٤) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٩/ ١٤٣.

(٥) حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٩/ ١٦٥-١٦٦؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٢/ ٣٦٩؛ علي أنصاريان، شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار، ٢/ ٦٨-٦٩.

والتي يكون قادتها أولهم تابع لآخرهم وفي هذه الفتن نذهب مع الشارحين ورأيهم القائل بأنها تخص الفتنة الأموية والأمويين الذين يتبع آخرهم أولهم [١].

ثم عندما يعرج الإمام ﷺ بالقول يأتي بعد ذلك طالع الفتنة الزحوف، هنا نختلف مع الشارحين الذين قالوا بأنها فتنة بني العباس ورايتهم السود المقبلة من خراسان أو أصحاب الرأي القائل بأنهم التتار ونذهب مع الرأي الثالث لأن هنا الإمام ﷺ يقصد فتن آخر الزمان وبالتحديد فتنة السفياني بدلالة قوله يأتي بعد ذلك، أي ان السفياني تابع للأمويين أو من ضمن سلالة النسب[٢] وحتى قوله طالع الفتنة الزحوف أي يأتي من مكان غير بلاد الشام أو من بلاد الكفار و هذا القول يتناسب مع الروايات التي تقول بأن السفياني كان في بلاد الروم ثم يأتي بعد ذلك إلى الشام[٣] .

إما فيما يخص التوثيق الذي يدرس في هذا النص وبعد أن بينا طالع الفتنة الرّجوف، والقاصمة الزّحوف هو السفياني وفتنته وليس الفتن الأخرى التي ذكرها الشارحون فإن التوثيق يدور حول هذه الفتنة فالإمام ﷺ يوثق ان هذه الفتنة الزاحفة مهلكة للخلق يضطرب فيها أمر الإسلام قاصمة بدليل ان هذا الكلام أو التوثيق كونها مهلكة وقاصمة موثق له بتوثيق فكري في قوله فتزيغ قلوب بعد استقامة و تضلّ رجال بعد سلامة و تختلف الأهواء عند هجومها، و تلتبس الآراء عند نجومها أي ان الأجواء الفكرية لهذه الفتنة تؤدي إلى الإلتباس

(١) ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة (الكبير)، ٣/ ٢٢٤؛ ألتستري، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، ٦/ ١٣٦؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٢/ ٣٦٨؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٢/ ٤٧٣ .

(٢) الصدوق، كما الدين وتمام النعمة، ص٦٥١ وينظر العاملي، عصر الظهور، ص٨١ .

(٣) الطوسي، الغيبة،ص ٤٦٣؛ وينظر العاملي، عصر الظهور، ص٣٦.

والوهم لدى الناس فيزيغوا عن الطريق المستقيم وتخرج القلوب من الهدى إلى الردى والهلاك فلم يعرف وجه الحق والصواب في هذه الفتنة وتختلط الآراء الصحيحة بالفاسدة[١].

ان هذه الأجواء الفكرية لهذه الحركة تؤدي إلى الزيغ بعد الإستقامة هي موثقة لفتنة مهلكة قاصمة وبتوثيق عسكري مرة أخرى إذان الوضع العسكري أو الآثار العسكرية لهذه الفتنة أنها تقضي على كل من يقف في وجهها وتصيب أهل البدو إصابة عظيمة أو ان بلاءها شامل حتى لأهل البدو تأتي بالهلاك والدمار تحلب عبيط الدماء،وهذا الكلام المتقدم يثبت كونها فتنة مهلكة كما يوثق له بتوثيق علمي في قوله تغيض فيها الحكمة و تنطق فيها الظّلمة أي قلة العلماء فيها لما يتعرضوا له من القتل[٢] كما يهرب منها الأكياس أصحاب العقول ويدبرها الأرجاس الفساق، ولم تقتصر آثارها على هذه الجوانب بل أنها تطول الدين فتثلم منار الدين بتعطيل كل ما هو معمول به وتنقض عقد اليقين بالتشكيك في العقيدة[٣].

بالمحصلة النهائية ان استحكام الفتنة وأصابتها جميع جوانب الحياة فلا يسلم منها شيء موثقاً للفكرة أو الهدف من التوثيق بأنها فتنة مهلكة قاصمة للدين والناس.

وفي المنطلق نفسه يقول عليه السلام: «**قَدِ انْجَابَتِ السَّرَائِرُ لِأَهْلِ الْبَصَائِرِ، وَوَضَحَتْ مَحَجَّةُ الْحَقِّ لِخَابِطِهَا [لأهلها]، وَأَسْفَرَتِ السَّاعَةُ عَنْ وَجْهِهَا، وَظَهَرَتِ الْعَلَامَةُ**

(١) يظهر بمظهر المتدين (شديد الصفرة به أثر العبادة) فيشكل ويلتبس ذلك في وجه المجتمع لظهوره في مظهر العابد وبين كونه متنصراً يعلق صليب في عنقه، الكوراني، عصر الظهور، ص٨٥ .

(٢) العاملي، عصر الظهور، ص٨٥- ٨٦ .

(٣) الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٢/ ٤٧٤- ٤٧٦؛ وينظر: شمس الدين، التاريخ وحركة التقدم البشري، ص١٨١ .

لِتُوَسِّمِهَا. مَا لِي أَرَاكُمْ أَشْبَاحاً بِلَا أَرْوَاح، وَأَرْوَاحاً بِلَا أَشْبَاح، وَنُسَّاكاً بِلَا صَلَاح، وَتُجَّاراً بِلَا أَرْبَاح، وَأَيْقَاظاً نُوَّماً، وَشُهُوداً غُيَّباً، وَنَاظِرَةً عَمْيَاءَ، وَسَامِعَةً صَمَّاءَ، وَنَاطِقَةً بَكْمَاءَ! رَايَةُ ضَلَالَ قَدْ قَامَتْ عَلَى قُطْبِهَا، وَتَفَرَّقَتْ بِشُعَبِهَا، تَكِيلُكُمْ بِصَاعِهَا، وَتَخْبِطُكُمْ بِبَاعِهَا. قَائِدُهَا خَارِجٌ مِنَ الْمِلَّةِ، قَائِمٌ عَلَى أَلضَّلَّةِ؛ فَلَا يَبْقَى يَوْمَئِذٍ مِنْكُمْ إِلَّا ثُفَالَةٌ كَثُفَالَةِ الْقِدْرِ، أَوْ نُفَاضَةٌ كَنُفَاضَةِ الْعِكْمِ، تَعْرُكُكُمْ عَرْكَ الْأَدِيمِ، وَتَدُوسُكُمْ دَوْسَ الْحَصِيدِ، وَتَسْتَخْلِصُ الْمُؤْمِنَ مِنْ بَيْنِكُمُ اسْتِخْلَاصَ الطَّيْرِ الْحُبَّةَ [الحبة] الْبَطِينَةَ، مِنْ بَيْنِ هَزِيلِ الْحَبِّ»[1].

وهنا التوثيق الذي يتم دراسته هو ان هذه الفتنة ورايتها وهي راية السفياني راية ضلال، تقوم مستحكمة متمركزة كالقطب وتفرقت بشعوبها تكيل الناس كيلاً بالهلاك للدخول في أمرها وتخبط بباعها، فالفكرة أو النقطة الأساسية التي يوثق لها الإمام عليه السلام هي كون هذه الراية راية ضلال ثم دوران باقي الأفكار على هذه الفكرة ولا يحكم على هذا الكلام إنشائياً أو فكرياً بعيداً عن المنهج العلمي بل موثقاً له بتوثيق إطار السيرة الشخصية للسفياني، القيادة لهذه الفتنة فكونها راية ضلال لأن قائدها خارج عن الملة بعيد عن الإسلام قائم على الضلالة ومن دون شك ان من كان بعيد عن الدين يستحكمه الضلال، ونتيجة ذلك عند قيام الفتنة لا يبقى إلا ثفالة كثفالة القدر أي فقط الذين لا أهمية لهم أو القتل الذي سيطول الناس ولاسيما العلماء كما قلنا في النص السابق كما تكون هذه الفتنة شديد الوطئه يستخلص المؤمن منها كما يستخلص الطير الحب باختيار دقيق لبطين الحب من هزيلة[2].

---

(١) نهج البلاغة، ص٢٢٥- ٢٢٦.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٧/ ١٨٨- ١٨٩؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٢/ ١٦٩- ١٧٠.

وبعد ان وضعت النقاط على الحروف أصبح من الواضح القول ان سبب بقاء استخلاص المؤمن وبقاء فقط الأشرار لما وثق له من قيام راية ضلال تعم الجميع بضلالها وتهلكهم لا تباعها وهذه كما قلنا راية السفياني في آخر الزمان وليس راية بني أمية كما فهم الشارح البحراني[1].

ثم انتقل الإمام عليه السلام للتوثيق بوجوب إتباع الإمام المهدي (عج) يقول عليه السلام: **«أَيْنَ تَذْهَبُ بِكُمُ الْمَذَاهِبُ، وَتَتِيهُ بِكُمُ الْغَيَاهِبُ وَتَخْدَعُكُمُ الْكَوَادِبُ؟ وَمِنْ أَيْنَ تُؤْتَوْنَ، وَأَنَّى تُؤْفَكُونَ؟ فَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ، وَلِكُلِّ غَيْبَةٍ إِيَابٌ، فَاسْتَمِعُوا مِنْ رَبَّانِيكُمْ، وَأَحْضِرُوهُ قُلُوبَكُمْ، وَاسْتَيْقِظُوا إِنْ هَتَفَ بِكُمْ. وَلْيَصْدُقْ رَائِدٌ أَهْلَهُ، وَلْيَجْمَعْ شَمْلَهُ، وَلْيُحْضِرْ ذِهْنَهُ، فَلَقَدْ فَلَقَ لَكُمُ الْأَمْرَ فَلْقَ الْخَرَزَةِ [الجوزة]، وَقَرَفَهُ قَرْفَ الصَّمْغَةِ. فَعِنْدَ ذَلِكَ أَخَذَ الْبَاطِلُ مَآخِذَهُ، وَرَكِبَ الْجَهْلُ مَرَاكِبَهُ، وَعَظُمَتِ الطَّاغِيَةُ، وَقَلَّتِ الدَّاعِيَةُ [الراعية]، وَصَالَ الدَّهْرُ صِيَالَ السَّبُعِ الْعَقُورِ، وَهَدَرَ فَنِيقُ الْبَاطِلِ بَعْدَ كُظُومٍ، وَتَوَاخَى النَّاسُ عَلَى الْفُجُورِ، وَتَهَاجَرُوا عَلَى الدِّينِ، وَتَحَابُّوا عَلَى الْكَذِبِ، وَتَبَاغَضُوا عَلَى الصِّدْقِ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَانَ الْوَلَدُ غَيْظاً، وَالْمَطَرُ قَيْظاً، وَتَفِيضُ اللِّئَامُ فَيْضاً، وَتَغِيضُ الْكِرَامُ غَيْضاً، وَكَانَ أَهْلُ ذَلِكَ الزَّمَانِ ذِئَاباً، وَسَلَاطِينُهُ سِبَاعاً، وَأَوْسَاطُهُ أُكَّالًا، وَفُقَرَاؤُهُ أَمْوَاتاً؛ وَغَارَ [عار] الصِّدْقُ، وَفَاضَ الْكَذِبُ، وَاسْتُعْمِلَتِ الْمَوَدَّةُ بِاللِّسَانِ، وَتَشَاجَرَ النَّاسُ بِالْقُلُوبِ، وَصَارَ الْفُسُوقُ نَسَباً، وَالْعَفَافُ عَجَباً، وَلُبِسَ الْإِسْلَامُ لُبْسَ الْفَرْوِ مَقْلُوباً»**[2].

التوثيق الذي يريده هذا النص يتمثل في القول ان لكل غيب لابد من إياب وعند وروده فلابد من الإستماع والإلتفات إلى الرباني والإنتباه والإستيقاظ

(١) شرح نهج البلاغة (الكبير)، ٣/ ٤٥.

(٢) نهج البلاغة، ص٢٢٧- ٢٢٨.

من الغفلة إن هتف وليحدث التصديق وعدم الإلتباس ولا يعني بالرباني نفسه الشريفة كما فهم شارحون[١] بل ان المقصود به الإمام المهدي (عج) بدليل أن سبب هذا الإتباع موثقاً له لأنه أوضح باطن الأمر فلا يبقى اشتباه بين الحق والباطل، كما انه عند ظهور الإمام (عج) فإن الباطل قد أخذ مأخذه وتفشى واتسع وعظم الجور والطغاة وقلت دعاة الهدى كما ان الدهر كان مساعداً أيضاً إذ صال بالبلاء والأمراض والفقر صيال السبع المفترس العقور ويشرع أهل الباطل بالظهور و الناس يتواخون على الفجور فيجاملون على حساب دينهم ويكون الدين عاملاً لتهاجرهم والكذب عاملاً لألفتهم والصدق لتنازعهم وتباغضهم فإذا تحقق كل ذلك فإن الطبيعة وقبل كل شيء تساهم في عقابهم فيكون المطر قيظاً لا يستفاد منه أو ربما يعني قلته، إما الوضع الإجتماعي فإن الولد يكون شاذاً عن منهج والديه فيكون سبب غيظهم وعلى نطاق المجتمع يكثر الفاسدون اللئام ويقل الكرام ومميزات هذا الزمان أيضاً ان أهله ذئاب تختطف الخيرات ولا تبالي، وحكامه وسلاطينه سباع مفترسة، والمتوسطون لا يبالون فقط باستدامة حاجتهم، أما الفقراء فأموات بين هذه الطبقات فتكون المودة مجرد كلمات والنفاق مستشري والفسق متعارف والعفاف والنزاهة من الأمور العجيبة فقلب الإسلام رأساً على عقب وبعد كل هذه الأمور لابد من إتباع الداعي الذي يعيد تصحيح الإنحراف[٢].

(١) الراوندي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ١/ ٤٦٠؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٧/ ١٩٠- ١٩١؛ حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٧/ ٣٠١؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٢/ ٢١٩؛ علي أنصاريان، شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار، ١/ ٣٧٦.

(٢) السرخسي، أعلام نهج البلاغة، ص١٠- ١١؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٢/ ١٧١- ١٧٤.

كما رسم ﷺ معالم دولة الإمام المهدي (عج) بالتفاصيل الدقيقة يقول ﷺ من هذا المنطلق: «**أَلَا وَفِي غَدٍ -وَسَيَأْتِي غَدٌ بِمَا لَا تَعْرِفُونَ- يَأْخُذُ الْوَالِي مِنْ غَيْرِهَا عُمَّالَهَا عَلَى مَسَاوِئِ أَعْمَالِهَا، وَتُخْرِجُ لَهُ الْأَرْضُ أَفَالِيذَ كَبِدِهَا، وَتُلْقِي إِلَيْهِ سِلْماً مَقَالِيدَهَا، فَيُرِيكُمْ كَيْفَ عَدْلُ السِّيرَةِ، وَيُحْيِي مَيِّتَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ**»[1] .

التوثيق في صيغة سؤال بأن غداً في المستقبل يأتي بما لا يعرف أي ان المستقبل سيأتي بشيء عظيم ولم يكن مطبق لذلك لم يعرف وبهذا يريد الإمام ﷺ توثيق إجلال المستقبل في النفوس وهذا الكلام موثقاً له بتوثيق تاريخي مستقبلي؛ لأن الوالي وهو الإمام (عج) أو القيادة للأمة والتي تمثلت في شخص الإمام يحاسب فيها الولاة والمسؤولين في دولته فلا يوجد ظلم أو جور بل النزاهة هي السائدة وتسهم الطبيعة في تلك الرفاهية فتخرج الأرض له بكنوز وتسلم له الملوك مقاليد أمرهم لقوته فيمتلك الأمور الطبيعية والبشرية وتكون كل الأرض بيده يحكم بالعدل بتطبيق مبادئ القرآن وألسنة فيرى العدل في كل مجال[2].

(١) نهج البلاغة، ص٢٨٦ .

(٢) الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٢/ ٤١٠.

الفصل الرابع

التغطية التوثيقية للمفاهيم التاريخية ومعطياتها الفكرية

مـن المعلـوم أن كلام الإمـام ﷺ في النهـج لا يخـص موضوعـاً واحـداً بعينـه بـل حتى النص الـذي يتطرق لموضـوع فإنه يشـمل أبعـاداً عـدة، واسـتناداً إلى هـذا المفهـوم فإن النص التاريخي في النهـج يمكـن ان يكـون مصـدراً لتغطيـة فكريـة في مجـال الفكـر السـياسي أو الفكـر العسـكري أو الفكـر الإنسـاني وسـتكون الدراسـة ضمـن هـذا الإطـار بتوثيـق أحـداث تاريخيـة تعامـل معهـا الإمـام ﷺ و طرحهـا بشـكل يسـهم في تغطيـة فكريـة واسـعة في المجـالات المذكـورة.

أولاً: توثيق المفهوم السياسي وتغطيته الفكرية

هنـاك العديـد مـن المفاهيـم السياسـية التـي تتجـلى في النصـوص التاريخيـة التـي وثـق لهـا الإمـام ﷺ ومـن هـذه المفاهيـم البنـى التحتيـة لـكل دولـة ونقصـد بذلـك الحاكـم والحكومـة، ومـن المعلـوم أن هذيـن الطرفـين محـور تـدور عليـه جميـع جوانـب الدولـة بـل ان انهيـار الأنظمـة أو نجاحهـا معتمـد عليهـا لذلـك يتـم التأكيـد دائـماً على ان الشـخص المتـولي يجـب أن يكـون عـلى مستوى ولاسـيما المستوى الإجتماعـي كالأخلاق مثـلاً الـذي يُعطـا الأفضليـة عـلى الجانـب العلمـي، هنـا نـص التاريخـي يتنـاول مسـألة يخاطـب بهـا الإمـام ﷺ معاويـة بـن أبي سـفيان «**وَمَتَى كُنْتُمْ يَا مُعَاوِيَةُ سَاسَةَ الرَّعِيَّةِ، وَوُلَاةَ أَمْرِ الْأُمَّةِ؟ بِغَيْرِ قَدَمٍ سَابِقٍ، وَلَا شَرَفٍ بَاسِقٍ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ لُزُومِ سَوَابِقِ الشَّقَاء**»[1].

فعندمـا يقـول الإمـام ﷺ لمعاويـة انـك لا يمكـن ان تـلي أمـر الأمـة فهـذه هـي مـادة التوثيـق أي أن الإمـام ﷺ يريـد أن يصـل بحقيقـة مـن التوثيـق ان معاويـة لا يمكـن ان يكـون حاكـماً عـلى الأمـة، وهـذا الـكلام لا يعنـي أنـه حكـم مؤقـت خـلال فـترة معينـة

(١) نهج البلاغة، ص٥٥٧ .

وإنما حكم قطعي ولا يعني ان الإمام ﷺ ينظر إلى معاوية نظرات شخصية قائمة على العصبية والكرة لأنه رفض ان يبايع له بل ان هناك غرضاً من ذلك القول موثق له بتوثيق السيرة الشخصية وهو ان معاوية ليس من ذوي السيرة الحسنة أولاً، وليس له شرف باسق رفيع ثانياً وهاتان الخصلتان الشرف الرفيع والسابقة الجيدة هن من سوابق شقاء الإنسان ان لم يتمتع بها فلا يمكن ان يكون ولي أمر الأمة فسابقة الشرف والتقدم في الأمور شرط للأهلية [1]. واعترض ابن أبي الحديد بأن هذا الكلام ينبغي إلا يحمل على نفي سيادتهم في الجاهلية وإنما في الإسلام بدلاله قولة الإمام ﷺ ولاة أمر الأمة أي أمة (محمد ﷺ)[2]. لكن ينبغي القول ان النتيجة التي نصل إليها من التوثيق والتي أراد الإمام ﷺ ان يوصلها سواء لمعاوية خصوصاً وللناس عموماً انه لا يمكن ان يتولى أمر الأمة لأنه ليس من ذوي السوابق، وهذه المحاججة هي في الدين وقيادة الدولة الإسلامية بالتأكيد، كما انه ليس له نسب عال وهاتان الصفتانِ هما أساس ارتقاء المنصب، ويمكن ان نستشف المفاهيم السياسية مما سبق:

١- أطار السيرة النسبية فضلاً عن السيرة الشخصية من شروط مؤهلات تولي الحكم .

٢- برنامج سياسي قائم على مفهوم علمي يتمثل في أثر التربية في تكوين الشخصية وتركيزها على خط معين، ومن ثم فإن من كان إطاره الأسري فيه خلال لا يصلح للإنتخاب وتولي الحكم.

---

(١) ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة (الكبير)، ٤/ ٣٧٤؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٣/ ٤٤٥- ٤٤٦؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٣/ ٤٠٥- ٤٠٦ .

(٢) شرح نهج البلاغة، ١٥/ ٨١ .

٣- ربما ان السبب من ذلك كون النسب الرفيع والسابقة الحسنة من المؤهلات لأن ذلك يرتبط بمدى التأثير على المجتمع فضلاً عن ان هذا الحاكم نفسه غير المنضبط لا شك ان قراراته وقوانينه ستكون ذات نوايا مصلحية وليس من أجل تحقيق العدل.

كما عالج الإمام ﷺ مسألة أهمية وجود الحاكم عندما تصدى لشعار الخوارج (لا حكم إلا لله) وأبطل محتواه «**كَلِمَةُ حَقٍّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ! نَعَمْ إِنَّهُ لَا حُكْمَ إِلَّا لله،وَلَكِنْ هَؤُلَاءِ يَقُولُونَ: لَا إِمْرَةَ إِلَّا لله، وَإِنَّهُ لَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ يَعْمَلُ فِي إِمْرَتِهِ الْمُؤْمِنُ، وَيَسْتَمْتِعُ فِيهَا الْكَافِرُ، وَيُبَلِّغُ اللهُ فِيهَا الْأَجَلَ، وَيُجْمَعُ بِهِ الْفَيْءُ، وَيُقَاتَلُ بِهِ الْعَدُوُّ، وَتَأْمَنُ بِهِ السُّبُلُ،وَيُؤْخَذُ بِهِ لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ، حَتَّى يَسْتَرِيحَ بَرٌّ، وَيُسْتَرَاحَ مِنْ فَاجِرٍ**»[1]، وقد تعرفنا فيما سبق بأن شعارهم باطل لأنهم ينفون الأمارة التي تتولى معالجة القضايا التي تتعرض مسير الأمة يريدون بذلك الفوضى وتعطيل دور الحياة.

من هنا فإن النتيجة المستخلصة ان الإمام ﷺ يوثق ان بعض الشعارات التي تدور في الساحة السياسية هدفها التضليل وتشويه الصورة باستخدام العمل الإعلامي المضاد من أجل إخفاء الحقائق المبطنة، لأن وجود الحاكم ضروري حتى وان كان فاجراً فلابد من وجود سلطة راعية ضابطة ترعي شؤونهم توفير الأمن بقتال الأعداء وتوفير مستوى إقتصادي للدولة يعمل فيها المؤمن ويستمتع الكافر، أي ان دور المؤمن في التصدي للظالم هو جزء من واجبه؛ لأن الكلام لا يعني الركون والخضوع للحاكم المتسلط[2].

---

(١) نهج البلاغة، ص٩٣

(٢) حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ١/ ٢٠٠- ٢٠١؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ١/ ٣١١-٣١٣١.

فالإمام عليه السلام وفق التوثيق الذي رد فيه على الخوارج أراد إيصال مفهوم أهمية وجود الخليفة، فضلاً انه يهدف من وراء ذلك التوعية والتثقيف بملاحظة الشعار الذي يرفع وأبعاد ذلك العمل الإعلامي، لكنه في الوقت ذاته يلفت الإنتباه لضرورة البعد الإعلامي في الجانب السياسي بحيث رفع الخوارج ذلك الشعار على مساحة واسعة مستغلين الجهل لدى الأمة فتصدى له عليه السلام.

ومن دون شك ان المعرفة التاريخية أو الرصيد الفكري التاريخي أمر في غاية الأهمية ولاسيما للدولة كونه مثال حي وتجربة طبقت على أرض الواقع، لذلك عند قراءة خطب الإمام عليه السلام في النهج نجده دائماً يثقف ويوعي على الإعتبار بالتاريخ أو القرون الماضية، والنقطة الجوهرية ان ما يوثق له الإمام عليه السلام في المفهوم السياسي من خلال النص التاريخي يسهم في تغطية فكرية ثمينة في هذا المجال لأنه يوثق لمثال طبق وأثبت صلاحه أو فسادة بل انه عليه السلام يوثق له ليؤسس لرصيد فكري مستفاد منه وليس للنقد واعتباره تاريخاً ماضياً، وبصدد المفهوم السياسي وتغطيته فإن الإمام عليه السلام يوثق ان من ضمن أسباب صلاح الحكم هو النضوج العقلي التام والبعيد عن العاطفة موثقاً بحوادث تاريخية يقول عليه السلام «**يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يُقَرَّبُ فِيهِ إِلَّا الْمَاحِلُ [الاجن]، وَلَا يُظَرَّفُ فِيهِ إِلَّا الْفَاجِرُ، وَلَا يُضَعَّفُ فِيهِ إِلَّا الْمُنْصِفُ، يَعُدُّونَ الصَّدَقَةَ فِيهِ غُرْماً، وَصِلَةَ الرَّحِمِ مَنّاً، وَالْعِبَادَةَ اسْتِطَالَةً عَلَى النَّاسِ! فَعِنْدَ ذَلِكَ يَكُونُ السُّلْطَانُ بِمَشُورَةِ النساءِ، وَإِمَارَةِ الصِّبْيَانِ، وَتَدْبِيرِ الْخِصْيَانِ!**»[1].

فيوثق الإمام عليه السلام خلال هذا النص لفساد وضعف الحكم في المستقبل، أي في الدولتين الأموية والعباسية [2] واستعرض مجموعة من أمثلة ذلك الفساد أو الخلل في تلك الدولتين الذي تتبدل فيه المقاييس والموازين يصل حتى إلى الدين فتعد

(١) نهج البلاغة، ص٧٤٠.

(٢) حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٢١/ ١٥٠- ١٥١.

الزكاة ضريبة إجبارية، بيد ان سبب ذلك الفساد والضعف لم يأتِ اعتباطاً وهو ما يهدف الإمام (عليه السلام) ان يوصله فوثق له علمياً في قوله ان السلطان سيكون بمشورة النساء وإمارة الصبيان وتدبير الخصيان، بالمعنى ان سبب ضعف الحكم لأن إدارة أمور السلطة ستكون بمشورة النساء ومن المعلوم ان المرأة تتمتع بعاطفة قوية ومن ثم فإن تلك العاطفة تؤثر على رأيها وعلى توليها المشورة السياسية التي سيطغى عليها الجانب العاطفي، أما الصبيان فالصبي لم يصل إلى مرحلة النضوج العقلي التام لكي يدير أمور السياسة فيدبر الحكم الخصيان العبيد[1] ومن ثم فإن الخلل تجلى في مختلف جوانب الدولة،و ما تقدم ينطبق تماما على الدولتين الأموية[2] العباسية الذي أصبح فيه للمرأة اليد الطولى في السياسة وما حدث من جراء ذلك [3] . ومن أجل توضيح هذا الخط لفساد الحكم نذكر ما يأتي:

(١) الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٥/ ٢٧٨، ينظر د حميد سراج، الجودة وفلسفة إتقان العمل في فكر الأمام علي (عليه السلام)، ص٧٩- ٨٣.

(٢) للتفاصيل عن تدخل النساء في السياسية، ينظر: صبيح نوري خلف ألحلفي، نساء البيت الأموي ودورهن في الحياة الاجتماعية والسياسية حتى نهاية العصر الأموي، الفصل الأول، ص١٦٥- ١٨٠، والفصل الثاني، ص١٨١- ٢٠٠ .

(٣) ولدينا العديد من النماذج لتولي المرأة السياسية في الدولة العباسية وما حدث من جراء ذلك نتيجة الميول والعواطف من مفاسد سياسية كالخيزران زوجة المهدي العباسي التي انفردت بإدارة الأمور ولم يرغب ابنها الهادي ان تتدخل فأبعدها مما شكل ضغينة بين الطرفين وفي الوقت ذاته علمت بسعيه لعزل أخيه هارون عن ولاية العهد فدبرت قتله حتى مات خنقاً، الزركلي، الأعلام، ٢/ ٣٢٨ ثم زبيدة زوجة هارون التي تدخلت أيضا في السلطة وأرغمت هارون على تولية ابنها الأمين بدل المأمون فبويع له بولاية العهد وعمرة خمس سنين، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٣١٤ وما حدث من جراء ذلك من حروب بين الأخويين كما كان لقبيحة أم المعتز أيضا دور في السياسة تجلى في إفساد مؤسسة ألدولة والإستحواذ على الأموال، ابن مسكويه، تجارب الأمم، ٤/ ٣٨٧ والسيدة شغب التي كان لها دور في أخذ الخلافة لابنها المقتدر ثم تولت الرئاسة، ابن كثير، البداية والنهاية، ١١/ ١٩٩ لأن ابنها كان لا يتجاوز ثلاث عشرة سنة فتولت مع الخدم

١- أحد أسباب ضعف الحكم تولي النساء قيادة الأمة بسبب الطبيعة الفطرية لها، التي تتميز بالرقة والعاطفة الجياشة.

٢- ان تصنيف المرأة يقتضي ان تتولى السلطة بصورة غير مباشرة من خلال توليها إدارة المنزل لتربي الحاكم إذ ان سبب الضعف تولي النساء والصبيان الذين تولى رعايتهم العبيد لأن النساء كانت منهمكة في السياسة ففسدت الدولة والأسرة.

ثم إتخذ الإمام عليه السلام بالتوثيق مرحلة جديدة تتعلق بالبعد الإداري في الجانب السياسي وبمنطق إصلاحي عند تعامله مع الأحداث التاريخية منها عندما استشاره عمر بن الخطاب في الخروج لإحدى الغزوات لقتال الفرس قال له عليه السلام: **«وَمَكَانُ الْقَيِّمِ بِالْأَمْرِ مَكَانُ النِّظَامِ مِنَ الْخَرَزِ يَجْمَعُهُ وَيَضُمُّهُ: فَإِنِ انْقَطَعَ النِّظَامُ تَفَرَّقَ الْخَرَزُ وَذَهَبَ، ثُمَّ لَمْ يَجْتَمِعْ بِحَذَافِيرِهِ أَبَداً. وَالْعَرَبُ الْيَوْمَ، وَإِنْ كَانُوا قَلِيلًا، فَهُمْ كَثِيرُونَ بِالْإِسْلَامِ، عَزِيزُونَ بِالِاجْتِمَاعِ! فَكُنْ قُطْباً، وَاسْتَدِرِ الرَّحَى بِالْعَرَبِ، وَأَصْلِهِمْ دُونَكَ نَارَ الْحَرْبِ، فَإِنَّكَ إِنْ شَخَصْتَ مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ انْتَقَضَتْ عَلَيْكَ الْعَرَبُ مِنْ أَطْرَافِهَا وَأَقْطَارِهَا، حَتَّى يَكُونَ مَا تَدَعُ وَرَاءَكَ مِنَ الْعَوْرَاتِ أَهَمَّ إِلَيْكَ مِمَّا بَيْنَ يَدَيْكَ. إِنَّ الْأَعَاجِمَ إِنْ يَنْظُرُوا إِلَيْكَ غَداً يَقُولُوا: هَذَا أَصْلُ [رجل] الْعَرَبِ، فَإِذَا اقْتَطَعْتُمُوهُ اسْتَرَحْتُمْ، فَيَكُونَ ذَلِكَ أَشَدَّ لِكَلَبِهِمْ عَلَيْكَ، وَطَمَعِهِمْ فِيكَ»**[1].

أمور السلطة بل ان خادمتها كانت هي تجلس للنظر في المظالم، القلقشندي، مآثر الانافة في معالم الخلافة، ١/ ٢٧٦ كما لعبت القهرمانة أم موسى دوراً بارزاً حيث كانت تولي وتعزل، حيث كانت الوزراء تخاف سطوتها وان تفسد عليه وزارته، فترشى كي يؤمن جانبها، ابن مسكويه، تجارب الأمم، ٥/ ٧٣- ٧٤ كما كان لها دور يمثل في عزل الوزير علي بن عيسى، واعتقل عند زيدان القهرمانة، ابن مسكويه، تجارب الأمم، ٥/ ٩٥ ان كل هذه نماذج على ولاية النساء السياسية وما يلي ذلك من مفاسد وضعف والحكم نتيجة جانب العاطفة الذي تتميز به المرأة لذلك وكما رأينا فيما سبق دائما تستغل مكانتها لدى الخلفية لتجعل ولاية العهد لابنها .

(١) نهج البلاغة، ص٢٩٦- ٢٩٧.

التوثيق في هذا النص يندرج تحت عنوان خاطبوهم على قدر عقولهم حيث استعمل الإمام ﷺ صورة أو تمثيلاً من الواقع لإيصال الغرض وهو أهمية الدور القيادي الإداري للحاكم الذي استشاره للخروج بنفسه لحرب الأعاجم، فدوره في السلطة كدور السلك من الخرز فبوجوده يجمع ويضم الخرز فإذا انقطع تفرق الخرز ثم لم يجتمع كما كان، فلماذا يقول الإمام ﷺ له وأصلهم دونك نار الحرب؟ وكيف يوثق ان الحاكم القيم من الأمر كالسلك من الخرز وهو قطب الرحى تدور به العرب؟

ويمكن الإستدلال على ذلك التوثيق من الموثق له وهو التوثيق الإداري أو بالأدق توثيق الإدارة في الفكر السياسي في القاعدة النظرية ان شخصت انتقضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها حتى يكون ما خلف من العورات وهي جبهات الإسلام التي ستنفتح بخروجه أهم مما بين يديه وهم الفرس الجبهة الخارجية، كما ان الأعداء ينظرون للخليفة على انه يمثل الإسلام كله فإذا قضوا عليه يشتد ساعدهم ويعظم الخطر[1]، ومن ثم فإن فلسفة الإمام ﷺ بتلك المشورة التي أبدها للحاكم لأن خروجه ربما يؤدي إلى ثورات داخلية تطيح بالإسلام أو ردات لا يمكن السيطرة عليها، ويمكننا ان نلتمس الأبعاد السياسية فضلاً عن أبعاد أخرى بما يأتي:

١- أبعاد فلسفة النظام الإداري الناجح يقوم على الأشراف المباشر من الحاكم.

٢- التأكيد على كون الأمور الداخلية أهم من السياسة الخارجية فلا معنى للقوات الخارجية إذ لم يكن لها دعامة تستند إليها.

(١) حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٢/ ٣٣٩- ٣٤٠؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٢/ ٤٤٠- ٤٤١؛ دخيل، شرح نهج البلاغة، ١٣- ١٤/ ٢٩- ٣٠؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٢/ ٣٣٢- ٣٣٣.

٣- قول الإمام عليه السلام «العرب اليوم و إن كانوا قليلاً، فهم كثيرون بالإسلام، عزيزون بالإجتماع» يدل على دور العقيدة في القتال بحيث تحول القلة إلى طاقة هائلة تعادل ضعف الجيش المقابل كما يشير عليه السلام إلى قضية وهي قضية سيادة العرب بالاجتماع والكثرة بالإسلام.

٤- كما ان قوله (فإنّك إن شخصت من هذه الأرض انتقضت عليك العرب من أطرافها و أقطارها) يفهم منه عدم استقرار الإسلام بشكل فعلي في الجزيرة العربية والإنقلاب السريع الذي سيحدث في حال عدم وجود خليفة وتدل أيضاً ان جواب الإمام عليه السلام للخليفة قائم على استقراء طبيعة المجتمع ودراسة الخصم المقابل.

وفي الإطار نفسه من التوثيق وهو البعد الإداري في الجانب السياسي يقول عليه السلام بعد ان جمع الناس وحثهم على الجهاد[١] فسكتوا ملياً «**مَا بَالُكُمْ أَمْخُرَسُونَ أَنْتُمْ؟ فَقَالَ قَوْمٌ مِنْهُمْ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنْ سِرْتَ سِرْنَا مَعَكَ، فَقَالَ عليه السلام: مَا بَالُكُمْ! لَا سُدِّدْتُمْ لِرُشْدٍ! وَلَا هُدِيتُمْ لِقَصْدٍ! أَفِي مِثْلِ هَذَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَخْرُجَ؟ وَإِنَّمَا يَخْرُجُ فِي مِثْلِ هَذَا رَجُلٌ مِمَّنْ أَرْضَاهُ مِنْ شُجْعَانِكُمْ وَذَوِي بَأْسِكُمْ، وَلَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَدَعَ الْجُنْدَ وَالْمِصْرَ وَبَيْتَ الْمَالِ وَجِبَايَةَ الْأَرْضِ، وَالْقَضَاءَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَالنَّظَرَ فِي حُقُوقِ [حق] الْمُطَالِبِينَ، ثُمَّ أَخْرُجَ فِي كَتِيبَةٍ أَتْبَعُ أُخْرَى، أَتَقَلْقَلُ تَقَلْقُلَ الْقِدْحِ فِي الْجُفِيرِ الْفَارِغِ، وَإِنَّمَا أَنَا قُطْبُ الرَّحَا تَدُورُ عَلَيَّ وَأَنَا بِمَكَانِي، فَإِذَا فَارَقْتُهُ اسْتَحَارَ مَدَارُهَا، وَاضْطَرَبَ ثُفَالُهَا. هَذَا لَعَمْرُ اللهِ الرَّأْيُ السُّوءُ. وَاللهِ لَوْ لَا رَجَائِي الشَّهَادَةَ عِنْدَ لِقَائِي الْعَدُوَّ -وَلَوْ قَدْ حُمَّ لِي لِقَاؤُهُ- لَقَرَّبْتُ رِكَابِي ثُمَّ شَخَصْتُ عَنْكُمْ فَلَا أَطْلُبُكُمْ مَا اخْتَلَفَ جَنُوبٌ وَشَمَال**»[٢]

---

(١) ذكر الثقفي ان هذا الحديث للكوفيين عندما حثهم الإمام عليه السلام للجهاد بعد قدوم زرارة بن قيس مخبره بالعدة التي خرج بها بسر، الغارات، ٢/ ٦٢٤- ٦٢٥

(٢) نهج البلاغة، ص٢٥٥- ٢٥٧.

كان مجتمع الإمام ﷺ رافضاً الخروج إلى الجهاد ولكن هذا الرفض الذي ينطوي عليه تفكيرهم رفض داخلي إلا أنه ترجم وبرز على أرض الواقع بمقولتهم تلك (إن سرت معنا سرنا معك)، ومن هذا المنطلق فإن الإمام ﷺ يوثق أن هذا الرأي هو رأي سوء ووثق له بدليل علمي مستعملاً أداة وهي قطب الرحا ووجه الشبه هي التي تصحح الحركة بمكانها فإن فارقت مكانها حدث اضطراب، ومن هنا قوله لأصحابه انه رأي سوء؛ لأن بخروجه يضطرب المصر وينهب بيت المال والقضاء وتعطل جباية الأرض والنظر في حق المطالبين[1] فاضطراب جميع هذه الوزارات للخروج في كتيبة متقلقلة لأنه رأي سوء. يمكن ان نسجل بعض النقاط وفق ما تقدم:

١- البعد السياسي في التوثيق يتمثل في نظام الوزارات والإشراف المباشر من الحاكم.

٢- التشتت والضياع الذي يحدث في حال إعطاء الحاكم الأولوية للقضايا العسكرية الخارجية وترك الأمور الداخلية، وإنما تتم إدارة الأمور الخارجية من الداخل.

٢- يدل هذا النص على تثاقل مجتمع الإمام ﷺ بالخروج إلى الجهاد وخطبته هذه لتوبيخهم وليس للدعاء عليهم كما رأى شارحين[2].

(١) ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة (الكبير) ٣/ ١١١- ١١٢؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٢/ ٢٠٩- ٢١٠؛ ألتستري، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، ١٠/ ٤٨٧- ٤٨٩؛ دخيل، شرح نهج البلاغة، ١١- ١٢/ ٣٠- ٣٢.

(٢) ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة، ٣/ ١١١؛حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٨/ ١٠٥؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٢/ ٣١٨؛ علي أنصاريان، شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار، ١/ ٤٠٥.

كما يوثق الإمام عليه السلام في المفهوم السياسي لقضية العدالة في توزيع الثروة وبحسب الإستحقاق، موثقاً بحادثة تاريخية وهي وصول الإخبار له بأن عامله على أردشير خرة[1] مصقلة يؤثر فئة على أخرى في توزيع الأموال فيقول عليه السلام له: «**بَلَغَنِي عَنْكَ أَمْرٌ إِنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ فَقَدْ أَسْخَطْتَ إِلَهَكَ، وَعَصَيْتَ إِمَامَكَ؛ أَنَّكَ تَقْسِمُ فَيْءَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِي حَازَتْهُ رِمَاحُهُمْ وَخُيُولُهُمْ، وَأُرِيقَتْ عَلَيْهِ دِمَاؤُهُمْ، فِيمَنِ اعْتَامَكَ مِنْ أَعْرَابِ قَوْمِكَ. فَوَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، لَئِنْ كَانَ ذَلِكَ حَقّاً لَتَجِدَنَّ لَكَ عَلَيَّ هَوَاناً، وَلَتَخِفَّنَّ عِنْدِي مِيزَاناً، فَلَا تَسْتَهِنْ بِحَقِّ رَبِّكَ، وَلَا تُصْلِحْ دُنْيَاكَ بِمَحْقِ دِينِكَ، فَتَكُونَ مِنَ الْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا. أَلَا وَإِنَّ حَقَّ مَنْ قِبَلَكَ وَقِبَلَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي قِسْمَةِ هَذَا الْفَيْءِ سَوَاءٌ؛ يَرِدُونَ عِنْدِي عَلَيْهِ، وَيَصْدُرُونَ عَنْهُ**»[2].

التوثيق هنا هو قوله عليه السلام لمصقلة انك ان فعلت ذلك وهو تأثير قومه بالأموال لتخفن عندي ميزاناً ولتجدن علي هوان، نصوغ التوثيق بمعنى أدق لماذا رفض الإمام عليه السلام أن يعطي مصقلة الأموال لأقربائه وقومه ويصل لمرحله ان يسقط من نظر الإمام عليه السلام والذي من دون شك اختاره وفق مميزات وسقوطه من نظره سقوط تلك المميزات، وثق عليه السلام لذلك التوثيق بتوثيق إقتصادي وهو التوزيع العادل في الثروة والتساوي في الإستحقاق سواء ضمن منطقته أو منطقه أخرى فضلاً عن ورود الأموال عند الإمام عليه السلام فإليه يعود ومنه يخرج لأنه بيده الأموال،

(١) أردشير خرة: اسم مركب معناه بهاء أردشير و أردشير من ملوك الفرس وهي من كور فارس مناخها شديد الحرارة كثيرة الثمار أكثرها ممتد على البحر وقيل اختطها نمرود بن كنعان ثم عمرت من بعده، فيها العديد من المدن منها شيراز،الحموي، معجم البلدان، ١/ ١٤٦ التي كانت قاعدة دار مملك فارس ينزلها الولاة والعمال وبها الديوان والجباية، الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ١/ ٤٠٥.

(٢) نهج البلاغة، ص٦٢٨- ٦٢٩.

وعمله (مصقلة) ذلك إنما يوجب الاختلال المالي والإقتصادي[1].

بالمحصلة سقوط مصقلة بنظر الإمام ﷺ لأن بفعلة غير العادل حرم المستحقين أولاً وخلق الفتنة ودواعي التفكك والإنهيار ثانياً وإحدث الفساد والإختلال الإقتصادي ثالثاً.

ولعل ما تقدم من توثيق تاريخي شكل فلسفة ومفهوماً لخلق نظام سياسي ناجح لكن يمكن القول ان نجاح ذلك النظام لا يعتمد فقط على الجهة السياسية وان كانت تشكل الطرف الأهم وإنما تمسك بأطراف قاعدتين كما في فلسفة الإمام علي ﷺ وهي الجهة الحاكمة والجهة المحكومة بل أن صلاح الأولى مرتبط بالثانية وقد بحث الإمام ﷺ تلك القضية بشكل كاف وبينها لأصحابه بأن التقدم غير المحدود للحاضر والمستقبل مرتبط بصلاحهم وأثر وحدتهم في السيادة .

ثم يبدأ الإمام ﷺ بعرض المواقف التاريخية بالتوثيق لها التي أدت إلى تمزيق وحدة المجتمع ومن ثم التردي والإنهيار لتجنب المرور بالتجربة نفسها واختيار المسلك التي ثبت نجاحه، ومن أبرز الأمور التي تؤدي إلى تلك النتيجة من الإنحطاط هو الصراعات القبلية والعنصرية وفضلاً عن كونها مرضاً في المجتمع فإنها تؤدي أيضا إلى توليد أمراض أخرى في المجتمع حيث ترسخ القبلية في نفس الفرد فتكون معوقاً حضارياً يجمد المجتمع في حالة تخلف في الوقت ذاته تؤدي إلى زيادة سلطة القبيلة في قبال سلطة الدولة[2]. يوثق الإمام ﷺ للمعنى المتقدم بقوله: «**فَاللهَ اللهَ فِي كِبْرِ الْحَمِيَّةِ، وَفَخْرِ الْجَاهِلِيَّةِ! فَإِنَّهُ مَلَاقِحُ الشَّنَآنِ، وَمَنَافِخُ**

(١) حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٢٠/ ٨٢؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٤/ ٤٥٨- ٤٥٩؛ دخيل، شرح نهج البلاغة، ٢٩- ٣٠/ ٧- ٩ .

(٢) شمس الدين، التاريخ وحركة التقدم البشري، ص١٠٦- ١٠٧.

الشَّيْطَانِ، التِي خَدَعَ بِهَا الْأُمَمَ الْمَاضِيَةَ، وَالْقُرُونَ الْخَالِيَةَ؛ حَتَّى أَعْنَقُوا فِي حَنَادِسِ جَهَالَتِهِ، وَمَهَاوِي ضَلَالَتِهِ، ذُلُلًا عَنْ سِيَاقِهِ، سُلُساً فِي قِيَادِهِ. أَمْراً تَشَابَهَتِ الْقُلُوبُ فِيهِ، وَتَتَابَعَتِ الْقُرُونُ عَلَيْهِ، وَكِبْراً تَضَايَقَتِ الصُّدُورُ بِهِ»[1].

فيوثق عليه السلام بأن العصبية والعنصرية افتخار الجاهلية إذ كانوا يتفاخرون بإبائهم العظام، هي من نفخات الشيطان التي خدع بها الأمم الماضية وشتتهم موثقاً لذلك بدليل عليه السلام قوله بأن تلك الصراعات العنصرية هي من خدع الشيطان موثقاً له بدليل واقعي في قوله عليه السلام بأنهم اعنقوا في حنادس جهالته وهذا دليل على ان تلك العصبية العنصرية هي من نفخات الشيطان لأنه أغرقهم في تلك الصراعات لا يخرجون منها[2] فذاقوا مرارتها.

وفي نص آخر يوثق الإمام عليه السلام لآفاق إدامة الحكم وما يتبع ذلك من تطور، الذي هو نتيجة طبيعية لمجتمع خالي قضي فيه على الصراعات بتجربة تاريخية والذي جاء ضمن نص مستقبلي موجه إلى أصحابه يقول عليه السلام فيه: «**وَإِنِّي وَاللهِ لَأَظُنُّ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ سَيُدَالُونَ مِنْكُمْ بِاجْتِمَاعِهِمْ عَلَى بَاطِلِهِمْ، وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ، وَبِمَعْصِيَتِكُمْ إِمَامَكُمْ فِي الْحَقِّ، وَطَاعَتِهِمْ إِمَامَهُمْ فِي الْبَاطِلِ، وَبِأَدَائِهِمُ الْأَمَانَةَ إِلَى صَاحِبِهِمْ وَخِيَانَتِكُمْ، وَبِصَلَاحِهِمْ فِي بِلَادِهِمْ وَفَسَادِكُمْ**»[3].

فتوثيق الإمام عليه السلام خلال هذا الخطاب الموجه إلى أصحابه ولاسيما أهل العراق ان معاوية ومن تبعه سيكون لهم دولة في المستقبل متكلماً في ذلك تكلم خبير وفق قانون علمي وقاعدة سياسية، موثقاً له بتوثيق قاعدي مادي بتوظيف أدوات

(١) نهج البلاغة، ص٤٣٣.

(٢) الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٣/ ٣٠٠- ٣٠١، وينظر شمس الدين، التاريخ وحركة التقدم البشري، ص١٠٨ .

(٣) نهج البلاغة، ص٦٦.

وهي الإجتماع والمؤازرة والطاعة وأداء الأمانة والصلاح في البلاد مع غض النظر عن نوع ذلك الإجتماع وتلك الطاعة، فبالنتيجة ان طريقة تكوين أهل الشام دولة ووصول ألخلافة لهم نتيجة طاعتهم معاوية وصلاحهم في بلادهم والصدق في تعاملهم تمثل في أدائهم الأمانة وفعلاً أصبحت دفة الحكم لهم مع وجود النقيض الذي هو على حق لكنه متفرق مشتت، إمامهم على الحق لكنه غير مطاع فضلاً عن عوامل الفساد في البلاد فكون الطرف الأول دولة وفشل الطرف الثاني[1]. لذا يمكن أن نحدد الأهمية والهدف السياسي من وراء دراسة التوثيق في النص التاريخي بالنقاط الآتية:

١- النظام الإداري الجيد في أي دولة لا يعتمد فقط على الحاكم وإنما يدخل المجتمع البعيد عن الصراع والتناحر طرف في ذلك.

٢- تبلور المفهوم العام للأسباب الموجبة للإنقلاب والإنهيار والذي تمثل في التفرق والتشتت والفساد.

٣- تأسيس الإمام عليه السلام للنظرية الإجتماعية وانعكاسها على الجوانب السياسية والإقتصادية وغيرها.

وقد أشار الإمام عليه السلام إلى هذا المفهوم أيضاً عند توثيقه للأقوام القديمة حيث قدم عليه السلام دراسة مفصلة عن الأمم والأسباب التي أدت إلى سيادتهم والأخرى التي أدت إلى تفرقهم وبعد أن تكلم عليه السلام بشكل عام[2] اتجه إلى التخصيص يقول

(١) الراوندي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ١/ ٢٠١؛ ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة (الكبير)، ٢/ ٢٠؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ١/ ١٤١؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ١/ ٢٠٦- ٢٠٨؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ١/ ١٧٧- ١٧٨؛ الخراساني، مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة، ٥/ ١٥٤- ١٥٩.

(٢) ينظر نهج البلاغة، ص٤٤٤.

عليه السلام: «وَتَدَبَّرُوا أَحْوَالَ الْمَاضِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَكُمْ، كَيْفَ كَانُوا فِي حَالِ التَّمْحِيصِ وَالْبَلَاءِ... اتَّخَذَتْهُمُ الْفَرَاعِنَةُ عَبِيداً فَسَامُوهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ، وَجَرَّعُوهُمُ الْمُرَارَ، فَلَمْ تَبْرَحِ الْحَالُ بِهِمْ فِي ذُلِّ الْهَلَكَةِ، وَقَهْرِ الْغَلَبَةِ، لَا يَجِدُونَ حِيلَةً فِي امْتِنَاعٍ، وَلَا سَبِيلًا إِلَى دِفَاعٍ. حَتَّى إِذَا رَأَى اللهُ سُبْحَانَهُ جِدَّ الصَّبْرِ مِنْهُمْ عَلَى الْأَذَى فِي مَحَبَّتِهِ، وَالِاحْتِمَالِ لِلْمَكْرُوهِ مِنْ خَوْفِهِ، جَعَلَ لَهُمْ مِنْ مَضَايِقِ الْبَلَاءِ فَرَجاً، فَأَبْدَلَهُمُ الْعِزَّ مَكَانَ الذُّلِّ، وَالْأَمْنَ مَكَانَ الْخَوْفِ، فَصَارُوا مُلُوكاً حُكَّاماً، وَأَئِمَّةً أَعْلَاماً،... فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانُوا حَيْثُ كَانَتِ الْأَمْلَاءُ مُجْتَمِعَةً، وَالْأَهْوَاءُ مُؤْتَلِفَةً [متفقة]، وَالْقُلُوبُ مُعْتَدِلَةً، وَالْأَيْدِي مُتَرَادِفَةً [مترافدة]، وَالسُّيُوفُ مُتَنَاصِرَةً، وَالْبَصَائِرُ نَافِذَةً وَالْعَزَائِمُ وَاحِدَةً. أَلَمْ يَكُونُوا أَرْبَاباً فِي أَقْطَارِ الْأَرَضِينَ، وَمُلُوكاً عَلَى رِقَابِ الْعَالَمِينَ! فَانْظُرُوا إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ فِي آخِرِ أُمُورِهِمْ، حِينَ وَقَعَتِ الْفُرْقَةُ، وَتَشَتَّتَتِ الْأُلْفَةُ، وَاخْتَلَفَتِ الْكَلِمَةُ وَالْأَفْئِدَةُ، وَتَشَعَّبُوا مُخْتَلِفِينَ، وَتَفَرَّقُوا مُتَحَارِبِينَ [متحازبين]، قَدْ خَلَعَ اللهُ عَنْهُمْ لِبَاسَ كَرَامَتِهِ، وَسَلَبَهُمْ غَضَارَةَ نِعْمَتِهِ، وَبَقِيَ قَصَصُ أَخْبَارِهِمْ فِيكُمْ عِبَراً لِلْمُعْتَبِرِينَ»[1].

ما نريد التوثيق له هو ان الأقوام والأمم القديمة في أزمان الأنبياء وبالخصوص المقصود هنا بنو إسرائيل كيوسف عليه السلام مع فرعون زمانه وموسى وهارون عليهما السلام ومن آمن معهما من بني إسرائيل أصبحوا ملوكاً بعد ان كان الفراعنة يسمونهم العذاب[2] ويجرعونهم المرار[3] لا يجدون طريقاً للتخلص من العذاب،

(١) نهج البلاغة، ٤٤٤- ٤٤٦.

(٢) وكان من عذابهم ان فرعون يكلفهم عمل البناء والطين ويقيدهم بالسلاسل خوفاً من هروبهم وكانوا ينقلون ذلك الطين على السلالم إلى السطوح، فإن سقط أحدهم أو مات لا يحلف بذلك، كما كانوا يستحيون النساء ويتخذوهن إماء، ألمجلسي، بحار الأنوار، ١٣/ ٤٧- ٤٨.

(٣) ينظر قوله تعالى ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ البقرة/ ٤٩.

وإذا ما استثنينا الناموس الإلهي والسنة الطبيعية بهلاك كل ظالم وتمكين من يحل مكانه الذي قد يكون كالسابق آو الأحسن وبعد استعداد بالصبر من المؤمنين فإن هناك أسباباً أخرى يوثق لها الإمام ﷺ لمن أصبحوا ملوكاً وفق قاعدة عامة وهي عوامل الوحدة تمثل في إجتماع إملاءهم جماعتهم، واتفاق رغباتهم وآرائهم، واعتدال قلوبهم على الجادة الصحيحة، تناصر سيوفهم وقوتهم وأيديهم واحده يرفد بعضهم بعضاً، بصائرهم نافذة في الأمور مدركة أعماق الأشياء والأسباب التي خلفها، أرادتهم واحدة غير مشتتةٌ[1].

ونصل للهدف من التوثيق إلى قاعدة عامة إذا كانت الوحدة بين الناس مادياً ومعنوياً باجتماع آرائهم تصبح لهم السيادة والغلبة سواء على المستوى الضيق أو المستوى الأوسع وهو السيادة على العالم أما إذا سادت الفرقة والتشتت واختلاف الكلمة وسيادة التحزبات فهناك قاعدة أيضا تسلب منهم النعمة. وما تقدم دل على بعض الأمور التي توحي بمفهوم سياسي من منظور تاريخي:

١- تآلف الشعب مع السلطة وبالعكس من أقوى أسباب السيادة والإرتقاء ودوام الملك (التآلف الإيجابي البعيد عن التسلط).

٢- الإجتماع الذي يؤدي إلى السيادة ليس فقط اجتماع القوى وإنما المصحوب بوحدة الآراء المستند على البصائر النافذة.

٣- التوعية والتثقيف بتفعيل علم التاريخ في الجانب السياسي بدراسة مواطن القوى والضعف في الأمم وإتباع الأولى وتجنب الثانية.

---

(١) كيذري بيهقي، حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة، ٢/ ٣٤٨؛ ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة (الكبير)، ٤/ ٢٩٥- ٢٩٧؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٣/ ٢١٠- ٢١٣؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٣/ ٣٢٩- ٣٣١؛ دخيل، شرح نهج البلاغة، ١٩- ٢٠/ ٥١- ٥٣؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٣/ ١٣٩.

ومن أبرز ﷺ مصاديق النوع الثاني عندما وثق لولد إسماعيل وبني إسحاق يقول ﷺ: «**فَاعْتَبِرُوا بِحَالِ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَبَنِي إِسْحَاقَ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ** ﷺ. **فَمَا أَشَدَّ اعْتِدَالَ الْأَحْوَالِ، وَأَقْرَبَ اشْتِبَاهَ الْأَمْثَالِ! تَأَمَّلُوا أَمْرَهُمْ فِي حَالِ تَشَتُّتِهِمْ، وَتَفَرُّقِهِمْ، لَيَالِيَ كَانَتِ الْأَكَاسِرَةُ وَالْقَيَاصِرَةُ أَرْبَاباً لَهُمْ، يَحْتَازُونَهُمْ عَنْ رِيفِ الْآفَاقِ، وَبَحْرِ الْعِرَاقِ، وَخُضْرَةِ الدُّنْيَا، إِلَى مَنَابِتِ [مهاب] الشِّيحِ، وَمَهَافِي الرِّيحِ، وَنَكَدِ الْمَعَاشِ، فَتَرَكُوهُمْ عَالَةً مَسَاكِينَ إِخْوَانَ دَبَرٍ [دبر] وَوَبَرٍ [وبر] أَذَلَّ الْأُمَمِ دَاراً، وَأَجْدَبَهُمْ قَرَاراً، لَا يَأْوُونَ إِلَى جَنَاحِ دَعْوَةٍ يَعْتَصِمُونَ بِهَا، وَلَا إِلَى ظِلِّ أُلْفَةٍ يَعْتَمِدُونَ عَلَى عِزِّهَا**»[1].

إن سيطرة القياصرة على بني إسحاق والأكاسرة على بني إسرائيل فأبعدتهم عن ريف الآفاق وبحر العراق وجنان الشام من خضرة الدنيا إلى البادية والقحط إلى المناطق التي تهفو فيها الريح أي الصحراوية المجردة وضيق العيش أصبحوا أذل الأمم لايؤون إلى جناح دعوة لأنهم شتتوهم، وينبغي القول ان الإمام ﷺ فصل أحوال هذه الأمم بشكل واسعٍ جداً وبتفاصيل دقيقة من تفاصيل السكنى إلى التفكك والتحلل الإجتماعي، وهنا هو التوثيق أي سيطرة الروم والفرس وما نتج عن تلك السيطرة من أبعاد عن الخيرات إلى مناطق الجدب والمعطيات الطبيعية للجدب بفساد المعيشة وهذا الكلام موثقاً له وفق قاعدة وهي التشتت والتفرق[2]، أي ان هناك قاعدة في حال الإختلاف والتشتت تتبدد القوى وتتيح سيطرة آخرين الذين يأكلون الخضرة ويتركون المسيطر عليهم مساكين ليس لهم

(١) نهج البلاغة، ٤٤٦- ٤٤٧.

(٢) ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة، ٤/ ٢٩٧- ٢٩٩؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٣/ ٣٣٣- ٣٣٤؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٣/ ٢١٣- ٢١٥؛ علي أنصاريان، شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار، ٢/ ٣٤٠- ٣٤١.

ألفة يعتمدون على عزها بل نصل أيضاً إلى ان الوحدة والاجتماع أثرت حتى على تكوين الحضارة والتطور.

ثانياً: توثيق المفهوم العسكري وأبعاده الفكرية

يعد موضع الفكر العسكري في حقيقته جزءاً منه استكمال لموضوع سابق وهو توثيق الأبعاد التعليلية للأحداث السياسية فيما يخص حرب الجمل وصفين لكن الإمام ﷺ يبينه بالتوثيق من ناحية عسكرية أي تفاصيل الحدث العسكري، لذلك سيكون التوثيق والتركيز هنا على دراسة الحدث العسكري ثم نستشف منه أبعاد غايتنا في هذا الفصل وهو المفهوم والفكر العسكري من تلك التحركات والأوامر، وان كانت الدراسة على مستوى ضيق لارتباطنا بالتوثيق إلا أن ما يوثق له الإمام ﷺ يمدنا بمعلومات في غاية الأهمية عسكريه في المقام الأول توضح فلسفة الإمام ﷺ من تلك التحركات والأوامر العسكرية.

ويمكن القول ان هذه الحروب التي خاضها الإمام ﷺ قد تجعل البعض يقول ان الإمام ﷺ يحب إراقة الدماء، لكن ما مر من التوثيق فيما سبق وما نحن بصدده يثبت عكس ذلك،ويعطي الإمام ﷺ الأدلة التي تجوز قتال هؤلاء ليست أدلة موضوعة وفق أيدلوجية معينة لا تستند على قانون علمي بعيدة كل البعد عن المنطق الواقعي، بل على العكس تماما.

إن أول تلك الأوامر العسكرية التي اتخذها الإمام ﷺ فيما يخص حرب الجمل(٣٦هـ) هو جواز قتال الجيش جميعا يقول ﷺ: «**فَخَرَجُوا يَجُرُّونَ حُرْمَةَ رَسُولِ اللهِ -ﷺ- كَمَا تُجَرُّ الْأَمَةُ عِنْدَ شِرَائِهَا، مُتَوَجِّهِينَ بِهَا إِلَى الْبَصْرَةِ، فَحَبَسَا نِسَاءَهُمَا فِي بُيُوتِهِمَا، وَأَبْرَزَا حَبِيسَ رَسُولِ اللهِ -صلى الله عليه وآله- لَهُمَا وَلِغَيْرِهِمَا، فِي جَيْشٍ مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَقَدْ أَعْطَانِي الطَّاعَةَ، وَسَمَحَ لِي بِالْبَيْعَةِ، طَائِعاً غَيْرَ مُكْرَهٍ، فَقَدِمُوا عَلَى عَامِلِي**

بِهَا وَخُزَّانِ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِهَا، فَقَتَلُوا طَائِفَةً صَبْراً، وَطَائِفَةً غَدْراً. فَوَاللهِ لَوْ لَمْ يُصِيبُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا رَجُلًا وَاحِداً مُعْتَمِدِينَ [متعمدين] لِقَتْلِهِ، بِلَا جُرْمٍ جَرَّهُ، لَحَلَّ لِي قَتْلُ ذَلِكَ الْجَيْشِ كُلِّهِ، إِذْ حَضَرُوهُ فَلَمْ يُنْكِرُوا، وَلَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ بِلِسَانٍ وَلَا بِيَدٍ. دَعْ مَا أَنَّهُمْ قَدْ قَتَلُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِثْلَ الْعِدَّةِ الَّتِي دَخَلُوا بِهَا عَلَيْهِمْ!»[1].

إن عملية صياغة القرار في التنظير العسكري أمر في غاية الأهمية ولاسيما إذ كانت الأمة مشوشة لكن القاعدة المعروفة ان الأثر يدل على المؤثر هو عينه هنا حيث ان التوثيق لأهمية ذلك القرار يدل عليه الموثق له. والتوثيق في هذا النص هو قول الإمام عليه السلام ان جيش الجمل لو لم يصيبوا إلا رجلاً واحداً من المسلمين بلاَ جرم لحل قتل ذلك الجيش جميعاً؟ وهذا قرار في غاية الأهمية فكيف يمكن قتل جيش بأكمله من أجل نفر واحد؟ وهل ان الإمام عليه السلام بذلك يحقق المقولة بأنه يحب إراقة الدماء؟ أو هناك تعليل يطرح هذه الأقوال جانباً؟

وتسأل بعض الشارحين أيضاً عن ذلك القول فقال بعضهم إنما جواز القتل لأنه داخل في عموم الآية ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾[2]، فقتل الجميع لأنه داخل في عموم هذه الآية[3] واستند البعض من ذلك القول بجواز قتل الواحد بالجماعة [4] وقال آخر يجوز قتلهم لأنهم ممن حضر ولم ينكروا[5]. على ان جميع هذه الأقول لابد من صياغتها وتوحيدها كما

(١) نهج البلاغة، ص٣٦٦- ٣٦٧.

(٢) المائدة/ ٣٣.

(٣) الراوندي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٢/ ١٥٨؛ ابن ميثم البحراني، اختيار مصباح السالكين، ص٣٥٦؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٣/ ٤٣- ٤٤؛ علي أنصاريان، شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار، ٢/ ١٦٠ .

(٤) كيذري بيهقي، حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة، ٢/ ٦٨.

(٥) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٩/ ٣٠٩؛ حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة،

وثق لها الإمام عليه السلام والذي يثبت هذا التوثيق انه موثقاً له بتوثيق ديني وهو ان سبب قرار قتالهم جميعاً لأنهم أخرجوا حبيس[١] رسول الله (صلى الله عليه وآله) فانتهكوا حرمتها وأبرزوها لهم أو لغيرهم فاتخذوها دعاية لجمع وتجيش الجيوش وكانت تساق كما تساق الأَمةُ عند شرائها من غير احترام تعرض في البلدان فهذا الخروج فيه معصية لله وهتك ستر رسوله ولو لم يكن كذلك لأخرجوا نساءهم معها حيث منعوهن صيانة لهن، وموثقاً له بتوثيق سياسي مرة أخرى وهو ان الجيش جميعه ممن بايع الإمام عليه السلام طائعين غير مكرهين ثم خرجوا فضلاً عن عمليات الفساد والشغب التي قاموا بها في البصرة حيث اعتدوا على عامل الإمام عليه السلام ونهبوا بيت المال ومما لاشك فيه أن هذا السبب وحده كافٍ لاستحقاق القتل؛ لإحداثهم الشغب ومن ثم فإن خروجهم باطل وهذا يخالف شعار الحق الذي رفعوه، وبتوثيق فقهي مرة ثالثة فهم قتلوا طائفة غدراً وأخرى صبراً[٢] وهو في

١٠/ ١٣٤- ١٣٥؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٣/ ١١٩- ١٢٠.

(١) فالآية القرآنية ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾، الأحزاب/ ٣٣ تضفي الحرمة على خروج نساء النبي (صلى الله عليه وآله) لذلك أطلق عليها الإمام (عليه السلام) حبيس رسول (صلى الله عليه وآله) وهم أخرجوها بل أبرزوها للجميع .

(٢) ولعل ما ذكره الإمام (عليه السلام) في هذه الخطبة من عمليات الفساد التي قام بها أصحاب الجمل هي عينها في المصادر فقد ذكرت انه بعد قدومهم البصرة والموقف بين مؤيد لهم وآخر رافض ذلك، وتجاه هذا الموقف المتشنج حدثت بعض المشاجرات معهم ثم اصطلح على ان يكتب بينهم كتاب يكون لعثمان بن حنيف دار الإمارة والمسجد وبيت المال والمنبر ولأصحاب الجمل النزول في أي مكان في البصرة لكنهم لم يلتزموا بالعهد فخرجوا في ليلة سوداء مطيرة فقتلوا أربعين رجلاً من الحرس وشد مروان على عثمان ثم أسروه وضربوه ضرب الموت ونتف حاجباه، ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ١/ ٨٨- ٨٩؛ المفيد، الجمل، ص١٥١- ١٥٢،ثم اخذوا شرطة البصرة وقتلوا ثم تمسكت طائفة أخرى ببيت المال حتى يسلموه للخليفة الشرعي فأوقعوا بهم وقتلوا صبراً، البلاذري، انساب الأشراف، ٢/ ٢٢٧- ٢٢٨، ثم وثبوا على بيت المال فوجدوا فيه الصفراء والبيضاء فقالوا (وَعَدَكُمُ اللهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ) الفتح/ ٢٠،فقالوا هذه لنا، ابن أبي شيبة، المصنف، ٨/ ٧١٨.

الوقت ذاته عسكري فمن مبادئ الحرب المواجهة وليس الغدر[1].

إذاً العمليات العسكرية آو أوامر القتل بحق جيش أصحاب الجمل استندت على ثلاثة مرتكزات استوجبت ذلك القرار ولم يكن قراراً اعتباطياً ناتجاً عن عواطف بعيدة عن الشرع والعقل فالخروج على الحاكم الحق ونقض العهد والغدر بعد الإتفاق على الهدنة وقتل المسلمين المسالمين وانتهاك حرمة رسول الله (ﷺ) تجوز ذلك القرار العسكري بالحرب. ونستدل وفق هذا التوثيق على بعض المفاهيم وهي:

١- مفهوم تعليمي تثقيفي في الفكر العسكري برفض خروج المرأة لاتخاذها كدعاية ولا تعدو أن تكون قضية أخلاقية يثقف لها الإمام (عليه السلام)، ولا ننسى الخصوصية في التوثيق وهي ان المخرجة كانت حرمة الرسول (ﷺ) ولو صح خروج النساء لأخرجوا نساءهم.

٢- الحد من العمليات والحركات التي تحدث والتي تكون قائمة على غير وجه حق وإنما لغرض الفساد وإحداث الشغب.

كما أن الإمام (عليه السلام) وقبل كل شيء وضح الهدف وشخص عن الخصم المقابل للمناطق الذين استنفرهم للقتال ولاسيما الكوفة حيث أكد في مرحلة متقدمة من الحرب على إيصال فكرة أن الشعار الذي يقاتلون تحته باطل يقول (عليه السلام) من هذا المنطلق: «**فَإِنِّي أُخْبِرُكُمْ عَنْ أَمْرِ عُثْمَانَ حَتَّى يَكُونَ سَمْعُهُ كَعِيَانِهِ. إِنَّ النَّاسَ طَعَنُوا عَلَيْهِ، فَكُنْتُ رَجُلًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ أُكْثِرُ اسْتِعْتَابَهُ، وَأُقِلُّ عِتَابَهُ، وَكَانَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ أَهْوَنُ سَيْرِهِمَا فِيهِ الْوَجِيفُ، وَأَرْفَقُ حِدَائِهِمَا الْعَنِيفُ. وَكَانَ مِنْ عَائِشَةَ فِيهِ فَلْتَةُ غَضَبٍ، فَأُتِيحَ لَهُ قَوْمٌ فَقَتَلُوهُ، وَبَايَعَنِي النَّاسُ غَيْرَ مُسْتَكْرَهِينَ وَلَا مُجْبَرِينَ، بَلْ طَائِعِينَ مُخَيَّرِينَ. وَاعْلَمُوا أَنَّ دَارَ الْهِجْرَةِ قَدْ قَلَعَتْ بِأَهْلِهَا وَقَلَعُوا بِهَا، وَجَاشَتْ جَيْشَ الْمِرْجَلِ، وَقَامَتِ**

(١) دخيل، شرح نهج البلاغة، ١٥- ١٦/ ٧٤- ٧٥؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٢/ ٥٠٧- ٥٠٨.

الْفِتْنَةُ عَلَى الْقُطْبِ، فَأَسْرِعُوا إِلَى أَمِيرِكُمْ، وَبَادِرُوا جِهَادَ عَدُوِّكُم،...»[1].

ومن خلال النص المتقدم فإن التوثيق يتجلى في حث أهل الكوفة على الخروج لقتال أصحاب الجمل موضحاً أن الهدف من القتال جهاد في سبيل الله وان جبهة الحق هو عليه السلام، فهو الأمير الذي يجب أن يتم الإنضمام تحت لوائه وان أصحاب الجمل هم خصم وعدو هدفه القتل وانتهاك الحريات، على ان هذه الصورة من التوثيق التي رسمت لأهل الكوفة ببيان الهدف والعدو والقائد موثقاً لها ومثبته بتوثيق تاريخي حيث استعان بالتاريخ لتحقيق الأهداف العسكرية المرسومة ولتتبين مصداقيته لدى أهل الكوفة بأنه هو الأمير وبأنهم هم الأعداء فاستجلب التاريخ لهم ليكون سمعه كعينيه بأن الخليفة الذي تم الخروج بأسمه طعن عليه الناس وعابوا أعماله بسبب الأحداث التي أحدثها وكان موقف الإمام عليه السلام منه عكس الذين خرجوا لمحاربته يكثر استعتابه ليعطي للناس حقوقهم ويقل العيب عليه أي أن الإستعتاب والعتاب ليس لعثمان كشخص بل من أجل الحقوق المشروعة لكن لم يصل الحد إلى قتله فكان يكره عتابه، أما الذين خرجوا فإن طلحة والزبير كانا من أسرع الناس للنقمة عليه والطعن فيه أما عائشة فكان لها فلته من كلام بلا تمعن ونظر تطعن فيه على عثمان فأتيح بسبب تلك التحريضات لقوم فقتلوه ثم حدوث البيعة العامة من الجميع البيعة الطوعية بلا إكراه أو جبر وكذلك كانوا مخيرين بالبيعة فبايعوا طائعين أما دار الهجرة فأصبحت وبسبب ذلك كالمرجل غليت من تلك الفتنة كما يغلي المرجل وفارقها أهلها أي أحدثوا الفوضى والإضطراب[2].

(١) نهج البلاغة، ص٥٤٧- ٥٤٨.

(٢) كيذري بيهقي، حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة، ٢/ ٣٧٩-٣٨٠؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٤/ ٧-٨؛ ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة، ٤/ ٣٣٨-٣٤١؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٤/ ١٢١-١٢٣؛ دخيل، شرح نهج البلاغة، ٢٥-٢٦/ ٥-٧؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٣/ ٤٢٥-٤٢٧.

فهذه هي حقيقة الذين خرجوا والتي جعلت منهم أعداء ليس لخروجهم المشروع بل لأنه غير مشروع وكون الإمام ﷺ أمير لأنه وكما هو واضح من التوثيق لتصحيح الإنحراف، ومن ثم فإن الهدف جهاد.

ويمكن ان نستشف أموراً أخرى من التوثيق إذ أن هذا الكلام لأهل الكوفة لتعرف مع من تكون وليزيل الغشاوة عنهم أي إيضاح الرؤية من القتال وثانياً بيان الإمام ﷺ جبهة الحق وجبهة الباطل من باب إلقاء الحجة عليهم، وأخيراً فإن الهدف الأسمى الذي وثق له أن هذه الحرب مع هذه الشخصيات كما جاء في التوثيق أنهم أعداء لأنهم أرادوا الفساد في الأرض فهم ممن طعن على عثمان وان خروجهم مع هذا الجيش (الذي أعطى كل من فيه البيعة) باطل. يمكن الخروج ببعض الضوابط والأفكار العسكرية في تعامل الأمام ﷺ مع هذا الحدث:

١- جعل الإمام ﷺ الجيش يقاتل تحت هدف وليس تشويشاً وتضليلاً لأنه كلما أيقن بالمبدأ الذي يقاتل تحت عنوانه كلما زادت أسباب النجاح .

٢- قاعدة أو مبدأ عسكري بدراسة الخصم المقابل بالتفاصيل الدقيقة ونقل صورته بجزئياتها وأهدافها الحقيقية قبل بدء القتال.

٣- قول الإمام ﷺ «فإنّي أخبركم ... حتّى يكون سمعه كعيانه» يدل على تصحيح الأفكار التي قد يكون طرأ عليها بعض التأثير بحضور الواقعة عن طريق السمع والصورة التي ستبنى في الذهن بالسمع وهي العملية نفسها التي استغلت في الوقت الحاضر بشكل سلبي، بحيث يتحرك تحت الصورة الذهنية.

ما فيما يخص معركة صفين فان توثيق الأثر العسكري يتضح أكثر وفيه نوع من الشمولية وان لم تكن كل التفاصيل إلا أنها تحقق مبدأ الشمول ولاسيما إذا علمنا إننا نتحدث فقط على النصوص التي وردت في نهج البلاغة وليس في

مصادر التاريخ وربما لأن معركة صفين جاءت على أثر معركة سابقة من جانب ولأن القتال مع معاوية يختلف عن القتال مع أصحاب الجمل من حيث المكان والأشخاص من جانب آخر .

وأول المبادئ العسكرية فيما يخص معركة صفين هو إتباعه سياسية تجنب القتال وان تكون الحرب آخر خيار عسكري[1] يقول عليه السلام من هذا المنطلق بعد أن أشار عليه أصحابه بالإستعداد لحرب أهل الشام بعد إرسال جرير بن عبد الله البجلي[2] إلى معاوية: «**إِنَّ اسْتِعْدَادِي لِحَرْبِ أَهْلِ الشَّامِ، وَجَرِيرٌ عِنْدَهُمْ، إِغْلاَقٌ لِلشَّامِ، وَصَرْفٌ لِأَهْلِهِ عَنْ خَيْرٍ إِنْ أَرَادُوهُ. وَلَكِنْ قَدْ وَقَّتُّ لِجَرِيرٍ وَقْتاً لَا يُقِيمُ بَعْدَهُ إِلَّا مَخْدُوعاً أَوْ عَاصِياً. وَالرَّأْيُ عِنْدِي مَعَ الْأَنَاةِ فَأَرْوِدُوا، وَلَا أَكْرَهُ لَكُمُ الْإِعْدَاد**»[3].

إن هذا القرار من الإمام عليه السلام لأصحابه بالتأني وعدم الاستعداد العسكري ولكن في الوقت ذاته لا يكره الإعداد والإستعداد المعنوي بدل ذلك، وهذا هو

(١) على أن خيار الحرب لم يكن بالأمر السهل على الإمام (عليه السلام) حيث قال في إحدى خطبه عندما أشار عليه أصحابه بالإستعداد لحرب أهل الشام (وَلَقَدْ ضَرَبْتُ أَنْفَ هَذَا الْأَمْرِ وَعَيْنَهُ، وَقَلَّبْتُ ظَهْرَهُ وَبَطْنَهُ، فَلَمْ أَرَ لِي فِيهِ إِلَّا الْقِتَالَ أَوِ الْكُفْرَ بِمَا جَاءَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ) نهج البلاغة / ٩٦ أي بعد الإستقصاء والبحث والتأمل وتقليب ظاهرة والاطلاع على خفاياه الباطنية، كان بعد كل هذا أمام خيارين أما القتال أو الكفر بما جاء محمد (صلى الله عليه وآله) فإن بقوا ولم يقاتلهم الإمام (عليه السلام) قلبوا الأمة كافرين وأعادوا الجاهلية أو أن يقاتلهم لحفظ الدين، حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ١/ ٢٠٧ وقد صرح معاوية بذلك فيما بعد في خطبته المشهورة ما قاتلتكم لتصوموا وتصلوا و لتحجوا وتزكوا بل لأتأمر عليكم وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون، ابن كثير، البداية والنهاية، ٨/ ١٤٠ وقوله أيضا يا بني عبد مناف تلقفوها تلقف الكرة فما هناك جنة ولا نار، الطبري، تاريخ الطبري، ٨/ ١٨٥، أبي الفداء، المختصر في أخبار البشر، ٢/ ٥٧.

(٢) جرير بن عبد الله البجلي سيد قبيلته اسلم في العام الذي توفي فيه الرسول (صلى الله عليه وآله) نزل الكوفة وسكنها ثم تحول إلى قرقيسياء ومات بها سنة أربع وخمسين، ابن عبد البر، الاستيعاب، ١/ ٢٣٧-٢٣٨ .

(٣) نهج البلاغة، ص٩٦.

التوثيق الذي نريد أن نثبت منه سبب ذلك القرار فوثق له بتوثيق عسكري نفسي فالإستعداد وتجيش الجيش إغلاق أبواب السلم في وجه أهل الشام واستنفاد طرائق الخير لأهل الشام ان أرادوا لأن هناك قضية قد تكون نفسية في المقام الأول في الميدان العسكري بأن الطرف الآخر إذا كان مصمماً على الحرب حتى وإن كان لديه نوايا سليمة فانه يبتعد عنها بل ويكون أكثر تصميماً من المقابل[١]، ومما تقدم يمكن القول:-

١- من خلال التوثيق نستنتج أن خطة الإمام ﷺ التي تسبق القتال الإعداد المعنوي النفسي للمقاتلين أي ان تكون نفوسهم متهيئة للقتال وليس الإعداد العسكري السري على وجه الخفاء والكتمان كما فهم بعض الشارحين[٢] أو انه كره تجهيز نفسه ولا يكره تجهيز أصحابه كما فهم آخر[٣] وأيد آخر الرأيين[٤]، فإن توثيق الإمام ﷺ يثبت عكس ذلك فالإمام ﷺ يلقي بذلك الحجة عليهم إن أرادوا السلم من جانب ومن جانب آخر فإن الإمام ﷺ كان مدركاً القضية الإعلامية بوصول الأخبار أن تهيأ للقتال حتى وإن كان في الخفاء والكتمان.

٢- إرسال مبعوث وهو جرير بن عبد الله البجلي إلى معاوية وتحديد سقف زمني له قبل المعركة وهذا جانب آخر لإلقاء الحجة على أهل الشام قبل البدء بالقتال.

---

(١) ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة (الكبير)، ٢/ ١١٢- ١١٣؛ شارح من القرن الثامن، شرح نهج البلاغة، ص٤٧٨- ٤٧٩؛ دخيل، شرح نهج البلاغة، ٤/ ٣٣.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٢/ ٣٢٢- ٣٢٣؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ١/ ٣٢٤ .

(٣) الراوندي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ١/ ٢٥٧.

(٤) حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٤/ ٢١٠؛ الخطيب، مصادر نهج البلاغة وأسانيده، ١/ ٤٦٤.

٣- إن المفاهيم العسكرية التي تستنتج، هي أن الحرب آخر خيار عسكري بعد استنفاد كل الطرائق السلمية في الوقت ذاته تكوين عملية التهيئة والإعداد النفسي للجيش.

إذن المرحلة الأولى إرسال البعوث التي وثق الإمام ﷺ لذلك كي لا يغلق الأبواب والمنافذ في وجه أهل الشام ولم يترك لهم خياراً إن أرادوا الرجوع عن الحرب، وهذه المبادئ قبل أن تكون قوانين عسكرية طبقها الإمام ﷺ فهي إنسانية تمثل الخلق الإسلامي الرفيع في التعامل مع الأعداء نفذها الإمام ﷺ مع أعدائه على أن المرحلة الثانية لا تبتعد عن أسلوب المرحلة الأولى لكن هذه المرحلة تختلف من حيث الزمن ولكي لا يكون الكلام مبهماً نستوضحه في هذا النص يقول ﷺ بعد أن استبطأ أصحابه أذنه لهم في القتال: «**أَمَّا قَوْلُكُمْ: أَكُلَّ ذَلِكَ كَرَاهِيَةَ الْمَوْتِ؟ فَوَاللهِ مَا أُبَالِي؛ دَخَلْتُ [أدخلت] إِلَى الْمَوْتِ أَوْ خَرَجَ الْمَوْتُ إِلَيَّ. وَأَمَّا قَوْلُكُمْ شَكّاً فِي أَهْلِ الشَّامِ! فَوَاللهِ مَا دَفَعْتُ الْحَرْبَ يَوْماً إِلَّا وَأَنَا أَطْمَعُ أَنْ تَلْحَقَ بِي طَائِفَةٌ فَتَهْتَدِيَ بِي، وَتَعْشُوَ إِلَى ضَوْئِي، وَذَلِكَ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَقْتُلَهَا عَلَى ضَلَالِهَا [ضلالتها]، وَإِنْ كَانَتْ تَبُوءُ بِآثَامِهَا**»[1].

الشيء المهم الذي يوثق له الإمام ﷺ هنا انه بعد أن سيطر على الماء في صفين لم يأذن لهم بالقتال فحدثت بعض الأقوال أن الإمام ﷺ كاره الموت وآخر انه شاكٌّ في أهل الشام، فيبني التوثيق على هاتين النقطتين بأن ذلك التأخير ليس خوفاً أو شكاً واضطراباً من قتال أهل الشام، فإن لم يكن كذلك لابد أن يكون هناك مصدرا يوثق انه ليس شكاً ولا خوفاً فوثق له الإمام ﷺ بتوثيق فلسفي[2] في كلامه المسطور

(١) نهج البلاغة، ص١٠٧.

(٢) علي أنصاريان، الدليل على موضوعات نهج البلاغة، ص٣٢٧.

وهو طمعه في أن تلحق به طائفة فتهتدي من الظلمات إلى النور أحب من القتل على الضلال فليس الحرب الهدف وإنما من أجل غاية وهي الهداية والإعتدال بهم إلى الطريق[١]، ففلسفة التأخير لاستنفاذ آخر مرحلة سلمية للموت والتي أعددناها المرحلة الثانية بعد إرسال البعوث والتي تثبت أنه ليس شاكاً ولا كارهاً للموت.

من المبادئ والمفاهيم الأخرى الموثقة في الفكر العسكري والمستشفة من النصوص التاريخية والحروب التي تعامل معها الأمام ﷺ ولاسيما صفين التي نحن بصددها هي الإعداد والحث على الخروج للجهاد وبيان الهدف من ذلك الجهاد باستخدام الدعاية الإعلامية يقول ﷺ: «**اللهُمَّ أَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِكَ سَمِعَ مَقَالَتَنَا الْعَادِلَةَ غَيْرَ الْجَائِرَةِ، وَالْمُصْلِحَةَ غَيْرَ الْمُفْسِدَةِ، فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا، فَأَبَى بَعْدَ سَمْعِهِ لَهَا إِلَّا النُّكُوصَ عَنْ نُصْرَتِكَ، وَالْإِبْطَاءَ عَنْ إِعْزَازِ دِينِكَ، فَإِنَّا نَسْتَشْهِدُكَ عَلَيْهِ يَا أَكْبَرَ الشَّاهِدِينَ شَهَادَةً، وَنَسْتَشْهِدُ عَلَيْهِ جَمِيعَ مَا أَسْكَنْتَهُ أَرْضَكَ وَسَمَاوَاتِكَ، ثُمَّ أَنْتَ بَعْدُ الْمُغْنِي عَنْ نَصْرِهِ، وَالْآخِذُ لَهُ بِذَنْبِهِ**»[٢].

من خلال هذا النص يوثق الإمام ﷺ بعد الحث على الجهاد أن أي فرد سمع ذلك ثم تخلف وإنحرف عن نصر الدين فإن الشاهد عليه هو الله وجميع من في الأرض والسماوات، أي ان الإمام ﷺ رسم في أذهانهم وزر المتخلفين عن الجهاد بأن جميع من في الأرض والسماوات شهود على تمرده وانحرافه عن نصر الدين ثم بعد ذلك ان المغني عن نصره هو الله وهو الأخذ بذنبه أي التذكير بوعيد الله وسبب تلك الشهادة الثقيلة على من تخلف نحصل على السبب من الموثق له

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٤/ ١٣؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ١/ ٣٦٣- ٣٦٤؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ١/ ٣٠٠- ٣٠١؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ١/ ٢٣٢- ٢٣٤؛ دخيل، شرح نهج البلاغة، ٥- ٦/ ٩.

(٢) نهج البلاغة، ص٤٩٥.

لأنه ﷺ وضح الهدف قبل الحث على الجهاد بأنها مقاله خالصة العدل من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير جائرة في حق أحد حتى لأهل الشام لأنه ردع عن المنكر ثم المصلحة غير مفسدة في الدين والدنيا أي ان المقالة للحث على الخروج يتحقق فيها الإصلاح في الدين وكذلك الأمور الدنيوية وليست كتلك المقالات التي يختلط عدلها بجورها ان لم تكن كلها جوراً[1].

نستشف ان الهدف من التوثيق التنبيه على عقاب وتقصير المتخلفين عن الخروج؛ لأنه تخلف أولاً وقبل كل شيء عن نصر الدين فضلاً عن ان عدم الخروج يفوت فرصة الإصلاح وتحسين الوضع أي فيها إصلاح للدنيا وأخيراً إنها مقالة سليمة نقية عادلة لا ينتج منها جور. ويمكن إدراج بعض الأفكار العسكرية التي اتبعها الإمام ﷺ في النقاط الآتية:

١- بيان الهدف من الجهاد ومعطياته المادية على الصعيدين الديني والدنيوي.

٢- استعمال سياسية الترهيب مع المتخلفين.

٣- ترهيب المتخلف ليس للحاجة ألماسة لخروجهم لأن الناصر هو الله وإنما من باب إلقاء الحجة.

كما يوثق الإمام ﷺ للخطة العسكرية التي حث أصحابه على إتباعها والتي تفصح عن أفكار الإمام ﷺ خلال هذه المرحلة وأبعاده من ذلك يقول ﷺ: **«وَعَلَيْكُمْ بِهَذَا السَّوَادِ الْأَعْظَمِ، وَالرِّوَاقِ الْمُطَنَّبِ، فَاضْرِبُوا ثَبَجَهُ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ كَامِنٌ فِي كِسْرِهِ، وَقَدْ قَدَّمَ لِلْوَثْبَةِ يَداً، وَأَخَّرَ لِلنُّكُوصِ رِجْلا»**[2].

(١) الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ١٤/ ٧٥- ٧٩؛ ألتستري، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، ٧/ ٤٢- ٤٤؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٣/ ٤٧٦- ٤٧٧.

(٢) نهج البلاغة، ص ١١٧.

ومن هنا فإن قول الإمام ﷺ لأصحابه عليكم بهذا السواد الأعظم أي جيش أهل الشام وخص من ذلك الرواق المطنب[١] ليضربوا وسطه أي ان يكون القتال في الوسط لا في الأطراف موثقاً للغرض من ذلك القرار؛ لأن الشيطان أي معاوية أو القائد كامن متخفٍّ في أسفله، أي ان الأوامر تصدر من شقوق الخيمة السفلى (ويرى بعض الشارحين ان المقصود بالشيطان هو إبليس فمحال الإفساد هي مظنة إبليس ولأن المضرب على غير طاعة الله كان محلاً للشيطان)[٢] فمعاوية هو الشيطان في تصرفاته وسلوكه يساور على الإقدام بيد عندما يرى الضعف ويؤخر رجلا عند القوة[٣] أي ان فراره سابق عن التقدم لأن التقدم إنما يحصل بالرجل وليس اليد.

النتيجة التي نحصل عليها من التوثيق ان قرار الإمام ﷺ ان يكون قتال سواد الجيش عموماً وضرب الرواق خصوصاً لأن معاوية في داخلة، فالهدف عند ضرب رواق القائد أو قتله لأنه بلا شك يحدث تشتت الجيش ويبدد قوتهم وفي الوقت ذاته يتم القضاء على مصدر الإمداد ألمعلوماتي والإمداد المعنوي فيحدث الخلل في جبهة الأعداء.

ولا يكاد الأمر يقتصر على ما تقدم من الأساليب العسكرية التي اتبعها الإمام ﷺ والتي تعرفنا على الغرض منها من خلال التوثيق بل نجد الإمام ﷺ يوثق لأسلوب عسكري آخر ينم عن فكر راقٍ وهو استعمال الحرب الدعائية، يقول وقد سمع قوماً من أصحابه يسبون أهل الشام أيام حربهم بصفين «**إِنِّي**

---

(١) ذكر ان معاوية ضرب عليه مضرب عليه قبة عالية وحوله فرسان وإبطال أهل الشام، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٥/ ١٧٤، وكان على رأسه رجل قائم عليه ترس مذهب يستره من الشمس، ألمنقري، وقعة صفين، ص٢٥٨.

(٢) ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة (الكبير)، ٢/ ١٨٢؛ وينظر حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٥/ ٢٧ .

(٣)حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ١/ ٢٦٣؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ١/ ٤٠١؛ عبده، نهج البلاغة، ١/ ١١١؛ ألتستري، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، ١٣/ ٥٣٨- ٥٣٩، ٥٤٢.

أَكْرَهُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا سَبَّابِينَ، وَلَكِنَّكُمْ لَوْ وَصَفْتُمْ أَعْمَالَهُمْ، وَذَكَرْتُمْ حَالَهُمْ، كَانَ أَصْوَبَ فِي الْقَوْلِ، وَأَبْلَغَ فِي الْعُذْرِ، وَقُلْتُمْ مَكَانَ سَبِّكُمْ إِيَّاهُمْ: اللهُمَّ احْقِنْ دِمَاءَنَا وَدِمَاءَهُمْ، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا وَبَيْنِهِمْ، وَاهْدِهِمْ مِنْ ضَلَالَتِهِمْ، حَتَّى يَعْرِفَ الْحَقَّ مَنْ جَهِلَهُ، وَيَرْعَوِيَ عَنِ الْغَيِّ وَالْعُدْوَانِ مَنْ لَهِجَ بِهِ»[1].

فعندما يقول الإمام عليه السلام أني أكره ان تكونوا سبابين؛ لأنه أسلوب فاشل لكن في الوقت ذاته يعلمهم ويثقفهم لأسلوب آخر عند مواجهة الأعداء أكثر صواباً مكان السب وهو استعمال الحرب الإعلامية الدعائية بوصف أعمالهم وحالهم وظلمهم وخروجهم بغير حق وأحداث الفرقة في الأمة ليس للتشنيع فقط وإنما للنصح والإرشاد[2] والقول اللهم احقن دماءنا ودماءهم لصيانتها وعدم هدرها وأصلح ما بيننا وبينهم من أحوال لتكون ألفة فالتوثيق هنا أي كيف يوثق الإمام عليه السلام ان هذا الأسلوب هو أفضل وأجدى فوثق له بدليل وبتوثيق فلسفي ففلسفة هذا النهج والأسلوب، ان هذا الدعاء سيؤدي إلى تصحيح أفكار الأعداء فيعرف الحق من جهلة ولم يضع يده عليه كما يرعوي ويتراجع وينطفئ شرارة من حرص على العدوان من لهج به [3]، ويمكن القول ببعض الملاحظات مما تقدم:

١- استعمل البعد الإعلامي من أجل التأثير على الرأي العام خلاف اللعن حتى وإن كانوا على الحق فإنه سيكون في نطاق ضيق بينهم محصور في دائرة لا يثمر ولا يجدي نفعاً.

(١) نهج البلاغة، ص٤٨٥- ٤٨٦.

(٢) ينظر: شكري ناصر عبد الحسن المياحي، الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) دراسة في فكره العسكري، ص٣٩- ٤٠ .

(٣) كيذري بيهقي، حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة، ٢/ ١٨٢؛ ابن ميثم البحراني، إختيار مصباح السالكين (المتوسط)، ص٣٩٦؛ حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ١٣/ ٩٣- ٩٤؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٣/ ٤٤٩- ٤٥١؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٣/ ٢٣٢- ٢٣٣.

٢- يتيح ذلك الأسلوب وهو الحرب الإعلامية الدعائية التي طبقها الإمام عليه السلام بشرح فلسفة الحكم ومن ثم التوعية والتثقيف لتلك الفلسفة على مساحة أكبر لأن الجند يمثلون أفراداً من مناطق مختلفة.

٣- اتخذ الإمام عليه السلام أسلوباً عسكرياً في غاية الروعة والأهمية وهو التأثير النفسي وخلق سلاح ذي حدين بكشف الغطاء عن جهة الحق أولاً والإنقلاب والفتك بالأعداء من بينهم ثانياً.

ولعل الإمام عليه السلام يوثق بعد ذلك لمبادئ خلال الأحداث التي حدثت والحروب التي قادها أشبه ما تكون بقوانين في الميدان العسكري قطعية غير قابلة للجدل والنقاش اثبت هو صحتها عملياً ويمكن التعرف عليها بالتوثيق منها ما قاله عليه السلام بعد أن غلب معاوية على شريعة الفرات «**قَدِ اسْتَطْعَمُوكُمُ الْقِتَالَ، فَأَقِرُّوا عَلَى مَذَلَّةٍ، وَتَأْخِيرِ مَحَلَّةٍ؛ أَوْ رَوُّوا السُّيُوفَ مِنَ الدِّمَاءِ تَرْوَوْا مِنَ الْمَاءِ، فَالْمَوْتُ فِي حَيَاتِكُمْ مَقْهُورِينَ، وَالْحَيَاةُ فِي مَوْتِكُمْ قَاهِرِينَ**»[1].

ما نحاول التوثيق له هنا هو قول الإمام عليه السلام رووا السيوف من الدماء تروووا من الماء ولا يعني ذلك حب القتل وسفك الدماء بل لابد أن تكون هناك فكرة أو غاية من ذلك القول وهو يفتح لنا أفق السؤال لماذا هذا القول ان لم يكن من أجل إراقة الدماء، وهو ما وثق له الإمام عليه السلام وفق قاعدة وهي الموت في حياتكم مقهورين أي ان كنتم مقهورين فأنتم أموات وإن كنتم أحياء، فالإنسان حتى وإن كان حي فهو ميت ميتة الذل والجبن لعدم بذل الجهد للحصول على الماء والحياة في موتكم قاهرين أي ان الموت بعزة وكرامة وبعد القتال فهو ليس موتاً

(١) نهج البلاغة، ص١٠٢- ١٠٣.

بل حياة[1] فإن لم يتم الجهاد والقتل لم تتحقق تلك القاعدة بل ان العيش بكرامة من غير ذل يتحقق في بذل الجهاد والقتل وإلا يتم العيش بمهانة. إن الإمام علي عليه السلام أراد ان يؤسس ويوصل لقانون وقاعدة كانت خصوصية في الجانب العسكري إلا أنها تحمل أيضا طابع العموم تكتنف جميع الحياة وليس الميدان العسكري ان القتل وسفك الدم أفضل من العيش بذل.

كما يوثق الإمام عليه السلام للقيم المعروفة في القتال وهو ان التخاذل عن الجهاد توجب الذل في قوله: «**أَلَا وَإِنِّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى قِتَالِ [حرب] هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَيْلًا وَنَهَاراً، وَسِرّاً وَإِعْلَاناً، وَقُلْتُ لَكُمُ: اغْزُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَغْزُوكُمْ، فَوَاللهِ مَا غُزِيَ قَوْمٌ قَطُّ فِي عُقْرِ دَارِهِمْ إِلَّا ذَلُّوا. فَتَوَاكَلْتُمْ وَتَخَاذَلْتُمْ حَتَّى شُنَّتْ عَلَيْكُمُ الْغَارَاتُ وَمُلِكَتْ عَلَيْكُمُ الْأَوْطَانُ وَهَذَا أَخُو غَامِدٍ[2] قَدْ وَرَدَتْ خَيْلُهُ الْأَنْبَارَ، وَقَدْ قَتَلَ حَسَّانَ بْنَ حَسَّانَ الْبَكْرِيَّ، وَأَزَالَ خَيْلَكُمْ عَنْ مَسَالِحِهَا. وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ، وَالْأُخْرَى الْمُعَاهَدَةِ، فَيَنْتَزِعُ حِجْلَهَا وَقُلْبَهَا وَقَلَائِدَهَا وَرِعَثَهَا، مَا تَمْتَنِعُ [تمنع] مِنْهُ إِلَّا بِالِاسْتِرْجَاعِ وَالِاسْتِرْحَامِ. ثُمَّ انْصَرَفُوا وَافِرِينَ مَا نَالَ رَجُلًا مِنْهُمْ كَلْمٌ، وَلَا أُرِيقَ لَهُ دَمٌ ...**»[3].

(١) بيهقي خراساني، معارج نهج البلاغة، ص١٣٦؛ كيذري بيهقي، حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة، ١/ ٣٠٧؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٣/ ٢٤٤- ٢٤٥؛ شارح من القرن الثامن، شرح نهج البلاغة، ص٥١٨- ٥١٩؛ حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٤/ ٣٠٢- ٣٠٣؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ١/ ٣٥٠- ٣٥١؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ١/ ٢٢٣- ٢٢٤؛ دخيل، شرح نهج البلاغة، ٤/ ٤٦؛ الخراساني، مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة، ٧/ ١٠٤- ١٠٥.

(٢) وهو سفيان بن عوف بن المغفل ألغامدي، ابن حجر الإصابة، ٣/ ١٠٦- ١٠٧؛ وغامد قبيلة من اليمن واسم غامد عمر بن عبد الله بن كعب بن الحارث، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٢/ ٨٥.

(٣) نهج البلاغة، ص٧٠- ٧١ .

عندما يحث الإمام ﷺ خلال النص المتقدم مجتمعه أو أصحابه للخروج للجهاد وهم كارهون ثم يؤسس لهم قاعدة بعد موقف اللامبالاة وبالقسم ان ما غزي قوم في عقر دارهم إلا ذلوا هنا هو التوثيق، أي ان هناك قاعدة كلية معلومة بالتجربة والبرهان ان ما غزي قوم في دارهم إلا ذلوا وهذا التوثيق موثقاً له بحادثة تاريخية أثبتته عملياً وهي الهجوم الذي أحدثه اخو غامد[1] عليهم وهم رافضون الجهاد وقتل عاملهم وأزال خيلهم عن ثغورهم وبلغ الذل هتك ستر المسلمات والمعاهدات فكانوا يدخلون سواء على المسلمة أم المعاهدة فيسلبون حليها ولم يمنعهم أحد[2] لأنهم تركوا الجهاد فغزوا في عقر دارهم فذلوا.

ثالثاً: توثيق منظومة الفكر الإنساني وأبعاده العلمية

إن المنهج الفكري الإنساني البارز الذي يوثق له الإمام ﷺ والذي يعد الأساس في كل دراسة إنسانية تاريخية هو منهج قائم في نهج البلاغة على أساس الهيكلية التي صورها الإمام ﷺ بالإعتماد على مصدرية القرآن الكريم والحديث وطالما ان القرآن هو القاعدة البديهية في كل أفكار الإسلام فإن ما أورده الإمام ﷺ من توثيق لأحاديث الرسول (ﷺ) في النهج بهدف رسم الهيكلية العامة لإطار الفكر الإنساني هو الأمر الأكثر وضوحاً والذي سنحاول دراسة توثيقات الإمام ﷺ لتجلياته، حتى أنه ﷺ كان يؤكد على اتخاذه كمنهج فكري في الطرح على الرغم من وجود القرآن الكريم إذ كان يؤكد على الإحتجاج به لذلك أوصى عبد الله بن عباس، لما بعثة للإحتجاج على الخوارج لا تحاججهم بالقرآن وإنما حاججهم

(١) ينظر: نص قول سفيان بن عوف عن تلك الغزوة وسهولتها لعدم وجود من تصدى له، الثقفي، الغارات ٢/ ٤٦٤- ٤٦٨.

(٢) ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة (الكبير)، ٢/ ٣٥-٣٦؛ شارح من القرن الثامن، شرح نهج البلاغة، ص٣٤٣- ٣٤٤.

بالسنة «**لَا تُخَاصِمْهُمْ بِالْقُرْآنِ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ حَمَّالٌ ذُو وُجُوهٍ، تَقُولُ وَيَقُولُونَ، وَلَكِنْ حاجِجْهُمْ]خاصمهم[بِالسُّنَّةِ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَجِدُوا عَنْهَا مَحِيصاً**»(١).

فعندما يوثق الإمام عليه السلام خلال هذا النص لذلك الأساس العلمي وهو عدم المحاججة بالقرآن موثقاً له علمياً بالمتشابه فالقرآن كتاب علمي حمال لوجوه محتمل التأويل يقول ويقولون إلى ما لا نهاية ولا يمكن الوصول لنتيجة، أما السنة ثابتة قطعية واضحة لا تقبل التفسير والتأويل ولن يجد عنها مخرجاً(٢). الأمر الذي يعني في محصلته ان أساس الأعمال الفكرية والعلمية ولاسيما الإحتجاجية تستند وترتكز على السنة والتي تقوم ماهيتها على كونها قطعية لكن ذلك لا يعني ترك القرآن بل كون أساسه المعرفي العلمي في الآيات قابلاً للتأويل على عكس السنة فإن القرآن صرح بذلك ﴿ما آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾(٣) وكونها في الوقت ذاته مترجمة للقرآن، ونجد مصداق ما تقدم في نهج البلاغة في عهده عليه السلام لمالك الأشتر يقول عليه السلام: «**وَارْدُدْ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ مَا يُضْلِعُكَ مِنَ الخُطُوبِ، وَيَشْتَبِهُ عَلَيْكَ مِنَ الْأُمُورِ؛ فَقَدْ قَالَ اللهُ تعالى لِقَوْمٍ أَحَبَّ إِرْشَادَهُمْ: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ﴾(٤) فَالرَّدُّ إِلَى اللهِ: الْأَخْذُ بِمُحْكَمِ كِتَابِهِ، وَالرَّدُّ إِلَى الرَّسُولِ: الْأَخْذُ بِسُنَّتِهِ الْجَامِعَةِ غَيْرِ الْمُفَرِّقَةِ**»(٥).

(١) نهج البلاغة، ص٧١٢ .

(٢) الراوندي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٣/ ٢٥٩؛ ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة (الكبير)، ٥/ ٢٣٤؛ السرخسي، أعلام نهج البلاغة، ص٢٩٠؛ حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٢٠/ ٤٠٧؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٥/ ١٩٥- ١٩٦؛ دخيل، شرح نهج البلاغة، ٣١- ٣٢/ ٧٥ .

(٣) الحشر/ ٧ .

(٤) النساء/ ٥٩.

(٥) نهج البلاغة، ص٦٦١.

يوثق الإمام عليه السلام من خلال النص المتقدم في قوله لمالك الأشتر ان كل معضلة وخطب واشتباه في الأمور يرد إلى السنة وهو عندما يقول ذلك القول لا يتكلم بكلام إثرائي نثري بدون قاعدة علمية بل بتوثيق قرآني في الآية القرآنية التي تقول إن حدث تنازع يرد إلى الكتاب لكن المحكم منه والرد إلى الرسول بالأخذ بسنته الجامعة غير المفرقة وليست المكذوبة والمنسوبة إلى الرسول (صلى الله عليه وآله)[1]. لذلك فإنها (السنة) وكما قلنا سابقاً دائماً معرضة للتحريف فوثق الإمام عليه السلام لتلك المسألة أو المشكلة العلمية في الحديث بقوله عليه السلام: «**إِنَّ فِي أَيْدِي النَّاسِ حَقّاً وَبَاطِلًا، وَصِدْقاً وَكَذِباً، وَنَاسِخاً وَمَنْسُوخاً، وَعَامّاً وَخَاصّاً، وَمُحْكَماً وَمُتَشَابِهاً، وَحِفْظاً وَوَهْماً. وَلَقَدْ كُذِبَ عَلَى رَسُولِ الله - صلى الله عليه وآله و سلّم- عَلَى عَهْدِهِ، حَتَّى قَامَ خَطِيباً، فَقَالَ: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»**[2]. **وَإِنَّمَا أَتَاكَ بِالْحَدِيثِ أَرْبَعَةُ رِجَالٍ لَيْسَ لَهُمْ خَامِسٌ: رَجُلٌ مُنَافِقٌ مُظْهِرٌ لِلْإِيمَانِ، مُتَصَنِّعٌ بِالْإِسْلَامِ، لَا يَتَأَثَّمُ وَلَا يَتَحَرَّجُ، يَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ الله - صلى الله عليه وآله و سلّم- مُتَعَمِّداً، فَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّهُ مُنَافِقٌ كَاذِبٌ لَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ، وَلَمْ يُصَدِّقُوا قَوْلَهُ، وَلَكِنَّهُمْ قَالُوا: صَاحِبُ رَسُولِ الله -صلى الله عليه وآله وسلّم- رَآهُ، وَسَمِعَ مِنْهُ، وَلَقِفَ عَنْهُ، فَيَأْخُذُونَ بِقَوْلِهِ، وَقَدْ أَخْبَرَكَ اللهُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ بِمَا أَخْبَرَكَ، وَوَصَفَهُمْ بِمَا وَصَفَهُمْ بِهِ لَكَ، ثُمَّ بَقُوا بَعْدَهُ، فَتَقَرَّبُوا إِلَى أَئِمَّةِ الضَّلَالَةِ، وَالدُّعَاةِ إِلَى النَّارِ بِالزُّورِ وَالْبُهْتَانِ، فَوَلَّوْهُمُ الْأَعْمَالَ، وَجَعَلُوهُمْ [حملوهم] حكاما عَلَى رِقَابِ النَّاسِ، فَأَكَلُوا بِهِمُ الدُّنْيَا، وَإِنَّمَا النَّاسُ مَعَ الْمُلُوكِ وَالدُّنْيَا، إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللهُ، فَهَذَا أَحَدُ الْأَرْبَعَةِ»**[3].

(١) حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٤/ ١٦٦؛ دخيل، شرح نهج البلاغة، ٢٩- ٣٠/ ٧٧- ٧٨؛ عبده، نهج البلاغة، ٣/ ١٠٣- ١٠٤.

(٢) أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ١/ ١٦٥، ٢٩٣، ٢/ ١٥٩؛ مسلم الحاكم النيسابوري، صحيح مسلم، ١/ ٨.

(٣) نهج البلاغة، ص٤٨٨- ٤٨٩.

ففي هذا النص يوثق الإمام (عليه السلام) ان كفاءة الحديث تقع تحت ثلاثة مسميات أو عنوانين أو أكثر جميعها في أساسها خلل ما عدا صنفاً رابعاً هو الذي يكتنف ويضم جميع هذه العنوانين فيوثق أن ما بين أيدي الناس باطل وصدق وكذب ناسخ ومنسوخ ...الخ، وكما يأتي:

الصنف الأول: يوثق الإمام (عليه السلام) ان بعض ما بيد الناس من الحديث باطل الذي هو خواص من خواص النقل والرواية[1]، ووزر ذلك النار بنص حديث الرسول (صلى الله عليه وآله) موثقاً له بدليل علمي وهو علم الرجال؛ لأن الرجل أو الراوي الذي أتى بالحديث منافق كاذب متخذ الإسلام غطاء يكذب على رسول الله ولا يتحرج بل متعمد لمصالح شخصية وأضاف الناس عليه القدسية كونه صاحب رسول (صلى الله عليه وآله) فاخذ حديثه يصبح متداولاً بين الناس ثم علامة أخرى ودليل يوثق بطلان حديثهم أنهم تقربوا بعد الرسول (صلى الله عليه وآله) إلى أئمة الضلال بالزور والبهتان أي الإفتراء على الرسول (صلى الله عليه وآله) بخلق الأحاديث[2]. ويمكن ان نخرج بما يأتي:

١- تكوين قاعدة انتشار لصنف الحديث القائم على الباطل والأغراض الشخصية كون الراوي صاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله) أولاً ولكون الناس مع الملوك والدنيا ثانياً فأنتج نوعاً من الأحاديث انتشرت على نطاق واسع.

٢- علامة معرفة انه حديث منافق قول الإمام (عليه السلام) (و قد أخبرك الله عن المنافقين بما أخبرك، و وصفهم بما وصفهم به لك)، أي أوصافهم مذكورة في

(١) حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ١٤/ ٢٨؛ علي أنصاريان، شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار، ٢/ ٤٠٤.

(٢) حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٣/ ٣٠٦-٣٠٩؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٣/ ٤٦٥-٤٦٧.

القرآن ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾[1]، فطريق الحديث متناً يدل على كونه حديث منافق.

الصنف الثاني من الحديث الذي يوثق له الإمام عليه السلام حديث الذي وهم فيه وهو حديث الخاطئين يقول عليه السلام: «**وَرَجُلٌ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ الله شَيْئاً لَمْ يَحْفَظْهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَوَهِمَ فِيهِ، وَلَمْ يَتَعَمَّدْ كَذِباً، فَهُوَ فِي يَدَيْهِ، وَيَرْوِيهِ وَيَعْمَلُ بِهِ، وَيَقُولُ: أَنَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله فَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّهُ وَهِمَ فِيهِ لَمْ يَقْبَلُوهُ مِنْهُ، وَلَوْ عَلِمَ هُوَ أَنَّهُ كَذَلِكَ لَرَفَضَهُ!**»[2]، موثقاً له لن الرجل أو الراوي سمع من رسول الله (صلى الله عليه وآله) لكنه لم يحفظه على وجهه فوهم فيه فيورده على عباراته ألدالة على ما تصور من معنى فيرويه ويعمل به أي أصبح شائعاً متداولاً بين الناس ويسنده إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)[3]، ومن ثم أصبح هناك مجوعة من الأحاديث وهي الأحاديث التي وهم فيها أصبحت منتشرة بين المسلمين.

كما يوثق الإمام عليه السلام للصنف الثالث من الأحاديث المتداولة بين الناس وهي الأحاديث الناسخة والمنسوخة التي اعتمد بعضها بين المسلمين يقول عليه السلام: «**وَرَجُلٌ ثَالِثٌ، سَمِعَ مِنْ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم شَيْئاً يَأْمُرُ بِهِ، ثُمَّ إِنَّهُ نَهَى عَنْهُ، وَهُوَ لَا يَعْلَمُ، أَوْ سَمِعَهُ يَنْهَى عَنْ شَيْءٍ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ، فَحَفِظَ الْمَنْسُوخَ، وَلَمْ يَحْفَظِ النَّاسِخَ، فَلَوْ يَعْلَمُ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضَهُ، وَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ إِذْ سَمِعُوهُ مِنْهُ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضُوه**»[4].

(١) محمد/ ٣٠.

(٢) نهج البلاغة، ص٤٩٠.

(٣) ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة (الكبير)، ٤/ ٢٣- ٢٤؛ حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ١٤/ ٣٢؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٣/ ٣٠٩؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٣/ ٤٦٧- ٤٦٨.

(٤) نهج البلاغة، ص٤٩٠.

وثق عليه السلام كيف أصبح هذا الحديث شائعاً ومتداولاً بين الناس بدليل أن الراوي سمع رسول الله (صلى الله عليه وآله) يأمر بشيء ثم نهى عنه أو نهى عن شيء ثم أمر به وهو لا يعلم فحفظ المنسوخ ولم يحفظ الناسخ فقد سمع شطراً مهماً ولم يسمع الأهم وأخذ المسلمون منه المنسوخ وترك الناسخ [1]، فكوّن حديث أصبح منتشراً وهو حديث المنسوخ.

الصنف الرابع من الأحاديث التي يوثق لها الإمام عليه السلام وهي الأحاديث الصحيحة التي يجب أن تعتمد إذ يوثق أن هذه الأحاديث هي أحاديث الصادقين الحافظين «**وَآخَرُ رَابِعٌ، لَمْ يَكْذِبْ عَلَى الله، وَلَا عَلَى رَسُولِهِ، مُبْغِضٌ لِلْكَذِبِ خَوْفاً مِنَ الله، وَتَعْظِيماً لِرَسُولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم وَلَمْ يَهِمْ، بَلْ حَفِظَ مَا سَمِعَ عَلَى وَجْهِهِ، فَجَاءَ بِهِ عَلَى مَا سَمِعَهُ، لَمْ يَزِدْ فِيهِ وَلَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ، فَهُو حَفِظَ النَّاسِخَ فَعَمِلَ بِهِ، وَحَفِظَ الْمَنْسُوخَ فَجَنَّبَ عَنْهُ، وَعَرَفَ الْخَاصَّ وَالْعَامَّ، وَالْمُحْكَم وَالْمُتَشَابِه، فَوَضَعَ كُلَّ شَيْءٍ مَوْضِعَه**»[2] فكونها أحاديث صحيحة موثقاً لها؛ لأن الراوي لم يكذب كما أنه لم يُخطئ أو يوهم بل تجنب كل ذلك خوفاً من الله وتعظيماً للكذب أو التجني على الرسول (صلى الله عليه وآله) بوضع أو زيادة أو نقص في الحديث بل تجنب كل ذلك يروي بدون زيادة أو نقصان حفظ الناسخ فعمل به وتجنب المنسوخ وعرف الخاص والعام[3] وهناك التفاتة جميلة من ابن أبي الحديد في القول بهذا الصنف من الحديث ورواته هم العلماء الراسخون في العلم[4].

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١١/ ٤٧؛ ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة (الكبير)، ٤/ ٢٤؛ حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ١٤/ ٣٢؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٣/ ٤٦٨؛ حسيني شيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٣/ ٣٠٩- ٣١٠؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٣/ ٢٤٤.

(٢) نهج البلاغة، ص٤٩٠- ٤٩١.

(٣) الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٣/ ٤٦٨- ٤٦٩؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٣/ ٢٤٤- ٢٤٥.

(٤) شرح نهج البلاغة، ١١/ ٤٧؛ وينظر: عبده، نهج البلاغة، ٢/ ٢١٦.

ربما ما تقدم قد يطرح سؤالاً كيف يوثق الإمام عليه السلام أن هذا الصنف والذي أطلق عليهم أبن أبي الحديد الراسخين في العلم عرف الكلام من الرسول (صلى الله عليه وآله) بجانبيه ووجهيه الخاص والعام؟ أو كيف وقع الإختلاف بين أحاديث أصحاب رسول لله (صلى الله عليه وآله) فوصل لهم العام دون الخاص أو المنسوخ دون الناسخ؟ لكنه عليه السلام وثق لذلك توثيقاً علمياً يقول: «**وَقَدْ كَانَ يَكُونُ مِنْ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم الْكَلَامُ لَهُ وَجْهَانِ: فَكَلَامٌ خَاصٌّ، وَكَلَامٌ عَامٌّ، فَيَسْمَعُهُ مَنْ لَا يَعْرِفُ مَا عَنَى اللهُ سُبْحَانَهُ بِهِ، وَلَا مَا عَنَى رَسُولُ الله -صلى الله عليه وآله وسلم- فَيَحْمِلُهُ السَّامِعُ، وَيُوَجِّهُهُ عَلَى غَيْرِ مَعْرِفَةٍ بِمَعْنَاهُ، وَمَا قُصِدَ بِهِ، وَمَا خَرَجَ مِنْ أَجْلِهِ، وَلَيْسَ كُلُّ أَصْحَابِ رَسُولِ الله -صلى الله عليه وآله وسلم- مِنْ كَانَ يَسْأَلُهُ وَيَسْتَفْهِمُهُ، حَتَّى إِنْ كَانُوا لَيُحِبُّونَ أَنْ يَجِيءَ الْأَعْرَابِيُّ وِ الطَّارِئُ، فَيَسْأَلُهُ عليه السلام حَتَّى يَسْمَعُوا، وَكَانَ لَا يَمُرُّ بِي مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ إِلَّا سَأَلْتُهُ عَنْهُ وَحَفِظْتُه**»[1].

فالموثق له وهو متابعة هذا الراوي رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى بالسؤال عن تفاصيل وجزئيات هذا الحديث وخصوصياته وليس الكلام العام فقط وقد إختص بذلك الإمام عليه السلام لأن أصحاب الرسول لم يكونوا سائلين بل كانوا يجلّون رسول الله (صلى الله عليه وآله) أو يخجلوا أن يسألوا وربما لم يكن لديهم مستوى فكري لإثارة الأسئلة ومعرفة التفاصيل وكانوا يحبون أن يجيء الأعرابي والطارئ ليسأل الرسول (صلى الله عليه وآله) فيستفيدوا[2].

(١) نهج البلاغة، ص٤٩١- ٤٩٢.

(٢) الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٣/ ٤٦٩؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٣/ ٢٤٦ .

الخاتمة

إن خلاصات ما مر من عمل يتلخص بعدة استنتاجات وملاحظات خاصة بالتوثيق التاريخي ومنهجية فكر الإمام ﷺ في هذا الميدان وكما يأتي:

١- إن فكر الإمام ﷺ اثبت تطوره في كل المجالات بحيث نلاحظ هذا التطور في القضايا التي عالجها وبعبارة أخرى ان اللغة أو الفكر في نهج البلاغة سجل تقدماً في أية قضية من القضايا أو حدث من الأحداث أو نتيجة علمية من النتائج.

٢- أراد الإمام ﷺ خلق وعياً تاريخياً للمجتمع وتحرير الإرادة والفكر وتفعيل أداة العلم وهو العقل بتحليل كل حادثة أو ظاهرة بتحديد الخطوط بدقة (القراءة الواعية للحدث) للحصول على أصل القضايا فعند معرفة الأصل أو المقدمة ترى النتيجة على مرآة المقدمة، مع التخلص من الصبغة السياسية أو النزعات على حساب القيم (الثقافة الجامدة) ووضوح الرؤيا وبلورة المفهوم على أساس الحق وليس على أسس أخرى ورفض النظر إلى الأمور نظر المسلمات التي لا يرقى إليها الشك، بمعنى رفض نظرة القداسة على الشخصيات ومن ثم الأحداث التي افتعلتها هذه الشخصيات وتبني النقد تجاهها .

٣- ان الإمام ﷺ نظر إلى التاريخ نظرة علمية موضوعية أبرز فيها بالتوثيق منظومة قيم استهدفت إبراز الشخصيات والملامح الحسنة ونبذ السيئة منها لإرتباطها بمسار الثقافة والفكر.

٤- ان ما جاء به الإمام ﷺ من وسيلة أو منهج علمي للتوصل إلى المعلومات التي يطرحها أسهم في إبراز الجانب الفني العلمي في النهج. إذ في

التوثـق والإسـتدلال عـلى الأفـكار ومـن ثـم أدى إلى زيـادة وثاقـة المعلومـات و الأحـداث والأفـكار التـي طرحهـا.

٥- ان اختيـار الإمـام عليه السلام تنـاول التاريـخ عـلى أسـاس أفكار ومفاهيـم معينـة ذات طابـع سـياسي أو أخلاقـي أو عسـكري أو تربـوي ليـس إعتباطـاً مطلقـاً وإنـما هـذه المفاهيـم والأفـكار كونـت مـادة تاريخيـة قائمـة وفـق منهـج البحـث العلمـي.

المصادر والمراجع

المصادر القديمة

* القرآن الكريم.

* ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ت ٦٠٦هـ - ١٢٠٩م.

- النهاية في غريب الحديث، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، ط٤، قم - إيران، ١٣٦٤ - ١٩٦٣م.

* ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن ت ٦٣٠هـ - ١٢٣٢م.

- أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الكتاب العربي،بيروت، إنتشارات إسماعيليان، طهران، د.ت.

- الكامل في التاريخ، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.

* احمد ابن حنبل، الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد الشيباني الوائلي ت ٢٤١هـ - ٨٥٥م.

المسند، دار صادر، بيروت، د.ت.

* الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله ت ٥٦٠هـ - ١١٦٥م.

نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

* الأربلي، علي بن عيسى ت ٦٩٣هـ- ١٢٩٣م.

كشف الغمة في معرفة الائمة، دار الأضواء، بيروت لبنان، د.ت.

* الأزدي، الفضل بن شاذان ت٢٦٠هـ - ٨٧٤م.

الإيضاح، تحقيق: السيد جلال الدين الحسيني الأرموي، مؤسسة انتشارات وچاب دانشگاه تهران، ١٣٦٣ش.

* الأزرقي، محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة ت ٣٤٤هـ - ٨٥٨م.

أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق: رشدي الصالح ملحس، ط٣، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

* ابن إسحاق، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن يسار ألمطلبي ت١٥١هـ - ٧٦٨م.

السير والمغازي، تحقيق محمد حميد الله، معهد الدراسات والأبحاث، د.م، د.ت.

* ابن أعثم، أبو محمد احمد بن محمد بن علي الكوفي ت٣١٤هـ - ٩٢٦م.

كتاب الفتوح، تحقيق علي شيري، ط١، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١١هـ.

* الإيجي، عبد الرحمن بن احمد بن عبد الغفار بن أحمد الإيجي الشيرازي الشافعي ت ٧٥٦هـ - ١٣٥٥م.

المواقف، تحقيق عبد الرحمن عميرة، ط١، دار الجبل، لبنان - بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

* البخاري، إسماعيل بن إبراهيم ت ٢٥٦هـ - ٨٧٠م.

صحيح البخاري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، طبع بالأوفست عن طبعة دار الطباعة العامرة بإستنبول، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

* ابن البطريق، شمس الدين يحيى بن الحسن ت ٦٠٠هـ - ١٢٠٤م.

خصائص الوحي المبين، تحقيق: الشيخ مالك المحمودي، ط١، الناشر دار القران الكريم، مطبعة نگين، قم، ١٤١٧هـ.

* البغدادي، عبد القاهر بن طاهر بن محمد ت ٤٢٩هـ - ١٠٣٧م .

الفرق بين الفرق، اعتنى به وعلق عليه: الشيخ إبراهيم رمضان، ط١، دار الفتوى

- بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م .

* البكري، عبد الله بن عبد العزيز ت ٤٨٧هـ - ١٠٩٤م .

معجم ما استعجم، تحقيق: مصطفى السقا،ط ٣، عالم الكتب، بيروت - لبنان، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

* البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر ت ٢٧٩ هـ - ٨٩٢م.

أنساب الأشراف، تحقيق: محمد حميد الله، دار المعارف، مصر، ١٩٥٩م.

- فتوح البلدان، نشر وإلحاق الدكتور صلاح الدين المنجد، مطبعة لجنة البيان، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٦م.

* البيهقي، احمد بن الحسين ت ٤٥٨هـ - ١٠٦٦م.

- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، وثق أصوله وعلق عليه: د عبد المعطي قلعجي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

- السنن الكبرى، دار الفكر، د.ت.

- معرفة السنن والآثار، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، د .ت.

* بيهقي خراساني، ظهير الدين أبي الحسن علي ت ٥٥٢هـ - ١١٥٧م.

معارج نهج البلاغة، المصحح محمد تقي دانش، ط١، قم، ١٤٠٩هـ.

* التبريزي، المولى عبد الباقي الصوفي ت ١٠٣٩ - ١٦٣٠م.

منهاج الولاية في شرح نهج البلاغة، تحقيق: حبيب الله ألعظيمي، ط١، آينه ميراث التابعة لمركز نشر ميراث مكتوب، طهران، ١٤٢٠هـ .

* الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى السلمي ت ٢٧٩هـ - ٨٩٢م.

السنن، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، ط٢، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

* ابن تيميه، تقي الدين احمد ت ٧٢٨هـ - ١٣٢٨م.

مجموعة الفتاوى، طبعة الشيخ عبد الرحمن بن قاسم، د.ت.

* الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل ت ٤٢٩هـ - ١٠٣٨م.

يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق: د. مفيد محمد قميحة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

*الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم ت٤٢٧ هـ - ١٠٣٥م.

الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: الإمام محمد بن عاشور مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير ألساعدي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢م.

* الثقفي، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي ت ٢٨٣هـ - ٨٩٦م.

الغارات، تحقيق: السيد جلال الدين الحسيني الأرموي المحدث، طبع على طريقة أوفست في مطابع بهمن، د.ت.

* الجصاص، أبو بكر أحمد بن علي الرازي ت ٣٧٠هـ - ٩٨٠م.

إحكام القرآن، تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

* أبو جعفر الإسكافي، أبي جعفر محمد بن عبد الله المعتزلي ت ٢٢٠هـ - ٨٣٤ م.

المعيار والموازنة، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي، ط١، ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م.

* ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي ت ٣٩٢هـ - ١٠٠١م

الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، ط٢، بيروت - لبنان، د.ت

* أجوهري، أبي بكر أحمد بن عبد العزيز ت ٣٢٣هـ.

السقيفة وفدك، رواية عز الدين عبد الحميد بن أبي الحديد، تحقيق: محمد هادي الأميني، ط٢، شركة ألكتبي للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

* أجواهري، محمد حسن النجفي ت ١٢٦٦هـ - ١٧٩٧م.

جواهر الكلام، تحقيق: الشيخ عباس القوجاني، ط٢، مطبعة خورشيد، طهران، ١٣٦٥ش تاريخ انتشار١٣٦٧.

* ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي البغدادي ت٥٩٧هـ - ١٢٠٠م.

المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط١، بيروت- لبنان، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

* الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حمّاد ت٣٩٣هـ - ١٠٠٣ م.

الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطا، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

*الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله ت٤٠٥هـ - ١٠١٤م.

المستدرك على الصحيحين، بإشراف يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة، بيروت، د.ت.

* ابن حبان، محمد بن احمد أبو حاتم البستي ت ٣٥٤ هـ - ٩٦٥م.

صحيح بن حبان، تحقيق: شعيب الارنؤوط، مؤسسة الرساله، بيروت، ١٤١٤هـ.

* ابن حبيب، أبو جعفر محمد البغدادي ت٢٤٥ - ٨٥٩م.

المحبر، رواية أبي سعيد بن الحسين السكري، مطبعة الدائرة، ١٣٦١هـ.

* ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني الشافعي ت٨٥٢هـ - ١٤٤٨م.

الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، ط١، بيروت، ١٤١٥هـ.

- فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ط٢، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، د.ت.

* ابن أبي الحديد، عز الدين عبد الحميد بن هبة الله المعتزلي ت ٦٥٦هـ - ١٢٥٨م.

شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، ط١، قم، ١٣٧٨هـ.

* الحر العاملي، محمد بن الحسن ت١١٠٤هـ - ١٦٩٢م .

وسائل الشيعة في تحصيل الشريعة، تحقيق: مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، ط٢، قم، ١٤١٤هـ .

* ابن حزم الأندلسي، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري الأندلسي ت٤٥٦هـ - ١٠٦٤م.

جمهرة أنساب العرب، تحقيق: لجنة من العلماء، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

- الفصل في الملل والأهواء والنحل، ط١، المطبعة الأدبية، مصر، الناشر، دار الصادر، بيروت، ١٣١٧هـ .

* ابن حمدون، أبو المعالي محمد بن الحسن بن محمد بن علي البغدادي ت ٥٦٢هـ - ١١٦٧م.

التذكرة الحمدونية، تحقيق: إحسان عباس، ط١، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٦م.

* ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي ت ٨٠٨هـ - ١٤٠٦م.

تاريخ بن خلدون، ط٤، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

* الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل ت ٢٥٥هـ - ٨٦٩م.

سنن الدارمي، مطبعة الإعتدال، دمشق، طبع بعناية محمد أحمد دهمان، ١٣٤٩هـ .

* أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني ت ٢٧٥ هـ - ٨٨٩م.

سنن أبي داود، تحقيق: سعيد محمد اللحام، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

* الدميري، محمد بن موسى بن عيسى بن علي ت٨٠٨هـ - ١٤٠٥م.

حياة الحيوان الكبرى، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ.

* الدينوري، أبو حنيفة احمد بن داوود بن ونند ت ٢٨٢هـ - ٨٩٥ م.

الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، مراجعة: د. جمال الدين الشيال، ط١، دار إحياء الكتب الغربي، عيسى الحلبي، منشورات الشريف الرضي، القاهرة، ١٩٦٠م.

* الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز ت ٧٤٨هـ - ١٣٧٤م.

سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

* الرازي، فخر الدين ت٦٠٦هـ - ١٢١٠م.

تفسير الرازي، ط٣، د.ت.

* الزبيدي، أبي الفيض محمد مرتضى بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني ت ١٢٠٥هـ - ١٧٩١م.

تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

* الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر ت ٥٣٨هـ - ١١٤٣م.

ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، تحقيق: عبد الأمير مهنا، ط١، بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

- الفايق في غريب الحديث، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، ط١، دار الكتب

العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، شركة مكتبة مصطفى ألبابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٣٨٥ - ١٩٦٦م.

* السرخسي، شمس الائمة أبي بكر محمد بن أبي سهل ت ٤٨٣هـ.

المبسوط، قام بتصحيحه جمع من حضرات أفاضل العلماء، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

* السرخسي، المحقق علي بن ناصر ت القرن السادس الهجري - القرن الثالث عشر الميلادي.

أعلام نهج البلاغة، تحقيق: عزيز الله عطارد، ط١، مؤسسة الطبع والنشر، طهران، ١٤١٥هـ.

* ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الزهري ت ٢٣٠هـ- ٨٤٤م.

الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، د.ت.

* سليم بن قيس الهلالي ت ٧٦هـ .

كتاب سليم بن قيس، تحقيق:محمد باقر الأنصاري الزنجاني، ط١، مطبعة نگارش، إيران، ١٤٢٢.

* ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل ت ٤٥٨هـ - ١٠٦٦م.

المخصص، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

* السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري ت٩١١هـ - ١٥٠٥م.

- إسعاف المبطأ برجال الموطأ، تحقيق: موفق فوزي جبر، ط١، دار الهجرة للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت، ١٤١٠ه

- تاريخ الخلفاء، تحقيق لجنة من الأدباء، مطابع معتوق إخوان، بيروت، توزيع دار التعاون عباس احمد ألباز، د.ت.

- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، د.ت.

- المحاضرات والمحاورات، تحقيق الدكتور يحيى الجبوري، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

* الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس ت٢٠٤هـ - ٨١٩م.

المسند، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

* ابن شبة النميري، أبو زيد عمر بن شبة ت ٢٦٢هـ - ٨٧٦م.

تاريخ المدينة المنورة، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، دار الفكر، قم، ١٤١٠هـ.

* ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد ت ٢٣٥ هـ - ٧٧٦م.

المصنف، تحقيق: سعيد اللحام، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

* بن أبي شيبة، محمد بن عثمان ت٢٩٧هـ - ٩١٠م.

كتاب العرش، محمد بن حمد الحمود، ط١، مكتبة المعلا، الكويت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

* الشيرازي، محمد طاهر بن محمد حسين ت ١٠٩٨هـ - ١٦٨٧م.

الأربعين في إمامة الائمة الطاهرين، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، ط١، مطبعة الأمير، قم، ١٤١٨هـ.

* الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي ت ٣٨١هـ - ٩٩١م.

- الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية مؤسسة البعثة، قم، ط١، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، ١٤١٧هـ.

- الخصال، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر، قم، ١٤٠٣هـ.

- علل الشرائع، تقديم: السيد محمد صادق بحر العلوم، منشورات المكتبة الحيدرية، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م .

- كمال الدين وتمام النعمة، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم،إيران، ١٤٠٥.

* ضامن بن شدقم المدني بن علي الحسيني ت بعد١٠٨٢ هـ - ١٦٥٨م.

وقعة الجمل، تحقيق السيد تحسين آل شبيب الموسوي،ط١، الناشر المحقق، مطبعة محمد، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩.

* آل طاووس، جمال الدين السيد أحمد آل طاووس ت٦٧٧هـ.

عين العبرة في غبن العترة، دار الشهاب، قم، د.ت .

* ابن طاووس، رضي الدين علي ت ٦٦٤هـ - ١٢٦٥م .

- الطرائف في معرفة الطوائف، ط١، الخيام، قم، ١٣٩٩هـ.

- اليقين، تحقيق: الأنصاري، ط١، مؤسسة دار الكتاب (الجزائري)، نمونه، قم، ١٤١٣هـ.

* الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد اللخمي ت ٣٦٠هـ - ٩٧١م.

المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، ط٢، دار إحياء التراث، د.ت.

* الطبرسي، أحمد بن علي ت ٥٦٠هـ - ١١٦٤م.

الإحتجاج، تحقيق: محمد باقر الخراسان، دار النعمان، النجف الاشرف، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.

* الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل ت٥٤٨ هـ - ١١٥٣م.

تفسير مجمع البيان، تحقيق وتعليق: لجنة من العلماء والأخصائيين، ط١، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

* الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد ت٣١٠ - ٩٢٣م.

تاريخ الطبري، تصحيح: لجنة من العلماء الأجلاء، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، د.ت.

- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تقديم: الشيخ خليل الميس ضبط وتوثيق وتخريج صدقي جميل العطار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

* ألطريحي، فخر الدين بن محمد بن علي بن أحمد بن طريح الرماحي النجفي ت ١٠٨٥هـ - ١٦٧٤م.

مجمع البحرين، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، ط٢، ناشر مرتضوي، طهران، ١٣٦٢ش.

* الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي ت ٤٦٠هـ - ١٠٦٧م.

اختيار معرفة الرجال، تصحيح: مير داماد الأسترابادي، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، مؤسسة آل البيت لأحياء التراث، قم، ١٤٠٤هـ.

- الغيبة، تحقيق: الشيخ عبد الله الطهراني، الشيخ علي أحمد ناصح، ط١، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، ١٤١١.

* ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد ت ٤٦٣هـ - ١٠٧١م.

الإستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط١، دار الجبل، بيروت، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

- الإنباه على قبائل الرواة، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

- التمهيد، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة المغرب، ١٣٨٧هـ.

* ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله بن الحكم القرشي المصري ت ٢٥٧ هـ - ٨٧٠م.

فتوح مصر وأخبارها، تحقيق: محمد الحجيري، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.

* عبد الرزاق الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري ت ٢١١هـ - ٨٢٦م .

مصنف عبد الرزاق الصنعاني، عني بتحقيق نصوصه: الشيخ المحدث حبيب الرحمن الأعظمي، دم، د.ت.

* ابن العربي، القاضي أبي بكر ت٥٤٣هـ.

العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد النبي(ﷺ)، تحقيق: محب الدين الخطيب، ط٢، الدار السعودية للنشر، جده، ١٣٨٧هـ.

* ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي الشافعي ت٥٧١هـ - ١١٧٦م.

تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .

* علي بن أبي طالب عليه السلام، الإمام ت٤٠هـ - ٦٦٠م.

نهج البلاغة، ضبط صبحي الصالح، ط٣، دار الحديث للطباعة والنشر، ١٤٢٦ق - ١٣٨٤ش .

* ابن فارس، أبو الحسين أحمد ت٣٩٥هـ - ١٠٠٤م.

معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الإعلام الإسلامي، ١٤٠٤هـ .

* فخر الدين الرازي ت٦٠٦هـ - ١٢١٠م.

مفاتيح الغيب، ط٣، د.ت.

* أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه

بن أيوب الشافعي ت٧٣٢هـ - ١٣٣١م .

المختصر في أخبار البشر، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، د.ت.

* ألفراهيدي، الخليل بن احمد ت١٧٥هـ .

العين، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، ط٢، مؤسسة دار الهجرة، قم، ١٤٠٩هـ.

* أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين ت٣٥٦هـ - ٩٦٧م.

الأغاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

* الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب ت٨١٧هـ - ١٤١٤م .

القاموس المحيط، د.م، د .ت .

* ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري ت ٢٧٦هـ - ٨٨٩م.

- الإمامة والسياسة (منسوب له)، تحقيق: علي شيري، ط١، انتشارات الشريف الرضي، قم، ١٣٧١ - ١٤١٣ .

- غريب الحديث، تحقيق: عبد الله الجبوري، ط١، دار الكتب العلمية، قم ١٤٠٨هـ .

- المعارف، تحقيق: الدكتور ثروت عكاشة، ط٢، دار المعارف، النيل - القاهرة، ١٩٦٩م.

* قطب الدين الراوندي، أبي الحسن سعيد بن هبة الله ت٥٧٣هـ - ١١٧٧م .

منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، تحقيق: السيد عبد اللطيف الكوهكمري، قم ١٤٠٦هـ.

* القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري ت٨٢١هـ - ١٤١٨م.

مآثر الأنافة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد الستار أحمد فرج، سلسلة تصدرها وزارة الإرشاد والإنباء في الكويت، ١٩٦٤م.

* ابن كثير، أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ت٧٧٤هـ - ١٣٧٢م.

البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، ط١، دار أحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

- السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٣٦٩هـ - ١٩٧٦م .

* الكراجكي، أبو الفتح محمد بن علي ت ٤٤٩هـ - ١٠٥٧م .

كنز الفوائد، ط٢، ١٣٦٩ش، مكتبة المصطفوي _ قم، د.ت

* الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الرازي ت٣٢٩هـ - ٩٤٠م.

الكافي، تحقيق: علي أكبر الغفاري،ط٣، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٨٨هـ .

* كيذري بيهقي، الشيخ أبي محمد بن الحسين ت القرن السادس الهجري - القرن الثاني عشر الميلادي.

حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة، المصحح: عزيز الله العطاردي، ط١، مؤسسة نهج البلاغة نشر عطارد، قم، ١٤١٦هـ .

* ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ت٢٧٣هـ - ٨٨٧م .

سنن بن ماجة، تحقيق وتعليق وترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت .

* المازندراني، محمد صالح ت١٠٨١هـ .

شرح أصول الكافي، تحقيق: الميرزا أبي الحسن الشعراني، تصيح السيد علي عاشور، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢١هـ- ٢...م.

* المالكي الأشتري، حسين ورام بن أبي فراس ت٦٠٥هـ - ١٢٠٨م.

تنبيه الخواطر ونزهة النواظر (مجموعة ورّام)، ط٢، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٦٨ش.

* الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي ت٤٥٠هـ - ١٠٥٨م.
الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ط٢، دار التعاون للنشر مصطفى ألبابي، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م .

* المتقي الهندي، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين ت٩٧٥هـ - ١٥٦٧م.
كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ضبط وتفسير الشيخ بكري حياني، تصحيح وفهرسه: الشيخ صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .

* ألمجلسي،، محمد باقر بن محمد تقي بن مقصود علي الأصفهاني ت ١١١٠هـ - ١٦٩٨م.
بحار الأنوار، ط٢، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

* محب الدين الطبري، أبو جعفر احمد المحب الطبري ت ٦٩٤هـ - ١٢٩٥م.
الرياض النضرة في مناقب العشرة، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت .

* المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي ت ٣٤٥هـ - ٩٥٦م.
التنبيه والإشراف، دار صعب، بيروت، د.ت.
مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط٢، منشورات دار الهجرة، قم، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

* ابن مسكويه، أحمد بن محمد بن يعقوب ت٤٢١هـ - ١٠٣٠م.
تجارب الأمم، تحقيق: الدكتور أبي القاسم امامي، ط٢، دار سروش للطباعة والنشر، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م .

* مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري ت٢٦١هـ - ٨٧٥م.
صحيح مسلم، دار الفكر، بيروت، د.ت.

* المفيد، أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام العكبري ت٤١٣هـ - ١٠٢٢م .

- الإختصاص، تحقيق: علي أكبر الغفاري و السيد محمود الزرندي، ط٢، دار المفيد للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

- الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، تحقيق: مؤسسة آل البيت (ع) لتحقيق التراث، ط٢، دار المفيد للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

- الأمالي، تحقيق: حسين أستاد ولي وعلي أكبر الغفاري، ط٢، دار المفيد للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .

- الجمل، مكتبة الداوري، قم، د.ت .

* المقري الفيومي، أحمد بن محمد بن علي ت٧٧٠هـ - ١٣٦٨م .

المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، دار الفكر للطباعة والنشر، د.ت .

* المقريزي، أبو محمد تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن تميم الشافعي ت ٨٤٥هـ - ١٤٤١م .

النزاع والتخاصم بين بني أمية وبني وهاشم، تحقيق: السيد علي عاشور، د.ت .

* من أعلام القرن الثامن، مؤلف مجهول ت القرن الثامن الهجري - القرن الرابع عشر الميلادي .

شرح نهج البلاغة، المصحح: عزيز الله العطاردي، ط١، مؤسسة نهج البلاغة نشر عطارد، قم، ١٤١٧هـ .

* ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي الأنصاري الرويفعي ت ٧١١هـ - ١٣١١م.

لسان العرب، نشر أدب الحوزة، قم، ١٤٠٥هـ .

* الموفق الخوارزمي، الموفق بن احمد بن محمد المكي ت ٥٦٨هـ - ١١٧٣م.

المناقب، تحقيق: الشيخ مالك المحمودي - مؤسسة الشهداء (ع)، ط٢، مؤسسة

النشر الإسلامي، قم، ١٤١٤هـ.

* مؤلف مجهول، ت القرن الثالث الهجري .

أخبار الدولة العباسية، تحقيق: د. عبد العزيز الدوري، د. عبد الجبار ألمطلبي، مطابع دار صادر بيروت، ١٩٧١م، الناشر دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت .

* ابن ميثم البحراني، كمال الدين ميثم بن علي ت ٦٩٩هـ - ١٢٩٩م.

- إختيار مصباح السالكين شرح نهج البلاغة (المتوسط)، المصحح محمد الهادي الأميني، ط١، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، ١٤٠٨هـ.

- شرح نهج البلاغة (الكبير)، ط٢، د.م،١٤٠٤هـ .

* النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن علي بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار٣٠٣هـ - ٩١٥م .

سنن النسائي، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٣٤٨هـ - ١٩٣٠م .

- فضائل الصحابة، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت .

- الضعفاء والمتروكين، تحقيق: محمد إبراهيم زايد، ط١، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

* نصر بن مزاحم المنقري ت ٢١٢هـ - ٨٢٧م .

وقعة صفين، تحقيق: عبد السلام هارون، ط٢، المؤسسة العربية الحديثة للطبع، مطبعة المدني، مصر، ١٣٨٢هـ .

* ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن أيوب الحميري المعافري ت ٢١٨هـ- ٨٣٣م .

السيرة النبوية، تحقيق: محمد محيي عبد الحميد، مكتبة محمد علي صبيح، مطبعة المدني، القاهرة، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م .

*أبو هلال العسكري ت بعد ٣٩٥ هـ - ١٠٠٥م .

جمهرة الأمثال، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، عبد المجيد قطامش، ط٢، دار الجبل، بيروت، د.ت .

* الهيثمي،، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان المصري ت ٨٠٧هـ - ١٤٠٤م .

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الكتب العلمية، بيروت، طبع بإذن حسام الدين مؤسس مكتبة القدسي، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

* الواقدي، محمد بن عمر بن واقد ت ٢٠٧هـ - ٨٢٣م .

مغازي الرسول، تحقيق: مارسدن جونس، نشر دانش إسلامي، ١٤٠٥هـ.

* ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ت ٦٢٦هـ - ١٢٢٩م.

معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٨٧م.

* اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح البغدادي ت ٢٩٢هـ - ٩٠٤م.

التاريخ، مؤسسة ونشر فرهنگ أهل البيت (ع)، قم، دار صادر، بيروت، د.ت.

المراجع

* أمين، أحمد .

ضحى الاسلام، ط١٠، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت .

* الأميني، عبد الحسين أحمد النجفي ت١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

الغدير في الكتاب والسنة والأدب، عني بنشره: الحاج حسن إيراني، ط٤، دار الكتاب العربي، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .

* البدراني، السيد فالح السيد احمد.

حقيقة الإسلام، ط١، الناشر مكتب السويس للنشر والترجمة والطباعة، دار الحرية للطباعة، بغداد، د.ت .

* البكري، عبد الرحمن أحمد.

من حياة الخليفة عمر بن الخطاب، ط٧، الإرشاد للطباعة والنشر، بيروت - لندن، ٢٠٠٢م.

* بيضون، لبيب.

تصنيف نهج البلاغة، ط٣، مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، قم، ١٤١٧.

* التستري، الشيخ محمد تقي.

بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، ط١، دار أمير كبير للنشر، طهران، ١٤١٨ .

* جابر، حميد سراج

- الجودة وفلسفة إتقان العمل في فكر الإمام علي (ع) دراسة في نهج البلاغة، ط١، تموز للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٢م .

- الدبلوماسية وقواعد المواجهة في فكر الرسول (ﷺ)، ط١، تموز للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٢م .

الفكر الإختباري في نهج البلاغة، ط١، دار مكتبة البصائر للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م .

* جرداق، جورج.

روائع نهج البلاغة، ط٢، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ١٤١٧.

* الحسيني، إدريس.

الخلافة المغتصبة، ط٢، دار الخليج للطباعة والنشر، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م .

* حسيني الشيرازي، السيد محمد.

توضيح نهج البلاغة، دار تراث الشيعة، طهران، د.ت .

* ألجلالي، محمد حسين الحسيني.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ط١، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

دراسة حول نهج البلاغة، ط١، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ١٤٢١هـ .

* الخراساني، السيد محمد تقي النقوي القايني.

مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة، مكتبة المصطفوي، طهران، د.ت.

* الخطيب، عبد الزهراء الحسيني .

مصادر نهج البلاغة وأسانيده، ط٤، دار الزهراء، بيروت، ١٤٠٩ .

* الخوئي، إبراهيم بن حسين.

الدرة النجفية، تم التأليف ١٢٩١ق، د.ت.

* الخوئي، حبيب الله الهاشمي .

منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، المصحح: السيد إبراهيم الميانجي، ط٤، المكتبة الإسلامية، طهران، ١٤٠٠ .

* الخوئي، السيد أبي القاسم الموسوي ت١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة، ط٥، د.م، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

* دخيل، علي محمد علي.

شرح نهج البلاغة، دار المرتضى، بيروت، ١٤٠٦هـ .

* الربيعي، عبد الهادي.

سلسلة القبائل العربية في العراق قبيلة بنو عبد ألقيس، راجعه: علي الكوراني العاملي، ط١، د.م، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

- قبيلة بني تميم، راجعه: علي الكوراني العاملي، ط١، د.م، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

* الريشهري، محمد.

موسوعة الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام) في الكتاب والسنة والتاريخ، تحقيق: مركز بحوث دار الحديث وبمساعدة السيد محمد كاظم الطباطبائي، السيد محمود الطباطبائي، ط٢، دار الحديث للطباعة والنشر، قم، ١٤٢٥هـ.

* الزركلي، خير الدين ت١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

الأعلام، ط٥، دار العلم للملاين، بيروت، ١٩٨٠م.

* شمس الدين، محمد مهدي.

التاريخ وحركة التقدم البشري، د.م، د.ت.

- دراسات في نهج البلاغة، ط٢، دار الزهراء للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

* الصدر، السيد محمد باقر.

بحث حول المهدي (عج)، تحقيق: الدكتور عبد الجبار شرارة، ط١، مطبعة فروردين، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

* الطباطبائي، السيد محمد حسين.

الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين، قم، د.ت.

* العاملي، علي الكوراني.

- عصر الظهور، ط١١، د.م، د.ت.

- قبيلة النخع، ط١، د.م، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.

* عبده، الشيخ محمد.

نهج البلاغة، المصحح: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة الاستقامة، القاهرة، د.ت.

* ابن عقيل، محمد بن عقيل بن عبد الله بن عمر ت١٣٥٠هـ.

النصائح الكافية لمن يتولى معاوية، ط١، دار الثقافة للطباعة والنشر، قم، ١٤١٢هـ.

* علي أنصاريان.

- الدليل على موضوعات نهج البلاغة، إنشارات ياسر، طهران، ١٣٩٦.

- شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار، المصحح: مرتضى حاج علي فرد، ط١، مؤسسة الطباعة والنشر وزارة الثقافة، طهران، ١٤٠٨.

* الغروي، محمد.

الأمثال والحكم المستخرجة من نهج البلاغة، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٠٧هـ.

* الغروي، الشيخ محمد هادي.

موسوعة التاريخ الإسلامي، ط١، مطبعة مؤسسة الهادي، قم، مجمع الفكر الإسلامي، ١٤١٧

* القرني، أويس كريم محمد.

المعجم الموضوعي لنهج البلاغة، مجمع البحوث الإسلامية التابع للاستانه الرضوية المقدسة، ط١، مشهد، ١٤٠٨.

* القزويني، محمد كاظم.

شرح نهج البلاغة، مطبعة النعمان، النجف الاشرف، ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م.

* قلعجي، محمد رواس.

معجم لغة الفقهاء، ط٢، دار النفائس للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

* ألقمي، عباس بن محمد رضا ت١٣٥٩هـ / ١٩٤٠م.

- شرح حكم نهج البلاغة، مؤسسة نهج البلاغة، ط١، طهران، ١٤١٧هـ.

- الكنى والألقاب، تقديم: محمد هادي الأميني، مكتبة الصدر، طهران، د.ت.

* مجيلس، عادل عبد الله.

الله والإمام بحوث فكرية في الأسلوب الإلهي لإقامة الدين في الأرض، ط١، بغداد، ٢٠٠٦.

* المحمودي، محمد باقر.

نهج السعادة في مستدرك البلاغة، تصحيح: عزيز آل طالب، ط١، مؤسسة الطباعة والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ١٤١٨هـ.

* مرتضى، السيد جعفر.

الصحيح من سيرة النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)، دار الحديث للطباعة والنشر، قم، ١٤٢٦هـ.

- علي والخوارج، المركز الإسلامي للدراسات، بيروت، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

* المظفر، الشيخ محمد رضا ت ١٣٨٣هـ.

السقيفة، تقديم:الدكتور محمود المظفر، ط٢، مؤسسة أنصاريان، مطبعة بهمن، قم، ١٤١٥هـ.

* مغنية، محمد جواد.

التفسير الكاشف، ط٣، دار العلم للملاين، بيروت - لبنان، ١٩٨١م.

في ظلال نهج البلاغة، ط٣، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٠هـ.

* مكارم الشيرازي، ناصر.

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، د.م، د.ت.

* الموسوي، السيد عباس علي.

شرح نهج البلاغة، ط١، دار الرسول الأكرم، دار المحجة البيضاء، بيروت، ١٤١٨ هـ.

* الميرجهاني، حسن ميرجهاني الطباطبائي.

مصباح البلاغة في مشكاة الصياغة، الناشر المؤلف، د.م، ١٣٨٨.

* يعقوب، احمد حسين.

الخطط السياسية لتوحيد الأمة الإسلامية، ط٢، دار الفجر، لندن، ١٤١٥هـ.

الرسائل الجامعية

* الحلفي، صبيح نوري خلف .

نساء البيت الأموي ودورهن في الحياة الاجتماعية والسياسية حتى نهاية العصر الأموي، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة البصرة، ٢٠٠٦ م.

* المياحي، شكري ناصر عبد الحسن .

الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) دراسة في فكرة العسكري، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة البصرة، ٢٠٠٥م

* أبو الهيل، علي رحيم .

السياسة الأموية المضادة للإمام علي (ع) (دراسة في سياسة السب)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة البصرة، ٢٠٠٩.

شبكة المعلومات العالمية (الانترنت) :

- http://www.syrianmeds.net/topic/3530

المحتويات

مقدمة الكتاب ١١

الفصل الأول: منهجية توثيق المفاهيم السياسية ومعطياتها التطبيقية. ... ١٩

المبحث الأول: البعد الواقعي للتوثيق في التعامل مع اتجاهات الخلافة ٢٣

١- توثيق مسارات الانقلاب على المفاهيم. ٢٤

٢- توثيق المؤهلات الداعمة للتنصيص... ..... ٥٩

المبحث الثاني: توثيق الأبعاد التعليلية للأحداث السياسية وانعكاساتها على الواقع ٧٧

١- توثيق الأبعاد الموضوعية للحدث التاريخي.. ..... ٧٨

٢- الأبعاد التعليلية في التوثيق ١١٠

الفصل الثاني: توثيق أبعاد السير الشخصية ومدلولات مفاهيمها ١٢٣

المبحث الأول: توثيق البعد الإيجابي في مفاهيم السيرة ١٢٧

المبحث الثاني: توثيق البعد السلبي في مفاهيم السيرة ١٥١

الفصل الثالث: التوثيق التاريخي المرتبط بالأبعاد الدينية. ١٩٩

المبحث الأول: تجليات التاريخ وارتباطاته الدينية ٢٠٣

أولاً: توثيق أبعاد وانعكاسات البعثة النبوية. ٢٠٣

ثانياً: مقاييس ومنطلقات توثيق أفضلية الرسول (ﷺ). ٢١٩

ثالثاً: توثيق البعد التربوي في الدين ٢٤١

المبحث الثاني: الأبعاد الفلسفية والمستقبلية للتوثيق ٢٥٥

أولاً: نموذج الفكر الفلسفي من التوثيق التاريخي المرتبط بالأبعاد الدينية. ٢٥٥

ثانياً: التوثيق المستقبلي ٢٨٣
- الفساد الوضعي في البعد المستقبلي: ٢٨٧
- توثيق الانهيار الأموي: ٢٩٠
- التسلط في البعد المستقبلي: ٢٩٥
- الكوفة والبصرة في إحداثيات المستقبل: ٢٩٨
- العمران في البصرة: ٣٠٠
- التوثيق المستقبلي العقائدي ٣٠٢

الفصل الرابع: التغطية التوثيقية للمفاهيم التاريخية ومعطياتها الفكرية ٣١٧

أولاً: توثيق المفهوم السياسي وتغطيته الفكرية ٣١٩
ثانياً: توثيق المفهوم العسكري وأبعاده الفكرية ٣٣٥
ثالثاً: توثيق منظومة الفكر الإنساني وأبعاده العلمية ٣٥٠
الخاتمة ٣٥٧
المصادر والمراجع ٣٥٩
المصادر القديمة ٣٥٩
المراجع ٣٧٦
الرسائل الجامعية ٣٨٢
المحتويات ٣٨٣